



مجلة العلوم الإجتماعية

Journal of Social Science

دورية دولية علمية محكمة تصدر عن المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الإستراتجية والسياسية والإقتصادية ألمانيا - برلين

العدد 24 جوان 2022



V.R33616
ISSN 2568-6739



المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتحية والسياسية والإقتصادية
برلين-ألمانيا
ISSN 2568-6739 V.R33616

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتجية والسياسية والاقتصادية

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

الإيداع القانوني V.R33616

ISSN 2568-6739

جوان 2022

الــعــدد الرابع وعشرون (24)

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

تصدر من ألمانيا- برلين- عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتجية والسياسية والاقتصادية

الهيئة العلمية والاستشارية.

- د.لعريبي نورية، جامعة الجزائر 02، الجزائر
- د.محمد حسين علي السويطي، جامعة واسط، العراق.
- د.مخلص رمضان محمد بليح، جامعة بني سويف، مصر.
- د.مدور ليلى، جامعة باتنة 01، الجزائر
- د.معن قاسم محمد الشياب، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية.
- د.مليكة حجاج، جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر
- د.ميلود الرحالي، المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات، المغرب
- د.نجيب زاوي، جامعة قفصة، تونس.
- د.طرشان حنان، جامعة باتنة 01، الجزائر.

شروط النشر:

مجلة العلوم الاجتماعية مجلة دولية علمية محكمة تعنى بنشر الدراسات والبحوث في ميدان العلوم الاجتماعية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

- أن تكون المادة المرسلة للنشر أصيلة ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى ويقدم الباحث إقرارا بذلك.
- أن يكون المقال في حدود 30 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور.
- أن يتبع المؤلف الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس وإحترام الأمانة العلمية في تهميش المراجع والمصادر.
- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال باللغة العربية وترجمة لعنوان المقال باللغة الإنجليزية، كما تتضمن اسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني وملخصين، في حدود مائتي كلمة للملخصين مجتمعين،(حيث لا يزيد عدد أسطر الملخص الواحد عن 10 أسطر بخط simplified Arabic 12 للملخص العربي و Times New Roman 12 للملخص باللغة الانجليزية)، أحدهما بلغة المقال والثاني باللغة الانجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية.
- تكتب المادة العلمية العربية بخط نوع simplified Arabic مقاسه 12 بمسافة 1.15بين الأسطر، بالنسبة للعناوين تكون Gras، أما عنوان المقال يكون مقاسه 14.
- هوامش الصفحة أعلى 2 وأسفل 2 وأيمن 2 وأيسر 3 ، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25 حجم الورقة مخصص(16 23.5X).
- يجب أن يكون المقال خاليا من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.
- بالنسبة للدراسات الميدانية ينبغي احترام المنهجية المعروفة كاستعراض المشكلة، والإجراءات المنهجية للدراسة، وما يتعلق بالمنهج والعينة وأدوات الدراسة والأساليب الإحصائية وعرض النتائج ومناقشتها.
- تتبنى المجلة نظام توثيق الرابطة الأمريكية لعلم النفس.(APA)، ويشار إلى المراجع داخل المتن بذكر الاسم الكامل للمؤلف ثم سنة النشر والصفحة بين قوسين، أو ذكر الإسم الكامل للمؤلف، السنة بين قوسين.
- يشار إلى ذكر قائمة المراجع في نهاية البحث وترتيبها هجائيا وفق نظام الرابطة الأمريكية لعلم النفس.
- المقالات المرسلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بالرد على المقالات التي لا تستوفي شروط النشر.
- المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها.
- لا تتحمل المجلة مسؤولية عدم إحترام الباحث الأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي وتتخذ إجراءات صارمة في حق كل من ثبت عدم إحترامه ذلك.
- يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.
- يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:

sciences@democraticac.de

كلمة العدد

ها هي مجلة العلوم الإجتماعية تضرب للباحثين موعدا جديدا من مواعيد إصداراتها وفق أبحاث مختلفة ومتنوعة ومتباينة نحاول من خلالها التأسيس للنشر العلمي في العلوم الإجتماعية بمختلف مشاربها وتخصصاتها أين يتم التأكيد في كل مرة على أهمية البحث العلمي والنشر العلمي كمجال لتقديم الإضافة العلمية في جل التخصصات.

إن المجلة بهذا تواكب مختلف المستجدات العلمية وفق توجهات الباحثين في محاولة لنشر الثقافة العلمية المبتغى الأساسي والهدف الرئيسي في أي نشر علمي يهدف لخدمة المجتمع.

إن المجلة في كل عدد تصدر بفضل تظافر جهود الجميع من باحثين ومحررين وخبراء دوليين وهيئات إستشارية وتحريرية وعلمية التي تمثل الدعامة الأساسية للمجلة لإصدارها وفق كل عدد وهو ما يجعلنا نقف دوما موقف الإحترام للجميع في هذا المقام.

الدكتور بحري صابر

رئيس التحرير

مجلة العلوم الاجتماعية

المركز الديمقراطي العربي، العدد 24 جوان 2022

فهرس المحتويات

صفحة

الجرائم السياحية أنواعها وانتشارها في المجتمع السعودي: دراسة ميدانية على عينة من العاملين في المجال السياحي بالمملكة العربية السعودية

ا.هنادي محمد داود
باحثة دكتوراه، بقسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية
د. ذيب بن محمد الدوسري
أستاذ علم الاجتماع المشارك بقسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية

ملخص: تحدد الهدف الرئيس لهذه الدراسة في التعرف على واقع الجرائم السياحية في المجتمع السعودي وذلك بالتركيز تحديداً على أنواعها ومدى انتشارها. وقد تكون مجتمع الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية في كلاً من المدن التالية: (الرياض، مكة المكرمة، المدينة المنورة، جدة، الدمام، أبها، تبوك)، واشتملت عينة الدراسة على (363) من العاملين في السياحة، واستخدم منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة، كما تم الاستعانة بالاستبانة كأداة للدراسة. ويعد من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أن أكثر أنواع الجرائم السياحية هي قيام بعض السياح بتلويث بيئة المنطقة السياحية بالمخلفات، ويرى أفراد العينة أن معدل تكرار الجرائم السياحية في المناطق السياحية (قليلاً) بشكل عام، وأن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً (جرائم الاعتداء أو التحرش) مقارنة بباقي الجرائم، وقد أوصت الدراسة بعدة توصيات من أهمها: ضرورة تقديم برامج تثقيفية وإرشادية تستهدف أفراد المجتمع من المواطنين لحثهم على المحافظة على البيئة والمناطق السياحة من التلويث والتخريب، وتوعية المواطنين وأفراد المجتمع بأهمية السياحة كونها مورد اقتصادي هام على الفرد والمجتمع.
الكلمات المفتاحية: الجرائم السياحية، أنواع الجرائم السياحية، المجتمع السعودي.

Tourism crimes its types and spread in the Saudi society: A field study on a sample of tourism field workers in the Kingdom of Saudi Arabia.

Hanadi Mohammed Dawood, Ph.D Researcher in king Saud University, College of literature, Social Studies department.

Dr. Theeb Mohammed Al-Dossri, associate professor in king Saud University, College of literature, Social Studies department

Riyadh, Saudi Arabia.

Abstract: This study aimed to identify the tourism crimes that occur in the Saudi society, in addition, it aims to identify the types of tourism crimes that occur in the Saudi society and how spread it is. The study population consist of those working in the field of tourism in the Kingdom of Saudi Arabia in each of the following cities: (Riyadh, Makkah, Madinah, Jeddah, Dammam, Abha and Tabuk). The study sample included three hundred sixty-three (363) individuals working in the field of tourism as the researcher used the sample social survey method, and questionnaires were used as tools for the study. The study reached many results, the most important of which are as follows: Among the most types of tourism crimes is some tourists pollute the environment of the tourist area with waste, the study sample believe that the rate of recurrence of tourism crimes in tourist areas is (little) in general, and that the most prevalent tourism crimes, are (crimes of assault or harassment). The study made several recommendations, the most important of which are: the need to provide educational and guidance programs targeting members of the society in order to urge them to preserve the environment and tourism areas and facilities from pollution and sabotage, and to educate citizens and members of society of the importance of tourism as an important economic resource for the individual and society.

Keywords: Tourism Crimes, kinds of Tourism Crimes, Saudi society.

مقدمة:

تعد السياحة ظاهرة قديمة رافقت الإنسان عبر تاريخه الطويل، إلا أنها تعقدت في هذا العصر وتقدمت وازدهرت وتطورت حتى اكتسبت أهمية خاصة، حيث أصبحت السياحة علم حديث وصناعة عملاقة لها أصولها وعلومها المتقدمة وظهر في العديد من الدول علماء وباحثون متخصصون في النشاط السياحي وخصصوا له الكليات والمعاهد ومراكز التدريب، وحتى أصبحت صناعة غير تقليدية تعتمد على الاسلوب العلمي في كافة أنشطتها كالنشاط الفندقي، نشاط شركات السياحة ووكلاء السفر، الإرشاد السياحي والترفيه السياحي والبيع السياحي والأمن السياحي.

ومع تنامي الاهتمام بالسياحة وارتفاع عدد السياح حول العالم، أصبحت بعض الدول تعتمد عليها كرافد اقتصادي أساسي، ولها الدور الفاعل في تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية للعديد من دول العالم وتحقيق هذا الدور يرتبط بشكل أساسي بمدى ما يشعر به السائح من أمن خلال رحلته السياحية.

وتعد السياحة نشاط إنساني تؤثر عليه العديد من المقومات وعناصر الجذب، وترتبط السياحة ارتباطاً وثيقاً بمدى ما يشعر به السائح من راحة وأمن في رحلته السياحية، فمهما تعددت عناصر الجذب وأنشطة الترويح والفعاليات السياحية، يبقى الأمن والاستقرار من العناصر الأساسية في تنمية السياحة وتطورها واستدامتها، والمحرك الأساسي في اتخاذ السائح قراره باختيار منطقة بذاتها (الغامدي، 2005)، وذلك سبب ازدهار السياحة في بعض المناطق بالعالم، وعلى النقيض من ذلك فإن انتشار الجرائم السياحية في المناطق السياحية وفي بعض مدن وبلدان العالم يعتبر عقبة أمام التدفق السياحي، وبالتالي تفقد السياحة قيمتها في ظل انتشار الجرائم السياحية وغياب الأمن في البلد السياحية.

وعليه فإن الدراسة الراهنة اهتمت بموضوع الجرائم السياحية في المجتمع السعودي، للتعرف عليها وأنواعها والآثار المترتبة عليها، لأن الاهتمام بموضوع الجرائم السياحية وكل ما يتعلق بأمن السياح يُتيح للأجهزة الأمنية توفير الأمن لكل من السائح في نفسه وماله وعرضه، وللمنشآت السياحية، وللمواقع الأثرية والتاريخية والدينية التي يحتضنها الوطن، وكذلك حماية الإرث الثقافي والحضاري والبيئي الذي تنفق عليه الدولة الكثير، نظراً لأهميته ولمردوده الداعم للنمو الاقتصادي.

مشكلة الدراسة:

إن العديد من الدول تعتمد على السياحة كمصدر مهم من مصادر الدخل الوطني، واستطاعت هذه الدول الحصول على مدخولات سنوية كبيرة من القطاع السياحي كما يحدث في الولايات المتحدة وإسبانيا وإيطاليا واليونان والنمسا وسويسرا وفرنسا وإنكلترا وتركيا، وغيرها من بلدان العالم، لأن الدخل السياحي يساهم بشكل كبير في اقتصاديات الدول السياحية، فهو يعزّز ميزان المدفوعات ويعتبر مصدراً كبيراً لتوفير فرص العمل للمواطنين مما يدعم مستواهم المعاشي والاجتماعي، ولأهمية السياحة فقد أصبحت ترتبط بالتنمية الاقتصادية ارتباطاً وثيقاً، وتعتبر السياحة أحد العناصر الأساسية للنشاط الاقتصادي في الدول السياحية، واهتمت بها المنظمات العالمية كالبنك الدولي ومنظمة اليونسكو التي أصبحت تنظر إلى السياحة كعامل أساسي ومهم أيضاً للتقريب بين الثقافات (عيسى، 2016، ص32).

ولقد أدركت المملكة العربية السعودية أهمية خدمات السياحة، حيث تجسد ذلك في إنشاء الهيئة العليا للسياحة عام 2000م، وفي الوقت الذي تشهد فيه المملكة العربية السعودية قفزة في التنوع الاقتصادي والمضي قدمًا في تحقيق رؤية المملكة 2030م بما يسهم في تعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد، يشهد قطاع السياحة تطور وازدهار بشكل متسارع، ويحظى القطاع بأهمية بالغة مستمدة من الموقع الاستراتيجي وما تتميز به السعودية من مكنوز تاريخي وتنوع ثقافي.

وقد شهدت الفترة الماضية عدداً من القرارات التي تدعم هذا القطاع، باعتباره ركيزة أساسية من ركائز الاقتصاد الوطني، ابتداءً من تسهيل إجراءات إصدار التأشيرات السياحية، ومن ثم إصدار لائحة الذوق العام، وصولاً إلى عقد الملتقى العربي الثاني للأمن السياحي، وغيرها التطورات والقرارات التي تدعم وتنهض بهذا القطاع (جريدة الرياض، 2019).

وقد صرح معالي مستشار هيئة الترفيه تركي آل الشيخ أن عدد السواح في موسم الرياض 2019م وصل إلى (200) ألف سائح (واس، 2019) تشير هذه الأرقام إلى أن قطاع السياحة في السعودية قطاع واعد، ويشكل مصدراً هاماً لاقتصاد المملكة العربية السعودية، ولابد من الاهتمام به لتطويره ورسم السياسات والأنظمة الخاصة به والتي تضمن استدامته، ونظراً لأن السياحة لا تتقدم وتزدهر إلا من خلال شعور السياح بالأمن والطمأنينة، لذلك وجد أنه من المفيد دراسة موضوع الجرائم السياحية وما يترتب عليها من آثار ومشكلات اجتماعية واقتصادية قد تؤثر سلباً على المجتمع وعلى الجذب السياحي، فالسائح عندما يذهب لمنطقة سياحية تختلف فيها المعايير الاجتماعية عما هو سائد في مجتمعه قد يشعر باختلال المعايير والقيم لديه وقد يرتكب بعمد أو غير عمد بعض المخالفات أو الجرائم السياحية وهذا ما يطلق عليه عالم الاجتماع اميل دوركايم اللامعيارية أو الأنومي (الوريكات، 2013)، فالجرائم التي تصاحب السياحة متنوعة كجرائم المخدرات وتزييف العملة والإتجار بالبشر وجرائم النشل والسرقات والتحرش وتلويث الأماكن السياحية... وغيرها، ولا شك أن تنوع الجرائم التي تتعرض لها السياحة تؤثر في الوضع الأمني وبالتالي قد تتدهور تلك الصناعة الهامة، حيث إن السياحة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدولة، فكلما زادت معدلات الجريمة وإرهاب السياح وتخويفهم انهارت السياحة والعكس.

وقد تأثرت الكثير من الدول بالجرائم السياحية اجتماعياً واقتصادياً فمن الأمثلة الشهيرة لتأثير الجرائم السياحية على السياحة آثار الاعتداء على برجي التجارة العالمية في نيويورك في 11 سبتمبر 2001م، حيث انخفض الطلب العالمي على السياحة في الولايات المتحدة بنسبة (7.4%) في عام 2001م و2002م، وتسبب في بطالة أكثر من 10 ملايين موظف في مجال السياحة على مستوى العالم، وانخفضت نسبة الإشغال في الفنادق الأمريكية بنسبة أكبر من (50%) رغم تخفيض نسبة الأسعار إلى (40%)، وهو ما أدى إلى تراجع في الاستثمارات السياحية نظراً لتراجع نسبة الفوائد (United Nation World Tourism Organization, 2016: 3)، ونجد أيضاً تأثر منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا التي تُعتبر منذ أمد طويل نقطة جذب رئيسية للسياح، حيث تُشكل السياحة فيها مصـــــــــــدراً هاماً للدخل والنمو، ففي عام 2011م ساهم قطاع السياحة بما يقدر بـ (107.3) مليار دولار، أي ما يُمثل (4.5%) من الناتج المحلي الإجمالي للمنطقة، وهو ما يُوفر (4.5) مليون وظيفة، وما يُعادل (7%) من إجمالي العمالة حسب تقارير البنك الدولي لعام 2013م، لكن نتيجة للثورات التي حدثت بالمنطقة وحالة عدم الاستقرار الاقتصادي في أوروبا عانت السياحة بشكل سلبي، فإن لتلك الثورات السياسية القدرة على التأثير سلباً على تصورات السائح فيما يتعلق بالسلامة الشخصية، وتوافر أماكن الإقامة، واحتمال استهدافها، وتعطل خطط السفر، حيث تُثبت التقارير بأن عدد السياح القادمين إلى المناطق السياحية بالشرق الأوسط انخفض بنسبة (9%) إلى (72) مليون في عام 2011م، أي بانخفاض قدره (6.6) مليون خلال عام 2010م (الجحني وآخرون، 2004، ص178)

إذن فالجرائم السياحية وعدم الاستقرار الأمني في المنطقة السياحية يؤثر عليها سلباً ويؤدي لعزوف السياح من تلك المنطقة السياحية، وهذا ما يحاول هذا البحث التعرف عليه أنواع وأنماط الجرائم السياحية ومدى انتشارها وذلك للوقاية منها حيث أن المملكة العربية السعودية مقبلة على

انفتاح سياحي ولديها مقومات سياحية عديدة تضمن أن تكون أولى الوجهات السياحية لدى السياح المحليين والعالميين.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد اهتمت بعض الدول بتطوير النشاط السياحي وتنظيمه من خلال الاهتمام بالبعد الأمني، فقامت بتأسيس شرطة السياحة ومكاتب السياحة وسنت التشريعات المتعلقة بالسياحة وكل ما يتعلق بتنظيمها أمنها (الجحني وآخرون، 2004)، حيث إن توفير عامل الأمن والاستقرار للسياح يعد في مقدمة الأسس التي ترتكز عليها أي صناعة سياحية ناجحة ومستدامة.

من هذا المنطلق وجدت الدراسة أنه من خلال تسليط الضوء على موضوع جرائم السياحة سيتسنى لصناع القرار والجهات المسئولة عن هذا القطاع سن السياسات التي تساهم في الحد من الجرائم السياحية وفي انتشار الأمن السياحي الذي يضمن استمرار واستدامة هذا القطاع.

وعليه فإن الدراسة الراهنة تحاول الإجابة على التساؤلات التالية:

ما واقع الجرائم السياحية في المجتمع السعودي؟،ما أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي؟، وما مدى انتشار الجرائم السياحية في المجتمع السعودي؟

ثانياً: أهمية الدراسة:

أولاً: الأهمية النظرية (العلمية):

تكمن أهمية هذه الدراسة في حداثة الموضوع في البيئة العربية على وجه العموم، والمحلية على وجه الخصوص، وهو أمر يتيح إجراء المزيد من الأبحاث في هذا المجال.

-تمثل السياحة أحد المصادر الهامة للدخل الوطني، ويعول عليها حسب رؤية المملكة 2030 أن تصبح من المصادر الأساسية للدخل، وقد كانت ولازالت السياحة أحد أهم مصادر الدخل الوطني، ومن المتوقع تزايد أهميتها بصفتها مصدراً للدخل القومي ولضمان استمرارية عملية التنمية المستدامة، ومن هنا تبرز أهمية تحديد أهم الجرائم السياحية المجتمع السعودي والتي من شأنها أن تسبب مخاطر على السياح وعلى المواطنين والمقيمين، وبالتالي تعيق التطور السياحي، ومن ذلك تبرز أهمية تحديدها والتعرف عليها وأخذها بعين الاعتبار للبحث في سبل معالجتها ومكافحتها في مرحلة تطوير البرامج المتعلقة بالسياحة، وبالتالي المساهمة في الحد منها.

-بالإضافة إلى أنها ستمثل إضافة نوعية للمكتبة السعودية فيما يتعلق بالدراسات المتعلقة بجرائم السياحة، وستسهم في إثراء الدراسات والأطر النظرية بإلقاء المزيد من الضوء على موضوع السياحة والجرائم السياحية.

-قد تسهم نتائج هذه الدراسة في تزويد المهتمين في مجال السياحة، وفي مجال الانحراف والجريمة بمعلومات حول الجرائم السياحية التي تقع في المملكة العربية السعودية.

ثانياً: الأهمية التطبيقية (الأهمية العملية):

-تساهم نتائج هذه الدراسة في تحقيق الأمن السياحي والاقتصادي في السعودية من خلال تسليط الضوء على الجرائم السياحية وبالتالي المساهمة في الحد منها، لتساهم معطيات هذه الدراسة في تحقيق بعض محاور رؤية 2030م من خلال تنويع اقتصادها والمساهمة في الحفاظ على الأمن والاستقرار.

-تفيد نتائج هذه الدراسة المسؤولين فيرسم السياسات واتخاذ القرارات المرتبطة بموضوع الأمن السياحي والجرائم السياحية.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

-التعرف على واقع الجرائم السياحية في المجتمع السعودي.

-التعرف على أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي.

-التعرف على مدى انتشار الجرائم السياحية في المجتمع السعودي.

رابعاً: مفاهيم الدراسة ومصطلحاتها:

السياحة (Tourism): يقصد بالسياحة الذهاب في الأرض بقصد العبادة وطلب العلم والرزق والترفيه والمتعة والتنزه والعلاج، وهي أيضاً مجموعة من العلاقات والخدمات المرتبطة بعملية تغيير المكان تغييراً مؤقتاً وتلقائياً لأسباب تجارية أو ترفيهية، وتعرف السياحة أيضاً على أنها مجموعة الخدمات التي تقدم إلى مجموعة من السياح الذين يشكلون الطلب السياحي، وينجم عن ذلك مورداً نقدياً وهو الإيراد السياحي (النهاري، 2003، ص2).

ومن منظور اجتماعي فإن السياحة تعد نشاط إنساني اجتماعي يعتمد على الرغبة في قضاء أوقات الفراغ بشكل ممتع ومفيد يتجلى في الاستكشاف والمعرفة واكتساب المهارات والمعلومات والاطلاع علة ثقافات الغير وحياتهم الاجتماعية عبر رحلة لا تقل عن يوم ولا تزيد عن سنة داخل البلد الواحد أو خارجه (الشهراني، 2006، ص160).

ومع تعدد التعاريف العلمية لكلمة سياحة وسائح فإن أكثر هذه التعاريف قبولاً، ذلك الذي طرحه مؤتمر الأمم المتحدة حول السياحة العالمية في روما عام 1963م، حيث وصف السائح بأنه: مسافر يمكث مؤقتاً لفترة زمنية لا تقل عن أربع وعشرين ساعة بعيداً عن موطنه بغرض الترفيه، أو الترويح، أو قضاء إجازة أو العلاج أو السياحة الدينية أو الرياضية أو زيارة عائلية أو لغرض علمي (الجحني، 2004).

التعريف الإجرائي: يقصد بالسياحة في هذه الدراسة بأنها: نشاط إنساني ينتقل فيه الإنسان من بيئته المعتادة للإقامة المؤقتة في إحدى المناطق السياحية بغرض الاستجمام وطلب الراحة أو لأي غرض سياحي آخر، شريطة أن تتوافر له فرص تحقيق أمنه وسلامته إلى أن يرجع سالماً إلى وطنه وأهله.

الجرائم السياحية(Tourism crimes):

الجريمة السياحية في ضوء ما تقدم هي سلوك إجرامي مرتبط بإحدى عناصر العملية السياحية، فيعرفها كلاً من (كافي، 2014، ص359)؛ (المهيرات، 2009، ص86) بأنها كل عمل يخالف للقوانين والقرارات المنظمة والمرتبطة بالنشاط السياحي.

وقد عرفها (خير، 1993، ص8) على أنها القيام أو الامتناع عن السلوكيات التي ينتج عنها الإضرار بالسائح، أو بالمناطق، أو بالمواقع والمرافق السياحية، أو التي يرتكبها السائح ضد أحد الأشخاص أو الأماكن ويترتب عليها ضرر مادي أو معنوي وتكون هذه الأفعال محرمة شرعاً أو عرفاً أو قانوناً ويعاقب عليها القانون (خير، 1993، ص8).

والجريمة السياحية هي التي يكون أحد أطرافها سائحاً أو مجموعة من السائحين سواء كانوا جناة أو مجنياً عليهم أو تلك الأفعال التي تقع على المنشآت السياحية أو الفندقية (حمودة، 2013، ص57).

تقصد الدراسة بالجريمة السياحية الفعل أو النشاط الذي يقوم به السائح أو يقع ضد السائح ويعاقب عليه القانون ويصنف على أنه جريمة في نظام الجرائم والعقوبات في المملكة العربية السعودية، وترتكب على أراضيها، وتحدث ضرراً على السياح أو على سكان المدينة السياحية سواء اجتماعياً أو اقتصادياً، والمقصود بأنواع الجرائم السياحية جرائم السرقة والسطو، جرائم مرتبطة بالمشاجرات والعنف، جرائم الاعتداء أو التحرش، جرائم الشغب والتخريب، جرائم مرتبطة بالمخدرات والمسكرات.

النظريات المفسرة للدراسة:

أولاً: نظرية الأنومي (Anomie):

تناول اميل دور كايم فكرة الأنومي وهي اللامعيارية التي تصيب الأفراد بسبب تغير الظروف الحياتية والمجتمعية والتي هي في وضع مضطرب وهنا تظهر الأنومي أو اللامعيارية (غيث، 1995).

فقد وجد اميل دوركايم في دراسته عن الانتحار سنة 1897م أن الثورة الصناعية والتجارية عوامل أساسية في اللامعيارية وبالتالي خلص إلى النتيجة التي مفادها أن الأنومي ظاهرة ملازمة لتطور المجتمعات، حيث يرى "دوركايم" أن الجريمة تحدث نتيجة خلل في النظام الاجتماعي يؤدي لحدوث إشكالات تؤدي إلى حدوث الجريمة، وقد وضع "دوركايم" تسلسل لحدوث الجريمة وهو: أن المجتمع يكون فيه تنظيم فيأتي حدث يُحدث تغير في هذا التنظيم، يؤدي لحدوث اختلال في الضبط الاجتماعي، يؤدي إلى تجاوز الناس لحدود متطلباتهم واحتياجاتهم، مما يُحدث خلل في معايير المجتمع فتظهر الأنومي أو اللامعيارية، باختصار يرى "دوركايم" أن الأنومي هي حالة أو شرط مجتمعي حيث تكون فيها المعايير غير قادرة أو فاعلة في تنظيم السلوك الإنساني، أي أنها تصاب بالاضطرابات أو عدم المقدرة على القيام بوظائفها، ويشير أيضاً إلى أن الأنومي تنتج من التعارض بين الطموحات الإنسانية ومقدرة الناس على تحقيق تلك الطموحات (الشيخي، 2003).

ويمكن الاستفادة من فرضية هذه النظرية في أن السائح عندما يذهب لمنطقة سياحية تختلف فيها المعايير الاجتماعية عما هو سائد في مجتمعه فيشعر باختلال في المعايير والقيم لديه فيقوم بارتكاب الجرائم أو يتحلل من بعض القيم والمعتقدات السائدة في مجتمعه، والتي لا يستطيع تطبيقها أو ممارستها في مجتمعه نظراً لضغط الجماعة و لضغط العادات و التقاليد، مثل تعاطي المسكرات و بعض أنواع المخدرات وحتى جرائم البغاء والجرائم الجنسية، حيث أن كل تلك الجرائم تعد جريمة في مجتمعنا السعودي أو حتى في المجتمعات الخليجية والعربية ولا تعد جريمة في بعض المجتمعات الأخرى، وينطبق أيضاً على الجرائم التي تقع بحق السائح، فالشخص المقيم في المدينة المعتاد على الروتين والنظام الاجتماعي السائد، عندما تمتلئ منطقته بالسياح والفعاليات السياحية، وقد كان اعتاد فيها على النظام والهدوء، ربما يشعر حينها المقيم

بتغير الظروف الحياتية والمجتمعية وكما يرى دور كايم أن الأنومي ظاهرة ملازمة لتطور المجتمعات وعلى الأغلب المناطق ذات الجذب السياحي تكون من المجتمعات المتطورة أو التي طورت جوانب عدة بها لضمان الجذب السياحي، فتحدث معه حالة من اللامعيارية فيقوم بالجرائم السياحية كالسرقة أو الاعتداء على السياح وغيرها من الجرائم السياحية، إذن وكما يرى دور كايم أن المجتمع يكون فيه تنظيم فتأتي الأحداث والفعاليات أو المواسم السياحية فتغير في هذا التنظيم، مما قد يؤدي لحدوث اختلال في الضبط الاجتماعي، يؤدي إلى تجاوز الناس لحدود متطلباتهم واحتياجاتهم، مما يحدث خلل في معايير المجتمع فتظهر الأنومي أو اللامعيارية وبالتالي تظهر الجرائم السياحية.

ثم جاء العالم "روبرت ميرتون" واستعار مفهوم الأنومي من "دوركايم" إلا أن مفهوم الأنومي يختلف عند ميرتون، حيث أن ميرتون يرى أن المعايير الاجتماعية والقيم تتشكل من نمطين وهما: الأهداف المجتمعية، والوسائل المقبولة، وذلك من أجل تحقيق الأهداف المجتمعية (الشيحي، 2003)، هذه النظرية نظرية عامة ترى أن المجتمع يؤكد على أهداف ثقافية بنائية من جهة، ومن جهة أخرى يضع الوسائل المقبولة المشروعة لتحقيق أهداف المجتمع كالتعليم، والعمل، وجمع المال، ويرى ميرتون أن الإنسان عندما لا يستطيع تحقيق هذه الأهداف تظهر مرحلة الأنومي، وفي ذلك يقول ميرتون: إن الصراع بين الوسائل المؤسسية والأهداف المحددة الثقافية هي التي تسبب اللامعيارية، حيث أن الظروف الاجتماعية تضع ضغوطاً متباينة على الأفراد تبعاً للبناء الاجتماعي، وبما أن الأفراد يحتلون مواقع متباينة أيضاً فلا بد أن يتكيفوا أو يستجيبوا بشكل مختلف، تناول ميرتون أنماط التكيف لضغوط البناء الاجتماعي والتي قد تؤدي إلى الانحراف عن القيم الاجتماعية، ولكنه نوه على أن الوسائل المشروعة ليست دائماً هي الوحيدة لتحقيق أهداف المجتمع، فهناك دائماً وسائل غير مشروعة قد تكون متوفرة وأكثر فعالية(الوريكات، 2013،ص179).

وقد تناول ميرتون خمسة أنماط للتكيف وهي: الملتزمون، المخترعون أو المبتكرون، الطقوسيون، الانسحابين، وأخيراً الثائرين.

من ضمن هذه الأنماط نمط المبتكرون كون موضوع وأهداف الدراسة الراهنة (الجرائم السياحية) ينطبق على هذا النمط.

المبتكرون (Innovators):

في هذا النمط يقبل الفرد الأهداف التي يحددها البناء الثقافي ويرفض الوسائل المشروعة لتحقيقها لعدم القدرة على استخدامها، والمجتمع يعطس أهمية كبيرة لنجاح تحقيق الأهداف مما يدفع الفرد إلى ابتكار وسائل ممنوعة يصل من خلالها إلى تحقيق الهدف (الشيخي، 2003، ص31).

ومن الممكن تطبيق هذه النظرية على موضوع الدراسة من خلال اعتبار أن الجاني لديه أهداف مشروعة، وربما لديه الكثير من الأحلام والطموحات يرغب بتحسين مستواه وزيادة مستوى الرفاهية لديه وربما لدى أسرته، ولكن لم تتوفر له الوسائل المشروعة، فاستغل فرصة المواسم السياحية والتدفق السياحي لتحقيق أهدافه المشروعة ولكن من خلال وسائل غير مشروعة كالسرقة والنهب أو الإتجار بالمخدرات أو المساعدة في تهريب بعض الآثار أو حتى الإضرار

بالبيئة وغيرها من الجرائم السياحية، وبذلك يكون ابتكر طرق جديدة وغير مشروعة لتحقيق أهدافه وانطبق عليه نمط المبتكرون الذي تحدث عنه ميرتون.

ثانيا: نظرية الفرصة (The Opportunity Theory):

تنطلق فكرة هذه النظرية من أن الفرصة تصنع الجريمة، حيث ترى أحد فرضيات هذه النظرية أنه لابد من التقاء في الوقت والمكان للعناصر الثلاثة لكي تحدث الجريمة وهذه العناصر هي: الجاني ذو الدافعية، الهدف المحتمل وغياب الحراسة المتيقظة (Bajapai, 2004)، فإذا اجتمعت هذه العناصر الثلاثة ازدادت احتمالية وقوع الجريمة وإذا لم تتوافر معاً قلت احتمالية حدوث الجريمة.

وترى هذه النظرية أن أنماط الجرائم تتحدد وفق التغيرات الاجتماعية فالتغير في الأنشطة الرتيبة اليومية والتفاعل الاجتماعي قد يزيد من معدلات الجرائم في ظل وجود الفاعل والهدف وغياب الرقابة، حيث إن التغير السريع والغير مخطط يربك النشاط الرتيب (Geser, 2004).

وتشير هذه النظرية إلى كيفية تفاعل الأفراد مع بيئاتهم المادية منتجين فرص أكثر للجريمة أو أقل، آخذةً بالحسبان كيف يتحرك الناس في الوقت والمكان، ولهذا تعطي هذه النظرية أهمية خاصة للتوزيع الجغرافي للجريمة والنشاطات اليومية، ويرى منظري هذا الاتجاه أهمية تخطيط مناطق الأعمال والمدن والتي يمكن أن تحدث تغيرات هامة في معدلات الجريمة (جابر، 2002، ص97).

تتلخص هذه النظرية في أن الجريمة والسلوك المنحرف نتيجة للفرصة وتركز على ما يقوم به الجاني في عملية تنفيذ الجريمة، فعندما يكون الهدف مناسباً وغير محمي وبغياب الحراسة المتيقظة فإن فرص حدوث الجريمة تكون كبيرة، أما غياب أحد هذه العناصر كوجود الشرطة أو أي شخص في مسرح الجريمة قد يعمل على منع حدوث الجريمة، ومن هنا فإن التدرج في تقليل الفرص للجرائم يتم من خلال زيادة الجهد المبذول للجريمة من قبل الجاني بتصعيب الأهداف وإبعاد الجاني عن هدفه، والتحكم بتسهيلات الجريمة (Bajapai, 2004).

ومن الممكن الاستفادة من فرضيات هذه النظرية على موضوع الدراسة الراهنة في كون بعض المناطق السياحية تتعرض لجرائم سياحية مختلفة نظراً لاقتناص الجاني للفرصة، حيث إنه الجاني لديه الدافعية لارتكاب الجريمة وينتظر الفرصة وهي الوقت المناسب (المواسم والفعاليات السياحية)، وجود أعداد كبيرة من الأفراد والسياح وغياب الرقابة والأنظمة الكافية لحماية السياح، وبالتالي يستغل الجاني الفرصة السياحية لارتكاب الجريمة.

الدراسات السابقة

تعددت الدراسات التي تناولت موضوع الجرائم السياحية والأمن السياحي، وعليه سوف يتم استعراض تلك الدراسات التي تناولت مواضيع لها علاقة بموضوع الدراسة من جوانب مختلفة ومعرفة نقاط الالتقاء والاختلاف بين هذه الدراسات والدراسة الراهنة، وذلك على النحو التالي:

دراسة (الغامدي، 2005) بعنوان: "اتجاهات السياح نحو إجراءات الأمن السياحي"، وهدفت الدراسة إلى التعرف على اتجاهات السياح نحو الأمن السياحي في مدينة الباحة بالمملكة العربية السعودية، ووضع تصور استراتيجي بهدف تحقيق الأمن السياحي، وقد اعتمدت الدراسة على

المنهج الوصفي، وقد طبقت الدراسة على السائحين، حيث استهدفت السائحين الذين قدموا لمنطقة الباحة في صيف عام 1425هـ وبلغ عددهم (479) سائح، وقد توصلت الدراسة لنتيجة أن السياحة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى ما يشعر به السائح من راحة وأمن في رحلته السياحية، وأن لأمن والاستقرار من العناصر الأساسية في تنمية السياحة وتطورها واستدامتها، والمحرك الأساسي في اتخاذ السائح قراره باختيار منطقة بذاتها.

دراسة (الغوينم، 2015) بعنوان: "تصور إستراتيجي لتحقيق الأمن السياحي في المملكة العربية السعودية"، حيث هدفت الدراسة إلى الإلمام بالمشكلات الأمنية التي يواجهها القطاع السياحي في المملكة، وهي دراسة وصفية اعتمدت على منهج المسح الاجتماعي، وقد طبقت الدراسة على القادة العاملين بوزارة الداخلية في المملكة العربية السعودية والذين لهم علاقة بالأمن السياحي ومسئولي الهيئة العامة للسياحة والآثار والمهتمين بصناعة السياحة والبالغ عددهم (51) فرد، وتوصلت الدراسة إلى عدد من التوصيات وهي استحداث جهاز أمني متخصص في الأمن السياحي لتوفير الحماية للسائحين، وفي الوقت نفسه حماية المرافق والمنشآت والمناطق السياحية ومتابعة تطويرها ومنع العبث بها، وإنشاء شراكة بين الأجهزة الأمنية المختصة بالأمن السياحي، والقطاع الخاص لتحقيق الأمن السياحي وفق رؤية مشتركة تراعي تأمين السائح في المقام الأول، ثم تحقيق مصلحتهُ وتزويدهُ بخدمات ذات جودة نوعية متميزة.

دراسة (العنزي، 2019) بعنوان:"تجاوزات السياح وانعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية على المجتمع المحلي "، وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على تجاوزات السياح وانعكاساتها الاجتماعية أو الاقتصادية على المجتمع المحلي (المملكة العربية السعودية)، وهي دراسة وصفية اعتمدت على منهج المسح الاجتماعي، وقد طبقت الدراسة على جميع المرشدين السياحين الحاصلين على رخصة سارية المفعول لمزاولة مهنة الارشاد السياحي، بالإضافة إلى عينة من الخبراء في مجال الشرطة والسياحة والجوازات، وقد توصلت الدراسة إلى أن أبرز التجاوزات الاجتماعية التي قد تقع من السائح الوافد هي: (إهمال السائح، الممارسات العقدية الخاطئة، السلوكيات غير المتوافقة مع الذوق العام، القيام ببعض مراسم الزواج في الأماكن العامة، الإضرار بالبيئة، المخالفات المرورية)، وقد كانت أبرز التجاوزات الاقتصادية: (النصب والاحتيال، التأثير على الخدمات الحكومية والمرافق العامة، تهريب العملة خارج البلاد).

دراسة (Adam, Adong, 2016) بعنوان: "هل المسافرون المتنقلون يعانون من الجرائم؟ تحقيق تجريبي في الجرائم المرتكبة ضد المسافرون المتنقلون في غانا"، وتهدف الدراسة إلى التعرف على الجرائم السياحية التي يتعرض لها فئة محددة من السياح وهم المتنقلون الذين يحملون حقائبهم في ظهورهم في غانا، وقد كانت عينة الدراسة (603) من السياح المتنقلون الذين يحملون حقائبهم في ظهورهم في غانا، وقد توصلت الدراسة إلى أن السياح المتنقلون الذين يحملون حقائبهم على ظهورهم في غانا يعانون من أربعة أنواع من الجرائم وهي الاعتداء الجسدي، السرقة، الاحتيال والاعتداء اللفظي.

دراسة (الدهون، 2017) بعنوان: "دور الشرطة السياحية في مكافحة الجرائم السياحية والمحافظة على أمن السائح في الأردن"، وقد هدفت الدراسة إلى تقييم دور الشرطة السياحية في المحافظة على أمن السياح من الجرائم بدءً من قدومهم إلى الأردن وأثناء تنقلهم وإقامتهم وحتى مغادرتهم منها، وأيضاً هدفت الدراسة إلى تحليل الجرائم السياحية، وأنواعها، ومدى وجودها في البيئة الأردنية، وقد استخدمت الدراسة المنهج التاريخي والإحصائي، وقد طبقت على العاملين بالشرطة السياحية في دولة الأردن، وتوصلت الدراسة إلى أن الشرطة السياحية تساهم بالمحافظة على أمن وسلامة السياح الوافدين إلى الأردن منذ القدوم وحتى المغادرة من خلال تطبيق عدد من الإجراءات الأمنية في المعابر الحدودية والمواقع السياحية وأماكن الإقامة والمرافقة الأمنية، وأن المرافقة الأمنية لسياح المجموعات (Package Tours) في الأردن زادت خلال أحداث الربيع العربي للفترة (2014-2011م)، ونتجت الدراسة أيضاً إلى أن الجرائم العادية الموجهة ضد السياح كالقتل والسرقة نادرة الحدوث في الأردن.

دراسة (توفيق، 2019) بعنوان: " أثر الإرهاب على اقتصاديات الدول -السياحة نموذجاً-"، وتهدف الدراسة إلى اقتراح الحلول الكفيلة لمكافحة جرائم الإرهاب من أجل حماية القطاعات الاقتصادية، وخاصةً القطاع السياحي، وقد استخدمت الدراسة المنهج التاريخي والتحليلي، وقد توصلت إلى أن توفر الأمن السياحي يساهم بشكل فعال في نجاح ازدهار السياحة في الدول المتقدمة والدول النامية، حيث إن السياحة تساهم بشكل فعال في التنمية الاقتصادية، وتُمثل أحد أهم مصادر الدخل القومي وتلعب دوراً مهماً في الحد من ظاهرة البطالة، وتوصل إلى أن العلاقة بين الإرهاب والسياحة علاقة عكسية فكلما ارتفع عدد الأعمال الإرهابية وازدادت شدتها وخطورتها تراجعت حركة السياحة الداخلية والدولية بسبب حالة الرعب التي تدب في نفوس السياح، وهذا ما يؤدي بدوره إلى انخفاض إيرادات الأنشطة المكونة لصناعة السياحة وإحجام رجال الأعمال عن الاستثمار في الميدان السياحي وإفلاس العديد من الشركات السياحية وبالتالي ارتفاع معدل البطالة وانخفاض نسبة مساهمة هذا القطاع في الدخل القومي.

تحليل الدراسات السابقة وآليات الاستفادة منها

في ضوء العرض السابق للدراسات التي تناولت موضوع الجرائم السياحية، يتضح أن:

-أن السياحة ترتبط ارتباطاً بمدى توفر الأمن في المنطقة السياحية، وأن لأمن والاستقرار من العناصر الأساسية في تنمية السياحة وتطورها واستدامتها.

-أنه قد يحدث من السائح بعض التجاوزات أو الجرائم السياحية وقد يتعرض هو أيضاً للجرائم السياحية، لذلك يجب تعزيز الأمن السياحي لضمان استدامة السياحة.

وقد استفادت الدراسة من الدراسات السابقة فيما يلي:

-بلورة مشكلة الدراسة ووضع محاور محددة حول هذا الموضوع.

-وصياغة منهجية الدراسة، وتحديد متغيراتها، بالإضافة إلى تحديد الأساليب الإحصائية التي تتلاءم مع محاور الدراسة.

-طريقة إعداد الاستبانة، وصياغة تساؤلاتها بما يتناسب مع الدراسة وأهدافها.

وقد اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في بحث موضوع السياحة ولكن اختلفت في تحديد متغيرات الموضوع، فقد بحثت دراسة كلاً من (Adam, Adong, 2016)، (العنزي، 2019) في الجرائم السياحية والتجاوزات التي تصدر من السياح حيث تناولت دراسة (Adam, Adong, 2016) موضوع الجرائم التي يتعرض لها السياح المتنقلون في مدينة غانا، بينما تناول (العنزي، 2019) موضوع تجاوزات السياح وانعكاساتها على المجتمع السعودي، أما دراسة كلاً من دراسة (الغامدي، 2005)، (الغوينم، 2015)، (الدهون، 2017)، فقد تناولت جانب الأمن السياحي والإجراءات الأمنية للمحافظة على السياح، فقد تناولت دراسة الغامدي (2005) موضوع اتجاهات السياح نحو إجراءات الأمن السياحي، بينما تناولت دراسة الغوينم (2015) تصور إستراتيجي لتحقيق الأمن السياحي في المملكة العربية السعودية، وأخيراً دراسة (الدهون، 2017) دور الشرطة السياحية في مكافحة الجرائم السياحية والمحافظة على أمن السائح في الأردن.

في حين أن الدراسة الحالية بحثت في موضوع الجرائم السياحية في المجتمع السعودي وهذا يضفي أصالة للموضوع وللدراسة الحالية، نظراً لحداثة الموضوع، وارتباطه بمجال حيوي تهتم به رؤية المملكة العربية السعودية 2030، ويؤثر بشكل كبير على المجتمع من عدة نواحٍ.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

نوع الدراسة:

تعد هذه الدراسة وصفية، لأن طبيعة الدراسة تهدف إلى وصف قضية الجرائم السياحية في المملكة العربية السعودية، والتعرف على خصائص الجرائم السياحية وأنواعها، وتعرف الدراسات الوصفية بأنها "دراسة تسعى إلى تقرير خصائص ظاهرة معينة غير واضحة المعالم، أو وصف موقف يغلب عليه صفة الغموض، وتسعى هذه الدراسة إلى جمع الحقائق وتحليلها للوصول إلى حقائق يمكن تعميمها" (الخطيب، 2016، ص55)، وهذا ما ينطبق على الدراسة الراهنة حيث تسعى الدراسة إلى وصف الجرائم السياحية في المجتمع السعودي ووصف وتقرير خصائصها، للوصول لحقائق يمكن تعميمها.

منهج الدراسة:

تم استخدام منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة، وهو أحد مناهج البحث الرئيسية التي تستخدم في البحوث الوصفية، وهو يعد منهج ملائم ومناسب للدراسة الراهنة، حيث يهتم بدراسة جزء من أفراد المجتمع أو عدد محدود من الحالات أو المفردات، وذلك في حدود الوقت والإمكانات المتوفرة لدى الباحثين.

مجتمع الدراسة:

يقصد بمجتمع الدراسة هو ذلك المجتمع الذي يسعى الباحث إلى إجراء دراسته عليه، بمعنى أن كل فرد أو وحدة أو عنصر أو نتاج علمي أو وثائق...الخ، يقع ضمن حدود ذلك المجتمع يعد ضمناً من مكونات المجتمع أو بعبارة أخرى هو الإطار الذي يتضمن جميع مفردات المجتمع الذي يعزم الباحث دراسته بغض النظر عن نوع وخصائص تلك المفردات، ويعرف مجتمع الدراسة على أنه مكون من مجموعة من العناصر التي تعرف بأنها الوحدات الأساسية التي تشكل

مجتمع الدراسة (الضحيان، 2012، ص25)، وفي الدراسة الراهنة يحدد مجتمع الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية في كلاً من المدن التالية: (الرياض، مكة المكرمة، المدينة المنورة، جدة، الدمام، أبها، تبوك)، نظراً لكون هذه المدن تعتبر من أبرز المراكز السياحية الجاذبة للسياح في المملكة العربية السعودية.

وقد بلغ حجم مجتمع الدراسة تبعًا لإحصائية 2018م المعلن عنها في موقع الهيئة العامة للإحصاء (552,556) من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية وقد اعتمدت الدراسة على هذه الإحصائية باعتبارها آخر إحصائية رسمية لمجتمع الدراسة (موقع الهيئة العامة للإحصاء)، ولقد استطاعت الدراسة التوصل لآخر إحصائية للعام 2021م عن عدد العاملين في المجال السياحي بالمملكة العربية السعودية من خلال التواصل مع العاملين في قسم الموارد البشرية بوزارة السياحة هي (555,000) ولكنها ليست إحصائية رسمية ولم يتم اعتمادها بعد في الهيئة العامة للإحصاء، وعليه سوف تعتمد الدراسة على الرقم الرسمي للعاملين في مجال السياحة في عام 2018م كآخر إصدار للهيئة العامة للإحصاء.

عينة الدراسة:

العينة هي نسبة من العدد الكلي للحالات، تتوافر فيها خاصية أو عدة خصائص معينة، وتتكون العينة من عدد محدود من الحالات المختارة من قطاعات (مجتمع) لدراستها (الخطيب، 2016، ص275)، وقد تم تحديد طريقة العينة العشوائية العنقودية (Cluster Random Sample)، وهي عبارة عن مجموعة من العينات العشوائية البسيطة أو المنتظمة المستخدمة لسحب مفردات مجتمع دراسة واحد، وذلك نظراً لأن مجتمع الدراسة يقع في مناطق مختلفة ومتعددة، وهم أفراد المجتمع الذين يعيشون في المدن السياحية في المملكة العربية السعودية، ويشترط لاستخدام العينة العشوائية العنقودية أن يكون مجتمع الدراسة متجانساً في جميع مراحل تطبيقها، تتعامل هذه العينة مع كل المجتمعات المتجانسة بغض النظر عن كونها صغيرة أو كبيرة بشرط أن يكون مجتمع الدراسة موزعاً في أكثر من مكان جغرافي، وهذا ما ينطبق على الدراسة الراهنة (الضحيان، 2012، ص133- 139)، وعليه فسيكون أفراد عينة الدراسة العاملين في مجال السياحة، وقد أجريت الدراسة على عينة قوامهما (363) من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية، فبعد مراجعة جحم مجتمع الدراسة وحسب جداول تحديد حجم العينة عند معرفة حجم مجتمع الدراسة للمرجع (الضحيان، حسن، 2002، ص249) فيكون حجم عينة الدراسة المطلوب (382)، وبناءً على ذلك تم توزيع الاستبانة إلكترونيًا بالتعاون مع وزارة السياحة، وتم استرجاع (390) من الردود وبعد مراجعتها وحذف الغير المكتمل منها أصبح حجم عينة الدراسة (363) من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية.

وسيتم فيما يلي توضيح توزيع مفردات عينة الدراسة وفق المتغيرات الأولية:

جدول (1) توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير المدينة

المدينة	العدد	النسبة المئوية
الرياض	137	37.74
جدة	80	22.04
مكة المكرمة	53	14.60
أبها	37	10.19
المدينة المنورة	20	5.51
تبوك	18	4.96
الدمام	18	4.96
المجموع	363	%100

يتضح من الجدول رقم (1) أن أكبر نسبة لأفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة كانوا من مدينة الرياض حيث بلغت (37.74%)، وربما يرجع ذلك إلى أن مدينة الرياض تحتل المرتبة الأولى من حيث الكثافة السكانية في المملكة العربية السعودية حيث أن سكانها يشكلون سدس سكان المملكة العربية السعودية، ثم يأتي أفراد عينة الدراسة من مدينة جدة بنسبة مئوية (22.04%)، ويعود ذلك إلى أن مدينة جدة تعد من أولى المدن السياحية الرائدة في المملكة العربية السعودية المشتهرة بشواطئها وأنشطتها السياحية المتعددة، ثم يليهم أفراد عينة الدراسة من مدينة مكة المكرمة بنسبة مئوية (14.60%)، ويرجع ذلك إلى أن مكة المكرمة يأتيها العديد من الحجاج والمعتمرين طوال السنة وخلال موسم الحج، يليهم أفراد عينة الدراسة من مدينة أبها بنسبة مئوية (10.19%)، التي ازدهرت سياحياً خلال السنوات الأخيرة، ويليهم أفراد عينة الدراسة من مدينة المدينة المنورة بنسبة مئوية (5.51%)، وأخيرًا يأتي أفراد عينة الدراسة من مدينتي تبوك والدمام وذلك بنسبة مئوية (4.96%) لكل مدينة؛ وربما يرجع ذلك إلى أن مدينة الرياض تحتل المرتبة الأولى من حيث الكثافة السكانية في المملكة العربية السعودية حيث أن سكانها يشكلون سدس سكان المملكة العربية السعودية.

جدول (2) توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير جهة العمل

جهة العمل	العدد	النسبة المئوية
وزارة السياحة	189	52.07
وزارة الموارد البشرية	19	5.23
قطاع الترفيه	15	4.13
قطاع المطاعم	20	5.51
قطاع الإيواء والفنادق	61	16.81
شركات سياحية	37	10.19
قطاع النقل	22	6.06
المجموع	363	%100

يتضح من الجدول رقم (2) أن جهة العمل لأكثر من نصف حجم أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة (وزارة السياحة) حيث بلغت نسبتهم المئوية (52.07%)، ثم يأتي من جهة عملهم (قطاع الإيواء والفنادق) وذلك بنسبة مئوية (16.81%)، ثم يليهم من جهة عملهم (قطاع النقل) وذلك بنسبة مئوية (6.06%)، يليهم من جهة عملهم (قطاع المطاعم) وذلك بنسبة مئوية (5.51%)، ويليهم من جهة عملهم (وزارة الموارد البشرية) وذلك بنسبة مئوية (5.23%)، وأخيرًا يأتي أفراد عينة الدراسة ممن جهة عملهم (قطاع الترفيه) بنسبة مئوية (13.4%).

أداة الدراسة:

تم اختيار أداة الاستبانة كونها الأداة الأمثل لاستخدامها في الدراسة لسهولة تطبيقاتها على أفراد عينة البحث حيث تم توزيعها على عينة الدراسة، كما وتعتبر أداة الاستبيان من أنسب الأدوات للبحوث الكمية لاختصارها للوقت والجهد بالإضافة إلى أنه يسهل التعامل معها كمياً في معالجة البيانات إحصائياً.

وتحتوي استبانة الدراسة على محورين أساسية:

المحور الأول: أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي.

المحور الثاني: انتشار الجريمة السياحية في المجتمع السعودي.

الصدق الداخلي (الاتساق الداخلي):Internal consistently Validity

للتأكد من تماسك عبارات الاستبانة تم حساب صدق الاتساق الداخلي للاستبانة على عينة استطلاعية مكونة من (30) من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية، وذلك بحساب معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة لكل عبارة والدرجة الكلية للمحور التابعة له، كما تم حساب معامل الارتباط بين الدرجة الكلية لكل محور وبين الدرجة الكلية للاستبانة، واستُخدم لذلك برنامج (SPSS) والجداول التالية توضح ذلك:

جدول رقم (3) معاملات ارتباط بيرسون بين كل عبارة من عبارات الاستبانة وبين الدرجة الكلية للمحور التابعة له

رقم العبارة	معامل الارتباط بالدرجة الكلية للمحور	مستوى الدلالة الإحصائية	رقم العبارة	معامل الارتباط بالدرجة الكلية للمحور	مستوى الدلالة الإحصائية
المحور الأول: أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي					
1	0.66	**0.00	5	0.65	**0.00
2	0.73	**0.00	6	0.73	**0.00
3	0.66	**0.00	7	0.67	**0.00
4	0.75	**0.00	8	0.48	**0.008
المحور الثاني: انتشار الجريمة السياحية في المجتمع السعودي					
1	0.69	**0.00	4	0.69	**0.00
2	0.72	**0.00	5	0.78	**0.00
3	0.78	**0.00			

(*) دالة عند مستوى (0.05)، (**) دالة عند مستوى (0.01).

يتضح من الجدول (3) ومن خلال معاملات ارتباط بيرسون في الجدول أعلاه ارتباط جميع عبارات الاستبانة بالدرجة الكلية للمحور التابعة له ارتباط موجب دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01)، مما يدل على صدق الاتساق الداخلي على مستوى عبارات الاستبانة.

جدول رقم (4) يبين معاملات ارتباط بيرسون بين الدرجة الكلية لكل محور من محاور الاستبانة وبين الدرجة الكلية للاستبانة

المحور	معامل الارتباط بالدرجة الكلية للاستبانة	مستوى الدلالة الإحصائية
المحور الأول: أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي	0.88	0.00**
المحور الثاني: انتشار الجريمة السياحية في المجتمع السعودي	0.75	0.00**

* يعني مستوى الدلالة (0.05)، ** يعني مستوى الدلالة (0.01)

يتضح من الجدول (4) ومن خلال معاملات ارتباط بيرسون في الجدول أعلاه ارتباط الدرجة الكلية لكل محور من محاور الاستبانة بالدرجة الكلية للاستبانة وجميعها دالة عند مستوى الدلالة (0.01)، مما يدل على تحقق الاتساق الداخلي على مستوى محاور الاستبانة وتحقق صدق الاتساق الداخلي للاستبانة وأنها تتسم بدرجة عالية من الصدق، وأنها صالحة لقياس ما وضعت لقياسه.

ثبات أداة الدارسة:

المقصود بثبات المقياس أن يعطي النتائج نفسها تقريباً لو تكرر تطبيقه أكثر من مرة على نفس الأشخاص في ظروف مماثلة (العساف، 2003، ص369).

وقد تم حساب ثبات الاستبانة وذلك باستخدام معامل ثبات ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha) وذلك على عينة استطلاعية مكونة من (30) من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية، ويوضح الجدول التالي معاملات الثبات لمحاور وأبعاد الاستبانة.

جدول رقم (5) معاملات ثبات محاور الاستبانة باستخدام معامل ألفا كرونباخ

المحور	عدد العبارات	معامل ثبات ألفا كرونباخ
المحور الأول: أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي	8	0.82
المحور الثاني: انتشار الجريمة السياحية في المجتمع السعودي	5	0.79
إجمالي الاستبانة	35	0.95

ويتضح من الجدول رقم (5) ارتفاع معاملات ثبات محاور الاستبانة باستخدام معامل ألفا كرونباخ حيث انحصرت بين (079، 0.82)، كما بلغ معامل ثبات ألفا كرونباخ لإجمالي الاستبانة (0.95) وهو معامل ثبات مرتفع جدًا، مما يدل على تحقق ثبات الاستبانة بشكل عام.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

أولا: أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي.

وللإجابة على هذا السؤال وللوقوف على أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي، تم حساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والترتيب

حسب المتوسط الحسابي لعبارات المحور الأول: أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي وذلك من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية، كما هو موضح فيما يلي:

جدول (6) استجابات أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة حول عبارات المحور الأول: أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي

م	العبارة		موافق بشدة	موافق	إلى حد ما	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	التعليق
1	تقع حوادث وتهديدات في المناطق السياحية تجاه السياح.	ت	28	69	87	108	71	2.66	1.21	7	إلى حد ما
		%	7.71	19.01	23.97	29.75	19.56				
2	تقع مشاجرات ومشادات بين السياح وأهل المنطقة.	ت	17	91	70	117	68	2.65	1.18	8	إلى حد ما
		%	4.68	25.07	19.28	32.23	18.73				
3	يلاحظ انتشار التحرش الجنسي في المواسم السياحية.	ت	52	92	92	86	41	3.08	1.23	3	إلى حد ما
		%	14.33	25.34	25.34	23.69	11.29				
4	تنتشر عمليات السطو والسرقة في المناطق السياحية.	ت	29	69	91	110	64	2.69	1.2	6	إلى حد ما
		%	7.99	19.01	25.07	30.3	17.63				
5	تنتشر سرقة الآثار من بعض المناطق السياحية الأثرية.	ت	35	64	156	56	52	2.93	1.13	4	إلى حد ما
		%	9.64	17.63	42.98	15.43	14.33				
6	ينتشر تعاطي المخدرات والمسكرات والمؤثرات العقلية خلال المواسم السياحية.	ت	48	114	97	63	41	3.18	1.2	2	إلى حد ما
		%	13.22	31.4	26.72	17.36	11.29				
7	يقوم بعض السياح بإضرام الحرائق في الغابات والمتنزهات السياحية.	ت	29	81	118	89	46	2.88	1.13	5	إلى حد ما
		%	7.99	22.31	32.51	24.52	12.67				
8	يقوم بعض السياح بتلويث بيئة المنطقة السياحية بالمخلفات.	ت	114	138	49	45	17	3.79	1.15	1	موافق
		%	31.4	38.02	13.5	12.4	4.68				
	المتوسط العام للمحور							2.98	1.18	إلى حد ما	

يتضح من الجدول أعلاه وجهات نظر أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة حول موافقتهم على عبارات محور أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي، وكان المتوسط الحسابي العام لهذا المحور (2.98 من 5.0) وهو متوسط يقع في الفئة الثالثة من فئات المقياس الخماسي مما يعني أن أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة يوافقون إلى حد ما على محور أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي وذلك بشكل عام، وعلى مستوى العبارات فقد تراوح المتوسط الحسابي لدرجات موافقة

أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة عليها ما بين (2.65 – 3.79) درجة من أصل (5) درجات وهي متوسطات تقابل درجتي الموافقة (موافق، إلى حد ما)، وفيما يأتي نتناول عبارات محور أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي بالتفصيل ومرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي.

جاءت موافقة أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على العبارة رقم (8) "يقوم بعض السياح بتلويث بيئة المنطقة السياحية بالمخلفات" في المرتبة الأولى وبدرجة (موافق) حيث بلغ متوسطها حسابي (3.79) وانحراف معياري (1.15)، بينما جاءت موافقة أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على سبع عبارات من محور أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي بدرجة (إلى حد ما) حيث انحصر متوسطها الحسابية بين (2.65، 3.18) وهي مرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي كما يأتي:

-جاءت العبارة رقم (6) "ينتشر تعاطي المخدرات والمسكرات والمؤثرات العقلية خلال المواسم السياحية" في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.18) وانحراف معياري (1.20).

-جاءت العبارة رقم (3) "يلاحظ انتشار التحرش الجنسي في المواسم السياحية" في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (3.08) وانحراف معياري (1.23).

-جاءت العبارة رقم (5) "تنتشر سرقة الآثار من بعض المناطق السياحية الأثرية" في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (2.93) وانحراف معياري (1.13).

-جاءت العبارة رقم (7) "يقوم بعض السياح بإضرام الحرائق في الغابات والمتنزهات السياحية" في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي (2.88) وانحراف معياري (1.13).

-جاءت العبارة رقم (4) "تنتشر عمليات السطو والسرقة في المناطق السياحية" في المرتبة السادسة بمتوسط حسابي (2.69) وانحراف معياري (1.20).

-جاءت العبارة رقم (1) "تقع حوادث وتهديدات في المناطق السياحية تجاه السياح" في المرتبة السابعة بمتوسط حسابي (2.66) وانحراف معياري (1.21).

-جاءت العبارة رقم (2) "تقع مشاجرات ومشادات بين السياح وأهل المنطقة" في المرتبة الثامنة والأخيرة بمتوسط حسابي (2.65) وانحراف معياري (1.18).

ويتضح من خلال النظر إلى قيم الانحراف المعياري في الجدول السابق وهو مقدار تشتت استجابات أفراد العينة عن المتوسط الحسابي لكل عبارة، فكلما زاد الانحراف المعياري يزيد تشتت آراء أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة حول الخمس اختيارات (موافق بشدة، موافق، إلى حد ما، غير موافق، غير موافق بشدة) لعبارات محور أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي تنحصر بين (1.13، 1.23) وكان أقل انحراف معياري للعبارتين (تنتشر سرقة الآثار من بعض المناطق السياحية الأثرية، يقوم بعض السياح بإضرام الحرائق في الغابات والمتنزهات السياحية) مما يدل على أنهما أكثر العبارات التي تقاربت آراء أفراد العينة حولهما، وكانت أكبر قيمة للانحراف المعياري للعبارة (يلاحظ انتشار التحرش الجنسي في المواسم السياحية) مما يدل على أنها أكثر عبارة اختلف حولها أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة.

ثانياً: مدى انتشار الجرائم السياحية في المجتمع السعودي.

وللإجابة على هذا السؤال وللوقوف على مدى انتشار الجرائم السياحية في المجتمع السعودي، تم تحليل استجابة أفراد العينة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية على الأسئلة والعبارات الآتي:

جدول (7) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير عدد مرات وقوع الجرائم السياحية في المواسم والمناطق السياحية

عدد مرات وقوع الجرائم السياحية في المواسم والمناطق السياحية	العدد	النسبة المئوية %
لا يوجد جرائم مرتبطة بالنشاط السياحي في المملكة العربية السعودية	190	52.34
جريمة في السنة	35	9.64
جريمة كل ستة أشهر	9	2.48
جريمة كل ثلاثة أشهر	18	4.96
جريمة شهرياً	15	4.13
جريمتين شهرياً	12	3.31
جريمة واحدة أسبوعيا	11	3.03
جريمتين أسبوعيا	16	4.41
جريمة واحدة يومياً	17	4.68
أكثر من جريمة في اليوم الواحد	40	11.02
المجموع	363	%100

يتضح من الجدول رقم (7) أن أكثر من نصف حجم أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية (52.34%) يرون أنه لا يوجد جرائم مرتبطة بالنشاط السياحي في المملكة العربية السعودية،ثم يأتي من يرون أن معدل وقوع الجرائم السياحية في المواسم والمناطق السياحية (أكثر من جريمة في اليوم الواحد) وذلك بنسبة مئوية (11.02%)، يليهم من يرون أن معدل وقوع الجرائم السياحية في المواسم والمناطق السياحية (جريمة في السنة) وذلك بنسبة مئوية (9.64%)، ثم يأتي من يرون أن معدل وقوع الجرائم السياحية في المواسم والمناطق السياحية كل من (جريمة كل ثلاثة أشهر، جريمة واحدة يومياً، جريمتين أسبوعياً) وذلك بنسب مئوية (4.96%، 4.68%، 4.13%) على التوالي، ثم يليهم من يرون أن معـــــــــدل وقوع الجرائم السياحية في المواسم والمناطق السياحية كل من (جريمتين شهرياً، جريمة واحدة أسبوعياً) وذلك بنسب مئوية (3.31%، 3.03%) على التوالي، وأخيراً يأتي أفراد عينة الدراسة ممن يرون أن معدل وقوع الجرائم السياحية في المواسم والمناطق السياحية (جريمة كل ستة أشهر) وذلك بنسبة مئوية (2.48%).

جدول (8) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير أكثر الجرائم السياحية انتشاراً

أكثر الجرائم السياحية انتشاراً	العدد	النسبة المئوية %
جرائم السرقة والسطو	72	19.83
جرائم مرتبطة بالمشاجرات والعنف	80	22.04

جرائم الاعتداء أو التحرش	84	23.14
جرائم الشغب والتخريب	37	10.19
جرائم مرتبطة بالمخدرات والمسكرات	45	12.4
بيانات مفقودة (لا توجد استجابة)	45	12.4
المجموع	363	%100

يتضح من الجدول رقم (8) أن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية (جرائم الاعتداء أو التحرش) حيث بلغت نسبتهم المئوية (23.14%)،

ويتضح أيضاً من الجدول السابق أن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية بعد جرائم الاعتداء أو التحرش، (جرائم مرتبطة بالمشاجرات والعنف) وذلك بنسبة مئوية (22.04%)، ثم يليهم من يرون أن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً (جرائم السرقة والسطو) وذلك بنسبة مئوية (19.83%)، ثم يأتي من يرون أن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً (جرائم مرتبطة بالمخدرات والمسكرات) وذلك بنسبة مئوية (12.40%)، وأخيرًا يأتي من يرون أن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً (جرائم الشغب والتخريب) وذلك بنسبة مئوية (10.19%)، علمًا بأن (12.40%) من أفراد العينة لم يجيبوا على السؤال فربما اعتقاداً منهم بأنه لا يوجد جرائم مرتبطة بالنشاط السياحي في المملكة العربية السعودية.

وفيما يلي نتناول التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والترتيب حسب المتوسط الحسابي لعبارات المحور الثاني: مدى تكرار الجرائم السياحية في المناطق السياحية:

جدول (9) يبين استجابات أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية حول عبارات المحور الثاني: مدى تكرار الجرائم السياحية في المناطق السياحية.

م	العبارة		قليلًا	أحيانًا	كثيرًا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	التعليق
1	جرائم السرقة والسطو.	ك	28	132	203	1.52	0.64	4	قليلًا
		%	7.71	36.36	55.92				
2	جرائم مرتبطة بالمشاجرات والعنف.	ك	68	137	158	1.75	0.75	2	أحيانًا
		%	18.73	37.74	43.53				
3	جرائم الاعتداء أو التحرش.	ك	85	133	145	1.83	0.78	1	أحيانًا
		%	23.42	36.64	39.94				
4	جرائم الشغب والتخريب.	ك	27	117	219	1.47	0.63	5	قليلًا
		%	7.44	32.23	60.33				
5	جرائم مرتبطة بالمخدرات والمسكرات.	ك	62	131	170	1.7	0.74	3	أحيانًا
		%	17.08	36.09	46.83				

م	العبارة	قليلًا	أحيانًا	كثيرًا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	التعليق
المتوسط العام					1.65	0.71	قليلًا	

يتضح من الجدول أعلاه وجهات نظر أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة حول مدى تكرار الجرائم السياحية في المناطق السياحية، وكان المتوسط الحسابي العام لهذا المحور (1.65 من 3.0) وهو متوسط يقع في الفئة الأولى من فئات المقياس الثلاثي مما يعني أن أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة يرون أن معدل تكرار الجرائم السياحية في المناطق السياحية (قليلاً) وذلك بشكل عام.

وعلى مستوى العبارات فقد تراوح المتوسط الحسابي لدرجات معدل تكرار الجرائم السياحية في المناطق السياحية من وجهة أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة ما بين (1.47 – 1.83) درجة من أصل (3) درجات وهي متوسطات تقابل درجتي التكرار (أحياناً، قليلاً)، وفيما يأتي نتناول عبارات محور مدى تكرار الجرائم السياحية في المناطق السياحية بالتفصيل ومرتبة تنازليًا حسب المتوسط الحسابي:

جاءت موافقة أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة على أن معدل تكرار ثلاثة أنواع من الجرائم من محور مدى تكرار الجرائم السياحية في المناطق السياحية بدرجة (أحيانًا) حيث انحصر متوسطها الحسابي بين (1.70، 1.83) وهي مرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي كما يأتي:

-جاءت العبارة رقم (3) "جرائم الاعتداء أو التحرش" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (1.83) وانحراف معياري (0.78).

-جاءت العبارة رقم (2) "جرائم مرتبطة بالمشاجرات والعنف" في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (1.75) وانحراف معياري (0.75).

-جاءت العبارة رقم (5) "جرائم مرتبطة بالمخدرات والمسكرات" في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (1.70) وانحراف معياري (0.74).

بينما جاءت موافقة أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة على أن معدل تكرار نوعين من الجرائم (جرائم السرقة والسطو، جرائم الشغب والتخريب) بدرجة (قليلًا) حيث جاءتا في المرتبتين الرابعة والخامسة والأخيرة بمتوسط حسابي (1.52، 1.47) وانحراف معياري (0.64، 0.63) على الترتيب.

ويتضح من خلال النظر إلى قيم الانحراف المعياري في الجدول السابق وهو مقدار تشتت استجابات أفراد العينة عن المتوسط الحسابي لكل عبارة، فكلما زاد الانحراف المعياري يزيد تشتت آراء أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة حول الثلاث اختيارات (كثيراً، أحياناً، قليلاً) لعبارات محور مدى تكرار الجرائم السياحية في المناطق السياحية تنحصر بين (0.63، 0.78) وكان أقل انحراف معياري للعبارة (جرائم الشغب والتخريب) مما يدل على أنها أكثر العبارات التي تقاربت آراء أفراد العينة حولها، وكانت أكبر

قيمة للانحراف المعياري للعبارة (جرائم الاعتداء أو التحرش) مما يدل على أنها أكثر عبارة اختلف حولها أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة.

يتضح بشكل عام من خلال قراءة نتائج المحور السابق أن الجرائم السياحية التي تم التطرق لها في المحور بشكل عام نادرة الحدوث في المملكة العربية السعودية وذلك يؤكد نتيجة المحور الأول (أنواع الجرائم) وهو أن الجرائم السياحية بشكل عام في المملكة العربية السعودية نادرة الحدوث:

جدول (10) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة وفق السؤال: هل تعتقد أن الجرائم السياحية تشكل خطورة على النشاط السياحي؟

هل تعتقد أن الجرائم السياحية تشكل خطورة على النشاط السياحي؟	العدد	النسبة المئوية %
نعم	300	82.64
لا	63	17.36
المجموع	363	%100

يتضح من الجدول رقم (10) أن معظم أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية يعتقدون أن الجرائم السياحية تشكل خطورة على النشاط السياحي حيث بلغت نسبتهم المئوية (82.64%)، ثم يأتي من يعتقد أن الجرائم السياحية لا تشكل خطورة على النشاط السياحي وذلك بنسبة مئوية (17.36%).

جدول (11) يبين حصر لأنواع الخطورة للجرائم السياحية في حال كانت تشكل خطورة على النشاط السياحي من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة

أنواع الخطورة للجرائم السياحية	العدد	النسبة المئوية %
أمنية	133	36.64
اقتصادية	94	25.9
اجتماعية	74	20.39
ثقافية	58	15.98
بيئية	44	12.12

يتضح من الجدول رقم (11) نوع الخطورة على النشاط السياحي من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية (الخطورة الأمنية) حيث بلغت نسبتهم المئوية (36.64%)، ثم تأتي (الخطورة الاقتصادية) على النشاط السياحي وذلك بنسبة مئوية (25.90%)، ثم يليها خطورة (الخطورة الاجتماعية) على النشاط السياحي وذلك بنسبة مئوية (20.39%)، يليها خطورة (الخطورة الثقافية) على النشاط السياحي وذلك بنسبة مئوية (15.98%)، وأخيرًا تأتي (الخطورة البيئية) على النشاط السياحي وذلك بنسبة مئوية (%12.12).

مناقشة نتائج الدراسة:

المحور الأول: أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي:

اتضح من نتائج الدراسة التي طبقت على عينة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية موافقتهم إلى حد ما على محور أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي وذلك بشكل عام، وهذا يعني أن الجرائم السياحية في المملكة العربية السعودية نادرة الحدوث وهذا ما أثبتته نتائج الدراسة، وفي المقابل جاءت موافقة أفراد العينة على العبارة (يقوم بعض السياح بتلويث بيئة المنطقة السياحية بالمخلفات) في المرتبة الأولى وبدرجة (موافق)، وتتفق تلك النتيجة مع ما تم استعراضه في الدراسات السابقة وتحديداً ما جاء في دراسة (العنزي، 2019) أنه من أبرز التجاوزات الاجتماعية التي قد تقع من السائح الوافد: (إهمال السائح، السلوكيات الغير متوافقة مع الذوق العام، الإضرار بالبيئة)، ومن الجدير بالذكر أن الإضرار بالبيئة ورمي المخلفات يعد مخالفة للذوق العام وغرامة يغرم الشخص الذي يرتكبها لذلك تندرج ضمن الجرائم السياحية، قد يعتقد السياح أو بعض المواطنين أنها من أقل الجرائم السياحية وطأةً، ولكنها رغم ذلك لها تأثيرات عديدة على المنطقة السياحية سواء اقتصادياً أو بيئياً وتعطي السائح انطباع سلبي عن المنطقة السياحية وسكانها، ولذلك قد فرضت عقوبات وغرامات مالية لمن يرمي المخالفات في الأماكن العامة أو لمن يسيء استخدام البيئة أو يقوم بتخريب الأماكن العامة ومرفقاتها.

ثم جاءت موافقة أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على بقية عبارات محور أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي بدرجة (إلى حد ما)، ويتضح من خلال استجابات أفراد العينة ونتائج هذا المحور تفاوت في تحديد أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي، وهذا يدل على أنها ليست منتشرة بكثرة وبشكل كبير في المملكة العربية السعودية إنما موجودة إلى حدٍ ما، وربما يعود ذلك إلى أن السياحة حديثة العهد على المملكة العربية السعودية، وليس لها تاريخ كبير وعريق مثل الدول الأخرى الرائدة سياحياً، باستثناء الحجاج والمعتمرين الذين يحضرون لمكة المكرمة والمدينة المنورة طوال العام، وأيضاً قد يعود ذلك إلى استتباب الأمن في المملكة العربية السعودية، والاستعداد الأمني لمواجهة أي مشكلات وجرائم من شأنها أن تزعزع أمن واستقرار المملكة العربية السعودية ومواطنيها وسياحها، وأيضاً قد يعود ذلك لما يتميز به المواطن السعودي المستضيف بصفات حميدة طيبة مرحبة بالضيف والسائح لا يميل عادةً للسرقة والسطو على السياح أو مضايقتهم والتشاجر معهم والتعدي عليهم، على العكس فهو كريم ومضياف ومرحب بالضيوف وبالسياح، وإن وقعت الجرائم السياحية فإنها تحدث بنسبة بسيطة.

المحور الثاني: انتشار الجريمة السياحية في المجتمع السعودي:

بالنسبة لمحور انتشار الجريمة السياحية في المجتمع السعودي، فقد اتفق أكثر من نصف حجم أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية (52.34%) أنه لا يوجد جرائم مرتبطة بالنشاط السياحي في المملكة العربية السعودية، وتلك النتيجة تعزز وتؤكد نتيجة المحور الأول وهو أن الجرائم السياحية نادرة وقليلة الحدوث وهذا ما أكده (52.34%) من أفراد عينة الدراسة،ونجد أن تلك النتيجة تتفق مع ما جاء في دراسة (الدهون، 2017) التي طبقت في دولة الأردن ومعروف عن الأردن أنها دولة عريقة سياحياً وبها

جهاز أمني مختص بالسياحة للحد من المشاكل والجرائم السياحية وبالتالي الحفاظ على الأمن السياحي وضمان استدامة السياحة، حيث أفادت الدراسة في نفس الصدد (الجرائم السياحية ومدى وقوعها في الأردن) بأن الجرائم العادية الموجهة ضد السياح كالقتل والسرقة نادرة الحدوث في الأردن.

وعند سؤال أفراد العينة عن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً من وجهة نظرهم كانت الإجابة الأعلى هي (جرائم الاعتداء أو التحرش) حيث بلغت نسبتهم المئوية (23.14%) يليهم من يرون أن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً (جرائم مرتبطة بالمشاجرات والعنف) وذلك بنسبة مئوية (04.22%)، ثم يليهم من يرون أن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً (جرائم السرقة والسطو) وذلك بنسبة مئوية (19.83%)، توضح هذه النتيجة رأي بعض أفراد العينة وهم نسبة قليلة عن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً في حال وجودها وقد تقاربت النسب بين جرائم اعتداء وتحرش وجرائم مشاجرات وعنف وسرقة وسطو، وتلك جرائم تنتشر في كثير من المجتمعات والمناطق السياحية وربما حسب النسب والاستجابات على هذا السؤال تتواجد بقلة في مجتمعنا، ورغم قلتها إلا أنها موجودة ونستطيع تفسيرها وفق معطيات نظرية الأنومي التي تم تناولها في الإطار النظري وتحديداً مفهوم (اللامعيارية) الذي تناوله العالم اميل دوركايم، حيث يرى أن الأنومي ظاهرة ملازمة لتطور المجتمعات وعلى الأغلب المناطق ذات الجذب السياحي تكون من المجتمعات المتطورة أو التي طورت جوانب عدة بها لضمان الجذب السياحي يتعرض بها الأشخاص للامعيارية، وأن السائح عندما يذهب لمنطقة سياحية تختلف فيها المعايير الاجتماعية عما هو سائد في مجتمعه، قد يشعر حينها السائح باختلال في المعايير والقيم لديه فيقوم بارتكاب الجرائم أو يتحلل من بعض القيم والمعتقدات السائدة في مجتمعه، فتحدث حالة من اللامعيارية فتقع الجرائم السياحية كالسرقة أو الاعتداء وغيرها من الجرائم السياحية.
أما فيما يخص نتيجة استجابات أفراد العينة عن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً من وجهة نظرهم وهي (جرائم الاعتداء أو التحرش) حيث بلغت النسبة الأعلى و (23.14%)، وفي ضوء تلك النتيجة نجد أنه ربما بعض بيئات المجتمع وبعض أهالي وسكان المناطق السياحية لم يعتادوا بعد على السياح وعلى شخصية السائح المنفتحة، ولم يعتادوا على اختلاط الجنسين في الأنشطة السياحية والترفيهية المختلفة، وذلك ربما أدى لحالة (الأنوميواللامعيارية) التي تحدث عنها العالم اميل دوركايم في نظريته (الأنومي)، فالشخص المقيم في المدينة المعتاد على الروتين والنظام الاجتماعي السائد، وعلى قيم اجتماعية محافظة نوعاً ما، عندما ازدحمت منطقته و أصبحت ذات جذب سياحي مليئة بالسياح والفعاليات السياحية، قد يشعر حينها المقيم بالمنطقة بتغير الظروف الحياتية والمجتمعية، فتحدث حالة اللامعيارية وتحدث الجرائم السياحية مثل التحرش أو حالة من الغضب تؤدي للاعتداء والسطو والسرقة وغيرها من الجرائم السياحية.
ثم تأتي بعد جريمة التحرش من يرون أن الجرائم المرتبطة بالمشاجرات والعنف من أكثر الجرائم السياحية انتشاراً.
وعند الرجوع للدراسات السابقة التي تم تناولها في فصل الإطار النظري نجد أنه لا توجد دراسات محلية أو عربية تتفق مع تلك النتيجة أنه يوجد جرائم عنف واعتداء وسرقة وسطو

يتعرض لها السياح حتى لو بقلة، ولكن تلك النتيجة بالمقابل اتفقت ولو بشكل ضئيل مع ما جاء في دراسة (Adam, Adong, 2016) التي توصلت إلى أن السياح في غانا يعانون من أربعة أنواع من الجرائم وهي الاعتداء الجسدي، السرقة، الاحتيال، والاعتداء اللفظي.

ولكن وعلى الرغم من ذلك فإنه عند سؤال أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة عن معدل تكرار الجرائم السياحية في المناطق السياحية كانت الإجابة (قليلًا) وذلك بشكل عام.

خلاصة نتائج الدراسة:

المحور الأول: أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي:

جاءت موافقة أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على العبارة (يقوم بعض السياح بتلويث بيئة المنطقة السياحية بالمخلفات) في المرتبة الأولى وبدرجة (موافق).

-جاءت موافقة أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على سبع عبارات من محور أنواع الجرائم السياحية التي تقع في المجتمع السعودي بدرجة (إلى حد ما)، وهي مرتبة تنازليًا حسب المتوسط الحسابي كما يأتي:

-ينتشر تعاطي المخدرات والمسكرات والمؤثرات العقلية خلال المواسم السياحية.

-يلاحظ انتشار التحرش الجنسي في المواسم السياحية.

-تنتشر سرقة الآثار من بعض المناطق السياحية الأثرية.

-يقوم بعض السياح بإضرام الحرائق في الغابات والمتنزهات السياحية.

-تنتشر عمليات السطو والسرقة في المناطق السياحية.

-تقع حوادث وتهديدات في المناطق السياحية تجاه السياح.

-تقع مشاجرات ومشادات بين السياح وأهل المنطقة.

المحور الثاني: انتشار الجريمة السياحية في المجتمع السعودي:

-أكثر من نصف حجم أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية (52.34%) يرون أنه لا يوجد جرائم مرتبطة بالنشاط السياحي في المملكة العربية السعودية.

-أكثر الجرائم السياحية انتشاراً من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية (جرائم الاعتداء أو التحرش) حيث بلغت نسبتهم المئوية (23.14%) يليهم من يرون أن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً (جرائم مرتبطة بالمشاجرات والعنف) وذلك بنسبة مئوية (22.04%)، ثم يليهم من يرون أن أكثر الجرائم السياحية انتشاراً (جرائم السرقة والسطو) وذلك بنسبة مئوية (19.83%).

-أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة يرون أن معدل تكرار الجرائم السياحية في المناطق السياحية (قليلًا) وذلك بشكل عام.

معظم أفراد عينة الدراسة من العاملين في مجال السياحة على مستوى المملكة العربية السعودية يعتقدون أن الجرائم السياحية تشكل خطورة على النشاط السياحي حيث بلغت نسبتهم المئوية (82.64%).

التوصيات:

-ضرورة تقديم برامج تثقيفية وإرشادية تستهدف أفراد المجتمع من المواطنين لحثهم على المحافظة على البيئة والمناطق السياحة من التلويث والتخريب.

-استحداث جهاز أمني متخصص بالأمن السياحي أو قسم خاص بالشرطة (الشرطة السياحة) لتوفير الحماية للسائحين، وحماية المرافق والمنشآت السياحية والأثرية ومنع العبث بها وتلويثها.

-تدريب العاملين بالقطاع الأمني على التعامل مع السياح بمهنية واحترافية وتوعيتهم بحساسية تجربة السائح والتأكيد على التعامل برقي مع السياح لترك تجربة سياحية إيجابية لديهم.

-تدريب جميع العاملين في القطاع السياحي على اتباع إجراءات واضحة ومحددة للتعامل مع الجرائم السياحية في حال وقوعها.

-توفير تطبيقات الكترونية تسهل التواصل بين المرشدين السياحين ومنظمي الرحلات مع الجهات الأمنية والسياحية المختصة للتبليغ عن أي مشاكل متعلقة بالسياح والنشاط السياحي.

-توفير دعم أمني بالمناطق السياحية النائية والبعيدة كالصحاري والأودية والشواطئ لتدارك أي مشكلات أو مخالفات أو جرائم سياحية.

قائمة المراجع:

1. توفيق، مجاهد (2019)، أثر الإرهاب على اقتصاديات الدول -السياحة نموذجاً-، مستغانم: جامعة عبد الحميد بن باديس.

2. جابر، محمد مدحت (2002)، منظور جغرافي لدعم دور الشرطة في مكافحة الجريمة، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، جامعة الكويت، مج 30، ع1.

3. الجحني، علي فايز وآخرون (2004)، الأمن السياحي، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

4. الدهون، رامي محمد (2017)، دور الشرطة السياحية في مكافحة الجرائم السياحية والمحافظة على أمن السائح في الأردن، المؤتمر الدولي المحكم: الجريمة والمجتمع، عمان: مركز البحث وتطوير الموارد البشرية.

5. حمودة، إبراهيم أحمد (2013)، أثر جرائم المال على صناعة السياحة في مصر في مصر، مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة، جامعة قناة السويس، كلية السياحة والفنادق، مج10، ع1.

6. الخطيب، سلوى عبد الحميد (2016)، مناهج البحث الاجتماعي ودليل الطالب في كتابة الرسائل العلمية، الرياض: الشقري للنشر وتقنية المعلومات.

7. خير، عادل محمد (1993)، الجرائم السياحية في التشريع المصري، القاهرة: دار النهضة العربية.

8. الدوري، عدنان (1983)، أصول علم الإجرام أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، الكويت: ذات السلاسل للطباعة.

9. الشهراني، سعد بن علي، بريك، يوسف صالح (2006)، الأثر الاقتصادي للأمن السياحي العربي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، مج21، ع 32.

10. الشيحي، حسن علي عبد الله (2003)، اللامعيارية (الأنومي) ومفهوم الذات والسلوك الانحرافي لدى المنحرفين وغير المنحرفين في مدينة الرياض، أطروحة (ماجستير)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية.
11. الضحيان، سعود بن ضحيان (2012)، العينات والمتغيرات، الرياض، سلسة المنهجيات والقياس، الكتاب الثاني.
12. العساف، صالح بن حمد (2003)، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، الرياض.
13. العنزي، ماجد جبار هادي (2019)، تجاوزات السياح وانعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية على المجتمع المحلي، رسالة دكتوراه، السعودية، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.
14. عيسى، حسام عبد الحليم (2016)، السياحة ودورها في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي الثالث للقانون، كلية الحقوق، جامعة طنطا.
15. الغامدي، محمد إبراهيم الجمعان (2005)، اتجاهات السياح نحو إجراءات الأمن السياحي، الرياض: جامعة نايف العربية للدراسات الأمنية.
16. الغوينم، سعيد بن مسيعد (2015)، تصور إستراتيجي لتحقيق الأمن السياحي في المملكة العربية السعودية، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
17. غيث، محمد عاطف (1995)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية.
18. كافي، مصطفى يوسف (2014)، أخلاقيات صناعة السياحة والضيافة، الأردن: مكتبة المجتمع العربي.
19. منظمة التعاون الإسلامي (2013)، السياحة الدولية في البلدان الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي، الآفاق والتحديات، مركز الأبحاث الاجتماعية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية.(SERIC) .
20. المهيرات، بركات كامل (2009)، الأمن السياحي والتشريعات السياحية، الأردن: دار الفكر.
21. النهاري، عايض سعيد (2003)، إسهامات الأجهزة الأمنية في التنمية السياحية في المملكة العربية السعودية، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
22. الوريكات، عايد عواد (2013)، نظريات علم الجريمة، الأردن: دار وائل للنشر.
23. Adam, isshaku, adong, charles (2016) Do backpackers suffer crime? An empiricalinvestigation of crime perpetrated against backpackers in Ghana, Journal of Hospitality and Tourism Management, Volume 27, June 2016, Pages 60-67.
24. Bajapai, G. S. (2004). Crime reduction through situational crime prevention. Department of criminology. Leicester, U.K.

25. E. Eck, john & Weisburd, D. (1995). Crime and place, Crime prevention studies, volume. 4, criminal justice press, police executive Research Forum Washington, DC.

26. Geser, Hans. (2004). Towards a sociology of the mobile. Phone Department of Scievces, University of Zurich.

27. United Nation World Tourism Organization Tourism Highlights 2016″, Edition 2016, p03.

28. جريدة الرياض (2019) المملكة حرصت على أمن المنشآت السياحية عبر اتباع استراتيجيات عالية الجودة، 2019/9/10، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2020/6/19م، رابط الموقع: http://www.alriyadh.com/1792401

29. وكالة الأنباء السعودية واس (2019) الهيئة العامة للترفيه تعلن إحصائيات موسم الرياض وتصفه بالأقوى، 2019/11/10م، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2019/3/10، رابط الموقع:
https://www.spa.gov.sa/1996350

30. موقع وزارة الداخلية، (2017) المتحدث الأمني لوزارة الداخلية: 149781 جريمة باشرها رجال الشرطة في أنحاء المملكة خلال العام 1437هـ، الأربعاء 29 ذو الحجة 1438، تم استخراجه بتاريخ: 1441/4/4هـ، الرابط:

https://www.moi.gov.sa/wps/portal/Home/sectors/moidiwan/contents/!ut/p/z0/fc29DsIgFAXgV2Hp2FxA0urYONS_xKiDlYXcUmLQFmxLTB9feAGHO3wnJ-eChAakw699YrDeYR_9kIWieyF2TPDjerUVtCqul_J8qhktOdxwggPI_6W4Yl_jKCuQ2rtglgCN9sOAriPpUjj5PqOz7Qxp_WJmglNkwDAYF-aMaq1VoklWm5zznFNWoor_P-_6_gMdYHbf/

صنع السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية في ضوء رؤية 2030 بين الواقع والمأمول

أ.د. أحمد أبو العلا

المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية- مصر

ملخص: هدفت الدراسة إلى الإجابة على تساؤل مؤداه: "هل تؤدي السياسة التعليمية بالجامعات السعودية كما تتم على أرض الواقع إلى تحقيق رؤية المملكة فيما يتعلق بالتعليم الجامعي، وإلى رفع كفاءة مخرجات التعليم الجامعي على المستوى العلمي والشخصي لتنفيذ الرؤية في مجالاتها المختلفة؟ وهي دراسة كيفية تعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، وتمت باستخدام المقابلة المتعمقة كأداة لجمع البيانات من خلال دليل مقابلة تم إعداده بناء على تحليل قضايا التعليم بالرؤية، وتم تطبيقه على بعض الأكاديميين غير السعوديين العاملين في بعض جامعات المملكة، من خلال عقد عدد (18) مقابلة مفتوحة خلال شهر (يوليو 2019)، وتم استكمال المقابلات لمناقشة النتائج خلال شهر (يناير 2020)، وتمثلت أهم النتائج في أن الرؤية مازالت بحاجة إلى طرق ووسائل وآليات تلزم أطراف العملية التعليمية بالاهتمام بها وتحقيقها، مع ضرورة إنشاء كيان مؤسسي واضح ومحدد المهام يوفر المعلومات الصحيحة حول الرؤية، كما تحتاج الأقسام العلمية والجامعات إلى تحديث برامجها ومناهجها لتحقيق الرؤية في مختلف المجالات والتخصصات، بالإضافة إلى أهمية تشجيع البحوث العلمية المرتبطة بالرؤية وتحقيقها في مختلف المجالات، وضرورة رفع كفاءة المنظومة التعليمية وبيئة العمل في بعض الجامعات.

الكلمات المفتاحية: السياسة التعليمية، التعليم الجامعي، رؤية المملكة 2030.

Educational policy making in Saudi Arabia

In view of Vision 2030 between reality and hope

Prof, Ahmed Abouelella, National Center for Social and Criminological Research, Egypt

Abstract: The study aims to answer the main Question say: “Does the educational policy in Saudi universities, as is done on the real, lead to the realization of the Saudi's vision regarding university education, and raise

the efficiency of the outputs of university education at the scientific and personal level to implement the vision in its various fields?”,It’s a qualitative study, depends on the descriptive analytical approach. The in-depth interview was used as a tool to collect data through an interview guide that was prepared based on an analysis of educational issues in KSA vision 2030. WE applied that guide on some non-Saudi academics working in some universities in the Kingdom, which was conducted through holding (18) open interviews during the month of (July 2019), and the interviews were completed to discuss the results during the month of (January 2020). The main results represented in: The Vision still needs to ways, means and mechanisms obliging educational process parties to pay attention and achieve it, Necessity to establish a clear and task-specific institution entity that provides the right information about the vision, The scientific departments and universities need to update their programs and curricula to achieve the vision in various fields and disciplines, The importance of promoting and achieving scientific research related to vision in various fields, and Necessity to raise the efficiency of the educational system and work environment in some universities.

Keywords: Educational Policy, University Education, Saudi Arabia Vision 2030.

مقدمة:

تعد السياسة التعليمية أحد أهم أقسام السياسة العامة للدولة، وتعتبر من أهم متطلبات التخطيط والتطوير في كل المجتمعات، وهناك علاقة تكاملية بين السياسة العامة للدولة والسياسة التعليمية، حيث يلعب التعليم دورا مزدوجا فيما يتعلق بالسياسة العامة لأي دولة سواء من ناحية كونه نتيجة وانعكاسا لهذه السياسة، أو من ناحية كونه سببا لإنجاحها في حالة جودة مخرجاته، حيث تعتمد أي دولة – تسعى للاعتماد على كفاءات أبنائها الوطنية- على مخرجات التعليم في وضع وتنفيذ سياساتها العامة المستقبلية، ولذا وضعت رؤية المملكة للجامعات دورا كبيرا في دعم خطط التنمية والاقتصاد من خلال تأهيل وتطوير القدرات البشرية للكوادر المعنية بتحقيقها.

والسياسة التعليمية هي التي "تحدد إطار التعليم، وفلسفته، وأهدافه، ومراحله، وأنواعه، فلا يمكن لأي أمة أن تنهض فكريا وحضاريا ما لم تكن لديها سياسة تعليمية واضحة وواقعية، ومرنة مستمدة من فلسفة المجتمع، ومنسجمة مع مبادئه وقيمه، وقائمة على أسس علمية، وتساعد تلك

السياسة في وضع الخطط وبناء البرامج التي تكفل بناء شخصية الفرد وفق معتقدات المجتمع، وفي تحديد آلية لقياس الأداء في النظام التعليمي، وفي تحديد الأطر والمبادئ والقيم التي تسير في ضوئها العملية التربوية، وفي توجيه واتخاذ القرارات الصائبة لتحقيق الأهداف الموضوعة، فإذا لم تكن هناك سياسة تعليمية ناجحة أدى ذلك إلى ضياع أموال وجهود بشرية كبيرة تبذل في بناء مؤسسات تعليمية تتطلب تكاليف باهظة دون أن تحقق الهدف المرجو منها" (منار محمد إسماعيل بغدادي 2015، ص325).

وكما ترتبط السياسات التعليمية بأهداف وبنية وعمليات النظم التعليمية، فإنها تستمد شرعيتها من النظام العام في المجتمع بقواه المتعددة التي تشكل هذه السياسات، وتتابع تنفيذها، والسياسات التعليمية لها أبعادها الاجتماعية باعتبار أن التعليم نظام اجتماعي يؤثر في المجتمع ويتأثر به وبظروفه وتطلعاته، كما أن مؤسسات المجتمع وما ينبثق عنها من تنظيم وتشريع تؤسس لصناعة السياسة التعليمية، وتحدد المبادئ التي تقوم عليها مثل سياسة الإلزام بما تتضمنه من توفير للتعليم وتوسيع لقاعدته وتحقيق المساواة وتكافؤ الفرص بين قطاعات الشعب المختلفة، وتُختار السياسات التعليمية عادة من بين بدائل مطروحة في ضوء واقع معاش وتطلع للمستقبل، كما يجب أن تتكامل السياسة التعليمية مع سياسات المجتمع في القطاعات الأخرى (عبد الجواد بكر 2003، ص2-7).

وفي هذا الإطار ننطلق من تعريف محدد للسياسة التعليمية بأنها "مجموعة من المبادئ والقرارات تُستمد من نظام محدد للقيم بمستوياتها المختلفة، ومن استشراف النتائج والآثار المختلفة للقرارات، وتعني بتحقيق رغبات وحاجات المجتمع، كما أنها تعكس حاجات الجماهير، وآمالهم، وأحلامهم، وطموحاتهم، وتصوراتهم لما ينبغي أن يكون، لذلك فإنها تعبر عن جهودهم وطموحاتهم في تحقيق أغراض ثقافية واجتماعية عن طريق التعليم" (منار محمد إسماعيل بغدادي 2015، ص330).

التعليم الجامعي في رؤية المملكة العربية السعودية 2030

تم الإعلان عن الرؤية[1] في 25 أبريل 2016، وأعدها مجلس الشؤون الاقتصادية والتنمية برئاسة ولي ولي العهد (حينها) الأمير محمد بن سلمان ولي العهد الحالي (علاء المنشاوي، 2016)، وتمثل الرؤية إطارا للتحول والتغير إلى المجتمع القائم على المعرفة، والتحول من الاعتماد الأساسي على النفط إلى موارد حيوية أخرى، كما أنه تحول ينحو إلى توطين اليد العاملة السعودية، وهذا يستدعى مشاركة التعليم العالي في هذه الرؤية الطموحة، من خلال الجامعات (التعليم العالي ورؤية المملكة، 2016)، وتشير الرؤية صراحة إلى الاعتماد على التعليم من أجل نهضتها وتقدمها، وذلك من خلال تحديد مجموعة من الأهداف التعليمية التي تسعى إلى تحقيقها، ومن أهم ما تم ذكره صراحة حول التعليم بالرؤية ما يلي (الموقع الرسمي لرؤية 2030):

---

[1] سوف يتم الإشارة داخل متن البحث دائما إلى رؤية المملكة العربية السعودية 2030 بكلمة الرؤية.

تشير الرؤية في **افتتاحيتها** إلى: "فمستقبل وطننا الذي نبنيه معا لن نقبل إلا أن نجعله في مقدمة دول العالم، بالتعليم والتأهيل، بالفرص التي تتاح للجميع".

وتحت عنوان **نتعلم لنعمل** تشير الرؤية إلى: "سنواصل الاستثمار في التعليم والتدريب وتزويد أبنائنا بالمعارف والمهارات اللازمة لوظائف المستقبل.....، كما سنعزز جهودنا في مواءمة مخرجات المنظومة التعليمية مع احتياجات سوق العمل.....، مع تركيز فرص الابتعاث على المجالات التي تخدم الاقتصاد الوطني وفي التخصصات النوعية في الجامعات العالمية المرموقة".

كما تشير تحت عنوان **تعليم يسهم في دفع عجلة الاقتصاد** إلى: "سنسعى إلى سد الفجوة بين مخرجات التعليم العالي ومتطلبات سوق العمل.....، سنهدف إلى أن تصبح خمس جامعات سعودية على الأقل من أفضل 200 جامعة دولية بحلول عام 2030.....، سنحقق ذلك من خلال إعداد مناهج تعليمية متطورة تركز على المهارات الأساسية بالإضافة إلى تطوير المواهب وبناء الشخصية، وسنعزز دور المعلم ونرفع تأهيله".

وتعكس هذه الإشارات أهمية التعليم في بناء مستقبل المملكة، وتحقيق طموحات أبنائها في مختلف المجالات، والوعي بالعلاقة الوثيقة بين مخرجات السياسة التعليمية وسوق العمل ونوعية الوظائف الوطنية التي تحتاج إليها إدارة الحياة بالمملكة.

وبشكل عام وردت مُفردة التعليم في الرؤية 32 مرة؛ ركزت على "تطوير أداء الطلاب، وتطوير التعليم برؤية منظومية، وتطوير معايير الأداء، وتطوير المواهب، ورفع تصنيف الأداء وجودة الأداء للجامعات" (عبدالله محمد الزهراني، 2018)، وتضم المملكة (28) جامعة حكومية و(10) جامعات أهلية، إلى جانب عشرات الكليات الأهلية، ويستوعب التعليم العالي نحو 90 في المائة من خريجي وخريجات المدارس الثانوية، ويوضح ذلك مدى أهمية الجامعات في التنمية الوطنية وفي تحقيق الرؤية، وذلك من خلال بناء الإنسان واستيعاب الشباب -أهم ثروات البلاد- وتسليحهم بروافد العلم والمهارة والمعرفة، إلى جانب دور الجامعات في التموضع كمركز تنويري في المجتمع (عبد الإله ساعاتي، 2016).

ومن أجل تطبيق الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي تم عقد مؤتمرا علميا بعد شهور قليلة من إعلانها بعنوان "دور الجامعات السعودية في تفعيل رؤية 2030" بمشاركة أكثر من 25 جهة حكومية وأهلية، وخرج المؤتمر بعدد من التوصيات والاقتراحات، من أهمها ما يلي :

1-إعادة هيكلة الجامعات من خلال إعادة النظر في وضع الجامعات السعودية، هيكلها التنظيمي، وطرق الإدارة المعمول بها.

2-تشجيع حركة البحث العلمي والتأليف وضمان توافق أبحاث الدراسات العليا ومشاريع التخرج في الجامعات السعودية مع الرؤية وفق دراسات مسحية دورية للاحتياجات المجتمعية التنموية.

3-ضرورة أن تسعى الجامعات السعودية لرفع تصنيفها وفق المعايير الدولية (صحيفة المواطن الإليكترونية، 2017).

وهي التوصيات التي تعكس إلى حد كبير مدى إلمام الأكاديميين السعوديين ببعض مشاكل التعليم الجامعي الحالية، والتي يمكن أن تعوق تنفيذ الرؤية مستقبلا، وهو ما حاولنا في البحث الراهن التعرف على مدى تحققه بعد مرور عدة سنوات على إعلان الرؤية، ومن وجهة نظر مختلفة - الأكاديميين غير السعوديين - وملمة في نفس الوقت بواقع تنفيذ الرؤية بالجامعات السعودية.

إشكالية البحث

تتركز إشكالية البحث حول سؤال مؤداه؛ هل تؤدي السياسة التعليمية بالجامعات السعودية كما تتم على أرض الواقع إلى تحقيق رؤية المملكة فيما يتعلق بالتعليم الجامعي، وإلى رفع كفاءة مخرجات التعليم الجامعي على المستوى العلمي والشخصي لتنفيذ الرؤية في مجالاتها المختلفة؟

أهداف البحث

-رصد مدى معرفة أطراف العملية التعليمية بالجامعات السعودية بالرؤية.

- التعرف على جهود الجامعات والأقسام العلمية في تحقيق الرؤية.

-رصد مدى تحقق متطلبات الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي.

-التعرف على أهم التحديات والمقترحات لتفعيل الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي.

تساؤلات البحث

ولتحقيق أهدافه يسعى البحث الراهن إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة، من أهمها:

-هل الرؤية واضحة لجميع أطراف العملية التعليمية بالجامعات السعودية (طلاب، أكاديميين، إداريين)؟

-هل يحرص الطلاب والأكاديميين السعوديين ذاتهم على تحقيق الرؤية؟

-هل أهداف الرؤية بالنسبة للتعليم الجامعي واقعية ويمكن تحقيقها؟

-هل النظام التعليمي الفعلي بالجامعات السعودية حاليا يسمح بتنفيذ الرؤية؟

-ما مدى تطبيق الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي على أرض الواقع؟

-هل تؤدي السياسة التعليمية بشكلها الحالي إلى تحقيق الرؤية، ورفع كفأة مخرجات التعليم الجامعي؟

-ما أهم التحديات التي تواجه تنفيذ الرؤية في التعليم الجامعي؟

-ما أهم مقترحات تفعيل الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي؟

أهمية البحث

تنطلق أهمية البحث من كونه محاولة تقييمية من داخل المؤسسات التعليمية ذاتها للعملية التعليمية الجامعية بوضعها الراهن، وللمعرفة برؤية المملكة، من أجل فهم مدى إمكانية تحقق الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي على وجه الخصوص، وانعكاس ذلك على باقي محاور الرؤية بشكل عام.

منهجية البحث

اعتمد البحث في تحقيق أهدافه، والإجابة على تساؤلاته على المنهج الوصفي التحليلي، وهو بحث كيفي بالأساس تم بإستخدام المقابلة المتعمقة كأداة لجمع البيانات من خلال دليل مقابلة تم إعداده بناء على تحليل قضايا التعليم بالرؤية بهدف الحصول على استجابات تفصيلية حول قضايا البحث، وكذلك تفسير وتعميق نتائجه، وذلك من خلال مقابلة بعض الأكاديميين غير السعوديين العاملين في بعض جامعات المملكة، وفي هذا الإطار تم عقد عدد (18) مقابلة مفتوحة خلال شهر (يوليو 2019)، كما تم استكمال المقابلات لمناقشة النتائج خلال شهر (يناير 2020).

حدود البحث

-في ضوء محدودية عدد المقابلات التي تمت لا يسعى البحث الراهن إلى الخروج بتعميمات حول التعليم الجامعي أو رؤية المملكة بشكل عام، وإنما نسعى من خلال بعض الخبرات الواقعية إلى لفت الإنتباه إلى بعض الجوانب التي تساعد على تحقيق أو تحد من فاعلية الرؤية وتطبيقها مستقبلا.

-البحث الراهن هو محاولة لاستطلاع رأي أحد أطراف العملية التعليمية بالمملكة، ولا يسعى إلى التنظير حول واقع التعليم بالجامعات السعودية، فالدراسات المتاحة حول ذلك كثيرة.

-تم تصميم أداة البحث بناء على تحليل محتوي دقيق للرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي والقضايا ذات الصلة.

-تعتمد نتائج البحث الراهن على البيانات الميدانية الواقعية وليس على الأدبيات السابقة، بهدف تقديم تقييم واقعي للسياسة التعليمية في ضوء ما تسعى الرؤية إلى تحقيقه.

عناصر البحث

ينقسم البحث الراهن إلى ستة أقسام، هي:

-خصائص المبحوثين.

-الإجراءات النظامية الجديدة واستقطاب الكفاءات

-المعرفة برؤية المملكة.

-جهود الجامعات والأقسام العلمية في تحقيق الرؤية.

-تحقق متطلبات الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي.

-تحديات ومقترحات لتفعيل الرؤية.

أولا: خصائص المبحوثين

يمثل أعضاء هيئة التدريس الأجانب نسبة كبيرة من أعضاء هيئة التدريس بالمملكة رغم المحاولات التي تبذل لسعودة هذا القطاع، وتشير بيانات وزارة التعليم السعودية عن عام (2017/2016) وهي أخر بيانات متاحة على موقع الوزارة إلى أن عدد أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية بلغ (83.884) منهم 49.760 سعودي بنسبة 59.3%، و34.124 غير سعودي بنسبة 40.7% (الموقع الرسمي لوزارة التعليم)،

وتشير البيانات إلى أنه يوجد 13 جامعة يفوق بها عدد الأساتذة الأجانب نظرائهم السعوديين (برجس حمود البرجس 2014)، وحظيت أربع جامعات بالنسبة الأعلى منهم، تمثلت في جامعات الملك عبد العزيز، والملك سعود، والإمام محمد بن سعود الإسلامية، إضافة إلى جامعة أم القرى (أرابيان بيزينس، 2015)، كما تشير البيانات إلى أن عضو هيئة التدريس المصري يأتي في المرتبة الأولى حاليا بالمملكة بالنسبة للوافدين، بعدما انخفضت أعداد الأكاديميين الأردنيين والسودانيين عن قبل (مدونة أعضاء هيئة التدريس المصريون بالسعودية).

وتمثلت أهم خصائص المبحوثين فيما يلي:

1-**الجنسية**: (15) مصري، (3) أردني.

2- **النوع**: (16) ذكر، (2) إناث.

3- **الجامعة:** (9) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (4) جامعة تبوك، (3) جامعة الملك سعود، (1) جامعة المجمعة، (1) جامعة الأميرة نورة.

4-**القسم العلمي**: (7) قسم اجتماع وخدمة اجتماعية، (3) الأقسام العلمية (أحياء – كيمياء – فيزياء)، (2) علوم سياسية، (2) محاسبة / إدارة، (1) علم نفس، (1) دراسات إسلامية، (1) تربية خاصة، (1) إعلام.

5-**التخصص العلمي:** (5) خدمة اجتماعية، (4) علم اجتماع وأنثروبولوجيا وعلم نفس، (3) علوم طبيعية، (3) علوم سياسية، (1) محاسبة ضريبية، (1) دراسات إسلامية، (1) تربية خاصة.

6- **عدد سنوات العمل بالمملكة**: (8) لمن عملوا (6-10 سنوات)، (7) لمن عملوا (1-5) سنوات، (3) لمن تجاوزوا العشر سنوات.

ثانيا: الاجراءات النظامية الجديدة واستقطاب الكفاءات

تشير الرؤية إلى: "سنفتح فصلا جديدا في استقطاب الكفاءات والمواهب العالمية للعمل معنا والإسهام في تنمية اقتصادنا" (الموقع الرسمي لرؤية 2030)، وذلك من خلال مجموعة من الإجراءات النظامية تهدف إلى استقطاب الكفاءات في مختلف المجالات، بالإضافة إلى زيادة موارد الدولة، لذا سعينا إلى رصد أهم التأثيرات المترتبة على هذه الإجراءات، وهل تؤدي بالفعل إلى تحسين ظروف المعيشة من وجهة نظر المبحوثين، وكذلك مدى القدرة الفعلية لهذه الإجراءات بالإضافة إلى إجراءات تحسين ظروف العمل الفعلية على استقطاب الكفاءات الأكاديمية للعمل في المملكة، وتعزيز احساسهم بالأمان الوظيفي.

1- الإجراءات النظامية وتحسين ظروف المعيشة

في الوقت الذي تشير فيه رؤية المملكة في افتتاحيتها إلى "سنرحب بالكفاءات من كل مكان، وسيلقى كل احترام من جاء ليشاركنا البناء والنجاح"، اتخذت المملكة مجموعة من الاجراءات

النظامية الخاصة بالمقيمين وذويهم بهدف تحسين موارد الدولة والتقليل من أعداد العاملين بالمملكة من غير السعوديين بشكل عام، وبما فيهم الأكاديميين، وتشمل هذه الاجراءات العديد من القرارات التي تمس جميع المقيمين بالمملكة، وسوف نقتصر هنا فقط على ما يمس أفراد عينة الدراسة من الأكاديميين، حيث تم توزيع تعليمات على جميع الأقسام العلمية بعدم تعيين غير السعوديين إلا في ظروف خاصة ومن خلال لجان خاصة بكل جامعة للتأكد من مدى الاحتياج الفعلي لهذه التعاقدات وعدم توافر الأكاديمي السعودي المتخصص بذات المجال، كما أعلنت العديد من الجامعات صراحة من خلال إنشاء بوابات الكترونية على صفحاتها على شبكة الانترنت إلى حاجاتها لتعيين أعضاء هيئة تدريس سعوديين بدلا عن غير السعوديين، وفي هذا الإطار سعينا إلى محاولة التعرف على أثر هذه الاجراءات النظامية على المبحوثين، ومدى احساسهم بالاستقرار الوظيفي، ورؤيتهم لمدى مساهمة ذلك في تحسين ظروف معيشتهم، وكذلك قدرة هذه الاجراءات على استقطاب الكفاءات للعمل بالمملكة.

في البداية أشار ثلثي المبحوثين (12) إلى عدم مساهمة الاجراءات الجديدة بشكل عام في تحسين ظروف معيشتهم نظرا لزيادة الرسوم على جميع الخدمات تقريبا، بالإضافة إلى زيادة الأسعار وفي مقدمتها البنزين أكثر من مرة، وفي المقابل وقف جميع البدلات والزيادات السنوية التي كانت تصرف سابقا بداية من العام العلمي 2017-2018، والتكليف ببعض الأعمال بلا مقابل مادي كما تنص اللوائح، وعدم القدرة على الإعتراض على ذلك.

وهو الأمر الذي انعكس إلى حد كبير – وفقا لأقوال بعض المبحوثين - على "سيادة الشعور بعدم الأمان الوظيفي، والاضطرار إلى الرضوخ لأوامر رؤساء الأقسام والعمداء، والخاصة بالقيام ببعض الأعمال الإضافية دون مقابل، وتحمل الأعباء الإدارية بالأقسام بدون عدالة في توزيع المهام ما بين الزملاء بالقسم الواحد، وتوزيع الأعمال وفقا للجنسية (سعودي – غير سعودي) بدون وضع اعتبار للدرجة العلمية"، أو للتخصص في بعض الأحيان.

وعلى الجانب الأخر أشار الثلث الباقي (6) إلى دور هذه الاجراءات النظامية الجديدة في تحسين ظروف معيشتهم، وانحصرت مبرراتهم في "القدرة على العمرة والحج من داخل المملكة بسهولة كبيرة مقارنة بصعوبة ذلك لمن هم خارج المملكة"، وهو أمر قد تبدو علاقته بعيدة، أو لا تنعكس ايجابا على الموقف من هذه الاجراءات الجديدة، ولكن هذا ما استطاع هؤلاء اللجوء إليه لتبرير استمرارهم في العمل بالمملكة في ظل الضغوط التي يتعرضون لها.

2- الإجراءات النظامية واستقطاب الكفاءات

وبالسؤال حول دور هذه الاجراءات النظامية في استقطاب الكفاءات أشار (11) مبحوث إلى أن هذه الاجراءات من الصعب أن تؤدي إلى استقطاب الكفاءات بالشكل المطلوب، وتمثلت أهم مبررات ذلك وفقا لما أشار إليه بعض المبحوثين في: "السعودية أقل راتب للأستاذ الجامعي في منطقة الخليج"، وهو الأمر الذي انعكس على نوعية الكفاءات التي تأتي للعمل بالمملكة"، "لم يعد يأتي إلى المملكة من مصر سوى خريجي الجامعات الإقليمية، لا يوجد أستاذ جامعي بجامعة

مصرية كبرى يعمل بالمملكة الأن"، "دول الخليج الأخرى وفي مقدمتها الإمارات وقطر استقطبت كل الكفاءات من مصر".

ويأتي بعد ذلك من أشاروا إلى قدرة هذه الاجراءات على استقطاب الكفاءات وبلغ عددهم (4) مبحوثين، وأخيرا من أشاروا إلى عدم معرفتهم بأثر هذه الاجراءات على استقطاب الكفاءات للعمل بالمملكة بإجمالي (3) مبحوثين.

3- تحسين ظروف العمل واستقطاب الكفاءات

وفي نفس الإطار تسألنا عن مدى اهتمام الجامعات السعودية بتحسين ظروف العمل من أجل استقطاب الكفاءات، وتحقيق الاستقرار والشعور بالأمان الوظيفي، وفي هذا الإطار أشار (11) مبحوثا إلى اهتمام جامعاتهم بتحسين ظروف العمل بشكل عام، واقتصر ذلك في بعض الأحيان على البنية التحتية للجامعات، واستخدام أحدث الوسائل التكنولوجية في التعليم، ولكن دون إرتباط ذلك بتحسين أو رفع الرواتب، أو حتى توحيدها بالنسبة لنفس الدرجة العلمية بغض النظر عن جنسية عضو هيئة التدريس.

ومقابل ذلك أشار (7) مبحوثين إلى عدم وجود أية اجراءات لتحسين ظروف عملهم سواء كان ذلك على مستوى الرواتب والأجور، أو على مستوى جودة القاعات وتوافر الوسائل التعليمية الحديثة بجامعاتهم.

وفي الحقيقة فإن الإجابة على هذا السؤال مثلت مشكلة أمام العديد من المبحوثين، حيث شعر البعض أن استجاباتهم قد تمثل نقدا مباشرا للجامعات التي يعملون بها، مما يمكن أن يمثل تهديدا لأوضاعهم الوظيفية.

ثالثا: المعرفة برؤية المملكة 2030

يقترن مفهوم المعرفة في اللغة العربية بالعلم والإدراك، والمعرفة هي إدراك الشئ على ما هو عليه، وتعددت وجهات النظر حول مفهوم المعرفة، فهناك من يعرفها بأنها مجموعة من المفاهيم والأفكار والتعميمات المجردة التي نحملها معنا على أسس دائمة أو شبه دائمة ونستخدمها لتفسير العالم المحيط بنا وإدارته، أو هي مجموع الحقائق ووجهات النظر والآراء والأحكام وأساليب العمل والخبرات والتجارب والمعلومات والبيانات والمفاهيم والاستراتيجيات التي يمتلكها الفرد أو المؤسسة (أسماء شطيبي 2014، 201-202)، ونسعى في هذا الجزء إلى رصد مدى معرفة المبحوثين بالرؤية، وبمتطلباتها فيما يتعلق بالتعليم الجامعي، ومدى تلقيهم لمعلومات عن الرؤية، وأهم وسائل تلقي هذه المعلومات، بالإضافة إلى رصد مدى معرفة أطراف العملية التعليمية بالرؤية، ومدى حرصهم على تحقيقها، وأخيرا التعرف على رأي المبحوثين في إمكانية تطبيق الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي.

1-المعرفة بالرؤية

أشار جميع المبحوثين إلى المعرفة برؤية المملكة بشكل عام، وتتراوح هذه المعرفة من "السمع عن الرؤية" إلى المعرفة ببعض قضايا ومحاور الرؤية سواء بشكل عام أو فيما يتعلق بالتعليم الجامعي بشكل خاص، ويرجع ذلك إلى "الحملة الإعلامية الواسعة التي واكبت طرح الرؤية، والندوات واللقاءات التي تم عقدها في العديد من مؤسسات الدولة ومنها الجامعات للتعريف بالرؤية"، بالإضافة إلى التعليمات التي صدرت لجميع مؤسسات الدولة بضرورة إبراز الرؤية من خلال الملصقات واللوحات الإعلانية بكل مؤسسة.

وبالنسبة للمعرفة برؤية المملكة فيما يتعلق بالتعليم الجامعي أشار أغلب المبحوثين (باستثناء واحد فقط) إلى معرفتهم بالرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي، وانقسموا إلى نصفين، نصف يرى أن لديه معرفة جيدة برؤية المملكة وأهدافها فيما يتعلق بالتعليم الجامعي، والنصف الأخر يرى أن لديه معرفة إلى حد ما برؤية المملكة وأهدافها فيما يتعلق بالتعليم الجامعي.

2-تلقي معلومات عن الرؤية بشكل نظامي

وبالنسبة لمصدر المعرفة بالرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي، أشار ثلثي المبحوثين (12) إلى تلقيهم معلومات عن الرؤية بشكل نظامي من خلال جامعاتهم، في حين أشار الثلث الباقي (6) إلى عدم تلقيهم أي معلومات بشكل نظامي عن الرؤية.

3-وسيلة تلقي المعلومات عن الرؤية

تمثلت أهم وسائل تلقي هذه المعلومات في الكتب والمنشورات التي توزعها الجامعات والأقسام العلمية على العاملين بها، ويأتي بعد ذلك المحاضرات العامة التي عقدت ببعض الجامعات، يلي ذلك ورش العمل، وأخيرا التعليمات الإدارية، كما أشار بعض المبحوثين إلى بعض المصادر الأخرى غير النظامية للمعرفة بالرؤية، وتمثلت في "مؤتمر علمي، واجتهاد شخصي، ووسائل الإعلام، والإنترنت".

4- معرفة أطراف العملية التعليمية بمضمون الرؤية

تهتم كفأة العملية التعليمية بقياس "مدى قدرة عناصر النظم التعليمية الداخلية على القيام بالأدوار المتوقعة منها؛ أي على كل العناصر البشرية الداخلة في التعليم والتي تتولى البرامج التعليمية، والمناهج الدراسية، والأنشطة المصاحبة لها، وكذلك الشئون الإدارية، وتشمل الكفاءة الانتاجية الداخلية للتعليم كل العناصر البشرية الداخلة في مجال التعليم والتي تتولى تحديد وتنظيم البرامج التعليمية، وإعداد المناهج الدراسية، وإدخال الوسائل التكنولوجية، واقتراح الأنشطة المصاحبة لها، وغيرها من الأدوار، كما تتطلب وجود تفاهم بين الجميع واتفاق على الأدوار والأهداف التي تسعى لتحقيقها هذه الأدوار كما تتطلب تعاونا وتكاتفا من جانب العاملين جميعا، ويعتبر انعدام هذا التفاهم والتكامل في الأدوار الوظيفية الداخلية مؤشرا موضوعيا على ضعف الكفاءة الداخلية للنظام التعليمي (مركز هردو لدعم التعبير الرقمي).

وهو ما حاولنا رصده للتعرف على مدى إلمام أطراف العملية التعليمية (بما فيهم الطلاب) بمضمون الرؤية، فحتى تنجح الرؤية في التعليم الجامعي يجب أن تكون أهدافها واضحة لكل الأطراف، وهي الطالب وعضو هيئة التدريس والجامعة، ولذا سعينا إلى التعرف على مدى المعرفة بمضمون الرؤية لدى الأطراف الثلاثة، وهل هي واضحة تماما أم إلى حد ما أم غير واضحة، وكانت بعض النتائج غير متوقعة أحيانا، وخاصة فيما يتعلق بالطلاب، وهم الجيل التي وضعت الرؤية من أجله، كما سيقع على عاتقهم مهام تنفيذها فيما بعد، وفي هذا الصدد أشار أغلب المبحوثين (14) إلى عدم معرفة الطلاب بمضمون الرؤية وعدم اهتمامهم بذلك.

ويأتي بعدهم من أشاروا إلى إلمام الطلبة "إلى حد ما" بمضمون الرؤية (4)، ومن الملاحظات الهامة هنا عدم إشارة أي مبحوث إلى معرفة الطلاب بمضمون الرؤية، مما يؤكد على ضرورة تعديل أساليب التوعية بالرؤية حتى تصل إلى مستهدفيها الحقيقيين (الشباب السعودي).

أما بخصوص الأكاديميون السعوديون فارتفعت نسبة المعرفة بدرجة كبيرة، إذ يرى حوالي ثلثي المبحوثين (11) أن الأكاديميون السعوديين يعرفون "إلى حد ما" مضمون الرؤية، يليهم من يرون أنهم يعرفونها بشكل كامل (6)، في حين يرى مبحوث واحد أنهم لا يعرفون مضمون الرؤية، وقد لعبت التعليمات الإدارية والمحاضرات العامة التي تعقد في الجامعة دورا كبيرا في ذلك، إذ يحرص رؤساء الأقسام على حضور أعضاء هيئة التدريس بطلابهم أحيانا هذه المحاضرات على حساب الجدول الدراسي، وذلك تنفيذا لتعليمات واضحة وصريحة من إدارة الجامعة.

وكان عدد من أشاروا إلى وجود معرفة واضحة بالرؤية لدى إدارة الجامعة هو العدد الأكبر بين أطراف العملية التعليمة الثلاثة، إذ أشار (10) من المبحوثين إلى ذلك، وتزداد هذه القيمة إذا وضعنا في الاعتبار أن هناك (5) من المبحوثين يرون أن إدارة الجامعة على معرفة "إلى حد ما" بمضمون الرؤية، وتتضح هذه المعرفة في القرارات المنظمة للعمل، بالإضافة إلى حرص إدارة الجامعة على نشر كل ما يتعلق بالرؤية في أرجاء الجامعة، وعقد الفاعليات المختلفة التي تعبر عنها، كما تحرص الجامعات المختلفة على تغطية الصحف لذلك.

وعلى الجانب الأخر لم يستطع إثنان من المبحوثين تحديد مدى معرفة إدارة الجامعة بالرؤية، كما أشار مبحوث واحد فقط إلى أنه ليس هناك معرفة لدى إدارة الجامعة بالرؤية، ويعكس ذلك وجود اختلاف بين الجامعات ذاتها في معرفتها بالرؤية، وبخاصة الجامعات الناشئة.

1- حرص أطراف العملية التعليمية على تحقيق الرؤية

حاولنا بعد ذلك التعرف على مدى انعكاس المعرفة بالرؤية في حرص أطراف العملية التعليمية على تحقيق هذه الرؤية بشكل عام، وكانت الاستجابات بالنسبة للطلاب متقاربة تجاه متغيرات السؤال، حيث أشار العدد الأكبر من المبحوثين (7) إلى عدم حرص الطلاب على ذلك، ويأتي بعدهم وبفارق بسيط من أشاروا إلى حرص الطلاب "إلى حد ما" على ذلك، أو من أشاروا إلى

عدم قدرتهم على التعرف على مدى حرص الطلاب على تحقيق الرؤية، وبلغ عددهم (5) مبحوثين لكل متغير، في حين يرى مبحوث واحد فقط أن الطلاب حريصون على تحقيق الرؤية، وتمثلت أوجه هذا الحرص في "حضور محاضرات عن الرؤية"، وهي تلك التي تعقدها بعض الجامعات للتعريف بالرؤية.

وفي حقيقة الأمر تؤكد هذه الاستجابات ما أشرنا إليه في الجزء السابق، وما أشار إليه أحد المبحوثين من "ضرورة الاهتمام بعلاقة ودور الشباب بالرؤية وعيا ومشاركة وتنفيذا، حيث أن الرؤية لهم وبهم، وإن لم يكن لديهم حرصا على تحقيقها بناء على معرفة حقيقية واضحة بمضمونها سيصبح من الصعب أن تتحقق الرؤية على أرض الواقع".

أما بالنسبة للأكاديميين السعوديين؛ انحصرت أغلبية الاستجابات (11) في الحرص على تحقيق الرؤية "إلى حد ما"، يليهم من لا يعرفون بإجمالي (4) مبحوثين، أما من كانت اجابتهم واضحة وصريحة وتؤكد على حرص الأكاديميين السعوديين على تحقيق الرؤية فبلغ عددهم (3) مبحوثين فقط، وتمثلت أهم مظاهر ذلك الحرص وفقا لما اشار إليه المبحوثين في "تطوير التوصيفات، وتفعيل الرؤية من خلال البرامج الدراسية والبحوث العلمية، والمتابعة والاهتمام والتنفيذ لأي تعليمات تتعلق بهذا الشأن، والمشاركة في بحوث ذات صلة".

ومن ناحية أخرى يؤخذ أحيانا على بعض الأكاديميين السعوديين إنشغالهم بالوظائف الإستشارية، أو الإنتدابات إلى مؤسسات أخرى خارج الجامعة، على حساب أدوارهم الأساسية بأقسامهم العلمية، وهو الأمر الذي يمكن ملاحظته بشدة في "عدم انتظام جدول محاضرات بعضهم، والعضوية الأسمية أو الشكلية فقط باللجان المختلفة بالأقسام العلمية، والتي يتم تحميل أعباءها أحيانا بالكامل لأعضاء هيئة التدريس من غير السعوديين، وبخاصة إذا كانت دون مقابل مادي"، وهو ما قد يفسر أحيانا بعدم الحرص على نجاح العملية التعليمية في تحقيق أهدافها، وذلك لحساب تفضيل المصلحة الشخصية، الأمر الذي يمكن أن ينعكس سلبا على نجاح الرؤية فيما بعد.

6-إمكانية تطبيق الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي

وبالسؤال حول إمكانية تطبيق ما أشارت إليه الرؤية حول التعليم الجامعي تنوعت استجابات المبحوثين، وأشار (14) مبحوث إلى إمكانية تحقيق ذلك إما بشكل كامل (8)، أو إلى حد ما (6)،

ويأتي بعد ذلك من لا يعرفون مدى إمكانية تحقيق الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي وبلغ عددهم إثنان، بالإضافة إلى إثنان أخران يرون أن الرؤية هي عبارة عن "هوجة إعلامية" وأنها لن تتحقق على أرض الواقع نظرا للاهتمام بالمظهر على حساب المضمون في الكثير من الأمور الخاصة بالتعليم الجامعي بالمملكة، ويعني ذلك أن حوالي ربع المبحوثين إما لا يستطيعون الحكم بإمكانية تحقيق الرؤية، أو يرون أنها لن تتحقق على أرض الواقع، مع الوضع في الاعتبار أن ذلك نتاج خبرة واقعية من خلال عملهم بالجامعات السعودية، كما يدل ذلك على تفاوت الجامعات

السعودية ذاتها في تطبيق الرؤية، أو الاهتمام بتحقيقها رغم أنها جميعا تعمل وفقا لسياسة تعليمية واحدة.

ولقد دارت المناقشات حول هذا السؤال ببعض الحذر من جانب الباحثين حرصا على عدم إنتقادهم لأحد الأمور الخاصة بالسياسة التعليمية عامة، أو الجامعة التي يعملون بها خاصة، وذلك بسبب التعليمات التي أصدرتها بعض الجامعات لتحذير أعضاء هيئة التدريس بها من كتابة أي بحوث أو مقالات رأي أو تعليقات تتعرض للرؤية بالانتقاد.

رابعا: جهود الجامعات والأقسام العلمية في تحقيق الرؤية

يسعى هذا الجزء إلى رصد جهود الجامعات والأقسام العلمية في تحقيق الرؤية على أرض الواقع، وذلك من خلال التعرف على جهود الجامعات في التعريف بالرؤية، ومدى تطبيق الأقسام العلمية فعليا لمتطلبات الرؤية، ومدى انعكاس ذلك في البرامج والمناهج التعليمية بها، بالإضافة إلى الرسائل الجامعية.

1- الجامعة وتوفير المعلومات حول الرؤية والمتابعة

يؤدى وجود جهة محددة بالجامعة تختص بتوفير المعلومات حول الرؤية، ومتابعة أدوار وأداء الكليات والأقسام العلمية في التعريف بالرؤية وتحقيق أهدافها إلى توفير الظروف المناسبة لتحقيقها، والتأكد من التزام الأقسام بنشر أفكار الرؤية بين الطلاب سواء في البرامج والمناهج، أو من خلال الأنشطة اللاصفية، وفي هذا الإطار أشار أقل عدد من المبحوثين (4) إلى وجود جهات متخصصة بالجامعات التي يعملون بها تعمل على **"توفير المعلومات المطلوبة حول الرؤية"،** في حين أشار العدد الأكبر من المبحوثين إما إلى عدم المعرفة بوجود هذه الجهة (9)، أو عدم وجودها (5)، وهو الأمر الذي أرجعه البعض إلى أن "مهام التعريف بالرؤية قد وكلت إلى بعض الإدارات بالجامعة بجانب اختصاصاتها الاصلية، مما مثّل عبئا إضافيا على هذه الإدارات، وبالتالي لم تنجح بالشكل المطلوب، أو أتى اهتمامها بالتعريف بالرؤية على حساب مهامها الأساسية".

وكذلك أشار أقل عدد من المبحوثين (4) إلى وجود جهة بالجامعة **"لمتابعة دور الكليات والأقسام العلمية في تحقيق الرؤية"**، وهو الأمر الذي يعكس إلى حد كبير قصور آليات المتابعة والتقييم، وهي من أهم مقومات نجاح الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي، في حين أشار (14) مبحوثا إلى وجود خلل في عملية المتابعة لأدوار الكليات والأقسام العلمية في تحقيق الرؤية، حيث أشار (10) مبحوثين إلى أنهم لا يعرفون بوجود هذه الجهة، بالإضافة إلى (4) أشاروا إلى عدم وجود هذه الجهة رغم أهمية الأدوار التي يجب أن تلعبها.

2-تنظيم الجامعة فاعليات لتوعية الطلاب بالرؤية

تعد التوعية بالرؤية من أهم الأدوار التي يجب الاضطلاع بها من قبل الجامعة، وبالفعل تقدم العديد من الجامعات بعض الفاعليات التي تهدف إلى نشر التوعية بالرؤية بين طلابها من أجل

تهيئتهم لتقبل الأفكار التي تطرحها الرؤية، وتبنيها ونشرها بالمجتمع، وفي هذا الصدد أشار (13) مبحوثا إما إلى حدوث قصور في هذا الأمر، حيث أشار (8) مبحوثين إلى عدم معرفتهم بمدى تنظيم الجامعة لهذه الفاعليات، أو عدم تنظيم الجامعة لها من الأساس كما أشار (5) آخرين، ويعد ذلك في حد ذاته مؤشرا سلبيا سواء على مستوى المعرفة، أو على مستوى الدعاية اللازمة للتعريف بهذه الفاعليات فى حال تنظيمها، أو تأكيدا لضرورة تنظيم هذه الفاعليات نظرا لأهميتها، ويأتي بعد ذلك من أشاروا إلى عقد الجامعة لهذه الفاعليات وبلغ عددهم (5) مبحوثين، وفي هذا الإطار يشير أحد المبحوثين إلى: "يكون الحضور بالإجبار حيث يتم إرغام الطلاب على حضورها بدلا من المحاضرات الدراسية التي يجب أن تتم خلال نفس الوقت"، وهو عدد قليل بلا شك، إذ تعد الجامعات من أهم المؤسسات التي يجب عليها التعريف بالرؤية وتهيئة المجتمع السعودي للمشاركة في تحقيقها من خلال شباب الجامعات.

3-دعم الجامعة للبحوث العلمية حول الرؤية وتطبيقاتها

تشهد المملكة في السنوات الأخيرة اهتماما كبيرا بالبحث العلمي؛ تمثل في الميزانيات الضخمة التي رُصدت لتشجيع البحث العلمي، إلا أن الحكم على نجاح ذلك يبقى مرهونا بما ستفضي إليه من حجم مخرجات التعليم العالي وجودتها خلال السنوات القادمة (سعيد الصديقي 2016، ص27-28)، كما أن هناك جامعات أخرى تحتاج إلى تطوير البنية التحتية التقنية لدعم الأبحاث العلمية (وفاء عون، جواهر البيز، حسناء العتيبي 2018، ص 414)، ويشير أحد المبحوثين من خلال خبرته العملية إلى أن "بعض المراكز البحثية بالجامعات لا تهدف إلى إجراء بحوث حقيقية في مجالات تخصصها، أو إعداد كوادر من الباحثين، فهي ليست أكثر من جهات ممولة فقط، وتتلخص سياستها في الإعلان عن مجموعة من الموضوعات البحثية يتم تمويلها ودعمها، ولا تنشر أحيانا، وهناك ملاحظات عديدة على جودتها وأصالتها".

ومن المؤكد أن إحصاء عدد الجامعات ومراكز البحوث العاملة في بلد ما لا يكفي وحده لمعرفة وضع العلم فيها، ورغم أهمية هذه المعطيات الكمية إلا انها لا تسمح بالتعرف إلى المجتمع العلمي او الجماعة العلمية لهذا البلد أو ذاك، كما لا يمكن توطين العلم إلا بتكوين التقاليد الوطنية في البحث، وهذا لا يتطلب فقط تخصيص الموارد اللازمة لإنشاء المؤسسات البحثية ولتكوين العلماء ولتأمين حياتهم، بل أيضا دعم الثقافة العلمية العامة وتشجيعها، بما فيها نشر المعرفة العلمية (رشدي راشد 2008، ص 10-25).

وحاولنا في نفس الإطار التعرف على الدور الذي تلعبه الجامعة في نشر الرؤية والتعريف بها من خلال دعمها للبحوث العلمية الخاصة بالرؤية وتطبيقاتها في التعليم الجامعي، حيث تعقد العديد من الجامعات مسابقات بحثية سنوية حاولت فيها - بعد طرح الرؤية - أن تكون تلك البحوث ذات علاقة بالرؤية تشجيعا للباحثين على الاهتمام بقضايا الرؤية وتفعيلها، وفي واقع الأمر تعد هذه أحد أهم آليات نشر الرؤية وتحقيق أهدافها، ولكن في حالة أن يتم ذلك بشكل موضوعي وحقيقي، وتعاني بعض هذه البحوث وفقا لما يشير إليه أحد المبحوثين من "مشكلة الشكل على حساب المضمون حيث لا تتجاوز الرؤية وقضاياها عنوان البحث دون ترجمة حقيقية في متون هذه

البحوث، كما أنه يتم الربط في كثير من الأحيان بين الرؤية وموضوعات بحثية لا علاقة لها بالرؤية من قريب أو بعيد من أجل فقط الحصول على الدعم المقدم لهذه البحوث".

وبشكل عام أشار أكثر من نصف المبحوثين بقليل (10) إلى دعم الجامعة للبحوث العلمية حول الرؤية، وهو نشاط يحسب لهذه الجامعات، ويحتاج فقط إلى الاهتمام بالمضمون على حساب الشكل، ويأتي بعد ذلك من لا يعرفون شيئا عن دور الجامعة في هذا المجال، ومن أشاروا إلى عدم وجود دور للجامعة في دعم البحوث العلمية حول الرؤية، والبالغ عددهم (4) مبحوثين لكل منهما، ويتفق ذلك مع ما أشرنا إليه في أكثر من موضع حول اختلاف مستوى تفعيل العمل بالرؤية بين جامعة وأخرى.

4- تطبيق الأقسام العلمية فعليا للرؤية

وبخصوص رؤية المبحوثين لمدى التطبيق الفعلي للرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي على أرض الواقع أشار العدد الأكبر من المبحوثين إلى أنه "يتم التطبيق الفعلي للرؤية بشكل جزئي" وبلغ عددهم (8) مبحوثين، ويأتي بعد ذلك وبنفس العدد من أشاروا إلى أنه لا يتم التطبيق الفعلي للرؤية، أو لا يعرفون إن كان يتم تطبيقها فعليا أم لا وبلغ عددهم (4) مبحوثين لكل متغير، ويعكس ذلك قصورا شديدا من بعض الأقسام، وخاصة بالتخصصات العلمية في تنفيذ الرؤية على أرض الواقع، وأخيرا يأتي وبأقل عدد من يرون أن الرؤية "يتم تطبيقها فعليا بشكل كامل" وبلغ عددهم مبحوثان فقط، ويرجع جزء من ذلك وفقا لما أشار إليه أحد المبحوثين إلى أن "تطبيق الرؤية مازال في بدايته، وتختلف سرعة الاستجابة لمتطلباتها من جامعة لأخرى وفقا لتوافر الكوادر المؤهلة لذلك".

5- تحدّيث الأقسام العلمية لبرامجها ومناهجها لتحقيق الرؤية

يعد تحديث وتطوير البرامج والمناهج التعليمية لتتوافق مع متطلبات الرؤية من أولى الخطوات المطلوبة لتحقيق الرؤية على أرض الواقع، وفي هذا الإطار لا تشير نتائج البحث الراهن إلى تحقق ذلك بشكل كامل، حيث انقسم المبحوثين إلى (9) يرون أن "الأقسام العلمية التي ينتمون إليها لم تقم بالتحديث المطلوب"، وهو ما يمكن أن ينعكس إلى حد بعيد على تنفيذ الرؤية في السنوات القادمة، أو التأخر في تحقيق أهدافها، مقابل (9) مبحوثين أشاروا إلى قيام الأقسام التي يعملون بها بتحديث وتطوير برامجها ومناهجها التعليمية من أجل تحقيق الرؤية، وهو الأمر الذي يؤكد التباين بين قدرات الجامعات والأقسام العلمية في تحقيق الرؤية، بالإضافة إلى مدى قابلية تطبيق الرؤية في بعض الأقسام العلمية من عدمه.

6- الربط بين موضوعات الرسائل الجامعية والرؤية

من أهم الأدوات التي يمكن أن تخدم الرؤية وتعمل على تحقيقها في المجالات المختلفة؛ "الربط بينها وبين موضوعات الرسائل الجامعية، وإعطاء الأولوية أو التشجيع على دراسة الموضوعات التي تخدم الرؤية"، وتعكس استجابات المبحوثين اتجاها إيجابيا نحو ذلك من الأقسام العلمية ومن الجامعات، إذ أشار (14) مبحوثا إلى قيام الأقسام العلمية والجامعات بهذين الدورين، مع تأكيد

بعض المبحوثين على ضرورة أن يتم ذلك بشكل موضوعي وحقيقي، حيث يعكس الواقع في بعض الأحيان كما يشير أحدهم: "موضوع الرؤية يتم الزج به في بعض الرسائل العلمية بطريقة شكلية فقط دون أن يتم ترجمة ذلك في متن الرسالة، أو ينعكس على قضاياها ومحاورها ونتائجها كما ينبغي"، وهو الأمر الذي يتضح كثيرا خلال مناقشة العديد من هذه الرسائل.

وعلى الجانب الأخر أشار (4) مبحوثين إلى عدم القيام بهذين الدورين، وهو عدد ليس بالقليل ولكنه ينحصر بالأساس في تخصصات العلوم الطبيعية حيث تجد بعض التخصصات صعوبة في تحقيق هذه العلاقة بين الرؤية وموضوعها، وهو ما يجب تطويره خلال السنوات المقبلة.

7- الاهتمام باللغة العربية في المناهج والرسائل الجامعية

تؤكد الرؤية على ضرورة الاهتمام باللغة العربية، ولذا حاولنا التأكد من مدى تحقق ذلك على أرض الواقع إما من خلال المناهج التي تدرس بالأقسام، أو الاهتمام بذلك في الرسائل العلمية التي تمنحها الأقسام، وفي حقيقة الأمر يعكس الواقع وضعا مترديا شديدا للغة العربية في بعض الأقسام العلمية يبدأ من مستوى الطلاب الجامعيين الذين لا يجيدون الكتابة، مرورا بوجود بعض الأخطاء الإملائية باسماء بعض الكليات والأقسام العلمية ذاتها، وتظهر خطورة ذلك ويؤدي إلى استمراره في ذات الوقت حرص بعض الأقسام العلمية أن يكون القسم الأكبر من الاختبارات من الأسئلة الموضوعية، وبمجموع درجات يحقق النجاح للطالب، حيث يتعمد بعض الطلاب عدم الاجابة على الأسئلة المقالية، بالإضافة إلى استحالة قرأة أو فهم ما يكتبه بعض الطلاب نتيجة سوء الخط.

وبالنسبة للاهتمام باللغة العربية سواء تدريسها كمقرر، أو وضعها في الاعتبار عند تقييم الطلاب أشار (10) مبحوثين إلى عدم الاهتمام بذلك مقابل (8) مبحوثين أشاروا إلى اهتمام أقسامهم العلمية باللغة العربية، أما بالنسبة للاهتمام بمستوى اللغة العربية في الرسائل الجامعية أشار نصف المبحوثين (9) إلى عدم الاهتمام بذلك، بينما يرى النصف الآخر إما أن هناك اهتماما باللغة العربية في الرسائل الجامعية (6) مبحوثين، أو أن هناك اهتماما "إلى حد ما" باللغة العربية في الرسائل الجامعية كما أشار (3) مبحوثين.

خامسا: تحقق متطلبات الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي

نسعى هنا إلى التحقق من توافر متطلبات الرؤية فيما يتعلق بالتعليم الجامعي، وذلك من خلال مجموعة من القضايا التي أشارت إليها الرؤية وتخص التعليم الجامعي على وجه الخصوص، وذلك من خلال رصد رؤية ألمبحوثين لهذه القضايا، ومدى تحققها على أرض الواقع بأقسامهم العلمية وجامعاتهم.

1- تحقيق السياسة التعليمية الجامعية لرؤية المملكة

عكست النتائج عدم وضوح الرؤية لدي العدد الأكبر من المبحوثين حول إمكانية تحقيق السياسة التعليمية الحالية لرؤية المملكة، إذ أشار العدد الأكبر من المبحوثين بإجمالي (11) مبحوثا إلى أن

ذلك يمكن تحقيقه "إلى حد ما"، ويرجع أحدهم ذلك إلى "عدم اهتمام الطرفين -الجامعة وعضو هيئة التدريس المتعاقد - على التعرف على السياسة التعليمية الجامعية للملكة"، وهو الأمر الذي ينعكس إلى حد كبير على تطبيق تلك السياسة.

ومن ناحية أخرى يرى (4) مبحوثين أن السياسة التعليمية الحالية لن تحقق الرؤية، مقابل (3) مبحوثين فقط يرون إمكانية تحقيق السياسة التعليمية الحالية للرؤية، وهؤلاء هم من استطاعوا تكوين موقف واضح من علاقة السياسة التعليمية الجامعية بالرؤية.

أما بالنسبة للدور الذي يمكن أن تلعبه السياسة التعليمية بشكلها الحالي في رفع كفأة مخرجات التعليم الجامعي بالمملكة؛ فقد كرر نفس العدد من المبحوثين (11) استجاباتهم والتي تشير إلى عدم الثقة بشكل كامل في قدرة السياسة التعليمية الحالية على تحقيق ذلك، وتركزت رؤيتهم في إمكانية تحقيق ذلك "إلى حد ما"، بالإضافة إلى (4) مبحوثين يرون عدم قدرة السياسة التعليمية الحالية على تحقيق ذلك، وأخيرا يأتي وبأقل عدد من أشاروا إلى أن السياسة التعليمية الحالية يمكنها أن تحقق هدف الرؤية الخاص برفع كفأة مخرجات التعليم الجامعي بالمملكة وبلغ عددهم (3) مبحوثين، وبشكل عام يشير أحد المبحوثين إلى "لا يهتم أعضاء هيئة التدريس الوافدين بالتعرف على السياسة التعليمية، كما لا تحاول الأقسام إمدادهم بمبادئ هذه السياسة".

2- تزويد الطلاب بالمعارف والمهارات اللازمة لوظائف المستقبل

يرتبط بمقومات السياسات التعليمية زيادة العائد الاقتصادي، وإحداث التغييرات الاجتماعية المرغوبة (عبد الجواد بكر 2003، 7)، وحرصت الرؤية على التأكيد على أهمية الاستثمار في التعليم والتدريب لتزويد الطلاب بالمعارف والمهارات اللازمة لوظائف المستقبل التي تسعى الرؤية إلى توليدها في المجالات غير البترولية، ولكن هل يتحقق ذلك على أرض الواقع، وفي هذا الصدد أشار نصف المبحوثين (9) إلى سعي أقسامهم التعليمية وجامعاتهم إلى تحقيق ذلك، مقابل (5) مبحوثين لا يرون أن هناك خطوات فعلية جادة بأقسامهم العلمية أو جامعاتهم لتزويد الطلاب بالمعارف والمهارات اللازمة لوظائف المستقبل، كما أشار (4) مبحوثين إلى عدم معرفتهم بقدرة الإجراءات الحالية للاستثمار في التعليم على تحقيق ذلك.

3- مواءمة مخرجات المنظومة التعليمية لاحتياجات سوق العمل

من الضروري أن تعمل السياسة التعليمية على المواءمة بين متطلبات المجتمع – وبخاصة سوق العمل – والتوافق بين مخرجات النظام التعليمي، وما يحتاجه المجتمع من كوادر مؤهلة متخصصة (منار محمد إسماعيل بغدادي 2015، ص 348)، وقد أكدت الرؤية، وبرنامج التحول الوطني 2020 على الدور المتعاظم للجامعات في تأهيل الكوادر البشرية المواطنة تأهيلاً نوعياً يتناسب مع احتياجات المرحلة المقبلة، بحيث تلبي احتياجات سوق العمل ومتطلبات التنمية (عبد الإله ساعاتي، 2016).

وعن مدى وجود جهود بالجامعات السعودية لمواءمة مخرجات المنظومة التعليمية مع احتياجات سوق العمل، أشار (14) مبحوثا إلى بذل الأقسام العلمية والجامعات جهودا من أجل تحقيق ذلك في إطار خطة أشمل "لسعودة" الوظائف بالمملكة سواء الوظائف الحكومية، أو العديد من

قطاعات العمل والمجالات التجارية بالقطاع الخاص بالمملكة، مقابل (4) مبحوثين يتوزعون بالتساوي إما لا يرون أن هناك جهودا كافية تبذل من أجل تحقيق ذلك، أو عدم معرفتهم بذلك.

ويجب أن نضع في اعتبارنا هنا أن البعض يخلط بين توظيف جميع الخريجين وبين ملائمة مخرجات المنظومة التعليمية مع احتياجات سوق العمل، فالعديد من مؤسسات القطاع الخاص تضطر إلى توظيف السعوديين وفقا للوائح والنظم المتعلقة بتنظيم أعمال القطاع الخاص، بغض النظر عن مدى الملائمة أو طبيعة المؤهل ومتطلبات الوظيفة، الأمر الذي يجعل عملية التوظيف في هذا السياق تحقق انجازات رقمية طيبة، ولكنها على المستوى النوعي والمهاري مازالت بحاجة إلى الكثير من التقييم والتقويم.

4- إعداد مناهج تعليمية متطورة

تؤكد الرؤية على ضرورة الاهتمام برفع مستوى الخريج الجامعي، سواء على المستوى العلمي، أو على مستوى تكوين شخصيته، ولذا أكدت الرؤية على ضرورة إعداد مناهج تعليمية متطورة تركز على إكساب المهارات الأساسية، وتطوير المواهب، وبناء الشخصية، وحاولنا التعرف على مدى قيام الأقسام العلمية بهذا الدور، وفي هذا الصدد أشار (13) مبحوثا إلى اهتمام الأقسام العلمية بذلك من خلال تطوير برامجها ومناهجها العلمية، وساعد الاهتمام ب "ملفات الجودة، والاعتماد الأكاديمي" على تحقيق ذلك، ولكن يرى بعض المبحوثين أن ذلك مازال "مقتصرا على الاستيفاء الورقي للملفات المطلوبة من أجل الحصول على الاعتماد الأكاديمي، والذي لم ينعكس على جودة العملية التعليمية وجودة مخرجاتها فعليا"، ويختلف الأمر بالتأكيد من جامعة لأخرى وفقا لتوافر مقومات الاعتماد الأكاديمي بها.

وعلى الجانب الآخر أشار (5) مبحوثين إلى عدم اهتمام أقسامهم العلمية أو جامعاتهم بتطوير مناهجها العلمية، أو اهتمام العملية الدراسية بإكساب المهارات وتطوير وبناء شخصية الطلاب نظرا "لمعاناة بعض هذه الجامعات من عدم توافر الكوادر والكفاءات اللازمة لإتمام ذلك".

5- توفير معارف نوعية للمتميزين

تسعى الرؤية في أحد أهدافها إلى توفير معارف نوعية للمتميزين في المجالات ذات الأولوية بالنسبة لتغيير المملكة في المجالات المختلفة، وفي مقدمتها المجال الاقتصادي، ويبدأ ذلك باختيار الطلاب بمزيد من العناية والاهتمام حتى يمكن الاستفادة منهم لتحقيق الرؤية، وخدمة التحول الاقتصادي من أجل مستقبل أفضل للوطن، ولكن هل تعمل الأقسام العلمية والجامعات على تحقيق ذلك من خلال توفير برامج تعليمية متخصصة للمتميزين، وفي هذا الإطار أشار ثلث المبحوثين فقط (6) إلى اهتمام أقسامهم العلمية بمواكبة التطورات العلمية وتوفير بعض المعارف المتخصصة للمتميزين من الطلاب في هذه المجالات، في حين أشار ثلثي المبحوثين (12) إما إلى عدم توفير هذه المعارف الجديدة للمتميزين بإجمالي (7) مبحوثين، أو إلى عدم معرفتهم بذلك بإجمالي (5) مبحوثين، مما يعني أن هذا الأمر لم يلق حتى الأن الاهتمام الواجب من القائمين على بعض الجامعات والأقسام العلمية.

6- الابتعاث بالجامعات العالمية المرموقة

تهدف الرؤية إلى رفع المستوى العلمي والمهاري لمبتعثيها تمهيدا للاعتماد عليهم كقيادات وطنية بدلا من الخبراء الأجانب الذين تعتمد عليهم المملكة في الكثير من القطاعات على حساب أبنائها، ويتحقق ذلك من خلال تركز فرص الابتعاث على المجالات التي تخدم الاقتصاد الوطني، وفي التخصصات النوعية في الجامعات العالمية المرموقة، وفي هذا الإطار أشار نصف المبحوثين إلى اهتمام أقسامهم العلمية أو جامعاتهم بتحقيق ذلك بإجمالي (9) مبحوثين.

وفي المقابل أشار النصف الأخر إما إلى عدم معرفتهم بمدى تحقيق ذلك بإجمالي (5) مبحوثين، أو عدم اهتمام جامعاتهم بتحقيق ذلك بإجمالي (4) مبحوثين، وهو الأمر الذي سوف ينعكس إذا لم يتم تداركه على إمكانية وأوجه الإستفادة من هؤلاء المبتعثين فيما بعد، وفي الحقيقة يؤكد العديد من المبحوثين أن "المملكة تنفق بسخاء على مبتعثيها، وتحاول جاهدة وضع وتطوير الضوابط المنظمة لعملية الإبتعاث بإستمرار للإستفادة من هؤلاء المبتعثين، وقصر فرص الإبتعاث على المستحقين والجادين بعيدا عن أي عوامل تتدخل أحيانا في منح فرص الإبتعاث لمن لا يستحق، بالإضافة إلى ما تقدمه الأقسام العلمية من دعم ومساندة لحل مشاكل المبتعثين لاستكمال مرحلة الحصول على شهاداتهم العلمية والعودة لأقسامهم"، الأمر الذي يمنح هذه الأقسام مكانة علمية طيبة فيما بعد، وينعكس على ترتيب الجامعات السعودية عالميا.

7- التصنيف العالمي للجامعات السعودية

تسعى الرؤية في مجال التعليم الجامعي إلى أن تصبح هناك خمس جامعات سعودية على الأقل من أفضل 200 جامعة عالمية بحلول عام 2030، وسعى البحث إلى التعرف على مدى ملاحظة المبحوثين للجهود التي تبذل بجامعتهم من أجل تحقيق ذلك، وفي هذا الإطار يرى أكثر من نصف المبحوثين بقليل (10) أن هناك بالفعل جهودا تبذل في هذا الإطار، من بينها سعي الجامعات السعودية إلى زيادة معدلات النشر الأجنبي في الدوريات العالمية، وتوفير الدعم المناسب، وعقد المسابقات ومنح الجوائز لتشجيع ذلك.

وفي المقابل أشار (8) مبحوثين موزعين بالتساوي إلى إما "عدم اهتمام جامعاتهم بترتيب الجامعة عالميا" لعدم توافر المقومات المطلوبة بجامعاتهم الناشئة لذلك، أو "عدم معرفتهم بوجود جهود من جامعاتهم لتحقيق ذلك".

ورغم الجهود المتواصلة لتطوير الجامعات، والاهتمام بالبحث العلمي؛ مثل تعيين نائباً للوزير للجامعات والابتكار العلمي، وإنشاء مكتب للبحث والتطوير في وزارة التعليم، ورغم تحقيق جامعة الملك فهد المركز الرابع ضمن أفضل مئة جامعة، والملك سعود المركز 25 من حيث براءات الاختراع، إلا أنه تبقى هناك تساؤلات مهمة حول مراكز الجامعات السعودية في التصنيف العالمي (سعود المصيبيح، 2019)، حيث توجد مفارقة هامة لدى بعض هذه الجامعات التي صاغت خلال السنوات الأخيرة استراتيجيات طموحة لتطوير جودة مخرجاتها العلمية، إذ يلاحظ أحيانا استعمال ملتو وغير واقعي من بعض هذه الجامعات لمعايير تصنيف الجامعات

ومؤشراتها، مما يؤدي إلى صورة غير حقيقية ومضللة عن ترتيب هذه الجامعات في التصنيفات العالمية، وذلك باعتمادها على الباحثين الأجانب لتحسين تصنيفها العالمي من خلال إبرام عقود صورية مع الباحثين والعلماء الأجانب الذين قد لا يزورون هذه الجامعات إلا اسابيع أو أياما قليلة، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الجامعات المصنفة لا توازن في تطويرها بين مختلف التخصصات، بل تركز بشكل أكبر على التخصصات العلمية وتهمل العلوم الاجتماعية والاقتصاد، ولذا يمثل تحقيق التوازن في جودة مخرجاتها العلمية في مختلف التخصصات، وبخاصة في الطب والعلوم الاجتماعية والاقتصاد أحد التحديات التي تظل أمام تلك الجامعات (سعيد الصديقي 2016، ص 30-32).

وفي هذا الإطار يشير أحد المبحوثين إلى: "في الوقت الذي تقصر فيه الجامعات السعودية المشاركة في المؤتمرات الدولية على أعضاء هيئة التدريس من السعوديين فقط، إلا أنها تشترط على أعضاء هيئة التدريس الأخرين قبل تجديد عقودهم السنوية تقديم لائحة بالنشر العلمي والمؤتمرات العلمية التي شاركوا بها، وهي البيانات التي تستخدم فيما بعد في سجلات النشر والنشاط العلمي للجامعة دون أن تسهم بشئ في ذلك".

8- تطوير أداء أعضاء هيئة التدريس

يستدعي تنفيذ ما سبق الاشارة إليه في النقاط السابقة ضرورة تطوير أداء أعضاء هيئة التدريس ورفع كفأتهم من أجل تأهيلهم للقيام بالأدوار المطلوبة منهم في سياق رفع مستوى العملية التعليمية بالجامعات السعودية، وبالتالي رفع تصنيف هذه الجامعات، وينعكس ذلك على أرض الواقع في اهتمام أغلب الجامعات السعودية برفع مستوى أعضاء هيئة التدريس بها من خلال عقد العديد من الدورات التدريبية المتخصصة والمتنوعة ذات العلاقة بالعملية التعليمية ومتطلبات تحديثها، وأشار (16) مبحوثا إلى اهتمام جامعاتهم بتنظيم تلك الدورات، مقابل إثنان فقط أشاروا إلى عدم اهتمام جامعاتهم بتطوير أداء أعضاء هيئة التدريس بها بأي شكل من الأشكال.

ولزيادة الاستفادة من هذه الدورات يؤكد بعض المبحوثين على "ضرورة أن تكون ملزمة لجميع أعضاء هيئة التدريس بجميع درجاتهم العلمية، أو تصبح إحدى متطلبات الترقية للدرجة الأعلى، حيث يلاحظ في كثير من الأحيان عزوف أعضاء هيئة التدريس من السعوديين عن حضورها، وعدم قدرة الأقسام العلمية على إلزامهم بذلك".

سادسا: تحديات ومقترحات لتفعيل الرؤية

1- أهم التحديات التي تواجه تنفيذ الرؤية في التعليم الجامعي

تعددت التحديات التي تواجه تنفيذ الرؤية في التعليم الجامعي بحيث امتدت إلى جميع أركان العملية التعليمية، وبناء على تحليل كل ما يتعلق بالرؤية وما أثير من نقاشات حولها مع المبحوثين تم الوصول إلى مجموعة من التحديات التي تواجه تحقيق الرؤية، والتي حاولنا التعرف على مدى اتفاق المبحوثين أو اختلافهم معها، وتمثلت أهم تلك التحديات كما يوضح جدول رقم (1) فيما يلي:

جدول (1) أهم التحديات التي تواجه تنفيذ الرؤية في التعليم الجامعي

م	أهم التحديات	أوافق	لا أوافق
1	عدم معرفة بعض الأكاديميين بالرؤية.	14	4
2	الاهتمام بشكل العملية التعليمية على حساب جودتها ومضمونها.	13	8
3	ضعف مستوى البحث العلمي.	12	6
4	انخفاض الرواتب مقارنة بباقي دول المنطقة مما لا يسمح باستقطاب الكفاءات.	12	6
5	ضعف مستوى الخريجين.	11	7
6	ضعف مستوى الرسائل الجامعية.	11	7
7	عدم تطوير المناهج التعليمية بما يحقق الرؤية.	11	7
8	عدم تضمين متطلبات الرؤية في المناهج التعليمية.	11	7
9	عدم اهتمام بعض الأكاديميين بالرؤية.	10	8
10	عدم كفاية أعداد أعضاء هيئة التدريس.	10	8
11	ضعف كفاءة بعض أعضاء هيئة التدريس.	10	8
12	ضعف المهارات الشخصية ومهارات التفكير الناقد لدى الطلاب.	10	8
13	بيئة العمل لا تؤدي إلى كفاءة العملية التعليمية.	10	8
14	عدم مراعاة المعايير الدولية في تصنيف الجامعات.	9	9
15	عدم مواءمة تخصصات الخريجين لمتطلبات سوق العمل.	9	9
16	ضعف مستوى المبتعثين.	8	10

أ- أتى في المرتبة الأولى التحديات الخاصة بالمعرفة بالرؤية من الأساس، وتحديد الهدف من العملية التعليمية، وتمثلت تلك التحديات في: "عدم معرفة بعض الأكاديميين بالرؤية، والاهتمام بشكل العملية التعليمية على حساب جودتها ومضمونها"، واتفق (14، 13) مبحوث حول صحة ذلك على التوالي، وحقيقة يمثل ذلك تحديا كبيرا إن لم يتم علاجه فكيف تنجح الرؤية إذا كان أحد أهم أطرافها لا يعلم بمضمونها، أو إذا كانت العملية التعليمية تهتم بالشكل على حساب المضمون الذي سينعكس بلا شك على مخرجات العملية التعليمية وجودتها.

ب- يأتي بعد ذلك التحديات المرتبطة بجودة البحث العلمي من ناحية، وجودة ظروف العمل من ناحية أخرى، وتمثل ذلك في: "ضعف مستوى البحث العلمي، وانخفاض الرواتب مقارنة بباقي دول المنطقة مما لا يسمح باستقطاب الكفاءات"، واتفق (12) مبحوثا حول صحة ذلك لكل متغير على حدة.

ج- يلي ذلك مجموعة من أهم التحديات التي تواجه الرؤية، وهي تلك المرتبطة بجودة مضمون العملية التعليمية ومخرجاتها، والمتمثلة في: "ضعف مستوى الخريجين، وضعف مستوى الرسائل الجامعية، وعدم تطوير المناهج التعليمية بما يحقق الرؤية، وعدم تضمين متطلبات الرؤية في المناهج التعليمية"، واتفق (11) مبحوثا حول صحة ذلك لكل متغير على حدة.

د- أتى بعد ذلك مجموعة التحديات الخاصة بأطراف العملية التعليمية وفي مقدمتها عضو هيئة التدريس سواء من حيث الاهتمام بالرؤية، أو من حيث الكفاية والكفأة، بالإضافة إلى مهارات الطلاب، وخصائص بيئة العمل، وتمثل ذلك في: "عدم اهتمام بعض الأكاديميين بالرؤية، وعدم كفاية أعداد أعضاء هيئة التدريس، وضعف كفاءة بعض أعضاء هيئة التدريس، وضعف المهارات الشخصية ومهارات التفكير الناقد لدى الطلاب، وبيئة العمل لا تؤدي إلى كفاءة العملية التعليمية"، واتفق (10) مبحوثين حول صحة كل متغير من هذه المتغيرات مقابل (8) مبحوثين لا يتفقون على صحة ذلك.

هـ- وأخيرا أتت التحديات الخاصة بالاهتمام بالتصنيف العالمي للجامعات، وكذلك مستوى الخريجين سواء من ناحية ملائمتهم لسوق العمل، أو للابتعاث الخارجي، وتمثل ذلك في "عدم مراعاة المعايير الدولية في تصنيف الجامعات، وعدم مواءمة تخصصات الخريجين لمتطلبات سوق العمل" واتفق نصف المبحوثين على صحة هذه المتغيرات، بينما اتفق أقل عدد وهو (8) مبحوثين على "ضعف مستوى المبتعثين" ويرجع ذلك إلى دقة عمليات الاختيار التي يخضع لها المبتعثون قبل ابتعاثهم في السنوات الأخيرة للحد من الأخطاء السابقة التي شابت عملية الابتعاث وترتب عليها في بعض الأحيان عودة هؤلاء المبتعثين بعد سنوات طويلة دون الحصول على درجات علمية.

2- أهم المقترحات التعليمية لتفعيل الرؤية

وبعد الوصول إلى مجموعة من المقترحات التعليمية بناء على المقابلات السابقة تم طرحها مرة أخرى على المبحوثين لرؤية مدى اتفاقهم أو اختلافهم حولها، وتمثلت أهم هذه المقترحات كما يوضح جدول رقم (2) فيما يلي:

جدول (2) أهم المقترحات التعليمية لتفعيل الرؤية

م	أهم المقترحات	أوافق	لا أوافق
1	ربط البرامج التعليمية للأقسام بمتطلبات سوق العمل وفقا للرؤية.	16	2
2	الاهتمام بجودة مخرجات التعليم الجامعي.	16	2
3	تطوير الهيكل التنظيمي وطرق إدارة الجامعات السعودية.	15	3
4	زيادة الرواتب لاستقطاب الكفاءات العلمية من الدول الأخرى.	15	3
5	الاهتمام بجودة البحث العلمي بالجامعات السعودية.	15	3
6	الاهتمام بمعايير الجودة والاعتماد الأكاديمي بشكل فعلي.	15	3
7	تحسين البيئة التعليمية المحفزة للإبداع والابتكار.	14	4
8	التأهيل والتدريب المستمر لأعضاء هيئة التدريس.	13	5
9	ضمان توافق أبحاث الدراسات العليا مع متطلبات الرؤية.	12	6
10	الاهتمام بمعايير تصنيف الجامعات عالميا.	12	6
11	الاعتماد على معايير الكفاءة وجودة الأداء في المناصب الإدارية العليا بالجامعات.	12	6
12	رفع مستوى التعليم العام لانعكاسه على مستوى تحصيل الطالب الجامعي.	10	8
13	الاهتمام بابتعاث الطلبة المتميزين وفق قواعد موضوعية دقيقة.	10	8

أ-أتى في مقدمة المقترحات التي تم الاتفاق حولها تلك التي ترتبط بسوق العمل، وهي من أهم أهداف الرؤية التي تسعى إلى تحقيقها، وتمثل ذلك في: "ربط البرامج التعليمية للأقسام بمتطلبات سوق العمل وفقا للرؤية، والاهتمام بجودة مخرجات التعليم الجامعي"، واتفق حولها (16) مبحوثا لكل متغير على حدة.

ب-يأتي بعد ذلك المقترحات الخاصة بتطوير الهيكل التنظيمي وأسلوب إدارة الجامعات بحيث ينتقل من الاهتمام بدورة العملية التعليمية إلى الاهتمام بجودتها، وتمثل ذلك في: "تطوير الهيكل التنظيمي وطرق إدارة الجامعات السعودية، وزيادة الرواتب لاستقطاب الكفاءات العلمية من الدول الأخرى، والاهتمام بجودة البحث العلمي بالجامعات السعودية، والاهتمام بتحقيق معايير الجودة والاعتماد الأكاديمي بشكل فعلي" واتفق (15) مبحوثا حول كل عبارة على حدة.

ج- يلي ذلك المقترحات الخاصة بتحسين الظروف المحيطة بالعملية التعليمية، سواء كانت خاصة بالبيئة التعليمية، أو بأعضاء هيئة التدريس، والمتمثلة في "تحسين البيئة التعليمية المحفزة للإبداع

والابتكار، والتأهيل والتدريب المستمر لأعضاء هيئة التدريس"، واتفق (14، 13) مبحوثا حول كل متغير على التوالي.

د- أتى بعد ذلك المقترحات الخاصة بالمعايير التي تساعد على ربط التعليم الجامعي بأهداف الرؤية ومنها رفع تصنيف الجامعات السعودية من خلال الاعتماد على معايير الكفأة والجودة، وتمثل ذلك في: " ضمان توافق أبحاث الدراسات العليا مع متطلبات الرؤية، والاهتمام بمعايير تصنيف الجامعات عالميا، والاعتماد على معايير الكفاءة وجودة الأداء في المناصب الإدارية العليا بالجامعات" واتفق (12) مبحوثا حول كل متغير على حدة.

هـ- وأخيرا أتت المقترحات الخاصة بالطالب سواء في مرحلة إعداده قبل الجامعة، أو في مرحلة تهيئته ليكون عضو هيئة تدريس يمكن أن تعتمد عليه المملكة مستقبلا في تحقيق الرؤية، وتمثل ذلك في: " رفع مستوى التعليم العام لانعكاسه على مستوى تحصيل الطالب الجامعي، والاهتمام بابتعاث الطلبة المتميزين وفق قواعد موضوعية دقيقة"، واتفق (10) مبحوثين حول كل متغير على حدة.

خاتمة بأهم التوصيات

تشير النتائج إلى أن الرؤية مازالت بحاجة إلى طرق ووسائل وآليات تلزم أطراف العملية التعليمية بالاهتمام بها وتحقيقها، كما أن الأقسام العلمية بحاجة إلى تحديث برامجها ومناهجها لتحقيق الرؤية في مختلف المجالات والتخصصات لمواكبة متطلبات الرؤية، وتوفير أسباب النجاح لها، وقد خرجنا بمجموعة من التوصيات نجملها فيما يلي:

-تحتاج التوعية بالرؤية وتحقيقها فيما يتعلق بالتعليم الجامعي إلى إنشاء كيان مؤسسي واضح ومحدد المهام، يضم العديد من الجهات المعنية التي يجب أن توفر المعلومات الصحيحة حول الرؤية، والتعريف بها، وآليات تنفيذها، وتحقيق المواءمة بين متطلبات المجتمع وسوق العمل ومخرجات النظام التعليمي، لرفع نسب توطين الوظائف، وتلبية احتياجات القطاعات المختلفة مستقبليا.

-ضرورة وضع المتطلبات التعليمية التي نصت عليها الرؤية صراحة في مقدمة آولويات السياسة التعليمية، على أن يتولى المتخصصون في أمور التعليم وضع هذه السياسات، ومتابعة تطبيقها في التعليم الجامعي، ومراجعتها وتقويمها بإستمرار، للتأكد من مدى تحقيق الرؤية.

-تشجيع البحوث العلمية المرتبطة بالرؤية وتحقيقها في مختلف المجالات، وضرورة الاهتمام بدعم البحث العلمي في مختلف التخصصات لما له من مردود على تحقيق الرؤية فيما يتعلق بنمو الاقتصاد وتنافسيته، وعلى وضع الجامعات السعودية في التصنيف العالمي.

-الاهتمام برفع كفاءة المنظومة التعليمية وبيئة العمل في بعض الجامعات الناشئة من خلال الاستفادة من تجارب الجامعات المتميزة سواء داخل المملكة أو خارجها.

-ضرورة رفع قدرات ومهارات أعضاء هيئة التدريس فعليا، ورفع قيمة الرواتب لجذب أصحاب الكفاءات، ومساعدتهم على التفرغ للعمل الأكاديمي.

-ضرورة تركيز الجامعات على تنمية المهارات الأساسية التي يحتاج إليها سوق العمل بالنسبة للخريجين، وهو ما يتطلب تحولاً في سياسات الجامعات من إكساب المعارف إلى تنمية المهارات لتحقيق الإعتماد على الكوادر البشرية الوطنية المؤهلة بمختلف تخصصاتها.

قائمة المراجع:

1. أرابيان بيزينس (2015)، 30% من أساتذة الجامعات الحكومية بالسعودية أجانب، 2015/7/21، شوهد في 2019/7/24، في:

https://bit.ly/2YjTKZd

2. سماء شطيبي (2014)، مفهوم إدارة المعرفة، مجلة القانون المغربي، العدد 24، المغرب.
3. برجس حمود البرجس (2014)، 23 ألف عضو هيئة تدريس "أجنبي" في الجامعات الحكومية بالسعودية، 2014/6/1، شوهد في 2019/7/24، في:

https://bit.ly/3epzJ9e

4. رشدي راشد (2008)، الوطن العربي وتوطين العلم، مجلة المستقبل العربي، العدد 354، بيروت، لبنان.
5. سعود المصيبيح، الجامعات والتصنيف العالمي، جريدة الرياض، 2019/6/20، شوهد في 2019/8/2، في:

https://bit.ly/2L9lkkl

6. سعيد الصديقي (2016)، التصنيف الأكاديمي الدولي للجامعات العربية – الواقع والتحديات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.
7. عبد الإله ساعاتي، دور الجامعات في تحقيق أهداف رؤية المملكة 2030، الجزيرة، 2016/12/21، شوهد في 2019/7/24، في:

https://bit.ly/2F69ylB

8. عبد الجواد بكر (2003)، السياسات التعليمية وصنع القرار، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر.
9. عبدالله محمد الزهراني، طموح التعليم في رؤية المملكة العربية السعودية 2030، منهل، 2018/1/18، شوهد في 2019/7/24، في:

https://bit.ly/2ZkWxUg

10. العربية نت، التعليم العالي ورؤية المملكة2030، 2016/10/21، شوهد في 2019/7/24، في:

https://bit.ly/2VKbQQB

11. علاء المنشاوي، النص الكامل لـ"الرؤية السعودية" 2030 - اقتصاد مزدهر، مجتمع حيوي، ووطن طموح، العربية نت، 2016/4/25، شوهد في 2019/7/24، في:

https://bit.ly/323QZuj

12. مركز هردو لدعم التعبير الرقمي. (2018)، تقرير السياسات التعليمية في مصر، القاهرة: شوهد في 2019/8/2، في:
https://bit.ly/2U9eoYp
13. مدونة أعضاء هيئة التدريس المصريون بالسعودية، شوهد في 2019/7/24، في:
https://bit.ly/2U5FWhs
14. منار محمد إسماعيل بغدادي (2015)، تقويم سياسات التعليم قبل الجامعي في مصر، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، ع 30، مصر.
15. الموقع الرسمي لرؤية 2030، المملكة العربية السعودية 2030، شوهد في 2019/4/24، في:
https://bit.ly/2LfCvkf
16. الموقع الرسمي لوزارة التعليم، شوهد في 2019/7/24، في:
https://bit.ly/2ZwYQ5S
17. وفاء عون، جواهر البيز، حسناء العتيبي. (2018). واقع التخطيط الاستراتيجي بجامعة الأميرة نورة وعلاقته بتحقيق أهداف رؤية المملكة (2030) – دراسة ميدانية. مجلة البحث العلمي في التربية. ع 19، جامعة عين شمس، مصر.
18. (30) توصية تخص دور الجامعات في تفعيل رؤية 2030، صحيفة المواطن الإليكترونية، 2017/1/28، شوهد في 2019/7/24، في:
https://bit.ly/2ZwBbym

أساليب التنشئة الاجتماعية مع طالبات جامعتي القاهرة بمصر والحسن الثاني بالمغرب دراسة ميدانية مقارنة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية

أ.أسماء أحمد عبد الله يوسف

حاصلة على ماجستير الدراسات الإفريقية من كلية الدراسات الإفريقية جامعة القاهرة – مصر

ملخص: هدفت هذه الدراسة إلى توضيح أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة مع الإناث، وانطلقت من إشكالية مؤداها: ما أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة مع الطالبات في مصر والمغرب، ولتحقيق أهداف الدراسة تم تطبيق المنهج السوسيولوجي والمقارن على طالبات جامعة القاهرة بمصر وجامعة الحسن الثاني بالمغرب، واعتمدت الدراسة على كلًا من المنهج الوصفي والمنهج الإحصائي، مستخدمة الاستبيان كأداة أساسية لجمع البيانات الأولية، وتم تطبيقها على عينة عشوائية من الطالبات قوامها 100 مفردة، 50 طالبة مصرية، و50 طالبة مغربية، وقامت الدراسة على خمسة فرضيات وقبلت جميعها. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج نلخصها فيما يلي:

- تنتشر أساليب التنشئة الاجتماعية السوية أكثر من الأساليب غير السوية مع الإناث في مجتمعي الدراسة.

- أساليب التنشئة الاجتماعية السوية الأكثر شيوعًا في مجتمعي الدراسة هم (التقبل، والتسامح، والاهتمام، والمساواة، والتشجيع، والثواب الاجتماعي، والعقاب التربوي).

- يشيع أسلوب التذبذب كنموذج للأساليب غير السوية مع إناث مجتمعي الدراسة.

الكلمات المفتاحية: أساليب التنشئة الاجتماعية، المرأة، جامعة القاهرة، جامعة الحسن الثاني.

Socialization methods with female students of Cairo University in Egypt and Hassan II University in Morocco

A comparative field study in social anthropology.

Researcher. Asmaa Ahmed Abdullah Youssef

Holds a master's degree from Faculty of African Studies, Cairo University - Egypt

Abstract: This study aimed to clarify the methods of socialization followed with females, and it started from a problem that led to: What are the methods of socialization followed with female students in Egypt and Morocco, and to achieve the objectives of the study, the sociological and comparative approach was applied to the students of Cairo University in Egypt and Hassan II University in Morocco, and the study relied on both From the descriptive approach and the statistical approach, the questionnaire was used as a basic tool for collecting primary data and it was applied to a random sample of 100 female students, 50 Egyptian students, and 50 Moroccan students, and the study was based on five hypotheses and all of them were accepted.

The study reached a number of results, which we summarize as follows:

-Normal socialization methods are more prevalent than abnormal methods with females in the two study communities.

-The most common methods of normal socialization in the two societies of the study are (acceptance, tolerance, attention, equality, encouragement, social reward, and educational punishment).

-The oscillation method is common as a model for abnormal methods with the females of the study population.

Keywords: socialization, women, Cairo University, Hassan II University.

01- مقدمة الدراسة وإشكاليتها.

انشغل علماء الأنثروبولوجيا على المستويين المحلي والدولي بدراسات التنمية، نظرًا للتغيرات الإقليمية والعالمية السريعة والمتلاحقة التي ينعكس صداها على المجتمع الإفريقي، ولقد اهتموا بدراسة أوضاع المرأة وتنميتها بوصفها العمود الفقري للأسرة والتي تشكل أساس بناء المجتمع، فوضع المرأة في أي مجتمع يكشف عن وضعه على متصل الحضارة، وبالتالي يُعد النجاح في تنمية وضع المرأة بمثابة الخطوة الأولى لتنمية المجتمع، ولعل المتابع لقضايا المرأة يرى أن أوضاعها وطرق التعامل معها مازالت بحاجة لمزيد من الدراسة والبحث لتطوير وإبراز أدوارها المجتمعية.

وترى الباحثة أن دراسة موضوع أساليب التنشئة الاجتماعية مع الإناث يُعد مدخلًا مناسبًا للوقوف على ثقافة مجتمعي الدراسة نحو قضايا المرأة وأدوارها، وذلك لما لها من دور أساسي في تشكيل الهوية الذاتية لديها، وتكوين اتجاهاتها، وما ينعكس على سلوكياتها وقراراتها إذا ما كانت إيجابية أو سلبية.

ومن الجدير بالذكر أن عملية التنشئة الاجتماعية تُعد بمثابة المتحكم الأول في تكوين الصورة الذاتية للمرأة، حيث يتم من خلالها تحويل المرأة من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي يمارس عاداته وتقاليده والسمات الثقافية لمجتمعه، فهي أول ما تتلقاه المرأة وتعمل على تكوين أفكارها ومعتقداتها وسلوكياتها.

لذا وقع اختيار الباحثة على دراسة ذلك الموضوع من خلال معالجته بإلقاء الضوء على أساليب التنشئة الاجتماعية التي تعرضت لها الإناث في مجتمعي الدراسة، فتلك الأساليب يتم الاعتماد عليها من قبل مؤسسات التنشئة الاجتماعية حتى تقوم بالوظائف المنوطة بها، وفى ضوء ما تقدم يمكن تحديد إشكالية الدراسة في تساؤل مؤداه: ما أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة مع طالبات جامعتي القاهرة بمصر والحسن الثاني بالمغرب؟

02- أهمية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع:

تنبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع، حيث أنها تلقي الضوء على على الأساليب المستخدمة في عملية التنشئة الاجتماعية المسئولة عن تشكيل توجهات المرأة، وذلك في محاولة لتحديد نقاط القوة لتعزيزها، وتحديد نقاط الضعف للعمل على تعديلها وتقويمها، وتفاديها مع تنشئة الأجيال القادمة، اكتسبت هذه الدراسة أهميتها العلمية من أنها تعتبر محاولة لتقديم معلومات تفيد في تحسين وتطوير وضع المرأة من خلال استخدام منهج علمي يثري المعرفة العلمية ، كما أنها ستفتح أفاقًا جديدة للمهتمين والباحثين في مجال التنشئة الاجتماعية والتنمية ودراسات المرأة عبر الاستفادة من نتائج وتوصيات هذه الدراسة. كما اكتسبت هذه الدراسة أهميتها التطبيقي من خلال الإسهام في رصد صورة متكاملة الأبعاد عن أساليب التعامل مع المرأة، الأمر الذي قد يسهم في وضع برنامج وخطط تنموية تنطلق على أسس موضوعية وفقًا لمدخل معرفي سليم بثقافة المجتمع، مما يساهم في تسهيل تطبيقه والمساعدة على نجاحه، وما ينتج عنه بالضرورة تماسك واستقرار المجتمع بأكمله.

أسباب اختيار موضوع الدراسة: يعد الدافع الذاتي المتجسد في رغبة الباحثة في التعرف على أساليب التنشئة الاجتماعية مع الإناث في مجتمعي الدراسة، وذلك نظرًا لعملها في مجال الإرشاد الأسري والتربوي واحتكاكها بثقافة أفراد المجتمع المتباينة.

03- مفاهيم الدراسة:

تشكل المفاهيم ركنًا أساسيًا في تحديد مشكلة الدراسة، ولذلك فإن الباحث عندما يتجه لتحديد المفهومات فإنه يبلور مشكلة البحث على نحو دقيق يسهم في توضيح الرؤية والمنهج الذي يتبعه في الدراسة، وقد اعتمدت هذه الدراسة على مفهوم **التنشئة الاجتماعية** وتعرفها "شارلوت سيمور" في موسوعة علم الإنسان (قاموس الأنثروبولوجيا) بأنها "عملية تعلم الفرد لكي يصبح عضوًا في المجتمع، من خلال التعليم الرسمي أو الغير رسمي عبر الأدوار الاجتماعية، وتؤكد

على أنها ليست عملية قاصرة فقط على مرحلة الطفولة، ولكنها تستمر على امتداد حياة الفرد البالغ، حيث يتعلم الفرد الأدوار والاستراتيجيات الجديدة تبعًا لتغيير أوضاعه وظروفه في المجتمع". (شارلوت سيمور سميث، 2009، ص 235).
ويعرفها "جوردون مارشال" في موسوعة علم الاجتماع بأنها "العملية التي من خلالها نتعلم كيف نصبح أعضاء في المجتمع من خلال إستدماج معايير وقيم المجتمع من ناحية، أو تعلم كيفية أداء أدوارنا الاجتماعية (دور العامل، دور الصديق، ... الخ) من ناحية أخرى، ويؤكد على انه لم يعد يتم النظر إلى التنشئة الاجتماعية باعتبارها الحافظ لمرحلة الطفولة وتتم من خلال الأسرة والمدرسة، ولكن أصبح من الأمور المسلم بها الآن أن التنشئة عملية مستمرة مدى الحياة، بحيث أنها ليست مجرد عملية ذات خط واحد يتعلم من خلالها الفرد كيف يتكيف مع المجتمع، فالناس يعيدون تحديد أدوارهم وواجباتهم الاجتماعية. (جوردن مارشال، 2007، حرف التاء).
وتعرف الباحثة التنشئة الاجتماعية إجرائيًا بأنها "عملية إكساب الفرد العادات والتقاليد الجماعية واللغة السائدة وعناصر الثقافة التي يحيا في مضمارها، وكيفية توظيفها في التعامل مع المرأة في مجتمعه، كما تمتد لتشتمل كل ما يحدث للفرد حتى يتوافق بسلوكه مع معايير الجماعة التي ينضم لها ولأسلوب حياتها تجاه المرأة، مما يساعده فيما بعد على أداء واجبه تجاه الأسرة والمجتمع بكفاءة، وتتم عملية التنشئة الاجتماعية عن طريق وسائط التنشئة من الطفولة إلى مرحلة الشيخوخة والتي تتشكل في الأسرة والمدرسة والإعلام وغيرها باستخدام أساليب مباشرة أو غير مباشرة".
04- أهداف الدراسة وتساؤلاتها: يتحدد الهدف الرئيسي للدراسة في إلقاء الضوء على أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة مع طالبات جامعتي القاهرة بمصر والحسن الثاني بالمغرب.
وفي ضوء هذا الهدف الرئيسي تنبثق عدة تساؤلات تسعى الدراسة للإجابة عنها فيما يلي:
1- ما مدى استخدام أسلوب التقبل في مقابل الرفض؟
2- ما مدى استخدام أسلوب الاتساق في مقابل التذبذب؟
3- ما مدى استخدام أسلوب التسامح في مقابل التسلط؟
4- ما مدى استخدام أسلوب الاهتمام في مقابل التدليل والإهمال؟
5- ما مدى استخدام أسلوب المساواة في مقابل التفرقة؟
6- ما مدى استخدام أسلوب التشجيع في مقابل التثبيت؟
7- ما مدى استخدام أسلوب الثواب في مقابل العقاب؟
05- نوع الدراسة ومجالاتها: يُعد هذا البحث من البحوث الكمية التي تهدف إلى رصد أساليب التنشئة الاجتماعية المستخدمة مع المرأة في مصر والمغرب، ولكل دراسة مجالها الخاص بها حسب المشكلة المدروسة، وتفرض المشكلة على الباحث أن يحدد مجالًا خاصًا بها يخدم الأهداف البحثية للدراسة، وتتمثل مجالات الدراسة الحالية فيما يلي:
المجال الزمنى: ينقسم المجال الزمني للدراسة إلى المرحلة الأولى والمتمثلة في الإعداد النظري، من حيث تجميع المادة العلمية النظرية وكتاباتها، وتشمل المرحلة الثانية التطبيق الميداني للدراسة، فقد استغرقت الدراسة الميدانية في مصر حوالي ستة أشهر، وكانت مدة الدراسة

الميدانية بالمغرب 20 يوم في الفترة من 14/ 7/ 2019 إلى 3/ 8/ 2019، ثم أعقبها عرض وتحليل وتفسير للمادة الميدانية المجمعة وما أسفرت عنه من نتائج.

المجال الجغرافي: طبقت الباحثة الدراسة ميدانيًا في جامعتي القاهرة بمصر والحسن الثاني بالمغرب، على كليات (الآداب والعلوم الإنسانية والاقتصاد والعلوم السياسية وطب الأسنان والحقوق والعلوم وتجارة بشعبتيها العربية والإنجليزية ودار العلوم).

المجال البشرى: طُبقت الاستبيان على عينة قوامها 50 طالبة في جامعة القاهرة بمصر، و50 طالبة في جامعة الحسن الثاني بالمغرب، بإجمالي 100 طالبة.

شروط اختيار عينة الدراسة: تم مراعاة معياري العمر والمستوى التعليمي بمجتمعي الدراسة، فكل مفردات عينة الدراسة مقيدين بالمرحلة الجامعية من فئة الشباب وتقع أعمارهم بين 18 :25 عام تقريبًا، وقد تم تحديد هذه الشريحة العمرية لأنها تعد مرحلة استقلالية، وفيها تتبلور الأفكار الذاتية عن المرأة، ونظرًا لوقوعها في جيل عمري واحد ييسر على الباحثة الخروج بمفاهيم متقاربة وأكثر دقة، كما إنه من خلال هذه الفئة يمكن التنبؤ بما قد يطرأ من تغييرات في أساليب التنشئة الاجتماعية مع أبناء الأجيال المستقبلية باعتبار أن هذه الفئة من سيلقى على عاتقها تكوين الصورة الذهنية عن المرأة وما تتضمنه من قيم وسلوكيات للأجيال القادمة.

خصائص عينة الدراسة:

السن	الجنسية		النسبة %
	مصرية	مغربية	
18 – 21	23	15	38
22 – 25	27	35	62
المجموع	50	50	100

جدول رقم (1) يوضح توزيع مفردات العينة من حيث السن والجنسية وفقًا لبيانات عينة الدراسة

تراوحت أعمار عينة الدراسة من (18: 25) عامًا، وجاءت الفئة العمرية من (18 :21) بنسبة 38%، بينما جاءت المرحلة العمرية من (22: 25) بنسبة 62%، وتزيد النسبة في الفئة العمرية الثانية نظرًا لظروف سفر الباحثة في فترة العطلة الصيفية وفقًا لإجراءات الحصول على تأشيرة السفر، فطبقت الدراسة الميدانية على الكثير من طالبات الفرق الأخيرة بالكليات أثناء حفلات التخرج الخاصة بهم.

الحالة الاجتماعية للأسرة الوالدية	العينة المصرية	العينة المغربية	النسبة %
متزوج	38	36	74
منفصل	5	3	8
أرمل	7	11	18
المجموع	50	50	100

جدول رقم (2) يوضح الحالة الاجتماعية لأسر عينة الدراسة وفقًا لبيانات عينة الدراسة

يتضح لنا من الجدول السابق أن النسبة الأعلى للحالة الاجتماعية متزوج في مفردات عينة مجتمعي الدراسة ولعل هذا يساعدنا في نقل الصورة للأسرة الوالدية كما هي نظرًا لوجود الأم والأب بالأسرة.

نوع التعليم	العينة المصرية	العينة المغربية	النسبة %
حكومي	44	40	84
خاص	6	6	12
دولي	0	4	4
المجموع	50	50	100

جدول رقم (3) يوضح توزيع مفردات العينة من حيث نوع التعليم والجنسية وفقًا لبيانات عينة الدراسة

ويتضح لنا من الجداول رقم 3 أن 84% من مفردات العينة تعليم حكومي، وبنسب متقاربة بين المجتمعين.

طبيعة العمل	الآباء المصرية	الآباء المغربية	النسبة %
متقاعد على المعاش	4	11	15
موظف أو صاحب عمل	36	24	60
أعمال حرفية أو خدمية	10	12	22
بدون عمل	0	3	3
الإجمالي	50	50	100

جدول رقم (4) يوضح طبيعة عمل الآباء في مصر والمغرب وفقًا لبيانات عينة الدراسة

طبيعة العمل	الأمهات المصرية	الأمهات المغربية	النسبة %
متقاعد على المعاش	0	2	2
موظف أو صاحب عمل	8	6	14
أعمال حرفية أو خدمية	3	1	4
بدون عمل	39	41	80
الإجمالي	50	50	100

جدول رقم (5) يوضح طبيعة عمل أمهات عينة الدراسة بناءً على بيانات عينة الدراسة

الدخل بالجنيه المصري	المصرية	المغربية	النسبة %
X < 1000	16	25	41
2500 : 1000	27	10	37
X > 2500	7	15	22
المجموع	50	50	100

جدول رقم (6) يوضح توزيع مفردات العينة من حيث متوسط دخل الفرد الشهري والجنسية وفقًا لبيانات العينة

ومن خلال الجداول السابقة ومؤشراتها للتعليم وتعليم الآباء والأمهات ومتوسط دخل الفرد في الشهر يمكننا تصنيف البعد الطبقي لمفردات عينة الدراسة بأنهم من أبناء الطبقة المتوسطة الشعبية في كلًا من مصر والمغرب، وذلك ما يمدنا ببيانات إمبيريقية أكثر واقعية عن المرأة.

06- منهج الدراسة: يعد منهج الدراسة بمثابة الطريق الذي يسلكه الباحث لتحقيق أهداف دراسته والإجابة على تساؤلاته وفي ضوء ذلك تم الاعتماد على المنهج الوصفي الذي يقوم بتحديد الظاهرة الراهنة ووصفها وصفًا دقيقًا ثم الوصول إلى التفسير المناسب لتلك الظاهرة، ويقدم معلومات عن الظاهرة كما هي في الواقع، واستخدام المنهج الإحصائي بتطبيق برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية spss لتحليل البيانات، بالإضافة إلى استخدام المنهج المقارن من المستوى الأفقي (الجغرافي) حيث قامت الباحثة بدراسة الظاهرة محل الدراسة في المجتمع المصري وقارنته بنظيره في المجتمع المغربي.

07- أدوات جمع البيانات:

الملاحظة بالمشاركة: تعتبر الملاحظة بأنواعها من أهم الأدوات التي يمكن من خلالها فهم موضوع الدراسة من خلال طريقة أداء المبحوثين، كنبرة الصوت وطريقة الإيماءات، وحركات الجسد التوضيحية، وغيرها، كما قامت الباحثة بأعمال تقوم بها الجماعة المدروسة، وذلك تقرّبًا منها وكسبًا لودها، والدخول بالتالي إلى أدقّ التفاصيل في ممارسات أفراد هذه الجماعة، الخاصة والعامة، حيث مارست الباحثة بعض الأعمال مثل طبيخ الأكلات المغربية وتناول الطعام مع بعض الأسر، والتنزه مع بعض أفراد العينة إلى المزارات السياحية بالمغرب، واستخدام وسائل المواصلات كالترامواي، وغيرها من العادات والممارسات اليومية.

وما سبق ساعد الباحثة باستبصارات لازمة عن معلومات مجتمع الدراسة، ومن خلال هذه المعايشة الحية للمجتمع المدروس، والمشاركة الفاعلة في أنشطته، اكتسبت الباحثة مهارة في أداء بعض هذه الأعمال، وقدرة على كتابة تجربتها الشخصية فيها وممارستها لها، وهذا ما أدى في النهاية إلى تصوير واقع الشعب المدروس، بتفصيلات تتسم بالشمولية والدقة.

الاستبيان: يعد من وسائل جمع بيانات البحث الوصفي ومن أوسع الأدوات انتشارًا وسهول تطبيقه.

تصميم الاستبيان: قامت الباحثة بمراجعة مقاييس أساليب المعاملة الوالدية من بعض رسائل الماجستير والدكتوراه في علم النفس للاستعانة بهم في تصميم أسئلة الاستبيان وهم (مقياس المعاملة الوالدية لطلاب المدارس الثانوية والجامعات للدكتور أنور رياض عبد الحليم والدكتور عبد العزيز عبد القادر 1991، مقياس أساليب التنشئة الاجتماعية كما يدركها طفل ما قبل المدرسة لنجلاء الزهار 2011، مقياس الثواب والعقاب في الأسرة ورياض الأطفال وتأثيرهما في التفاعل الاجتماعي للأطفال لنجاح قيصر 2015، مقياس أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها باضطراب المسلك لبشرى أبو ليلة 2002)، ثم قامت الباحثة بتصميم استبيان

يستهدف التعرف على سبع محاور من أساليب التنشئة الاجتماعية الأكثر شيوعًا في مجتمعي الدراسة مع الإناث داخل أسرهم تخدم أهداف الدراسة.

الإيميل ووسائل التواصل الاجتماعي (فيس بوك وواتس أب): تم التواصل مع بعض المبحوثين بعد الزيارة الميدانية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي للمساعدة في ترجمة بعض الكلمات والألفاظ من المغربية الدارجة والفرنسية إلى العربية.

08- الدراسات السابقة

يعتبر عرض الدراسات السابقة في أي دراسة من الخطوات المنهجية الهامة، لأنها تساعد الباحث في التعلم من أعمال الآخرين، وكيفية تصميم الأدوات والمناهج في البحث العلمي، وأيضًا التعرف على الصعوبات والأخطاء التي واجهت الباحثين لكي يتجنبها، وما أهم النتائج التي توصل إليها العلم للاستعانة بها في تفسير ومقارنة نتائج دراسته. فالاهتمام بما توصل إليه الآخرون من معلومات ونتائج، أول خطوات الباحث العملية، وذلك من منطلق أن الدراسات العلمية لا تنطلق من فراغ، بل من حيث ما انتهت إليه الدراسات والبحوث السابقة.

دراسة: الحسين عزي (2014)، بعنوان: "الأسرة ودورها في تنمية القيم الاجتماعية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة: دراسة ميدانية لعينة من تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي بمدينة بوسعادة". وهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى فاعلية دور الأسر في التنشئة والرعاية وتنمية القيم الاجتماعية لدى الطفل وبخاصة قيم التعاون والعفو والأمانة، كما هدفت للتعرف على مجموعة الطرائق التربوية العملية في تنشئة الأطفال. وجاءت الفرضية العامة للدراسة تفيد بأن للأسرة دور في رعاية وتنشئة الطفل وتنمية القيم الاجتماعية (التعاون والعفو والأمانة) لديه في مرحلة الطفولة المتأخرة، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وعلى استمارة الاستبيان لجمع البيانات. وجاءت عينة الدراسة قوامها 273 تلميذ وتلميذة من أطفال مرحلة الطفولة المتأخرة الذين تتراوح أعمارهم من 9 إلى 12 عام، تشكل 10 % من مجموع تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مدارس مدينة بوسعادة وولاية المسلية. وتم اختيارها بطريقة عشوائية.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

-للتنشئة الأسرية دور في تنمية القيم الاجتماعية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة.

-تحديد الطرائق التطبيقية للأسرة في تنمية القيم الاجتماعية عبر مراحلها التي أقرها الباحث في خطوات التوعية ثم الفهم ثم التطبيق وأخيرًا التعزيز.

-أساليب تنمية القيم الاجتماعية والتي تحددت في تقوية الإيمان بالله عز وجل، وجود البيئة الأسرية السليمة، تماسك المجتمع وترابطه، تنمية روح الأخوة الدينية والترابط المجتمعي، العمل الجماعي ونبذ الفردية، القدوة الحسنة، الوعظ والإرشاد، أسلوب القصة، الترغيب والترهيب، تشجيع صداقة الأخيار.

دراسة: ضيف الله سليمان العطوى (2006)، بعنوان: "أثر نمط التنشئة الأسرية في تقدير الذات لدى طلبة المرحلة الثانوية في تبوك"، وهدفت الدراسة إلى التعرف على أثر التنشئة الأسرية في تقدير الذات لدى طلبة المرحلة الثانوية، والتأكد من وجود تفاعل بين التنشئة الأسرية والنوع

الاجتماعي على تقدير الذات عند الطلبة. وجاءت فروض الدراسة: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) للنمط تنشئة الأب (متسلط، ديمقراطي، مهمل) في تقدير الذات لدى طلبة المرحلة الثانوية في مدينة تبوك، ولا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنمط تنشئة الأم (متسلط، ديمقراطي، مهمل) في تقدير الذات لدى طلبة المرحلة الثانوية في مدينة تبوك، ولا توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في نمط تنشئة الأب تعزى للنوع الاجتماعي، ولا توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في نمط تنشئة الأم تعزى للنوع الاجتماعي، ولا توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة تقدير الذات تعزى للنوع الاجتماعي في المرحلة الثانوية في مدينة تبوك، واعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي الارتباطي، وعلى مقياس التنشئة الاجتماعية ومقياس تقدير الذات لجمع البيانات. وجاءت عينة الدراسة قوامها 660 مفردة، مقسمة إلى 300 طالب و360 طالبة. وتم اختيارها بالطريقة العشوائية.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

-التأكيد على أن نمط تنشئة الأب والأم المتسم بالتسلط أو الإهمال يؤثر بانخفاض تقدير الذات للطالب لنفسه بسبب التدخل في شئونه وتوجيهه بصورة مفرطة وإيقاع العقوبات عليه أو معاملته بالإهمال.

-نمط التنشئة الذي تستخدمه الأم المتسلطة أو المهملة قد دخل في معادلة الانتحار للأبناء.

-عدم تأثير نمط التنشئة الديموقراطية للأم في تقدير الذات للأبناء، ويفسر ذلك بعدم مقدرة الأم على ممارسة النمط الديمقراطي على أولادها ذكورًا أو إناثًا انسجامًا مع تصرفات الأب وسيطرته على الأسرة بشكل كامل.

-الأم والأب الديمقراطيين والمهملين يستخدموا نفس أساليب التنشئة على كل من الذكور والإناث، ولكن التأثير الأقوى والأشد كان لصالح الذكور فالإناث يتقبلن النصيحة والإرشاد.

دراسة كميل إينيز هاربر Camille Inez harper (2000)، بعنوان "الفرص وتنشئة الطفل: العلاقة بين تصورات المجتمع وأهداف واتجاهات التنشئة الاجتماعية لدى الوالدين الأمريكيين من ذوي الأصل الأفريقي" وهدفت الدراسة إلى التعرف على أساليب التنشئة الاجتماعية التي يقوم بها الأمريكيون من أصل إفريقي تجاه أطفالهم، ومدى ارتباط الخلفيات الثقافية والاجتماعية بهذه الأساليب، واختبار مدى تأثير تجارب الآباء مع العنصرية على عملية التنشئة الاجتماعية. وأجريت الدراسة على عينه قوامها 82 مفردة 72 منهم أمهات، و10 منهم أباء. وطبق دليل المقابلة في جمع البيانات.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

-هناك علاقة بين الخلفية الثقافية والاجتماعية وأسلوب التنشئة الاجتماعية المتبع مع الأطفال فنجد مثلا وجود علاقة طردية بين ارتفاع المستوى التعليمي للوالدين وبين اتباع أسلوب التسامح والتقبل كأحد أساليب التنشئة الاجتماعية لأبنائهم.

-هناك علاقة ما بين التجارب العنصرية للوالدين وبين استخدام أسلوب المساواة مع أبنائهم.

التعقيب وأوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:

-التعرف على أساليب التنشئة الاجتماعية في مختلف مجتمعات الدراسة.

-التعرض لمناهج البحث وأساليب جمع البيانات.

-اكتساب خبره ميدانية فيما يتعلق باختيار عينة الدراسة وإجراءاتها الميدانية.

-التعرض للعديد من المفاهيم النظرية والإجرائية الذي ساعد في صياغة المفهوم الإجرائي للدراسة الراهنة.

-أفادت الدراسات السابقة في التعرف على الأدبيات النظرية المفسرة لعملية التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها ودورها في المجتمع.

-أفاد التراث النظري في تصميم أدوات جمع البيانات للدراسة الراهنة.

-تعد نتائج الأدبيات النظرية في مجال الدراسة بمثابة انطلاقة فكرية للدراسة الراهنة تسعى إلى تحقيقها وسبر أغوارها.

09- مجتمعات الدراسة:

مجتمع تطبيق الدراسة: جامعة القاهرة بمصر.

تأسست كلياتها المختلفة في عهد محمد علي، كالمهندس خانة حوالي عام 1820م والمدرسة الطبية عام 1827م، ثم ما لبثت أن أغلقت في عهد الخديوي محمد سعيد حوالي عام 1850م، بعد حملة مطالبة شعبية واسعة لإنشاء جامعة حديثة بقيادة مصطفى كامل وغيره، تأسست هذه الجامعة في 21 ديسمبر 1908م، تحت اسم الجامعة المصرية، على الرغم من معارضة سلطة الاحتلال الإنجليزي. أعيد تسميتها لاحقًا فعرفت بإسم جامعة فؤاد الأول ثم جامعة القاهرة بعد ثورة 23 يوليو 1952م، وتضم عددًا كبيرًا من الكليات الجامعية، وتقع الجامعة في مدينة الجيزة غربي القاهرة، وبعض كلياتها تقع في أحياء المنيل والمنيرة والدقي مثل كليات الطب البشرى وطب الأسنان والصيدلة والعلاج الطبيعي، عدد خرجيها الحائزين على جائزة نوبل هم 3 وتم تصنيفها عالميًا عام 2004م ضمن قائمة أكبر 500 جامعة على مستوي العالم ويتخرج منها سنويًا ما يزيد على 155 ألف طالب، ووفقًا لموقع جامعة القاهرة فقد حققت جامعة القاهرة قفزة كبيرة بالتصنيف الهولندي "ليدن" لعام 2020، لأفضل جامعات العالم، وذلك باحتلالها المركز الـ 308 عالميًا والأول أفريقيًا لأول مرة، ومتصدرة الجامعات المصرية وذلك بتفوقها على مئات الجامعات العالمية من بين أكثر من 30 ألف جامعة في العالم. (https://cu.edu.eg/ar/Cairo-University-News-13285.html موقع جامعة القاهرة)

مجتمع تطبيق الدراسة: جامعة الحسن الثاني بالمغرب

أسست عام 1975م في عهد الملك الراحل الحسن الثاني، استجابة للرغبة المتزايدة للطلبة والطالبات المقبلين على الدراسات العليا. (http://www.4icu.org/ma موقع يوني رانك الدليل الدولي للتعليم العالي)، مع تاريخها، فإن جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء والتي تم إنشاؤها حديثًا في عام 2014 هي نتيجة اندماج جامعة الحسن الثاني في عين الشق وجامعة الحسن الثاني في المحمدية، وتعكس هذه الديناميكية الجديدة طموحًا لوضع الجامعة على طريق التميز في التدريب والبحث العلمي من جهة، وتعزيز رؤيتها على المستوى الأفريقي والدولي من

جهة أخرى، مما جعلها تحرز اعترافًا دوليًا ببروزها في التصنيف الدولي للجامعات لعام 2020، إذ احتلت الرتبة الأولى وطنيًا، والثانية على المستوى الإفريقي والرتبة 557 عالميًا. وتقع في زنقة طارق بن زياد، مرس السلطان بالدار البيضاء، وتابع لها 17 مؤسسة جامعية تتوزع في كل من مدينتي الدار البيضاء والمحمدية. (http://www.univh2c.ma/?page_id=950 الموقع الرسمي لجامعة الحسن الثاني بالمغرب)، ووفقًا لبيانات مديرية الاستراتيجيات والنظم المعلوماتية يبلغ إجمالي عدد طلابها 102911 طالب وطالبة للعام الجامعي 2017/ 2016 منهم 55117 إناث و47794 ذكور متضمنًا عدد طلبة الدراسات العليا، ويشكل الطلبة الأجانب نسبة مهمة مما يجعلها القبلة الثانية للطلبة الأجانب بعد جامعة محمد الخامس.

(Direction des Stratégies et des Systèmes d'Information, Statistiques Universitaires, 2017)

10- الإطار النظري للدراسة.

أساليب التنشئة الاجتماعية: وهي تلك الإجراءات والطرق التي يتبعها الوالدان في التطبيع والتنشئة الاجتماعية، وهذه الأساليب تؤثر سلبًا أو إيجابًا في شخصية الأبناء. (دينا الشربيني، 2015، ص 11) وهي تعكس ما يراه الوالدان ويتمسكان به من أساليب معاملة الأطفال في مواقف حياتهم المختلفة. (صالح حرب ومحمد صايل، 2008، ص 147)، وتختلف هذه الأساليب من أسرة إلى أخرى، ولكل أسلوب دورًا مباشرًا في تشكيل السمات المتباينة للشخصية. (ضيف الله العطوى، 2006، ص1).

وقامت الباحثة بالتركيز على أساليب التنشئة الاجتماعية التي قامت برصدها من خلال الأدبيات النظرية والتراث البحثي في مجال الدراسة، وترى أنها الأكثر شيوعًا بالرغم من اختلاف المصطلحات التي تطلق عليها من قبل الباحثين، واعتمدت عليها الباحثة في التعرف على الأساليب المنتشرة في مجتمعي الدراسة وفقًا لورودها في استمارة الاستبيان التي تم تطبيقها على مفردات عينة الدراسة، وسيتم ذكرهم مع نتائج الدراسة الميدانية بالتفصيل لاحقًا، وبشكل عام يمكننا تقسيمها إلى:

أساليب التنشئة الاجتماعية السوية:

تتمثل في تهيئة الأسرة والمؤسسات التنشيئية الأخرى للبيئة الصالحة لنمو شخصية أبنائها، وما تمنحه من دفء عاطفي وشعور بالأمن والطمأنينة وتلبية الحاجات المادية، كما يتمثل دورها في تحفيز الأبناء وتشجيعهم بالكلمة الطيبة والتوجيه السديد، كما تعمل على بناء الثقة في نفوسهم وإثارة التفكير العلمي لديهم بحرية عن طريق الحوار والمحادثة، وتدريبهم على الاعتماد على النفس وتحمل المسئولية والمشاق، ومواجهة الأمور الصعبة والصبر عليها. كما تعودهم التعلم الذاتي عن طريق البحث والاستكشاف والتجربة والملاحظة والتدريب، وتعلمهم التخطيط لأهدافهم ومراجعة أعمالهم، وكل ذلك بما يتناسب ونمو مراحلهم العمرية، ولعل أبسط معادلة تربوية تحقق للأسرة نجاحًا تربويًا: (ملاحظة + توجيه + متابعة = تربية).(سعيدي فريدة، 2014، ص 155 – 156).

أساليب التنشئة غير السوية:

بجانب هذه الأساليب التربوية السوية هناك بعض الأساليب أو المعاملات غير السوية التي يجب على الأولياء تفاديها في معاملة أبنائهم، حيث أن تخلي الوالدين أو أحدهما عن دوره التربوي بسبب انشغالهما أو إهمالهما، ينجم عنه آثار سلبية وسلوكيات تربوية خطيرة تتمثل في ضعف مكانة الوالدين واحترامهما في نفوس أبنائهم، وصولًا إلى انحرافهم وضياع مستقبلهم.

وترى الباحثة أن الدراسات السابقة قامت بحصر التنشئة الاجتماعية في المعاملة الوالدية فقط، بينما جميع المشتركين في عملية التنشئة الاجتماعية يؤثرون في النشء يستخدمون هذه الأساليب ولها فاعليتها مع النشء وغير مقتصرة على الوالدين والأسرة فقط.

11- نتائج الدراسة

يمثل الأسلوب الأساس الذي يعتمد عليه الآباء والمربيين في تنشئة الأطفال وفقًا للخبرات والمستوى الثقافي والاجتماعي وغيرها من المتغيرات، وتتوقف آلية التنشئة الاجتماعية على المدخلات والمخرجات فعندما يتلقى الفرد مدخلات إيجابية تتمثل في أساليب التنشئة الاجتماعية يحصل المربيون على مخرجات إيجابية تتمثل في سلوكيات الأطفال كردود أفعال وفقًا لتلك المدخلات، وعندما يتلقى الفرد مدخلات سلبية يحصل المربيون على مخرجات وسلوكيات سلبية من الفرد.

وعليه حرصت الباحثة على تسليط الضوء على أساليب التنشئة الاجتماعية الأكثر ممارسة مع إناث مجتمعي الدراسة لنحلل في ضوئها نتائج الدراسة عن الصورة الذهنية للمرأة، وتمت دراسة سبعة أساليب هما (التقبل في مقابل الرفض، والاتساق في مقابل التذبذب، والتسامح في مقابل التسلط، والتدليل في مقابل الإهمال، والمساواة في مقابل التفرقة، والتشجيع في مقابل التثبيت، والثواب في مقابل العقاب).

أولًا: أسلوب التقبل في مقابل الرفض.

يقصد بأسلوب التقبل التعبير بالقول عن حب الوالدين وتقديرهما لرأي الطفل والثناء عليه وحسن الحديث إليه وعنه، ومداعبته، والفخر به وبتصرفاته واستخدام لغة الحوار لإقناعه. (نجاح محرز، 2013، ص 49). والتعبير عن الحب والمحبة الذي يمكن أن يقدمه الوالدين للطفل، ومدى تجاوبهما وتقاربهما معه، والإيجابية في سلوكهم تجاهه، والذي يجب أن يتضمن رعايته والسعي لمشاركته في الأنشطة والمناسبات الخاصة به، وتنعكس أثار أسلوب التقبل على سلوك الأبناء ونموهم العقلي والانفعالي، كما تؤثر في الأداء الوظيفي للراشدين. ويقدم **"بريسكوت"** بعض الافتراضات عن تأثير أسلوب الحب والدفء في النمو الانفعالي للأبناء وتتضمن أن يكون الطفل محبوبًا فيسهل عليه ذلك انتمائه إلى الجماعات، ويسهل عملية استدماجه للقيم والاتجاهات والمعايير، ويزوده بالأمن ويعلمه أن يحب نفسه ويحب الآخرين، ويسهل توافقه مع المواقف الصعبة التي تتضمن انفعالات غير سعيدة. (نجلاء الزهار، 2011، ص 319 – 320).

وذلك على عكس أسلوب الرفض أو النبذ والذي يتضمن عدم تقبل أحد الوالدين أو كليهما معًا للطفل، وعدم إظهار الحب والتعاطف معه في مختلف المواقف وحرمانه من تحقيق رغباته أيًا كانت. مما يولد شعور عند الطفل بأنه شخص غير مرغوب فيه، ويصبح شخصية منطوية على نفسها، ويبدأ الطفل في السلوكيات المضادة وسد احتياجاته بطرق مرفوضة للفت انتباه أسرته،

والمتمثلة في العناد والرفض والعدوان والمقاومة وقد تصل إلى إيذاء ذاته، والتصرف بحقده وكراهية وتحدي للسلطة والمجتمع. (محمد سند العكايلة، 2005، ص 37).

وقد أوضحت الدراسة الميدانية أن أسلوب التقبل أكثر شيوعًا من أسلوب الرفض في مجتمعي الدراسة بنسبة بلغت (80%) في مصر، و(78%) في المغرب من إجمالي عينة الدراسة من الإناث، وهذا ما يتفق مع نتائج المحور الأول من هذا الفصل بوجود قدر كبير من التقبل للإناث وإعطائهم مساحة حرية عالية في السفر واختيار شريك الحياة والعمل، كما وضحت وجود نوع من التميز النوعي لبعض مفردات العينة الناتج عن الخبرات الشخصية وهذا ما يتمثل في نسبة (22%) في المغرب، و(20%) في مصر.

مصر			المغرب	
أسلوب	عدد	نسبة	العدد	النسبة
تقبل	40	80.00%	39	78.00%
رفض	10	20.00%	11	22.00%
إجمالي	50	100.00%	50	100.00%

جدول رقم (7) يوضح نسبة انتشار أسلوب التقبل إلى أسلوب الرفض وفقًا لبيانات عينة الدراسة

ثانيًا: أسلوب الاتساق في مقابل التذبذب.

يشير أسلوب الاتساق إلى النمط المتكامل والغير متعارض بين مكوناته، فالآباء والأمهات يتبعون طريقة منسجمة في عملية التنشئة الاجتماعية، يؤدي إلى انسجام في نمو شخصية الطفل والثقة فيما يتلقاه من أبويه. ومن مظاهر هذا الأسلوب عدم تغيير الآباء للتوجيهات والنصائح التي يعطونها لأبنائهم، واتباع قواعد ثابتة للسير عليها في الأسرة، ومعاملة الصغار بطريقة واحدة في كل الظروف. ولقد أشار **"فرانكي"** إلى ضرورة امتياز سلوك الوالدين بالثبات في معاملة أبنائهم، فقلد وجد أن الأطفال الذين ينتمون إلى أسر ذات ثبات في معاملة أطفالهم أقل عدوانًا، ووجد أن الأطفال الذكور أكثر تأثرًا بالتذبذب من الإناث. (رشاد صالح وأخرين، 2006، ص 53).

ويقصد بأسلوب التذبذب عدم اتفاق الوالدين على رأي معين في تنشئة الطفل، أي انهما لا يعاملانه معاملة واحدة في الموقف الواحد، بل إن هناك تذبذبًا قد يصل إلى درجة التناقض، كذلك نقصد أن المعاملة تعتمد على المزاج الشخصي والوقتي للآباء، وليس هناك أساس ثابت للسلوك نحو الطفل. ويتمثل أسلوب التذبذب في تعزيز سلوك الطفل في موقف معين ورفضه في موقف مماثل فيما بعد، مما يؤثر على توافق الطفل، وجعله لا يستطيع أن يتوقع رد فعل والديه تجاه سلوكه. وفضلًا عما يعكسه تباعد وجهتي نظر كل من الأم والأب في عملية التنشئة، فإنه قد يكون مؤشرًا على اضطراب العلاقات فيما بينهما، فيحاول كلًا منهما استمالة الطفل إلى جانبه، أو تنشئته على النحو الذي يرتضيه بصرف النظر عن صالح الطفل ذاته، وهو ما يصيب الطفل بالحيرة والشك والتردد والازدواجية، ويعرضه للتمزق بين الأم والأب، واهتزاز ثقته بينهما، فضلًا عن اضطراب المعايير الاجتماعية لديه، كما يولد مشاعر الإحباط عند الأطفال، ومشاعر الحيرة حيث لا يستطيعون التمييز بين ما هو مقبول وما هو غير مقبول. (بشرى أبو ليلة، 2002، ص 53: 54). فإثابة الأبناء من طرف الأم وعقابهم من قبل الأب في الموقف نفسه يؤدي هذا إلى نمو

شخصية غير متوافقة اجتماعيًا، وتعرضهم للعديد من المظاهر كالفشل الدراسي أو ارتكاب أفعال انحرافيه يعاقب عليها القانون. ومن مظاهر التذبذب نجد أن "التناقض نتيجة لنقص المعلومات عن موضوع ما، مثلًا يكون لدى الأم معلومات عن أنواع الطعام الصحي، وكيفية تناوله، أكثر مما لدى الأب، فإذا حاولت الأم أن تفرض على الأبناء نمطًا معينًا في الطعام، في حين يقوم الأب برفض ذلك". (نجاح السباتين، 2005، ص 50).

وقد أوضحت الدراسة الميدانية الآتي:

	مصر		المغرب	
أسلوب	عدد	نسبة	العدد	النسبة
تذبذب	33	66.00%	35	70%
اتساق	17	%34.00	15	%30
إجمالي	50	100.00%	50	100%

جدول رقم (8) يوضح شيوع أسلوب الاتساق إلى أسلوب التذبذب وفقًا لبيانات عينة الدراسة

يوضح الجدول السابق أن أسلوب التذبذب أكثر شيوعًا من أسلوب الاتساق في مجتمعي الدراسة بنسبة بلغت (70%) في المغرب، و(66%) في مصر من إجمالي العينة من الإناث. وترى الباحثة أن هذا المؤشر يعد مؤشرًا خطيرًا لانتشاره في مجتمعي الدراسة، وهذا لما له من نتائج خطيرة في حالة تطبيقه على المجتمع الكبير من فقدان الهوية وفقدان معايير الثواب والخطأ لدى المفردات. وترجع الباحثة ذلك إلى أسباب منها تخبطات الثقافة المغربية والمصرية بالعديد من الاحتلال قديمًا كما تم ذكره في الفصل الثالث لهذه الدراسة.

ثالثًا: أسلوب الديموقراطية في مقابل التسلط.

يعبر أسلوب الديموقراطية (التسامح) عن الاحترام والحرية التي يمنحها الوالدان للأبن من خلال تصرفاته، التي تتصل بمختلف شؤونه الشخصية والمدرسية والاجتماعية. (ضيف الله العطوى، 2006، ص4). والبُعد عن فرض النظام الصارم على الأطفال، والتشاور المستمر معهم واحترام آرائهم وتقديرها، واتباع الأسلوب الإقناع والمناقشة المؤدي إلى خلق جو من الثقة والمحبة. (نجاح محرز، 2013، ص 38 - 39). ينما يقصد بأسلوب التسلط (التشدد) استخدام الوالدين لسلطتهما، وفرض أنظمتهما بوضع القواعد، والمعايير السلوكية التي على الطفل اتباعها، وعدم الحياد عنها، فالوالدان هنا يقدران الطاعة من أطفالهما، والسلطة من أنفسهما، فيعملا على تشكيل شخصيات أطفالهما طبقًا لمعاييرهم الخاصة، ويتبعا مختلف الأساليب لمعرفة كل ما يخص الأبناء، والتدخل في شئونهم وتقييد حريتهم، وكبح إرادتهم، كما أنهم لا يشجعان الاستقلال، مع قليل من الأخذ والعطاء اللفظي مع أطفالهما، ويكونا أقل دفئًا ونادرًا ما يمدحان أطفالهما. (نجلاء الزهار، 2011، ص 322). ومن المعالم الأساسية لهذا الأسلوب، الضبط المفرط لسلوك الأبناء، والصرامة في معاملتهم، وإلزامهم الطاعة العمياء، والخضوع لما يملى عليهم من تعليمات من قبل الآباء، بحيث لا يمنحون الفرص اللازمة للتعبير عن استقلاليتهم وإرادتهم، كما ينطوي هذا الأسلوب في التنشئة على رفض آراء الطفل، ولومه، ونقده، وعقابه، وحرمانه، وإرغامه قسرًا، والتخويف المستمر من العقاب، وربما إذلاله. (بشرى أبو ليلة، 2002، ص52-53). وفرض

الآراء على الأبناء، ومنعهم من القيام بتحقيق رغباتهم بالطريقة التي يرونها، حتى ولو كانت هذه الرغبات مشروعة، (ضيف الله العطوي، 2006، ص4). واستخدام أشكالًا من التهديد والعقاب.
إن الأطفال الذين ينشئون بطريقة مسيطرة مبالغة في الحماية والقوة، غالبًا ما يتحولون إلى اعتماديين، ضعيفي التأثير، وتعلق مصطنع بالوالدين، وإلى طاعة السلطة في سلوكهم نفسه فيما بعد. وإنماء مشاعر التهديد والخوف والقلق، وخلق ضمير صارم متزمت لدى الأبناء، وتصاعد مشاعرهم العدائية تجاه السلطة الوالدية، وربما تعميمها إلى كل ما يماثلها، كما يؤدي بالطفل إلى الخضوع، واللامعية، ويقتل روح المبادرة والاستقلالية لديه، وربما يدفع به إلى الهروب من المنزل التماسًا لبيئة أقل تقييدًا وأكثر تحررًا، مما قد يسلمه في النهاية إلى أصدقاء السوء، وتبني أساليب سلوكية عدوانية ومضادة للمجتمع، كما يرتبط السلوك العدواني بالتوتر وعدم التوافق والانغلاق الفكري والإحباط. وغيرها من الأعراض كتقلب الانفعالات وصعوبة ضبط الذات والمشكلات السلوكية مثل كبت العدوان والكبت الجنسي والعزلة. وأوضحت الدراسة الميدانية الآتي:

مصر			المغرب	
أسلوب	عدد	نسبة	العدد	النسبة
التسامح	33	66.00%	37	74%
التسلط	17	34.00%	13	26%
إجمالي	50	100.00%	50	100%

جدول رقم (9) يوضح شيوع أسلوب التسامح إلى أسلوب التسلط وفقًا لبيانات عينة الدراسة

يوضح الجدول السابق أن أسلوب التسامح أكثر شيوعًا من أسلوب التسلط في مجتمعي الدراسة بنسبة بلغت (74%) في المغرب، و(66%) في مصر من إجمالي عينة الدراسة من الإناث. وهذا ما يتوافق مع نتائج عينة الدراسة في الفصل السابق والتي أظهرت وجود نسبة عالية من التسامح لنساء عينة الدراسة في المشاركة في اتخاذ القرارات المختلفة، واختيار تعليمهم واختيار شريك الحياة وغيرها من قرارات حياتهم الخاصة بدون وجود تسلط أو ضغط يمارسه الأهل.

رابعًا: أسلوب التدليل في مقابل الإهمال.

أسلوب الحماية: يتضح من مختلف الجوانب كالإصغاء الجيد إلى الأبناء وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن أنفسهم في جو يبعث الطمأنينة والارتياح عندهم، بينما أسلوب التدليل (الحماية الزائدة): يقصد به القلق والخوف من جانب الأبوين على الأبناء من أشياء غير موجودة، ويشير إلى القيام نيابة عن الطفل بالواجبات والمسئوليات التي يمكنه القيام بها والتي يجب تدريبه عليها، كما تتمثل في عدم إعطاء الفرصة للطفل في اختيار الأصدقاء والملابس. (نجاح محرز، 2013، ص44) والمغالاة في الرعاية الصحية والقلق لدرجة الفزع حول سلامة الأبناء، والاهتمام الزائد بالفرد يؤدي إلى تشبثه بطفولته والاعتماد الشديد على الغير، واعتقاده بأنه مركزًا للكون، كما يغرس في نفسه بذور العناد، والتسلط والإهمال الشديد. (حسين عبد الحميد وأحمد رشوان،2007، ص 111). بينما يعد أسلوب الإهمال (الحرمان): وفيه يبدي الوالدان تجاهلًا وعدم اكتراث تجاه الأبن، مما يؤدي إلى شعوره بأنه غير مرغوب به، كما يشعره ببرود عاطفي تجاه والديه. (ضيف الله العطوى، 2006، ص 4). ويتضمن منحنى إهمال الطفل التنكر له

بطريقة صريحة سواء بالقول أو اللامبالاة بإشباع حاجاته العضوية، والنفسية، وإهمال تدريبه على المهارات اللازمة لنمو مختلف جوانب شخصيته، وترك الطفل دون تشجيع على السلوك المرغوب فيه، أو محاسبته على السلوك الغير المرغوب، بالإضافة إلى ترك الطفل دون توجيه إلى ما يجب أن يفعله أو يتجنبه.

وخلاصة القول بأن الإهمال ما هو إلا أن يكون الوالدان حاضرين غائبين في حياة الطفل، ومثل هذا الأسلوب يُفقِد الطفل الإحساس بمكانته عند أسرته، ويفقده الإحساس بحبهم له وانتمائه إليهم، ويشعر بأنه غير مرغوب فيه، وغالبًا ما يترتب عليه تكوين شخصية مُحبَطة، قلقة، مترددة، تتخبط في سلوكها، بلا قواعد، أو حدود فاصلة واضحة، وغالبًا ما يحاول أن ينضم إلى جماعة أو شلة يجد فيها مكانته بنجاحه فيها، ويجد فيها العطاء والحب الذي حرم منه، وقد تشجعه هذه الجماعة على أن يكون مخربًا وخارجًا على القانون، وذلك لأنه لم يعرف في صغره الحدود الفاصلة بين حقوقه وواجباته، وبين الصواب والخطأ، وبالتالي يصبح شخصية غير منضبطة فاقدًا للحساسية الاجتماعية التي افتقدها في أسرته. ويشعر الطفل بكراهيته للوالدين، والسخط عليهما، والرغبة في الانتقام. (بشرى أبو ليلة، 2002، ص 54). وأوضحت الدراسة الميدانية الآتي:

مصر			المغرب	
أسلوب	عدد	نسبة	العدد	النسبة
اهتمام	26	%52.00	25	%50
تدليل	16	32.00%	17	34%
إهمال	8	16.00%	8	16%
الإجمالي	50	100.00%	50	100%

جدول رقم (10) يوضح شيوع أسلوب التدليل إلى الاهتمام والإهمال وفقًا لبيانات عينة الدراسة

يوضح الجدول السابق أن أسلوب الاهتمام الأكثر شيوعًا من الإهمال في مجتمعي الدراسة وبلغت نسبته (52%) في مصر، و(50%) في المغرب، ويليه أسلوب التدليل وبلغت نسبته (34%) في المغرب، و(32%) في مصر، وجاء في النهاية أسلوب الإهمال وبلغت نسبته (16%) في كلًا من إجمالي العينة من الإناث في مصر والمغرب.

وهذا ما جاء متناسقًا مع نتائج الدراسة في المحور السابق والتي ظهرت بوضوح في اهتمام الأسر بتوفير سبل الأمان للإناث أثناء السفر مثلًا، أو وضع بعض الشروط الهامة للموافقة على الزواج من شخص ما بدون أن تكون هذه الشروط تعسفية.

خامسًا: أسلوب المساواة في مقابل التفرقة.

يشير أسلوب المساواة إلى تربية الأبناء من خلال تعامل الوالدين بفرص متكافئة من حيث الرعاية، والتوجيه، والاهتمام، والجزاء، والتوبيخ، وهذا ما ينتج عنه سمات إيجابية في تكوين شخصيات متزنة متمتعة بخصائص الصحة النفسية، وقادرة على التكيف مع مختلف المواقف الحياتية. (نزيه الجندي، 2010، ص62). والمساواة بين الأبناء في المعاملة من طرف الوالدين يعد من حسن التربية، وعلى الوالدين الحذر من أن يفضلا أبنائهم على بعضهم البعض بقصد أو

بدون قصد، ويأتي في المقابل أسلوب التفرقة ويعني التفضيل على أساس الجنس، أو السن، أو غيرهم. (نجاح محرز، 2013، ص 50).

وتتجلى مظاهر هذا النمط كأن يبدي الوالدان حبًا كبيرًا للأبن الأصغر، أو الأكبر، أو تفضيل البنات على البنين، كما يثير هذا الأسلوب في التعامل الحساسية بين الأبناء، فيولد العداء والغيرة بينهم وتتولد لدى الفرد المفضل الأنانية، ويسعى إلى تحقيق أهدافه وطموحاته على حساب الآخرين، فتخلوا حياته من الواجبات والالتزامات. (الحسين عزي، 2014، ص 82). وأوضحت الدراسة الميدانية أن أسلوب المساواة الأكثر شيوعًا من أسلوب التفرقة بين مجتمعي الدراسة بنسبة (72%) في إناث مصر، و(64%) في إناث المغرب.

	مصر		المغرب	
أسلوب	عدد	نسبة	العدد	النسبة
مساواة	36	72.00%	32	64%
تفرقة	14	28.00%	18	36%
إجمالي	50	100.00%	50	100.00%

جدول رقم (11) يوضح انتشار أسلوب المساواة إلى التفرقة عند الإناث وفقًا لبيانات عينة الدراسة

سادسًا: أسلوب التشجيع في مقابل التثبيت.

يقصد بأسلوب التشجيع ميل الوالدين لمساعدة الطفل والوقوف بجانبه بطريقه تدفعه قدمًا إلى الأمام في اتباع السلوك المرغوب اجتماعيًا، وترك السلوك الغير مرغوب من المجتمع عن طريق تعزيز سلوك الأبناء السوي، وحثهم على الاستمرار عليه، وعدم إهمالهم أو اللجوء إلى اعلى درجات العقوبة لأنهم يتدرجون في توجيه أبنائهم وتلقينهم المعايير الاجتماعية بلطف ولين حتى يتمكن الأبناء من إتقان ثقافة مجتمعهم ويستطيعوا أداء دورهم في المجتمع بشكل إيجابي. (عبد الرحمن البليهي، 2008، ص 33). وترى الباحثة أن أسلوب التثبيط يتضمن أساليب تؤدي إلى فقد العزيمة والهمة عند الأبناء وفقد الطموح. وأوضحت الدراسة الميدانية أن أسلوب التشجيع الأكثر شيوعًا من التثبيت في مجتمعي الدراسة بنسبة (80%) في مصر، و(78%) في المغرب، يليه أسلوب التدليل وبلغت نسبته (22%) في المغرب و(20%) في مصر من إجمالي العينة من الإناث. وهذا أيضًا ما يتوافق مع نتائج الدراسة في المحور السابق والتي أوضحت تشجيع الأسر لإناثها في الحصول على الناصب العليا والسفر للتعليم والعمل.

	مصر		المغرب	
أسلوب	عدد	نسبة	العدد	نسبة
التشجيع	40	80.00%	39	78%
التثبيت	10	20.00%	11	22%
إجمالي	50	100.00%	50	100.00%

جدول رقم (12) يوضح انتشار أسلوب التشجيع إلى التثبيت وفقًا لبيانات عينة الدراسة

سابعًا: أسلوب الثواب في مقابل العقاب.

يقوم مبدأ الثواب والعقاب على آليات نفسية تحفّز السلوك الإيجابي، وتحبط السلوك السلبي، فعندما يشعر الإنسان بأنه موعود بثواب على عمل ما، فإن ذلك يحمله على المبادرة إلى العمل رغبة في

الثواب، والعكس صحيح بالنسبة إلى العقاب، فنحن نتجنّب ونحرم أنفسنا من أمور كثيرة نرغبها خوفًا من نتائجها السلبية علينا. وهدف استخدام الثواب والعقاب مع الطفل ما هو إلا لتنمية شخصيته وعقله، فعملية الثواب تشبه الدواء لكونها تحتاج إلى التدقيق في نوع وكمية الجرعة المعطاة للطفل، أما العقاب فله أيضًا أنواع مختلفة، ومنها العقاب البدني الذي يولد استياء النشء ويخفض تقديرهم للذات ويخلق لديهم ميلًا نحو التصرف العدواني الثوري بدلًا أن يتعلموا النظام. فالتعزيز الإيجابي من شأنه إيصال الرسائل التي تحدثنا عنها وهي رسائل الحب والتقدير والاحترام. أكثر فعالية من العقاب إذا تم بطريقة جيدة، وكذلك الأمر في العقاب حيث أن طرق العقاب القمعية تحول الدرس من متعة تعليمية إلى واجب ثقيل وتشوه بناء الشخصية وتزعزع ثقتها بذاتها وتهدر كرامتها. (هناء العابد، 2010، ص 31 – 32**).**

وقد أوضحت الدراسة الميدانية أن 86% من إجمالي مجموع العينة يتعرضون لأساليب الثواب، وجاء أسلوب الثواب الاجتماعي الأكثر شيوعًا في أنواع الثواب الخمسة في مجتمعي الدراسة بنسبة (53.49%) في المغرب و(52.38%) في مصر، يليه الثواب النشاطي بنسبة (16.67%) في مصر و(16.28%) في المغرب، ويليه الثواب اللفظي بنسبة (14.29%) في مصر و(13.95%) في المغرب، ويليه الثواب المادي ثم الثواب الرمزي.

كما يتضح لنا أن 57% من إجمالي مفردات العينة يتعرضون لأساليب العقاب، وجاء أسلوب العقاب التربوي الأكثر شيوعًا في أنواع العقاب الخمسة في مجتمعي الدراسة بنسبة (34.38%) في مصر و(28.57%) في المغرب، يليها أسلوب العقاب البدني في مصر بنسبة (24.13%)، وأسلوب العقاب اللفظي والبدني في المغرب بنسبة (17.86%) من أساليب العقاب الأخرى.

	المغرب		مصر	
أسلوب	العدد	النسبة	العدد	النسبة
اجتماعي	23	53.49%	22	52.38%
نشاطي	7	16.28%	7	16.67%
لفظي	6	13.95%	6	14.29%
مادي	4	9.30%	4	9.52%
رمزي	3	6.98%	3	7.14%
المجموع	43	100.00%	42	100.00%

جدول رقم (13) يوضح انتشار أساليب الثواب وفقًا لبيانات عينة الدراسة

	المغرب		مصر	
أسلوب	العدد	النسبة	العدد	النسبة
تربوي	8	28.57%	10	34.38 %
لفظي	6	21.43%	5	17.21 %
بدني	5	17.86%	7	24.13 %
نفسي	5	17.86%	4	13.79 %
اجتماعي	4	14.29%	3	10.34 %
المجموع	28	100.00%	29	100.00%

جدول رقم (14) يوضح أساليب العقاب وفقًا لبيانات عينة الدراسة

12- توصيات الدراسة.

-اهتمام الدراسات النفسية بالوقوف على أسباب تبني أسلوب التذبذب في التنشئة الاجتماعية في مجتمعي الدراسة.

-توعية الآباء والأمهات بخطورة أسلوب التذبذب في التعامل مع الأبناء ونتائجه على شخصياتهم وسلوكياتهم.

-الاهتمام بالندوات التوعوية للشباب الجامعي عن أساليب التنشئة الاجتماعية السوية وغير السوية.

قائمة المراجع:

1.بشرى أبو ليلة(2002)، أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها باضطراب المسلك لدى طلاب المرحلة الإعدادية بمدارس محافظات غزة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية التربية، قسم علم النفس، غزة.

2.جوردن مارشال(2007)، موسوعة علم الاجتماع: ترجمة محمد الجوهري وآخرون، م.1، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

3.حسين عبد الحميد وأحمد رشوان(2007)، دراسة في علم الاجتماع النفسي، ط1، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة.

4.الحسين عزي(2014)، الأسرة ودورها في تنمية القيم الاجتماعية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة: دراسة ميدانية على تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي في بوسعادة، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري، الجزائر.

5.دينا الشربيني(2015)، أساليب التنشئة الاجتماعية الأسرية وعلاقتها ببعض القيم لدى طلاب المرحلة الإعدادية والثانوية: دراسة مقارنة بين الريف والحضر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإنسانية، قسم الاجتماع، مصر.

6.رشاد صالح وآخرين(2006)، التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي: دراسة في علم النفس التربوي، دار المعرفة الجامعية، مصر.

7.سعيدي فريدة(2014)، أساليب التنشئة الاجتماعية، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، ج 7، ع 1، الأردن.

8.شارلوت سيمور سميث(2009)، موسوعة علم الإنسان: ترجمة محمد الجوهري، ط2، المركز القومي للترجمة، مصر.

9.صالح حرب ومحمد صايل(2008)، أنماط التنشئة الاجتماعية الممارسة لدى الأسر الأردنية من وجهة نظر الوالدين، دراسات العلوم التربوية، م. 35، ع 1، الجامعة الأردنية، الأردن.

10.ضيف الله العطوى(2006)، أثر نمط التنشئة الأسرية في تقدير الذات لدى طلبة المرحلة الثانوية في مدينة تبوك، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، علم النفس التربوي، الأردن.

11.عبد الرحمن البليهي(2008)، أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالتوافق النفسي: دراسة ميدانية على طلاب المرحلة الثانوية بمدينة بريدة، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الاجتماعية، السعودية.

12.محمد سند العكايلة(2005)، أنماط التنشئة الأسرية الخاطئة، مجلة الأمن والحياة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ج 24، ع 275، يونيو 2005، السعودية.

13.نجاح السباتين(2005)، أساسيات تربية الطفل، دار أسامة، عمان.

14.نجاح محرز(2013)، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بتوافق الطفل الاجتماعي والشخصي في رياض الأطفال، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، كلية التربية، سوريا.
15.نجلاء الزهار(2001)، مقياس أساليب التنشئة الاجتماعية كما يدركها طفل ما قبل المدرسة، مجلة الإرشاد النفسي، ع. 29، سبتمبر 2011، مركز الإرشاد النفسي، مصر.
16.نزيه الجندي(2010)، التنشئة السوية للأبناء كما يدركها الوالدين في الأسرة العمانية، مجلة جامعة دمشق، ج 26،ع 3، سوريا.
17.هناء العابد(2010)، التنشئة الاجتماعية ودورها في نمو التفكير الإبداعي لدى الشباب السوري، رسالة دكتوراه، جامعة Clements. St العالمية الشارقة للاستشارات الأكاديمية والجامعية، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، سوريا.
18.Camille Inez harper(2000), Opportunity and child rearing relations among perceptions of society, socialization goals and socializations attitudes in African American parents. PhD, university of Michigan.
19.Direction des Stratégies et des Systèmes d'Information(2017), Statistiques Universitaires 2016/2017 Secrétariat d’Etat Chargé de l’Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique, Ministère de l’Education Nationale, de la Formation Professionnelle, de l’Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique, Royaume du Maroc.
20.https://cu.edu.eg/ar/Cairo-University-News-13285.html
21.http://www.4icu.org/ma
22.http://www.univh2c.ma/?page_id=950

الجرائم المستحدثة في زمن الأزمة بالمجتمع المحلي دراسة ميدانية بمنطقة البيض في ظل جائحة كورونا – كوفيد19-

د. محمد بن صفية **د. محمد بن لكبير**
جامعة أحمد دراية أدرار- الجزائر **جامعة أحمد دراية أدرار- الجزائر**

ملخص: تناولت هذه الدّراسة الجريمة المستحدثة في ظل أزمة جائحة كورونا covid-19 في المجتمع المحلّي بمنطقة البيّض كمحاولة لتسليط الضّوء على العلاقة السّببية بينهما ومدى تأثير ودور الجائحة على ظهور أنواع مستحدثة من الجرائم في منطقة البيّض.

ومن خلال الدّراسة قمنا بإجراء أداة المقابلة مع 22 مبحوثا منهم 08 من الضّبطية القضائية لمكافحة الإجرام و07 مختصّين في علم الاجتماع و07 مختصّين في الدّين والشّريعة الإسلامية بالمركز الجامعي نور البشير بالبيّض، حيث أظهرت الدّراسة نوع العلاقة الموجودة بين انتشار جائحة كورونا covid-19 وظهور الجريمة المستحدثة بالمجتمع المحلّي.

الكلمات المفتاحية: الجريمة، الجريمة المستحدثة، الأزمة، المجتمع المحلّي، جائحة كورونا.

the crime created in light of the crisis of the Corona Covid 19 pandemic in the local community in the El-Bayadh region

dr.bensfia mohamed **dr.benlekbir mohamm**
university ahmed draya.adrar.algeria

Abstract :This study dealt with the crime created in light of the crisis of the Corona Covid 19 pandemic in the local community in the El-Bayadh region as an attempt to shed light on the causal relationship between them and the extent of the impact and role of the pandemic on the emergence of new types of crimes in the El-Bayadh region. Through the study, we conducted the interview tool with 22 respondents, including 08 from the judicial police to combat crime, 07 specialists in sociology, and 07 specialists in religion and Islamic law at the Nour Al-Bashir University Center in Al-Bayadh, where the study showed the type of relationship that exists between the spread of the Corona Covid 19 pandemic and the emergence of new crime in the local society.

Key words: crime, emerging crime, crisis, local community, Corona pandemic.

مقدّمة:

اقترن ظهور الجريمة مع ظهور وتواجد الإنسان على وجه الأرض كما ارتبط تطوّر تقنياتها وأساليبها بتطوّر المجتمعات وبذلك لم تنحصر في مجتمع دون أخر بل عايشت مظاهره وانتقلت بذلك من البساطة إلى التّعقيد والتّنظيم.

عرف مطلع القرن الواحد والعشرون تطوّرات عديدة وبروز أزمات جديدة كانت بمثابة الوسط الذي من شأنه خلق أنواع مستحدثة من الجريمة فانتقلت الجريمة من طابعها التّقليدي إلى طابع مستحدث أو جديد يواكب ما شهده المجتمع من تطوّر، ومن بين أبرز الأزمات التي كانت البيئة الخصبة لظهور جرائم جديدة ومستحدثة هي أزمة جائحة كورونا التي لم تمسّ المجتمع الجزائري لوحده بل أخذت طابع الشّمولية والعالمية، ظهور هذه الأزمة ولّد ظهور جرائم معقّدة خفية يقع معظم ضحاياها فيها دون اكتشاف منفذيها.

تعتبر جائحة كورونا(كوفيد-19) واحدة من الكوارث الطّبيعية والأزمات التي ظهرت كوباء لأول مرّة في مدينة ووهان الصّينية في بداية شهر ديسمبر من العام 2019م، ثمّ انتشرت بسرعة الهشيم في جميع أنحاء العالم؛ ممّا دعى منظّمة الصحّة العالمية إلى تصنيف هذا الوباء إلى جائحة تهدّد جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتّجارية والصّناعية والخدمية.، حيث لم تعد هذه الجرائم محصورة في بلد معيّن أو في دولة معيّنة بل أصبحت تأخذ طابع دوليا وباعتبار الجريمة المستحدثة موجودة في المجتمع الجزائري فإنّ خطورتها تكمن في سرعة انتشارها وقدرتها على الإضرار بدعائم النّمو .

المحور الأوّل: الإطار المنهجي والدّراسات السّابقة:

1. مشكلة الدّراسة:

تعتبر الجريمة ظاهرة اجتماعية ظهرت منذ الأزل، وهي ظاهرة نسبية يختلف مفهومها من مجتمع لآخر، ومن مكان لآخر داخل المجتمع الواحد، ولقد شهدت الجزائر في الآونة الأخيرة جرائما مستحدثة لم يكن للمجتمع الجزائري عهد بها من قبل، تمثّلت في فعل أو أفعال غير مشروعة يرتكبها فرد أو جماعة، لغرض الحصول على الرّبح، وتستخدم هذه الجماعات الإجرامية وسائلا متعدّدة منها التّهديد والابتزاز والعنف والرّشوة لتحقيق مبتغياتها وأهدافها.

وقد شهد مطلع القرن الواحد والعشرين ظهور وبروز أزمة جديدة تمثلت في هذه الجائحة كظاهرة عالمية عانت منها كافة دول العالم ومن بينها الجزائر وقد شهدت ميلاد أنماط جديدة من الجرائم صنعتها الظّروف الصّحيّة.

وتبدو إشكالية الدّراسة في أنّ معظم الجرائم المستحدثة في ظلّ انتشار جائحة كورونا -كوفيد19- تعدّ من الجرائم الخفيّة التي صنعتها الظّروف الصحيّة، حيث يقع معظمها دون اكتشافه لطبيعتها التي تنطوي على الخداع والاحتيال والسّرعة إضافة كونها تتسم بالتّعقيد المتزايد الأمر الذي يجعل البحث فيها يحتاج إلى تكوين ومهارة.

ومنه فإنّ الإشكالية المحوريّة تكمن في محاولة الكشف عن أشكال وأنواع الجريمة المستحدثة في منطقة البيّض في ظلّ أزمة وباء كورونا كوفيد19 وكيف أثّرت هذه الأزمة في ظهورها، ومنه: التّساؤل الرّئيسي مفاده:

-هل لأزمة جائحة كورونا (كوفيد19) دور في ظهور الجريمة المستحدثة بمنطقة البيض؟

2. تساؤلات الدّراسة:

وللمساعدة في الإجابة على هذا السّؤال الرّئيسي قمنا بطرح الأسئلة الفرعية التّالية:

-كيف ساهمت أزمة كوفيد19 في ظهور أشكال وأنواع للجرائم المستحدثة في منطقة البيّض؟

-ما مدى تأثير جائحة كورونا كوفيد19 في ظهور الجريمة المستحدثة في منطقة البيّض؟

-ما طبيعة العلاقة بين انتشار جائحة كورونا كوفيد19 وميلاد الجريمة المستحدثة في منطقة البيّض؟

-هل للوضع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المحلي البيضي في زمن كورونا علاقة بظهور وانتشار الجرائم المستحدثة؟

3. أهداف وأهمّية الدّراسة:

لقد جاء الاهتمام بمشكلة الجريمة المستحدثة إيمانا بخطورة تلك الظّاهرة فالقضيّة ليست قضية مجتمع تتحوّل إحدى فئاته لجماعة إجرامية، ولكن لأنّ تلك الجماعة مع تزايدها تصبح وبالا على ذلك المجتمع وتنشر بداخله بذرة هدمه وتصبح أداة من أدوات تدميره وانحرافه.

-تسليط الضّوء ومعالجة هذا النّوع من المواضيع السّوسيولوجية الجديدة

-محاولة إثراء الحقل السّوسيولوجي بمواضيع مرتبطة بالواقع خاصّة علم الاجتماع الانحراف والجريمة.

-محاولة فهم العلاقة السّببية بين جائحة كورونا (كوفيد-19) وظهور الجريمة المستحدثة في المجتمع المحلّي بمنطقة البيّض وما مدى حجم وأثارها من النّاحية الاجتماعية.

ثانيا: الدّراسات السّابقة:

يجدر الإشارة إلى أننا لاقينا صعوبة في الوصول إلى دراسات سابقة سبق لها ان عالجت موضوع البحث من الزاوية نفسها، مما تطلب منا إدراج دراسات تمس من حد قريب موضوع بحثنا وهي كالتالي:

1. دراسة (سديري،2017) عنوانها: الجرائم المستحدثة في المجتمع الجزائري وتحليلها من المنظور السوسيولوجي

هي دراسة ميدانية أجريت على مجموعة من الضبطية القضائية لولاية المدية، قدرة بـــ15 ضابط منتمون إلى الهيئة المكلفة بمكافحة الإجرام، اعتمدت فيها الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي كما اعتمدت على أداة المقابلة، حيث تمحورت إشكالية هذه الدراسة على محاولة الكشف عن العلاقة التي تربط بين التطور التكنولوجي والجريمة المنظمة المستحدثة.

توصلت إلى – أنّ أسباب تفشي الجريمة المستحدثة في المجتمع الجزائري تعود إلى الظروف الاجتماعية من جهة ومن جهة أخرى إلى الأوضاع الاقتصادية المزرية، إضافة إلى الانفتاح التكنولوجي الغير مراقب من قبل الهيئات المكلفة.

2. دراسة (جلايلية،2014) عنوانها: الجريمة المرتكبة عبر الانترنت

انطلقت هذه الدّراسة من الإشكالية التّالية:

-ما هي أهمّ التّشريعات المقارنة والدّولية التي جرّمت هذه الجريمة المستحدثة؟ وماهي أركانها؟ وما هي العقوبات المقرّرة لجريمة تبييض الأموال؟ وما هو دور كلّ التّنظيمات العالمية والإقليمية في مكافحة جريمة تبييض الأموال؟.

جاءت هذه الدراسة بدون فرضيات وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التّحليلي لملائمته مع الموضوع من أجل تحليل أهمّ الجوانب الموضوعية والقانونية المرتبطة بهذه الجريمة، وكذا المنهج المقارن للمقارنة والموازنة بين مختلف النّصوص القانونية والتّشريعات الدّولية.

نتائج الدراسة:

موضوع تبييض الأموال يخالف المفاهيم الدّينية والإنسانية والاجتماعية والأخلاقية.

ارتباط تبييض الأموال بالجريمة المستحدثة وتمويل الإرهاب ارتباطا وثيقا باعتبارها من الجرائم المنظّمة.

إنّ جريمة تبييض الأموال تخلّف عواقب وأثارا اجتماعية واقتصادية وخيمة.

3. دراسة (صغير، 2013) عنوانها: الجريمة المرتكبة عبر الانترنت

إشكالية الدّراسة تمحورت حول:

- خصوصية الجريمة المرتكبة عبر الانترنت مقارنة بالجّرائم التّقليدية والطّرق الفعّالة لمكافحتها.

استخدم الباحث المنهج التّحليلي والمنهج المقارن.

نتائج الدّراسة:

-جرائم الانترنت من أكثر الجرائم الذي عرفها العالم خطورة.

-صعوبة وضع تعريف محدّد لجريمة الانترنت.

-ممارسي جريمة الانترنت يتميّزون بالمهارة والمعرفة والذّكاء.

-تجلّت خصوصية الجرائم المرتكبة عبر الانترنت أكثر في عدم إمكانية تطبيق أحكام الجرائم التّقليدية عليها وذلك نظرا للطّابع المستحدث لهذه الجريمة.

تعقيب على الدّراسات السّابقة:

يتّضح من عرض الدّراسات السّابقة أنّها ركّزت على جوانب مختلفة لأثر الجرائم المستحدثة، مسّت النّواحي الاجتماعية والاقتصادية، أظهرت أنّ الجريمة المستحدثة تنوّعت بتنوّع مرتكبيها وارتبطت درجة انتشارها بمدى كفاءاتهم وميولتهم ومعارفهم ومهارتهم، عاكسة بذلك اهتمام كلّ باحث عن جريمة مستحدثة عايشها أو شاهدها من خلال ملاحظاته اليّومية أو من خلال شغفه للبحث عنها.

أمّا بالنّسبة لموضوع بحثنا هذا فقد شمل العديد من الجرائم المستجدّة التي ظهرت في زمن أزمة جائحة كورونا -كوفيد19- بمنطقة البيّض ومحاولة البحث عن العلاقة السّببية التي تربط كلّ من هذه الجائحة وانتشار هذه الأنواع من الجرائم محلّ الدّراسة.

المحور الثاني: الإطار النظري:

1. مصطلحات الدّراسة:

الجريمة بمعناها الواسع هي كلّ مخالفة لقاعدة من القواعد التي تنظّم سلوك الإنسان في الجماعة باسم القانون.

أ) الجريمة المستحدثة:

"أنماط من الجرائم التي لم يألفها المجتمع في السّابق، من حيث أسلوب ارتكابها ونوع الجناة فيها وحجمها، أو هي الجرائم المخطّط لها والتي يستعين المجرمون عند تنفيذها معطيات العلم الحديث ومن قبيل ذلك جرائم الإرهاب والمخدرات وجرائم الحاسوب الآلي والشبكة المعلوماتية أو هي تلك التي يشترط لاستخدامها التّقنية الحديثة لتسهيل تنفيذها وإخفاء معالمها". (عبد العزيز، 1995، ص 11-12).

الجرائم المستحدثة في ظل جائحة كورونا- كوفيد19 -المعنيّة بالدّراسة.

الجريمة المعلوماتية - جرائم الاحتيال والتّزوير، والغشّ في البضائع - جريمة تبييض الأموال - جريمة الاتجار بالمخدرات والأقراص المهلوسة.

ب) الأزمة:

عرّفها علم الاجتماع على أنّها "اختلال في نظام القيم والتّقاليد المرعية إلى درجة تقضى التدخّل السّريع لمواجهته وإعادة التّوازن إليه، من خلال تطوير هذه القيم والتّقاليد حتى تتلاءم مع التغيّر النّاجم عن تطوّر المجتمع" (Arjen Boin,others ,2005)

ج) المجتمع المحلّي:

يعرّفه لويس وبرت أنّ "المجتمع المحلي يتميّز بما له من أساس مكاني إقليمي يتوزّع من خلاله الأفراد والجماعات والأنشطة، وما يسوده من معيشة مشتركة تقوم على أساس الاعتماد المتبادل بين الأفراد وخاصّة في مجال تبادل المصلحة" (مهداوي، 1995، ص187).

د) جائحة فيروس كورونا:

اسم كوفيد-19 هو الاسم الذي أطلقته منظّمة الصّحّة العالمية للفيروس المسبّب لمرض الالتهاب الرّئوي الحادّ والمعروف باسم (كورونا) والذي أعلنته جائحة عالمية. يؤثّر المرض على النّاس بشكل مختلف، حيث تظهر معظم الحالات أعراضا خفيفة، خاصّة عند الأطفال والشّباب. ومع ذلك، فإنّ بعض الحالات يمكن أن تظهر بشكل حادّ ومميت، حيث يحتاج حوالي 20 ٪ من المصابين للرّعاية الطبيّة في المستشفى.

2. الجرائم المستحدثة في ظلّ جائحة كورونا- كوفيد19 -المعنية بالدّراسة.

أ) الجريمة المعلوماتية:

تعدّ الجريمة المعلوماتية من الجرائم المستحدثة فقد تزامن ميلادها مع ميلاد الحاسب الآلي، عصر الانترنيت أو عصر التكنولوجيا الرّقمية وعصر المعلوماتية، كلّ هاته الأوصاف تعبير عن مدى

ضخامة القفزات العلمية التي تحقّقت ومدى تنوّع الإنجازات التي طرحت ثمارها بشكل ملحوظ في حياتنا في الفترة الأخيرة، ويبدو بالفعل أنّ تكنولوجيا المعلومات هي وقود الثّورة الصناعية الثّالثة، وانّ المعلومات هي المادّة الخام الأساسية للإنتاج التي يعتمد المجتمع على تحصيلها والاستفادة منها، هذا الوجه المشرق لتقنية المعلومات يقابله من الجانب الآخر وجه مظلم يتمثّل في الإجرام المعلوماتي (بن عقون،2011، ص11-12).

وفي إطار تعريف الجريمة المعلوماتية نجد أنّ الاتجاهات تباينت بين موسّع لمفهوم الجريمة المعلوماتية وبين مضيّق لمفهومها. فقد عرّفها الأستاذ Rosenblatt على أنّها"نشاط غير مشروع موجّه لنسخ أو الوصول إلى المعلومات المخزّنة داخل الحاسوب أو تغييرها أو حذفها أو الوصول إليها " (بن عقون، نفسه، ص14).

ويتبنّى الخبير الأمريكي Don Parker مفهوما واسعا للجريمة المعلوماتية، حيث يشير إلى أنّها "كلّ فعل إجرامي متعمّد أيّ كانت صلته بالمعلوماتية، ينشا عنه خسارة تلحق بالمجني عليه، أو كسب يحقّقه الفاعل"(أمير فرج،2008، ص17).

تتحدث الدكتورة مشاعل الصباح، من معهد قطر لبحوث الحوسبة، عن سبب بروز فترات انتشار الأوبئة كفرصة مناسبة للمحتالين لممارسة أنشطة غير مشروعة، وذلك ببساطة لأن الخوف يتسبب في حدوث تصرفات متهورة وغير عقلانية. ويستند مجرمو الإنترنت على مبادئ نفسية أساسية لإغراء ضحاياهم، ويعتمد مجرمو الإنترنت على فهم أنّ النّاس يكونون أكثر استعدادًا للتّخلّي عن حذرهم ويشعرون بالدّافعية لفتح رسالة بريد إلكتروني أو رابط تصيد يبدو وثيق الصّلة بالقصّة الإخبارية بمجرد ظهوره. ومنذ الإعلان عن تحول فيروس كورونا (كوفيد-19) إلى مشكلة صحيّة عالمية في بداية عام 2020، كان مجرمو الإنترنت يستغلّون خوف النّاس لشن حملاتهم الاحتيالية. وبحلول نهاية الربع الأول من عام 2020، لوحظ وقوع عشرات الآلاف من هجمات التّصيّد الاحتيالي المتعلّقة بفيروس كورونا في جميع أنحاء العالم.(مشاعل، 2020).

نشرت الجزيرة نت على صفحة تكنولوجيا في مارس/آذار الماضي تحذير شركة "تشيك بوينت" الأميركية للأمن السيبراني من أنه من الشائع أن يستغل المحتالون حالات الطوارئ، مثل اللحظات التي يكون فيها الناس خائفين ويائسين وأكثر عرضة للخطر؛ لنشر عمليات الاحتيال. (فودة، 2020).

وفي تقريره الذي نشرته الجزيرة نت حينها، قال الباحث الأمني في شركة "ريزون لابس" تشاي الفاسي إن المتسللين يستخدمون هذه الخرائط لسرقة معلومات المستخدمين؛ كأسمائهم وكلمات المرور الخاصة بهم وأرقام بطاقات الائتمان وغيرها من المعلومات المخزنة في المتصفح. (فودة، 2020).

وفي تقرير الجرائم المتعلّقة بالحاسوب اقرّ المجلس الأوروبي أنّه تتحقّق المخالفة (الجريمة) في كلّ حالة يتمّ فيها"تغيير معطيات أو بيانات الحاسوب أو محوها أو كتابتها أو أيّ تدخّل آخر في مجال انجاز البيانات أو معالجتها، وتبعا لذلك تسبّبت في ضرر اقتصادي، أو فقد حيازة ملكية شخص أخر، أو بقصد الحصول على كسب اقتصادي غير مشروع له أو لشخص اخر".(السعيد، 1993، ص24).

أمّا مؤتمر الأمم المتحدة العاشر لمنع الجريمة ومعاقبة المجرمين فقد تبنّى التّعريف الآتي: الجريمة المعلوماتية"أيّة جريمة يمكن ارتكابها بواسطة نظام حاسوبي أو شبكة حاسوبية، والجريمة تلك تشمل من النّاحية المبدئية جميع الجرائم التي يمكن ارتكابها في بيئة الكترونية".(مؤتمر الأمم المتحدة العاشر، 2000).

ب) جريمة الاتجار بالمخدّرات والأقراص المهلوسة.

إنّ الاهتمام بمكافحة الاتجار بالمخدّرات يحتل الصّدارة في اهتمام دول العالم، نظرا لما تمثّله هذه الظّاهرة من خطورة على جميع دول العالم وتزداد الخطورة عند زيادة حجم الاتجار فيها وتداولها، ممّا ينتج عنه زيادة المتعاطين وهو ما يجعل الدّول تتحمّل أعباء كثيرة عن طريق إنفاقها على مكافحة هذه الظّاهرة، وبالمقابل فانّ الجماعات الإجرامية أصبحت تعتمد على إمكانيات ضخمة ومتطوّرة وتلجا إلى وسائل متعدّدة للتّغطية على جرائمها، ممّا جعل وسائل التّجريم وأساليب التّحرّي الكلاسيكية للدّول غير كافية لمواجهة هذه الجريمة المستحدثة .

الجزائر من الدّول التي عانت ومازالت تعاني من الانتشار الواسع لظاهرة بيع وترويج المخدرات بأشكالها وأنواعها المختلفة إذ كان لزاما عليها وضع خطط بديلة لمجارات حجم التّطوّر الذي شهدته هذه الجرائم والتي عرفت قفزة نوعية من ناحية الشّكل وطرق التّرويج بانتقالها من الطّرق الكلاسيكية البالية إلى طرق أكثر تطوّرا وذلك باعتمادها على التّكنولوجيات الرّقمية وقدرة تكوين مروّجيها من أناس عاديون إلى أناس أكثر تحكّما وأكثر علما.

وقد كان لانتشار جائحة كورونا كوفيد 19 والغلق المفاجئ للمحلاّت وقاعات الملاهي وحتّى توقيف الرّحلات الجوية والبحرية والبرية في العالم خاصّة وفي الجزائر عامّة إلى التّفكير في إيجاد طرق بديلة للاستمرار في التّرويج وبيع المخدّرات والأقراص المهلوسة بأنواعها الكثيرة والمتشعّبة فكان لزاما عليهم التفكير من أماكنهم دون الخروج إلى الشّارع والتّنقّل بحثا عن تسويق منتجاتهم خاصّة في ظروف الحجر وانتشار رجال الأمن والشّرطة في كلّ مكان حفاظا على صحّة المواطنين ومعاقبة المخالفين،فقد تنبّهوا إلى مزايا شبكة الإنترنت التي يمكن الاستفادة منها في تنفيذ أفكارهم الإجرامية ومنها الإتجار في المواد المخدّرة بدرجة عالية من الأمان والسّرعة والسريّة، ثم تطوّر فكرها الإجرامي إلى استخدام شبكة الإنترنت في التّرويج للمواد المخدّرة وبيعها وتوزيعها، ليأتي التطوّر الجديد في الفكر الإجرامي باستخدام شبكة الإنترنت كوكر لتعاطي المواد المخدّرة، وبذلك أصبح انتقال المتعاطي إلى أحد الأوكار الإجرامية لشراء المادّة المخدّرة أو تعاطيها سلوكا تقليديا قديما بدء في الأفول والزّوال بفضلً التقنية الرّقمية الجديدة التي أفرزت وكراً جديدا لتعاطي المواد المخدّرة يتميّز بمميّزات شبكة الإنترنت، فلم يعد استهلاك المخدّراتً يقتصر على ما كان يجري سابقاٍ بحقنها في الوريد أو بمضغها أو شمّها أو تدخينها وانّما تطوّر الفكر الإنساني ليحوّل نظم التّعاطي إلى تعاطي الكتروني أو تعاطي رقمي يحدث ذات التأثير الذي تحدثه المخدّرات الطبيعية أو التخليقية الأخرى.

المخدّرات الرّقمية أو الـ Digital Drugs أو ال iDoser هي عبارة عن مقاطع نغمات يتمّ سماعها عبر سماعات بكلّ من الأذنين، حيث يتمّ بث تردّدات معيّنة في الأذن اليمنى مثلاً

وتردّدات أقلّ إلى الأذن اليسرى، فيحاول الدّماغ جاهداً أن يوحّد بين التّرددين للحصول على مستوى واحد للصّوتين، وهذا الأمر يجعل الدّماغ في حالة غير مستقرة، على مستوى الإشارات الكهربائية العصبية التي يرسلها .. ومن هنا يتمّ تقسيم أنواع المخدّرات الرّقمية مثلها مثل أنواع المخدّرات التّقليدية.

نشأت المخدّرات الرقمية واعتمدت على تقنية قديمة تسمّى "النّقر بالأذنين" اكتشفها العالم الألماني "هينريش دوف" عام 1839 واستخدمت لأوّل مرة عام 1970 لعلاج بعض الحالات النّفسية لشريحة من المصابين بالاكتئاب الخفيف، أو انّه استخدم في حالة المرضى الذين يرفضون العلاج السّلوكي " العلاج بالأدوية" ولهذا تمّ العلاج عن طريق تذبذبات كهرومغناطيسية لفرز مواد منشّطة للمزاج، كما أنّها استخدمت في مستشفيات الصحّة النّفسية نظراً لأنّه هناك خللاً ونقصاً في المادّة المنشّطة للمزاج لدى بعض المرضى النّفسيين ولذلك يحتاجون إلى استحداث الخلايا العصبية وإفرازها تحت الإشراف الطبّي، بحيث لا تتعدّ عدّة ثوان أو جزء من الثّانية ويجب ألاّ تستخدم أكثر من مرّتين يومياً وتوقّف العلاج بهذه الطّريقة آنذاك نظراً لتكلفتها العالية(مستشفى الأمل،2021).

وقد انتشرت هذه الجريمة المستحدثة خاصّة لدى المجتمع الذّكوري داخل الإقامة الجامعية الجزائرية وهي سهلة الاستعمال مع توفّر جهاز إعلام آلي أو الهاتف الذّكي.

إضافة إلى ما تمّ طرحه من جريمة بيع وتعاطي المخدّرات عن طريق شبكات الانترنت فهناك طرق أخرى انتشرت في الجزائر في زمن الجائحة وفي ظلّ الظّروف الصحيّة للبلاد منها استخدام القناع في نقل وبيع أنواع عديدة من المخدّرات خاصّة الأقراص المهلوسة والمؤثّرات العقليّة وتتمّ العملية عن طريق حشو القناع بالأقراص ووضعها في علب ونقلها على أنّها واقيات صحيّة سلّعة للبيع في الصّيدليات أو في الأماكن المخصّصة لذلك أو استخدام أسماء الجمعيات الخيرية للترويج سلعهم.

كما تتميّز هذه المجموعات الإجرامية بميزة خاصّة يغلب عليها طابع التّرميز(CODAGE) ، وقد أصبح ذلك صفة تميّز هؤلاء المتعاطين والمدمنين والمروّجين للمخدّرات وتطبع كلامهم، فانّ اللّغة السريّة التي يستعملها تجّار المخدّرات والحبوب المهلوسة والمهدئة والمؤثّرات العقلية وضعت للتّعبير عن الفضاء المغلق والسرّي وعالم معقّد لم تصبح تحكمه عصابات المافيا فقط وإنّما انخرط فيه كثير من الشّباب الجزائري(دغبار، 2019، ص517).

ج) -جريمة تبييض الأموال:

تعتبر الجزائر من المناطق الإستراتيجية بالغة الأهمية على مستوى إفريقيا والعالم من النّواحي الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من المجالات، ولها تأثير هامّ من واقع موقعها الحيوي والهامّ مع دول العالم، كما أنّها تتأثّر بما يجري حولها من أحداث ومتغيّرات بما فيها مخاطر غسل الأموال في أوقات عادية وأوقات خاصّة مثل جائحة كورونا (كوفيد19) وانعكاسات هذه الجائحة على نظم مكافحة غسل الأموال.

يُعرفُ غسيل الأموال أو ما يُطلقُ عليه مُسمّى تبييض الأموال بأنّه عمليّةُ تحويل كميّات كبيرة من الأموال التي تمَّ الحصول عليها بطُرقٍ غير قانونيّة إلى أموالٍ نظيفةٍ وقابلة للتّداول في النّشاطات العامّة.

المشاركة في ارتكاب أي من الجرائم أو التّواطؤ أو التّآمر على ارتكابها أو محاولة ارتكابها والمساعدة أو التّحريض على ذلك وبداء المشورة بشأنه أو تسهيله(عمايرة، 2020).

إنّ من سمات وملامح جريمة غسيل الأموال المرتبطة بفايروس كورونا (كوفيد19)المستجد تغيير في نمط السّلوك الإجرامي والاتجاه نحو أنشطة اقتصادية محدّدة وزيادة استخدام التّقنية في تنفيذ المخطّطات الإجرامية، كما يلاحظ أيضا أنّ أثار جائحة كورونا تشمل القطاعات الحكومية والخاصّة على حدّ سواء، كما أنّ من مخاطر غسل الأموال ذات الصّلة بجائحة كورونا منها على سبيل المثال محاولة المجرمين استغلال المرونة في تطبيق تدابير العناية الواجبة على العملاء خلال فترة الجائحة للولوج للنّظام المالي والمصرفي، وكذلك زيادة إساءة استخدام الخدمات المالية عبر شبكة الانترنت والأصول الافتراضية لنقل وإخفاء الأموال غير المشروعة، إلى جانب زيادة استخدام القطاع المالي غير المنظّم وزيادة التّعامل النّقدي ممّا يؤدّي إلى جذب المجرمين إلى النّشاطات الاقتصادية التي تتعامل بالنّقد بصورة كثيفة(مجموعة العمل المالي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، 2020، ص11).

د) جرائم الاحتيال والتّزوير، والغشّ في البضائع:

تمثّلت هذه الجرائم في:

-الاحتيال لجمع التبرّعات دون ترخيص

-تزوير البضائع وغش في المواصفات للبضائع المستخدمة في معالجة الجائحة مثل المعقّمات والكمامات والمطهّرات.

-التّلاعب بالأسعار لبعض المنتجات المستخدمة في معالجة الجائحة مثل المعقّمات والكمامات والمطهّرات.

-جرائم الفساد، وبصفة خاصّة الحالات المرتبطة بالأشخاص السّياسيين ذوي النّفوذ التي تشغل مناصب في الحكومة، وقد أفادت بعض التّحقيقات بأنّه تمّ ضبط حالة فساد واحدة خلال الجائحة تتمثل في إرساء استشارات وعقود إيجارات عدد من الفنادق التي تستخدم كمواقع للحجر الصحّي والعزل الاجتماعي، وذلك بالتّنسيق مع موظّفين حكوميين، كما اتّصلت هذه الحالة بمحاولة استغلال الدّعم الحكومي المقدّم للفئات المتضرّرة من خلال استعمال بيانات مزوّرة لمستفيدين غير مستحقّين لها مقابل حصولهم على نسبة من المبلغ المدعّم تمثل 50 بالمائة من جملة المبالغ المرصودة لهذا الغرض(مجموعة العمل المالي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، 2020، ص15)

لقد شكّلت لنا أزمة جائحة كورونا -كوفيد 19- أنماطا وأنواعا جديدة من الجرائم منها ما كان موجودا قبل ميلادها في المجتمع الجزائري ولكن بأشكال أقلّ تطوّرا ممّا ظهرت عليه خلال الأزمة ومنها من لم نكن نسمع به ولا نعرف حتى شكله وطرق ارتكابه ونوع مرتكبيه.

المحور الثالث: الدّراسة الميدانية:

أوّلا: إجراءات الدّراسة:

أ) -المنهج:

بعد الاتصال بالمبحوثين وجمع المعلومات والمعطيات ولغرض الحصول على نتائج محدّدة لتساؤلات البحث فقد استخدمنا المنهج الاثنوغرافي لتحليل خطاب المبحوثين المجسّد من خلال مقابلات تمّ إجراءها معهم. اعتمدنا هذا المنهج لكونه الأنسب في مثل هذه البحوث لاستخراج نتائج كميّة محدّدة بغية الحصول على إجابات دقيقة عن أسئلة الدّراسة.

ب) مجالات الدّراسة:

-**المجال المكاني**: جرت الدراسة بعدة أماكن ومراكز من بينها مجموعة الضبطية القضائية لولاية البيض والمركز الجامعي نور البشير بالبيض.

-**المجال البشري**: طبّقت الدّراسة على (22) مبحوثا منهم 08 من الضبطية القضائية لمكافحة الإجرام و07 مختصين في علم الاجتماع و07 مختصين في الدين والشريعة الإسلامية.

-**المجال الزّمني**: امتدت من مارس 2021 إلى غاية 20 جوان 2021.

ج) مجتمع الدّراسة وعيّنتها:

تكوّن مجتمع الدّراسة الأصلي من جميع رجال الشّرطة القضائية وكذا الباحثين المختصّين في مجال علم الاجتماع والشّريعة الإسلاميّة بولاية البيض، أمّا عيّنة الدّراسة فقد تكوّنت من مجموعة مكوّنة من (22) مبحوثا :(08) من الضّبطية القضائية لمكافحة الإجرام و(07) مختصّين في علم الاجتماع و(07) مختصّين في الدّين والشّريعة الإسلامية بالمركز الجامعي نور البشير بالبيّض، والذين تمّ اختيارهم بطريقة قصدية.

لقد تمّ تحليل البيانات على مستوى التّحليل الكيفي وذلك عن طريق التّعليق وتفسير مقابلات المختصّين وبالتّالي تحليلها سوسيولوجيا وعرض النّتائج المتوصّل إليها.

جدول (01) يوضّح بيانات وخصائص عيّنة الدراسة:

المتغيّر	الفئات	التكرارات	النّسبة%
الجنس	ذكر	17	%77.27
	أنثى	5	%22.73
	المجموع	22	%100
العمر	23 -33سنة	14	%63.64
	34 -44سنة	5	%22.73
	45 -55سنة	3	%13.63
	المجموع	22	%100
سنوات الخبرة	من 1 إلى 10سنوات	12	%54.55
	11 -20 سنة	7	%31.81
	11 -30 سنة	3	%13.64

	المجموع	22	% 100
التّخصص الوظيفي	ضابط شرطة	8	%36.36
	أستاذ في علم الاجتماع	7	%31.82
	أستاذ في الدّين والشّريعة الإسلامية	7	%31.82
	المجموع	22	% 100
المستوى التعليمي	جامعي	22	% 100
	المجموع	22	% 100

د) أدوات الدّراسة:

في دراستنا هذه اعتمدنا على المقابلة كتقنية أساسية، والتي قمنا من خلالها باستجواب مجموعة من المختصين في مكافحة الجريمة المستحدثة من الضّبطية القضائية إضافة إلى مجموعة من المختصّين في علم الاجتماع والشّريعة الإسلامية بالمركز الجامعي نور البشير بالبيّض.

ثانيا: عرض ومناقشة نتائج الدّراسة:

إنّ أيّ بحث ميداني إلاّ ويعتمد في دراسته على وسيلة وهذه الأخيرة تساهم في عملية جمعه للمعلومات والإجابات على تساؤلاته التي من خلالها ينطلق في تحليله للموضوع الذي هو محلّ دراسته، فمن خلال دراستنا لبحثنا هذا والمتمثل في الجرائم المستحدثة في زمن الأزمات (جائحة كورونا) حاولنا الكشف عن أشكال وأنواع الجريمة المستحدثة في منطقة البيّض في ظلّ أزمة وباء كورونا كوفيد 19 وكيف أثّرت هذه الأزمة في ظهورها. وسوف نتطرّق إلى تحليل النّتائج وأراء المبحوثين.

المحور الأوّل: الإجابة على أسئلة البحث.

1. عرض آراء المختصين في مكافحة الجريمة المستحدثة:

ما مفهومك للجريمة المستحدثة؟

الجريمة المستحدثة في مفهومها الشّائع والمتعارف عليه "أفعال يمارسها الأفراد، وتستخدم فيها التطوّرات العلميّة والتقنية، وتوظّف لتحقيق أغراض ومصالح شخصية ضارّة بالآخرين"[1]

لقد صرّح كلّ من المبحوث 01(29سنة) والمبحوث 02(23سنة) أنّ الجريمة المستحدثة **"هي كلّ الجرائم التي تفرزها التطوّرات داخل المجتمع ويكون فيها جهاز الكمبيوتر أحد أسبابها"** هذا من جهة أمّا كلّ من المبحوثة 03(27سنة) والمبحوث 05(27سنة) فتطرقا إلى أنّ الجريمة المستحدثة **"هي كلّ فعل يشكّل خطرا على المصالح الضّرورية والتي وجب على المشرّع حمايتها بمجموعة من النصوص العقابية والزّجرية"**. أمّا المبحوث 04 (32 سنة) فقد إختلفت نظرته عن

[1]ناجي محمد سليم هلال، الجرائم المستحدثة "تحليل اجتماعي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2015، ص 25.

المبحوثين السّابقين في تحديده لمفهوم الجريمة المستحدثة في كونه نظر إليها أنها" **"هي عبارة عن جريمة ومشكلة وليدة الظّروف والمحيط الفاسد ولامبالاة من طرف الوالدين والمدرسة والشّارع وعدم وجود مراقبة مستمرّة، وهي تتمثّل في استخدام الحاسوب والهاتف النقّال والانترنت الغير مراقبة"**.

أمّا المبحوث 06 (36سنة) فتطرّق إلى مفهوم الجريمة المستحدثة على أنّها:

" Différents types de comportements illégaux et inhabituels dans lesquels la technologie est utilisée afin de faciliter le processus de criminalité et dont l'existence entraîne des dommages."

"أنماط مختلفة من السّلوكيات الخارجة عن القانون وغير المألوفة حيث يستخدم فيها التكنولوجيا من أجل تسهيل عملية الإجرام ويترتب على وجودها ضرر ".

أمّا فيما يخصّ كل من المبحوث 7(41سنة) والمبحوث08(48سنة) فقد عرّفا الجريمة المستحدثة كونها**"تلك الجرائم التي لم تكن موجودة في المجتمع أو تلك التي أدخلت عليها تعديلات واكبت التطوّر الحاصل بالمجتمع وغزو الآلة، وتشمل الجرائم السيبرانية وجريمة التزوير الالكتروني والاتجار بالمهلوسات والفساد"**

في رأيك هل هناك جرائم مستحدثة ظهرت بمنطقة البيّض خلال أزمة كورونا؟

لقد صرّح كلّ من المبحوث 01(29سنة) والمبحوث 04(32 سنة) والمبحوث 7(41سنة) بأنّ **"الجريمة المستحدثة موجودة منذ زمن خاصّة بعد انتشار الحاسوب وانعدام فرص العمل، إلاّ أننا شهدنا ميلاد جرائم لم نكن نسمع بها من قبل في المجتمع المحلي البيضي المحافظ خاصّة مع انتشار الجائحة وظروف الحجر الصّحّي لكنها متفاوتة وبنسب قليلة".**

لقد صرّح كلّ من المبحوث 2(23سنة) والمبحوث6 (36سنة) والمبحوث8(48سنة) بأنّ **"الجريمة المستحدثة متواجدة في منطقة البيّض وزادتها حدّة وتنوّع أزمة كورونا خاصّة أنّ سكان المنطقة يعتمدون على التّجارة وامتهان مهنة الرّعي وبيع المواشي ولكن بعد الحجر أثّر هذا الحجر الصحّي على سلوك الشّباب مما دفعهم إلى ارتكاب جرائم جديدة".**

لقد صرّح المبحوث 5(27سنة) بقوله:**"إن جائحة كورونا أفسدت البلد، لأن الشّباب لم يجدوا مهن ولا أيّ شيء فمثلا تجد سائق سيارة أجرة بعد توقّف العمل يصبح مضطرّ لبيع الأقراص المهلوسة ويقوم بالتّزوير لضمان لقمة العيش، والله كل ما قام به أبائنا من تربية ودور المساجد ضاع أمام أزمة وباء كورونا"**

صرّحت المبحوثة3(27سنة) بأنّ" **الجرائم المستحدثة في زمن كورونا انقسمت إلى نوعين فمنها من تضاعفت مثل الجريمة المعلوماتية والانتحال والتّزوير ومنها التي انخفضت مثل السرقة والاعتداء الجسدي"**.

هل قمت في إطار عملك بإجراء تحقيق حول ارتكاب جرائم مستحدثة معيّنة في منطقة البيّض؟

لقد أتّفق كلّ المبحوثين على قيامهم بالتّحقيق في الكثير من الجرائم المستحدثة خاصّة في وقت انتشار وباء كورونا (كوفيد 19) كما أنّهم أكدّوا على وجود اختلاف في حجم الجرائم.

ما هي أهم الجرائم المستحدثة التي قمت بالتّحقيق فيها في زمن وباء كورونا؟

لقد صرّح المبحوث 01(29سنة)، 04 (32 سنة)7، (41سنة) أنه حقّق في جريمة مستحدثة تمثّلت في أنّ بعض اللّصوص يقرعون أبواب البيوت ويقدّمون أنفسهم كموظّفين من المؤسّسة الاستشفائية للصّحة وقد حضروا للقيام بتجارب كورونا. وحين يصبحون داخل البيت فإنّهم يقومون بسرقة المال أو الحليّ.

أمّا المبحوث08(48سنة)، فقد صرّح أنّه قام بالتّحقيق في نوع من الجرائم المستحدثة وتمثّلت في جريمة الابتزاز الالكتروني.

أمّا المبحوث 02(23سنة)، و06 (36سنة)، فقد قام بالتّحقيق في جريمة مستحدثة تمثّلت في كون بعض العملاء الاقتصاديون يقوم ببعض أعمال تسوبق زائفة أو الترويج لمنتجات وهمية مرتبطة بكورونا، فبعض المواقع الإلكترونية تعرض مواد التّعقيم والأدوية أو الكمامات. وتطالب بدفع المبالغ مسبقا، لكن المنتجات لا تصل أبدا لأصحابها، وهناك بعض الجناة الذين يرسلون البضاعة لكن ما يصل عبارة عن مستنسخات أو بضاعة مقلّدة لا تفي بمعايير الجودة الضّرورية.

أمّا المبحوثة 03(27سنة) والمبحوث 05(27سنة) فقد صرّحا بأنّهم قاموا بالتّحقيق في جريمة غريبة وجديدة في نفس الوقت تمثّلت في طريقة حديثة يستخدموها المجرمون كوسيلة لنقل المخدرات والأقراص المهلوسة بأنواعها وأشكالها المختلفة خاصّة بعد الحجر الصحّي وتشديد المراقبة عبر الطّرق حيث استعملوا الكمامات الطبيّة كأداة لنقل وتوزيع المخدّرات من خلال حشو الكمامة بالأقراص المهلوسة وغلق العلبة والتّمويه بأنّها موجّهة لجمعيات خيرية وأحيانا يستخدمون اعتمادات لجمعيات وهمية من أحد البلديات التّابعة للولاية.

هل تعتبر أنّ الجريمة المستحدثة في زمن جائحة كورونا لها تأثيرات على الجانب الاجتماعي؟

لقد صرّح كلّ المبحوثين أنّه ومن بين الآثار الاجتماعية التي تفرزها هذه الجريمة على المجتمع هو ارتفاع نسبة الإجرام بسبب انخراط وانضمام الأفراد في تلك المنظّمات نتيجة للظّروف الاجتماعية المزرية كالفقر والبطالة والحاجة من أجل الحصول على أرباح يمكّنهم من خلالها تحسين ظروفهم الاجتماعية.

هل للجريمة المستحدثة في زمن كورونا آثار أخرى حسب رأيك عدا الجانب الاجتماعي وكيف؟

لقد صرّح كلّ من المبحوث 01(29سنة) والمبحوث 02(23سنة) والمبحوث 06 (36سنة) والمبحوث04 (32 سنة) والمبحوث08(48سنة) أنّ للجريمة المستحدثة أثار على غرار الآثار الاجتماعية ومن أبرزها الآثار الاقتصادية التي ظهرت وانتشرت في زمن الجائحة وتتمثّل في جريمة تبيض الأموال ومن أبرز تأثيراتها التي تلحقها هذه الجريمة هي إعادة توظيف تلك الأرباح والأموال في جرائم أخرى كالمتاجرة بالمخدّرات والتّهريب والمتاجرة حتى بالأسلحة.

كما صرّح المبحوث 03(27سنة) والمبحوث 05(27سنة) والمبحوث 7(41سنة) إلى وجود إلى أثر أخر للجريمة المستحدثة يتمثّل في الجانب النّفسي بصوره المتعدّدة كالخوف والقلق والاكتئاب ومن أمثلة الجرائم العنف الأسري من خلال تعنيف الزّوج لزوجته وضربها ضربا مبرحا مع ترك عاهة مستديمة أو علامات بالوجه وأطراف أخرى من الجسم وتوصّلوا من خلال التحقيق إلى أنّ التّعنيف راجع لكون الرّجل تأثّر بالحجر الصحّي كونه كان كثير الخروج من المنزل وتجد أغلبيتهم يمتهنون مهنة السّياقة كسائق سيارة أجرة أو شاحنة ما بين الولايات.

هل للتنشئة الاجتماعية الأسرية السيّئة علاقة بارتكاب الجريمة المستحدثة بأنواعها؟

لقد أكّد المختصّون أنّ للتنشئة الاجتماعية الأسرية علاقة بارتكاب الجرائم المستحدثة بأنواعها باعتبار الأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى للفرد وأنها المسؤولة عن أيّ تصرّف يصدر عن الفرد.

هل للوضع الاجتماعي للمجتمع المحلي في زمن كورونا علاقة بظهور وانتشار الجريمة المستحدثة؟

لقد أتفق جميع المبحوثين المختصّين في مكافحة الجريمة بالضّبطية القضائية على أنّ الواقع الاجتماعي المزري للمجتمع المحلّي لمنطقة البيض علاقة بظهور وانتشار الجرائم المستحدثة، وقد اعتبروا الفقر والبطالة بأشكالها والحاجة وتدنّي المستوى المعيشي للأسر علاقة بذلك إضافة إلى الأزمة التي خلفتها جائحة كورونا(كوفيد19) من غلق للمحلات التجارية والأسواق خاصة سوق المواشي الذي يعتبر الملاذ الوحيد بالمنطقة .

المحور الثاني:

2. إجابة شاملة للمختصين في علم الاجتماع حول التساؤلات المطروحة في الدّراسة.

كانت إجابة المبحوثين تقريبا موحدة ونشملها فيما يلي:

كيف ترون الجريمة من الناحية الاجتماعية؟

ينظر للجريمة من الناحية الاجتماعية على أنّها كلّ سلوك مغاير للمعايير الاجتماعية المتّفق عليها أو هي كلّ فعل خاطئ مخالف للآداب والأخلاق أو العدالة في المجتمع، ويشمل ذلك كلّ إخلال بنظام الجماعة أو الإصرار بمصالح أو حقوق الأفراد أو المساس بالقيم وبالمعنى العام فإنّها كلّ سلوك يعاقب عليه اجتماعيا.

من هو المجرم في نظركم؟

هو ذلك الشّخص الذي يرتكب فعلاً يرى المجتمع أنّه جريمة، حيث لا يعدّ حسبهم كلّ من أرتكب جريمة يعاقب عليها القانون مجرماً، فبعض الأفعال يرى المجتمع أنها غير مضرّة لذا لا يجرمها، وبالعكس يرى المجتمع أنّ بعض الأفعال جريمة لخطورتها رغم أنها غير جريمة بنظر القانون.

هل هناك جريمة مستحدثة في المجتمع المحلي بالبيض في زمن جائحة كورونا؟ ان كان نعم فما أسبابها، حسب رأيكم هل هذه الظّاهرة ناجمة عن أسباب اجتماعية؟ كيف ذلك؟ وفيما تتمثّل؟

من خلال تصريحات الباحثين في علم الاجتماع فقد لمسنا تقاربا في وجهات النّظر فقد اتفق الجميع على أنّ الجريمة المستحدثة موجودة في المجتمع المحلّي بالبيض وخاصّة في زمن جائحة كورونا إلاّ أنّها قليلة ومنتشرة بنسب متفاوتة وتغلب عليها ميزة الكتمان والتستر.

وقد ارجعوا أسباب انتشارها إلى عوامل اجتماعية من أبرزها الفقر والحاجة خاصّة بعد الحجر وغلق الأسواق والمحلاّت التجارية إضافة إلى عامل البطالة والذي استفحل في المنطقة وهذا ما دلّت عليه الإحصائيات.وكذلك ضعف وسائل الضّبط الاجتماعي خاصّة مؤسّسات التنشئة الاجتماعية مثل الأسرة والمدرسة والمسجد....كما ركّز الباحثين على عامل تفكّك العلاقات العائلية كالطّلاق والذي أصبحت ولاية البيض تحتل المراتب الأولى وطنيا والمحاكم لخير دليل

وأثرت العلاقات الأسرية السيئة على التّكوين والتّربية الحسنة للأطفال حيث يجدون أنفسهم معرضين لخطر الآفات الاجتماعية ويصبحون أداة تحارب بيد المجرمين .

من منطلق الدّور العلمي والتخصّص، ما هي في نظركم السّبل الكفيلة للحدّ من ظاهرة انتشار الجريمة المستحدثة في المجتمع المحلّي بالبيض؟

تكمن في مراجعة دور كلّ من الأسرة وباقي المؤسّسات الاجتماعية الأخرى وتحسين مهامها والقضاء على البطالة بصفة عامّة، وتحسين المستوى المعيشي للمجتمع وتفعيل دور وسائل التّواصل الاجتماعي بصورة إيجابية مع حقّ المراقبة.

المحور الثالث:

3. إجابة شاملة للمختصين في الدّين والشريعة الإسلامية حول التّساؤلات المطروحة في الدّراسة.

ما لمسناه من خلال تفريغنا لإجابات المبحوثين أنّ إجاباتهم متقاربة وموحّدة لحدّ بعيد ونشملها فيما يلي:

-المتعارف عليه أنّ الجريمة ظاهرة اجتماعية نشهدها ونعيشها في مجتمعنا منذ القدم ومن النّاحية الشّرعية الجريمة هي:

" محظورات شرعية زجر الله عنها بحدّ أو تعزير، ولها عند التّهمة حال إستبراء تقتضيه السّياسة الدّينية، ولها عند ثبوتها وصحّتها حال استيفاء توجبه الأحكام الشّرعية "وهذا التّعريف حسبهم يشمل من ناحية الجريمة الايجابية التي تتمّ بإتيان فعل محظور ومن ناحية أخرى يشمل على الفعل السّلبي الذي يتم بالامتناع عن فعل مأمور بإتيانه، أو هي فعل أو ترك نصت الشّريعة على تحريمه والعقاب عليه.

- والجريمة في الإسلام حسب تصريحاتهم تمحورت في كونها **"فعل ما نهي الله عنه، وعصيان ما أمر الله به، أو بعبارة أعمّ هي عصيان ما أمر الله به بحكم الشّرع الشّريف"**

وهذا التّعريف من منظور الباحثين في علوم الدّين والشّريعة الإسلامية فهو تعريف عام بحيث يشمل الجريمة المعاقب عليها دنيويا من قبل الحاكم، كما يشتمل على الأفعال المعاقب عليه بالعقوبات التكلفية الدينية التي تكون كفّارة للإثم، بجانب العقوبات الرّبانية المؤجّلة ليوم الحساب عند ربّ العالمين

-الحكم الشّرعي لظاهرة الجريمة.

أمّا بالنّسبة للحكم الشّرعي فلقد أرجعوه إلى طبيعة المجرم وضربوا لنا مثالا عن السّرقة في عهد الرّسول عليه الصّلاة والسّلام كان جزاء السّارق قطع يديه، وقد أتفق جميع الباحثين على ضرورة تطبيق القاعدة الشّرعية لا تجريم قبل ورود الشّرع، غير أنّ الواقع يقدّم لنا صورا مغايرة عما ينصّ عليه الشّرع وأصبحت هذه العقوبات لا تطبّق واستبدلت بأحكام وضعية من صنع البشر.

-حسب رأيك إن كانت هناك جريمة مستحدثة في المجتمع المحلّي بالبيّض في ظلّ وباء كورونا فما أسبابها، وحسب رأيك من تعتبرونه المسؤول أو المتّهم الأول لتفشّي هذه الظّاهرة؟

كان لجائحة كورونا كوفيد 19 المستجدّ اثر كبير في ظهور وانتشار أنواع من الجرائم المستحدثة لم يشهد المجتمع المحلّي بصورها المستجدّة وقد أرجع الباحثين في علم الدّين والشّريعة الإسلامية أسباب ظهورها إلى أنّ دخول الفرد إلى عالم أو سوق الجريمة مردّه إلى الحاجة وهي الدّافع الأوّل،متمثّلة في الفقر والبّطالة إضافة إلى تعطيل وظيفة مؤسّسات التنشئة الاجتماعية مثل المدرسة والمسجد وبعد تعطيلها أصبح الشّباب يعيش فراغا روحيا ممّا دفعه للجريمة بدون خوف .وأمّا عن المسؤول الأول عن تفشّي هذه الجرائم في زمن الجائحة أرجعه الباحثين إلى نقص الوازع الدّيني من جهة وللظّروف الاجتماعية من جهة أخرى وغياب العدالة .

ما هي الضّوابط الشّرعية التي ترونها كفيلة بالمساهمة في الحدّ من الظّاهرة؟

لقد صرّح المبحوثين على ضرورة وجود حلقات دينية واسعة تقام بالمساجد تعض الشباب وتحثّهم عن الصبر والابتعاد عن الجريمة وتذكيرهم بأنّ الأزمات ليست وليدة اليوم بل لها جذور تاريخية وما طاعون عمواس الذي أصاب المسلمين زمن خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ببعيدة.
إضافة إلى إعطاء فرصة لعلماء الدّين لتقديم حصص دينية توعوية خاصّة في وسائل الإعلام كالتلفزيون العمومي والخاصّ والإذاعة وفتح صفحات على مستوى مواقع التّواصل الاجتماعي facebook

مناقشة نتائج الدراسة:

إنّ ما نستنتجه من هذه الدّراسة التي حاولنا تسليط الضّوء على ظاهرة الجرائم المستحدثة في زمن الأزمات متمثّلة في جائحة كورونا كوفيد-19 وتحليلها من منظور سوسيولوجي والوقوف على أبرز الأسباب والعوامل الدّافعة عن طريق المقابلات مع المختصّين في مكافحة الإجرام من الضّبطية القضائية وكذا المختصّين في علم الاجتماع والشّريعة الإسلامية لمعرفة وجهة نظرهم حول الظّاهرة.
فقد تمّ التوصّل بعد القيام بكلّ هذه المراحل إلى النّتائج الّتالية:

-اختلاف حول تحديد مفهوم الجريمة والجريمة المستحدثة بين المختصّين في مكافحة الجريمة والباحثين في علم الاجتماع والشّريعة الإسلامية فكل يحدّد مفهومها من خلال الزّاوية التي ينظر منها.

-إن اغلب المبحوثين الذين أجريت معهم تحقيقات من قبل المختصّين في مكافحة الجريمة كانوا من جنس الذّكور، وان دلّ فإنّما يدلّ على أنّ الجريمة المستحدثة تمسّ الذّكور أكثر من الإناث، وهذا ما أثبتته أغلبية الدّراسات حول هذا الموضوع، وهذا راجع حسبهم إلى الطّبيعة المورفولوجية وقدرة التحمّل والمسؤولية الذّكورية وميلهم إلى الجريمة أكثر من النّساء.

-إنّ اغلب المبحوثين قد اقبلوا على الجريمة نتيجة للتنشئة الاجتماعية السيّئة وللتّفكك الأسري الذي اثّر عليهم، من خلال الغياب الكلّي أو الجزئي لأحد الوالدين إمّا بالوفاة أو بالطّلاق والهجر، وغياب الاستقرار والهدوء لهذا الفرد خاصّة في مرحلة الطّفولة أو المراهقة والتي تعتبر بدورها مرحلة حسّاسة تؤثّر سلبا على طبيعة الحياة الاجتماعية والنّفسية.

-إنّ إقبال الفرد على الجريمة ما هو إلاّ نتيجة للظّروف الاجتماعية الاقتصادية المزرية والمستوى المعيشي الصّعب لبعض الأسر بمنطقة البيّض خاصّة القرى، فالفقر والحاجة والبطالة التي خلّفته جائحة كورونا من خلال الحجر المنزلي كانت بنسب مرتفعة مقارنة بالأعوام الماضية ممّا أدّى إلى انخفاض الدّخل الفردي، كلّها أمور تدفع به إلى ارتكاب الجريمة بطرق مستجدّة لإعانة أسرته لتغطية الحاجيات الضرورية من مأكل ومشرب وملبس ولتغطية مصاريف الكراء والماء والكهرباء والغاز.حيث أن هناك ومن خلال المبحوثين الكثير بمنطقة البيض من لا يملكون مساكن، وان وجد فانه لا يتوفّر على شروط العيش الكريم خاصّة وانّ المنطقة معروفة بانخفاض درجة الحرارة شتاءا لدرجات تحت الصّفر.فبطالة الأب تدفع بالشّاب إلى ترك مقاعد الدراسة والالتحاق بعالم الجريمة من أجل المساعدة في دخل الأسرة .

-توجد علاقة تربط بين ظهور الجريمة المستحدثة وانتشار جائحة كورونا كوفيد-19 بالمجتمع المحلي بالبيّض وذلك من خلال ظهور أنواع جديدة من الجرائم التي لم تشهدها المنطقة قبل انتشار الجائحة خاصّة الجريمة المعلوماتية وتبيض الأموال وانتشار جرائم المخدرات الرّقمية وارتفاع نسبة تعاطي الأقراص المهلوسة خاصّة مع الحجر المنزلي وارتفاع أسعارها ودخولها للمنطقة عن طريق استخدام الكمامات الطبيّة.وهذه العلاقة راجعة حسب المبحوثين إلى العوامل الاجتماعية والاقتصادية وحتى غياب الضّبط القانوني وانتشار ما يعرف بالمحاباة وتدخّل رجالات البلد خاصّة أصحاب المال والسياسيين في التشفّع لإطلاق المجرمين ليجدوا أنفسهم أمام واقع اجتماعي يفرض عليهم ارتكاب الجريمة كونهم مؤمنين بانّ العدالة أصبحت تخضع للمعرفة كما أكّد المبحوثين من مختصّين وباحثين بإنّ المؤسّسات العقابية لم تعد تقم بدورها المنوط بها من تربية وإصلاح وإدماج اجتماعي بل أصبح فنادق ذات أنجم يقضي فيها المجرم زمنا ثم يخرج ليعيد الجريمة.

-من خلال دراستنا توصّلنا إلى مفاهيم جديدة منها على سبيل المثال: جريمة المخدرات الرّقمية-مشروع إجرامي-مؤسّسة إجرامية.

خاتمة:

تعتبر دراستنا هذه محاولة أردنا من خلالها تسليط الضّوء على العلاقة بين الجريمة المستحدثة وأزمة جائحة كورونا -كوفيد19- المستجدة، حيث انطلقنا من إشكالية بلورتها مفارقة مفادها بالرّغم من أنّ جائحة كورونا أزمة صحيّة فرضت العديد من الإجراءات كالحجر والتّباعد الاجتماعي وفرض قيود على تنقّل الأفراد، الأمر الذي من المفروض أن تقل فيه ظاهرة الإجرام إلا أنّ الواقع اثبت العكس واثبت أنّ هذه الأزمة ولّدت أنماطا مستحدثة من الجرائم فحاولنا إجاد تفسير لتلك العلاقة.
كما أسفرت هذه التّجربة البحثية من خلال دراسة العلاقة بين الجريمة المستحدثة والأزمة الصحيّة لجائحة كورونا على دعم فكرة أنّ هذه الأخيرة ساهمت في بروز وانتشار أنواع من الجرائم المستجدّة على واقع الإجرام المعروف بالمجتمع المحلّي بمنطقة البيّض.

إضافة إلى كون هذه الجائحة خلقت أشكالا عديدة لم يسبق للمجتمع المحلي بالبيض التعرّف عليها من قبل كما ساهمت في تأسيس حاضنات لنمو المنظّمات الإجرامية ومرتعا خصبا لها.

ومع ذلك تبقى دراستنا هذه محاولة لفهم تداعيات وأبعاد مثل هذه المواضيع وبحاجة إلى بحوث أخرى تدعم أو تبحث في هذا المجال.

قائمة المراجع:

1. إعلان ميثاق الجريمة والعدالة، مراجعة تحدّيات القرن الواحد والعشرين، صدر عن مؤتمر الأمم المتّحدة العاشر لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين الذي عقد في فينّا من 10 إلى 17 ابريل سنة 2000.
2. امير، فرج يوسف، (2008). الجرائم المعلوماتية على شبكة الانترنت، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ص،17.
3. بن عقون، حمزة، (2011). " السلوك الاجرامي للمجرم المعلوماتي "، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم القانونية، تخصّص علم الإجرام وعلم العقاب، كلية العلوم القانونية والعلوم السّياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص12،11.
4. جلايلية، دليلة، (2014). "جريمة تبييض الأموال- دراسة مقارنة"، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه غير منشورة، تخصّص القانون الجنائي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.
5. دغبار، رضا، (2019). الألفاظ السّريّة لمتعاطي ومروّجي المخدّرات في الجزائر، مجلة آفاق علمية، المجلد 11 العدد03، جامعة الجزائر1، ص517.
6. سديري، خديجة، (2017). "الجرائم المستحدثة في المجتمع الجزائري وتحليلها من المنظور السّوسيولوجي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه غير منشورة، علم الاجتماع الجريمة والانحراف جامعة، أبو القاسم سعد الله، الجزائر.
7. السعيد، كامل، (1993). جرائم الكمبيوتر والجرائم الأخرى في مجال تكنولوجيا المعلومات، دار النهضة العربية، القاهرة، ص،24.
8. صغير، يوسف، (2013). "الجريمة المرتكبة عبر الانترنت "، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في في العلوم القانونية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.
9. عبد العزيز، يوسف، (1995). الظواهر الإجرامية المستحدثة وسبل مواجهتها، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية،ص 11-12.
10. عمايرة، هيثم، 2020/05/06، ما معنى غسيل الأموال؟ اطلع بتاريخ2021/06/19 على https://www. mawdoo3.com.04:10
11. فودة انس فودة، 2020/05/06، كيف ازدادت نسب الجرائم الالكترونية خلال جائحة كورونا؟ اطلع بتاريخ2021/05/19 على 22:22. .https://www.aljazeera.net/news/scienceandtechnology
12. مستشفى الامل للطب النفسي وعلاج الادمان، المخدرات الرقمية اطلع بتاريخ 2021/07/10 على https://www.hopeeg.com/digital-drugs.15:08 .

13. مهداوي، غزيل، (1995). تحديات مشاركة المجتمع المحلي في التنمية المحلية بالجزائر، مجلّة الأبحاث القانونية والسياسية، المجلد3، العدد01، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، ص187.
14. ناجي محمد سليم هلال، (2015). الجرائم المستحدثة "تحليل اجتماعي"، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ط1، ص 25.
15. يوم دراسي حول جائحة كورونا وأثرها على نظم مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب في منطقة الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا، مجموعة العمل المالي لمنطقة الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا، أغسطس 2020 المنامة، البحرين. ص11.
16. الصباح، مشاعل، 2020/04/12، الجريمة الالكترونية تشكل تهديدا في ظل انتشار فيروس كورونا. اطلع بتاريخ2021/06/27 على 12:17. https://www.hbku.edu.qa/ar/news/cybercrime-amid-covid-19.

17. Arjen Boin, Paul ‘t Hart, Eric Stern, Bengt Sundelius,(2005). The Politics of Crisis Management: Public Leadership under Pressure, England

العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية

د. أحمد محمد الرنتيسي
كليـة الآداب – الجامعة الإسلامية بغزة - فلسطين

ملخص: هدفت الدراسة إلى تحديد العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، استخدمت الدراسة منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة العشوائية البسيطة، تم تطبيق الدراسة على (128) طالبة من طلبات كلية الآداب بالجامعة الإسلامية بغزة، تم استخدام الاستبانة كأداة للدراسة، أدخلت البيانات وحُللت بواسطة البرنامج الإحصائي SPSS، (نسخة ٢٢)، توصلت نتائج الدراسة إلى أن مستوى تأثير العوامل الشخصية والتشريعية والسياسية في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية كان متوسط، بينما مستوى تأثير العوامل الأسرية في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية كان مرتفع، كما لم تجد الدراسة فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) في استجابات عينة الدراسة للعوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية ومكان السكن، الخلاصة: أن مشاركة المرأة الفلسطينية في الحياة السياسية ما زلت متدنية وضعيفة، وأن جهوداً كبيرة ما زالت مطلوبة للنهوض بواقع المرأة الفلسطينية.

الكلمات المفتاحية: العوامل، المؤثرة، تفعيل، المشاركة السياسية، المرأة الفلسطينية.

Factors Affecting in Activation of the level of Political Participation of Palestinian Women

Dr. Ahmed Mohammed Al-Rantisi
Faculty of Arts, the Islamic University of Gaza, Palestine

Abstract: The study aimed to determine the factors affecting in activation of the level of political participation of Palestinian women. The study used the social survey method in a simple random sampling method. The study was applied to (128) students from the Faculty of Arts at the Islamic University of Gaza, the questionnaire was used as a tool for the study, the data were entered and analyzed by The statistical program SPSS, (version 22), the results of the study concluded that the level of influence of personal, legislative and political factors in activating the level of political participation of Palestinian women was average, while the level of influence of family factors in activating the level of political participation

of Palestinian women was high, and the study did not find differences Statistically significant at the level ($\alpha \leq 0.05$) in the responses of the study sample to the factors affecting in activation of the level of political participation of Palestinian women due to the variable of social status and place of residence. Abstract: The participation of Palestinian women in political life is still low and weak, and great efforts are still required. To advance the reality of Palestinian women.

Keywords: Factors, Affecting, Activation, Political Participation, Palestinian Women.

01- مقدمة الدراسة:

تتطلب عملية التنمية الشاملة في أي مجتمع من المجتمعات مشاركة فعالة من قبل كافة الوارد، ولما كانت المرأة تشكل نصف المجتمع، كان عليها أن تشارك الرجل في عملية التنمية، فأصبحت قضية النهوض بأوضاع المرأة بهدف تمكينها من المشاركة السياسية، من أهم أولويات الدول والحكومات(القحطاني، 2017).

وتشهد قضايا المرأة اهتماماً كبيراً وتصاعداً ملحوظاً على الساحة المجتمعية محلياً ودولياً، ولعل ذلك يعود إلى أن وضعها في أي مجتمع يعد مقياساً لمدى تطوره، لذلك كان طبيعياً أن تكون قضية المرأة هي محور تقرير الأمم المتحدة عن التنمية البشرية(سليمان، 2003).

ويوجد اهتمام كبير من جانب مختلف الباحثين في العلوم الإنسانية بدراسة دور المرأة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في المجتمع، وذلك نظراً لأن المرأة تمثيل شريحة اجتماعية، تشغل وضعاً متميزاً في بنية المجتمع، حيث إنها من الناحية الديمغرافية تمثل ثقلاً كبيراً في المجتمع، فضلاً عن تنوع المجالات الوظيفية التي تشارك فيها، إلى جانب خطورة المسئوليات والأدوار التي تقوم بها في النسق الأسري ونسق العمل ونسق المجتمع الذي تنتمي إليه(رسول، 2012).

وفي الواقع إن العلة في تدني مستوى المشاركة السياسية للمرأة ناتجة عن العديد من العوامل المتفاعلة والمتداخلة في المجتمع سواء أكانت شخصية، أو أسرية أو تشريعية أو سياسية، وتشترك معظم الدول النامية والمجتمعات العربية في هذه العوامل وغيرها من العوامل التي تؤدي إلى إهدار طاقات النساء وحجب جهودهن عن عمليات المشاركة السياسية(العيلة، 2007).

ويمثل وضع المرأة في أي مجتمع أحد المعايير الأساسية لقياس مدى تقدمه، كما أنه لا يمكن تصور مجتمع في العصر الحالي يسير نحو التقدم والعلم والتكنولوجيا تاركاً وراءه نصفه في حالة من التخلف، على هذا الأساس فإن تقدم المجتمعات يعتمد بصفة

عامة على جانب أساسي منه، وهو مدى تقدم المرأة ومتابعة المسيرة جنباً إلى جنب مع الرجل(الكعبي، 2007).

وتعد المكانة المعاصرة التي تشغلها المرأة في المجتمعات كافة وعلى مختلف المستويات، هي نتاج للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والديمغرافية التي شهدها المجتمع في الماضي والحاضر، مما دعا الباحثين إلى دراسة تلك التغيرات والعوامل المؤدية إليها، والآثار المترتبة عليها والتي ترتبط بدور المرأة ومشاركتها في أنشطة المجتمع(حسين، 2000).

وتكمن أهمية المشاركة السياسية للمرأة في المستويات المختلفة للعملية السياسية، بإتاحتها المجال أمام النساء بأن تشارك بشكل فعال في وضع الخطط، والبرامج، والسياسات، والمشاركة في تنفيذها والاشراف عليها وتوجيهها وتقييمها، مما يعود بالفائدة ليس على النساء فقط، وإنما على المجتمع بشكل عام(عليان، 2014).

وتأخذ المشاركة السياسية للمرأة صوراً وأشكالاً متنوعة، فقد تكون المشاركة السياسية من خلال نشاطات سياسية مباشرة، مثل: تقلد منصب سياسي أو السعي للرشيح في الانتخابات، أو الاكتفاء بمجرد التصويت في الانتخابات، وقد تكون من خلال نشاطات سياسية غير مباشرة تتمثل في الاهتمام بالقضايا السياسية أو الاشتراك في المناقشات السياسية غير الرسمية، وقد تبدو في أشكال النشاط التطوعي الذي يسهم به الفرد في تحديد السياسية العامة في مجتمعه سواء تم ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة(عبدالهادي، 1987).

وتشكل المشاركة السياسية للمرأة قضية مهمة، إذ تبرز دور المرأة في جميع مجالات الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية. ما يهمنا في هذه الدراسة هو تسليط الضوء على العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطيني، حيث لا تزال المرأة الفلسطينية تكافح من أجل حقوقها المشروعة عن طريق المطالبة بالمساواة مع الرجل في جميع الميادين. وتستند المرأة الفلسطينية إلى أحكام الاتفاقيات الدولية، ولا سيما الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، فضلا عن الاتفاقات الإقليمية والقارية لبعض البلدان المجاورة(مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الانسان، 2006)، كما هو الحال في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري والميثاق الأفريقي لحقوق المرأة، وبرتوكوله الإضافي، والميثاق العربي لحقوق الإنسان في عام 2008.

02- الدراسات السابقة:

هنالك العديد من الدراسات الأجنبية والعربية التي اهتمت بدراسة موضوع المشاركة السياسية للمرأة بشكل عام والمرأة الفلسطينية بشكل خاص، لذلك سوف يتم عرض هذه الدارسات في محاولة للاستفادة من نتائجها في تحديد مشكلة وأهداف وتساؤلات الدارسة الراهنة، ويمكن تحديدها فيما يلي:

هدفت دراسة أسعد (2021) إلى التعرف على واقع المشاركة السياسية للمرأة داخل الجمهورية الإسلامية الإيرانية، توصلت الدراسة إلى أن هناك تغيرات مبكرة حدثت لصالح المرأة في عهد الشاه ويعزى ذلك إلى اندماج إيران في الرأسمالية العالمية، وأن المرأة الإيرانية لعبت دوراً هاماً في نجاح الثورة الإسلامية، وصعود التيار الإصلاحي المعارض للمرشد الأعلى إلى السلطة بسبب مساندته لقضايا المرأة(عليان, 2014).

تناولت دراسة (Ahmed & Moorthy, 2021) العوامل التي تؤثر على المشاركة السياسية للمرأة في السياسة الانتخابية، توصلت نتائج الدراسة أن النساء ممنوعات من المشاركة في السياسة ومن العديد من جوانب الحياة اليومية في الهند، والنساء في الهند غير راضيات عن السياسات القومية والخاصة بالولاية وحتى البلدية، على الرغم من حقيقة أن أكثر من نصف نساء البلاد ما زلن ممنوعات من المشاركة في السياسة وصنع القرار.

ركزت دراسة (Zaky & Mohamed Moawad, 2021)على دور المشاركة السياسية للمرأة في تحقيق تنمية المجتمعات المحلية، أظهرت نتائج الدراسة أن أهم أدوار المشاركة السياسية للمرأة في تنمية المجتمع المحلي هي المشاركة في صياغة السياسات مع الجهات المسؤولة عن تنمية المجتمع، كما أكدت نتائج فرضيات الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha \leq 0.05$) من حيث دور المشاركة السياسية للمرأة في تنمية المجتمع المحلي من وجهة نظر أفراد المجتمع والنساء أعضاء مجالس المنظمات حسب المتغير (المؤهل العلمي، المهنة، الحالة الاجتماعية، العمر).

ركزت دراسة (El Waked & Al-Zoby, 2021) على التحديات التي تعترض المرأة الأردنية عن المشاركة السياسية من وجهة نظر الخريجات في الجامعة الأردنية، توصلت نتائج الدراسة أن التحديات إعاقة المرأة الأردنية عن المشاركة السياسية تشمل: التحديات الاقتصادية، تصورات المجتمع، العادات والتقاليد، يوصى الباحثون بعقد محاضرات لنشر الوعي بأهمية دور المرأة السياسي، وزيادة حجم الدعم الذي تقدمه المرأة للمرأة.

تناولت دراسة (Meera & Yekta, 2021) تحديات المشاركة السياسية للمرأة في أفغانستان، أظهرت النتائج أن هناك تحديات في سياق المشاركة السياسية للمرأة ، وأبرزها المشاكل الثقافية والتاريخية والأيديولوجية، تساهم الظروف البيئية الاجتماعية والاقتصادية الحالية في أفغانستان في الثقافة القبلية وأنماط الحياة التي تتمحور حول العشائر، والتي تتميز بالنظام الأبوي وتتمحور حول الرجولة، هي أساس التحديات التي تواجه المشاركة السياسية للمرأة الأفغانية.

تهدف دراسة (Giommoni, 2021) إلى تناول آثار التعرض للفساد على جميع جوانب المشاركة السياسية، مع التركيز على البلديات الإيطالية في الفترة 1999-2014، توصلت نتائج الدراسة. أولاً: يؤثر التعرض للفساد على مشاركة المواطنين في الانتخابات من خلال تقليل إقبال الناخبين. ثانيًا: يؤثر الفساد على مشاركة السياسيين: يتناقص عدد المرشحين والقوائم الانتخابية بعد فضيحة ومن المرجح أن يترشح المرشحون ذوو المناصب السياسية.

جاءت دراسة (Shehab et al., 2020) للتعرف على مشاركة المرأة الفلسطينية في السياسة أثناء الحصار الإسرائيلي على غزة بين عامي 2006 و 2014، تظهر الدراسة العديد من

الصعوبات التي تواجه مشاركة المرأة الفلسطينية. إلا أن هذه الدراسة خلصت إلى عدة توصيات أبرزها ضرورة إلزام الأحزاب السياسية الفلسطينية بتنفيذ مبدأ التعددية السياسية، وإعطاء المرأة الفلسطينية حقوقها وفق الدساتير الفلسطينية، وتجاوز الصعوبات الاجتماعية والثقافية التي تحول دون الانخراط السياسي.

سعت دراسة ساسي (2020) إلى التعرف على التمكين السياسي للمرأة في الجزائر، توصلت الدراسة إلى أن الموروث الثقافي لا زال يؤثر إلى حد كبير على النظرة الاجتماعية للمرأة التي تحاصرها داخل أدوارها التقليدية والتي تعيق وصولها لدور المرأة السياسية والمشاركة في العمل الحزبي وتنمية مجتمعها أو المساهمة في صنع القرار السياسي أو الاهتمام بقضايا مجتمعها على وجه العموم.

سلطت دراسة أبوزايدة (2020) الضوء على واقع المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في قطاع غزة، والتعرف على المعوّقات والتحديات الاجتماعية والاقتصادية والدينية التي تواجه تفعيل المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في قطاع غزة، وكذلك التعرف على الأسباب التي تدفع المجتمع الغزّي إلى تقييد المرأة والحد من حراكها السياسي، أظهرت نتائج الدراسة أن أهمّ المعوقات التي تواجه المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تتمثل في العادات والتقاليد التي تعزز الثقافة الذكورية والنظرة السلبية تجاه دور المرأة في المجتمع، بالإضافة إلى الانقسام الفلسطيني الداخلي الذي شكّل تحدياً رئيسياً أمام تفعيل المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

توصلت دراسة فتحية (2019) التي هدفت إلى تحديد معوقات ممارسة المرأة للحقوق السياسية في الوطن العربي، إلى وجود العديد من المعوقات ذات الطبيعة المختلفة، منها ما يتعلق بالجانب القانوني، ومنها ما يتعلق بالجانب الديني، ومنها ما يتعلق بالجانب الثقافي، والاجتماعي، ومنها ما يتعلق بنظرة المرأة نفسها للمشاركة السياسية.

تناولت دراسة عواد (2017) للحقوق السياسية للمرأة في الاتفاقيات الدولية والقانون الفلسطيني، وتوصلت الدراسة لا تزال الحقوق السياسية للمرأة في فلسطين تحتاج إلى العديد من الدوافع القانونية والاجتماعية والاقتصادية في بعض الأحيان، من أجل المساهمة في مواكبة التطور في العالم وبعض الدول العربية التي تميل إلى دعم التمييز الإيجابي للمرأة، فإن التوصيات الأكثر أهمية توصي المشرع الفلسطيني بالعمل على رفع الحصص من خلال تعديل قوانين الانتخابات التي تحد من مشاركتهم بنسبة معينة أو من خلال نظام يضمن التسلسل الهرمي لأسماء النساء في القوائم الانتخابية من أجل تحقيق التمييز الإيجابي الذي يعمل على حماية حقوق المرأة في المشاركة السياسية من أجل عدم الحد من المشاركة السياسية للمرأة كرجل.

هدفت دراسة عليان (2014) إلى التعرف على مكانة المرأة الفلسطينية التي تشارك في الحياة السياسية في قطاع غزة، وخلصت الدراسة إلى أن المستوى العام لمشاركة المرأة في العملية السياسية ضعيف حيث يقدر بحوالي (49.1%) وأظهرت نتائج الدراسة أن

المعوقات تباينت بين "القيود الشخصية" التي تمثل (69.1%)، والقيود الدينية المقدرة بـ (64.3%) ، والقيود السياسية (61.9%).

تعقيب على الدراسات السابقة:

يتضح من عرض نتائج الدراسات العربية والأجنبية السابقة المرتبطة بموضوع المشاركة السياسية للمرأة ما يلي:

-اتفقت دراسة (Ahmed & Moorthy, 2021)، ودراسة (El Waked & Al-Zoby, 2021)، ودراسة (Meera & Yekta, 2021)، و دراسة ساسي (2020)، ودراسة أبوزايدة (2020)، ودراسة فتحية (2019)، أن الموروث الثقافي والعادات والتقاليد لا زالت تعيق وصول المرأة لدورها في المشاركة السياسية.

-توصلت دراسة (Ahmed & Moorthy, 2021)، ودراسة (Shehab et al., 2020)، ودراسة عليان (2014)، أن المستوى العام لمشاركة المرأة في العملية السياسية ضعيف.

-اختلفت الدراسات السابقة فيما بينها من حيث الهدف، وذلك تبعاً لاختلاف طبيعة الدراسة والمتغيرات التي تتناولها، فقد تناولت دراسة أسعد (2021)، ودراسة أبوزايدة (2020)، واقع المشاركة السياسية للمرأة، بينما تناولت دراسة (El Waked & Al-Zoby, 2021)، ودراسة فتحية (2019) تحديات المشاركة السياسية للمرأة، في حين ركزت دراسة (Zaky & Mohamed Moawad, 2021)، دور المشاركة السياسية للمرأة في تحقيق تنمية المجتمعات المحلية.

-لم تتناول الدراسات السابقة بعض المتغيرات مثل (السن، الحالة الاجتماعية، المستوى التعليمي) وعلاقتها في العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، وهذا ما تميزت به الدراسة الراهنة.

-تميزت الدراسة الراهنة عن الدراسات السابقة في تناولها للمشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في ظل انتهاكات الاحتلال الإسرائيلي والانقسام السياسي الفلسطيني وتداعيات ذلك على المشاركة السياسية الفلسطينية.

-تمثلت استفادة الدراسة الراهنة من الدراسات السابقة في تحديد الموضوع وصياغة مشكلته ومفاهيمه وكذلك أهدافه وتساؤلاته، فضلاً عن تفسير النتائج ووضع التوصيات.

03- مشكلة الدراسة:

تعد قضية المرأة من أهم القضايا التي شغلت أذهان الباحثين والمفكرين في العالم، وعقدت العديد من المؤتمرات وأسست فروع أكاديمية وتخصصات علمية لبحث ودراسة قضايا المرأة من أجل تمكينها في بناء الأمم لتحقيق العدالة والمساواة الاجتماعية، فضلاً عن ترسيخ مفهوم المواطنة، إذ كانت المرأة لسنوات طويلة من التهميش والإقصاء السياسي والاجتماعي والسبب في ذلك يعود إلى الجذور التاريخية النابعة من السلطة الذكورية التي استخدمت سبل قهرية ضد المرأة لتعزيز وترسيخ سلطتها وضمان سيطرتها لتكون المرأة تحت إمرة وتصرف الرجل دائماً دون أن يكون لها رأي يذكر.

وبما أن المرأة هي الأنسان الذي يتمثل في أغلب المجتمعات النصف الثاني مع الرجل، وهي أحد المكونات الأساسية لتحقيق التنمية الشاملة فلا يمكن أن ينهض مجتمع ما بنصف طاقته، لذلك أصبحت المشاركة الواسعة للمرأة في جميع مجالات الحياة السياسية لا بد منه.

واستحوذت قضية المشاركة السياسية للمرأة في السنوات الأخيرة على اهتمام المنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان، فهي مرتبطة بالجهود التي تبذلها الشعوب من أجل التغيير والتقدم، حيث تمر مجتمعاتنا العربية بمراحل انتقالية تتفاوت بين غيات الديمقراطية وانعدم المشاركة السياسية للمواطنين إلى حداثة التجربة الديمقراطية. وفي هذا السياق يظهر واقع صعب تعيشه المرأة في الدول العربية بشكل عام وفي فلسطين بشكل خاص، ويرتبط بمدى مشاركتها وفاعليتها في صنع القرار ومختلف العمليات التنموية ببلادنا التي مازالت تشهد تأخرا في وضع المرأة، حيث إن حضور المرأة الفلسطينية كان مضطرباً بين التقدم التراجع، حيث نلاحظ أن دورها في ظل الظروف الصعبة التي مرت بها فلسطين قد تراجع كثيراً عن مستوى طموحها في التغيير، والمرأة الفلسطينية اليوم أمامها فرصة لكي تثبت وجودها أو تبلور فكراً نسوياً يعبر عن تصورات وطموحات المرأة فعلاً، لذا فمشاركتها السياسية في الانتخابات البرلمانية أو المحلية في الأحزاب السياسية ومؤسسات المجتمع المدني هو صمام الأمان للدخول في برنامج واضح المعالم يعمل على تطوير امكانياتها ويحارب التمييز ضد المرأة ويعمل على توضيح مطالبها بشفافية وديمقراطية لتكون قادرة على التأثير في الحياة السياسية، وفي ضوء ذلك جاءت الدراسة الراهنة للإجابة على التساؤل الرئيس التالي: ما العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، ويتفرع منه التساؤلات الفرعية التالية:

-ما العوامل الشخصية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.
-ما العوامل الأسرية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.
-ما العوامل التشريعية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.
-ما العوامل السياسية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.
-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تعزى لمتغير (الحالة الاجتماعية، مكان السكن).

04- أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الراهنة إلى التعرف على العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، ويتفرع منه الأهداف الفرعية التالية:
-تحديد العوامل الشخصية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.
-تحديد العوامل الأسرية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.
-تحديد العوامل التشريعية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

-تحديد العوامل السياسية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.
-تحديد الفروق في العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في ضوء بعض المتغيرات (الحالة الاجتماعية، مكان السكن) لعينة الدراسة.

05- مفاهيم الدراسة:

1- مفهوم المشاركة:

تختلف التعاريف التي تناولت مفهوم المشاركة، باختلاف العلوم التي ينتمي إليها صاحب التعريف، فهناك من عرّف المشاركة بأنها "مساهمة الأفراد والجماعات في كل أنشطة المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتحقيق المصلحة العامة"(بادي، 2005).

وتعرف المشاركة بأنها "قدرة العناصر النشطة في المجتمع المحلي على فهم السياق الاجتماعي ومحاولة تغييره إلى الأفضل من خلال جهود الأفراد الذين يعيشون في هذا المجتمع واستغلال كافة الطاقات البشرية والمادية المتاحة مع التغلب الدام على كافة المعوقات التي تعترض هذه العملية"(فهمي، 2004، ص71).

ويعرف الباحث المشاركة في ضوء الدراسة الراهنة "منح المرأة الفلسطينية حرية المساهمة الفعلية والكاملة في العمل السياسي الفلسطيني بهدف التأثير في عملية صنع القرار لتحقيق الصالح العام".

2- مفهوم المشاركة السياسية:

يقصد بالمشاركة السياسية" العملية التي يلعب الفرد من خلالها دوراً في الحياة السياسية والاجتماعية في بلده، والتي تتيح له فرصة الإسهام في وضع الأهداف العامة لذلك المجتمع، واقتراح أفضل الوسائل لتحقيق تلك الأهداف وإنجازها"(الدوى، 2018).

وتعرف المشاركة السياسية بأنها "تلك الانشطة ذات الطابع الشرعي التي يمارسها مواطنون معينون، والتي تستهدف بصورة أو بأخرى التأثير على عملية اختيار رجال الحكم أو التأثير في الأفعال التي يقومون بها، وكذلك فإن المشاركة السياسية تستهدف التأثير على القرارات الحكومية"(برو، 1998).

ويعرف الباحث المشاركة السياسية في ضوء الدراسة الراهنة "عملية الممارسة والتأثير في الحياة السياسية بكل مستوياتها بإرادة كاملة مستقلة، دون ممارسة أي نوع من أنواع الإجبار أو الضغوط".

06- الإجراءات المنهجية:

يتناول هذا الجزء وصف لإجراءات الدراسة التي سوف يقوم بها الباحث لتحقيق أهداف الدراسة، ويتضمن تحديد المنهج المتبع في الدراسة، ومجتمع وعينة الدراسة، وأدوات الدراسة، وخطوات تصميم الأدوات المستخدمة، والتحقق من صدقها وثباتها، والمعالجة الإحصائية المستخدمة في تحليل النتائج.

(1)منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة الراهنة على استخدام منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة العشوائية حيث تم تطبيق الدراسة على عينة عشوائية احتمالية بسيطة من طالبات كلية الآداب بالجامعة الإسلامية بغزة.

(2)مجتمع وعينة الدراسة:

تكوّن مجتمع الدراسة من طالبات كلية الآداب بالجامعة الإسلامية بغزة، وبناء على الاحصائيات التي حصل عليها الباحث من عمادة القبول والتسجيل للعام الجامعي 2021-2022، كان اجمالي مجتمع الدراسة (374) طالبة، تم سحب عينة عشوائية بسيطة من مجتمع الدراسة بنسبة 29%، وبالتالي تمثلت عينة الدراسة في (128) طالبة، تم جمع البيانات في منتصف شهر يناير 2022، وجدول رقم (1) يوضح توزيع التكرارات والنسب المئوية لخصائص عينة الدراسة.

جدول (1): يوضح توزيع التكرارات والنسب المئوية لخصائص العينة

المتغير	الفئات	التكرارات	النسبة المئوية
السن	18-20	75	58.6
	21-22	32	25.0
	23-24	8	6.3
	24فأكثر	13	10.2
	المجموع	128	100
الحالة الاجتماعية	عزباء	100	78.1
	متزوجة	28	21.9
	المجموع	128	100
المستوى الدراسي	الأول	55	43.0
	الثاني	33	25.8
	الثالث	25	19.5
	الرابع	15	11.7
	المجموع	128	100
مكان السكن	مدينة	91	71.1
	مخيم	32	25.0
	قرية	5	3.9
	المجموع	128	100

(3) أدوات الدراسة:

اتساقاً مع متطلبات الدراسة ومنهجيتها فقد اعتمد الباحث على أداة استبانة، حيث تم بناء الاستبانة من خلال الاطلاع على الأدبيات المعرفية والاجتماعية والدراسات السابقة وما تتضمنه من مقاييس ذات علاقة بالموضوع، وقد تكونت الاستبانة بصورتها الأولية من (26) عبارة تقيس العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

1- صدق الاستبانة:

(أ) **صدق المحتوى:** تم التحقق من صدق محتوى الأداة بعرضها على محكمين متخصصين في الخدمة الاجتماعية في الجامعة الإسلامية بغزة، طلب منهم إبداء الرأي بوضوح وسلامة صياغة العبارات وصلاحيتها لقياس ما صممت لقياسه، وتقديم أية اقتراحات يرونها مناسبة لتطوير

الأداة، وتم الأخذ بجميع ملاحظاتهم، حيث تم تعديل الصياغة اللغوية لبعض العبارات، ولم تحذف أو تضاف أي عبارة، وبذلك تكونت الأداة بصورتها النهائية من (26) عبارة.

(ب) صدق الاتساق الداخلي: تم حساب الاتساق الداخلي لعبارات الأداة على عينة استطلاعية بلغ حجمها (20) مفردة وذلك بحساب معاملات الارتباط بين كل عبارة والدرجة الكلية للأداة، وجدول رقم (2) يبين أن معظم معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى دلالة (0.01) حيث إن القيمة الاحتمالية لمعظم العبارات كانت أقل من 0.05 وبذلك تعتبر تلك العبارات صادقة لما وضعت لقياسه.

جدول (2) يوضح معاملات ارتباط بيرسون بين درجات كل عبارة والدرجة الكلية للأداة:

رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط
العوامل الشخصية		العوامل الأسرية		العوامل التشريعية		العوامل السياسية	
1	.326**	8	.558**	15	.467**	20	.404**
2	.471**	9	.338**	16	.651**	21	.443**
3	.407**	10	.584**	17	.447**	22	.409**
4	.445**	11	.011	18	.451**	23	.451**
5	.352**	12	.435**	19	.562**	24	.334**
6	.142	13	.420**			25	.514**
7	.440**	14	.473**			26	.475**

** دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01) * دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05)

يتبين من الجدول السابق أن معاملات ارتباط العبارات بالدرجة الكلية للأداة الذي تنتمي إليه العبارة جاءت أغلبها دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.01)، وجاءت أغلب قيم معاملات الارتباط عالية، حيث تراوحت في البعد الأول: العوامل الشخصية بين (142.-**471.)، وفي البعد الثاني: العوامل الأسرية بين (011.-**584.)، وفي البعد الثالث العوامل التشريعية بين (**447.-**651.)، وفي البعد الرابع: العوامل السياسية بين (**334.-**514.)، مما يدل على توافر درجة عالية من صدق الاتساق الداخلي لعبارات الأداة.

(ج) صدق الاتساق البنائي: تم التحقق من الصدق البنائي لأبعاد الأداة من خلال إيجاد معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية لكل بُعد والمجموع الكلي للأداة، ويوضح نتائجه الجدول التالي:

جدول (3): يوضح معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية لكل بُعد والدرجة الكلية للأداة

البعد	محتوى البعد	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
الأول	العوامل الشخصية	.690**	0.000
الثاني	العوامل الأسرية	.760**	0.000
الثالث	العوامل التشريعية	.801**	0.000
الرابع	العوامل السياسية	.791**	0.000

يتبين من الجدول السابق أن قيم معاملات الارتباط لأبعاد الأداة بالدرجة الكلية للأداة جاءت بقيم مرتفعة حيث تراوحت بين (**690.-**801.)، وكانت جميعها دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.01)؛ مما يدل على توافر درجة عالية من الصدق البنائي لأبعاد الأداة.

2- ثبات الاستبانة:

أجرى الباحث خطوات الثبات على العينة الاستطلاعية نفسها بطريقتين، هما: طريقة التجزئة النصفية، ومعامل (ألفا كرونباخ).

أ-طريقة التجزئة النصفية (Split-Half Coefficient): تم إيجاد معامل ارتباط (بيرسون) بين معدل الأسئلة الفردية الرتبة، ومعدل الأسئلة الزوجية الرتبة لكل بُعد، وقد تم تصحيح معاملات الارتباط باستخدام معامل ارتباط (سبيرمان براون) للتصحيح (Spearman-Brown Coefficient) حسب المعادلة التالية:

$\frac{2ر}{1+ر}$ معامل الثبات= حيث(ر) معامل الارتباط، وقد بين جدول رقم (4) أن هناك معامل ثبات كبير لعبارات الاستبانة.

ب-طريقة (ألفا كرونباخ): تم حساب معاملات ثبات ألفا كرونباخ للاستبانة بعد التطبيق على العينة الاستطلاعية لحساب ثبات الاستبانة، ويتضح ذلك في الجدول التالي:

جدول (4): معامل الثبات (طريقة التجزئة النصفية، وألفا كرونباخ)

البعد	محتوى البعد	التجزئة النصفية			ألفا كرونباخ
		عدد العبارات	معامل الارتباط	معامل الارتباط المصحح	
الأول	العوامل الشخصية	7	.402	.671	.576
الثاني	العوامل الأسرية	7	.594	.359	.550
الثالث	العوامل التشريعية	5	.431	.690	.649
الرابع	العوامل السياسية	7	.377	.664	.610
	جميع العبارات	26	.726	.821	.815

يتضح من الجدول السابق أن قيمة معامل الثبات الكلي للاستبانة كانت مرتفعة؛ وتشير هذه القيم من معاملات الثبات إلى صلاحية الاستبانة للتطبيق وإمكانية الاعتماد على نتائجها والوثوق بها.

(4) الأساليب الإحصائية:

بناء على طبيعة البحث والأهداف التي سعى إلى تحقيقها، تم تحليل البيانات باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) واستخراج النتائج وفقاً للأساليب الإحصائية التالية:

-التكرارات والنسب المئوية، والمتوسط الحسابي.

-الانحراف المعياري: ويفيد في معرفة مدى تشتت أو عدم تشتت استجابات المبحوثين، كما يساعد في ترتيب العبارات مع المتوسط الحسابي، حيث إنه في حالة تساوى العبارات في مجموع الأوزان والمتوسط الحسابي فإن العبارة التي انحرافها المعياري أقل تأخذ الترتيب الأول.

-معامل (ارتباط بيرسون)، لقياس صدق الأداة، واختبار (ألفا كرونباخ)، لمعرفة ثبات الأداة، ومعامل سبيرمان براون للثبات، وطريقة التجزئة النصفية (Split-Half Coefficient)، واختبار "T-Test" للعينات المستقلة، واختبار "One Way ANOVA" لمعرفة الفروق بين المتغيرات.

-معادلة المدى: وذلك للحكم على قوة العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، (منخفض، متوسط، مرتفع) وذلك من خلال طرح الحد الأدنى للدرجة من الحد الأعلى للدرجة (1-3=2) ثم تقسيم هذا المدى على عدد خلايا الاستجابات الثلاث (2÷3=0.66) بعد ذلك يتم إضافة الحد الأدنى للدرجة لتحديد فعالية العبارة أو البعد، كما يلي:

-المتوسط الحسابي (من 1 إلى 1.66) عامل ذو تأثير منخفض.

-المتوسط الحسابي (من1.67 إلى 2.33) عامل ذو تأثير متوسط.

-المتوسط الحسابي (من2.34 إلى 3) عامل ذو تأثير مرتفع.

07- نتائج الدراسة:

النتائج المتعلقة بالإجابة على السؤال الأول: ما العوامل الشخصية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي للعوامل الشخصية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، والجدول أدناه يوضح ذلك.

جدول (5): يوضح العوامل الشخصية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية

م	العوامل الشخصية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب	المستوى
1	تدني المستوى التعليمي للمرأة الفلسطينية	1.83	0.744	60.9	7	متوسط
2	عدم وعي المرأة الفلسطينية بدورها وثقتها بقدارتها في العمل السياسي	2.15	0.764	71.6	4	متوسط
3	لا زالت المرأة الفلسطينية تعمل في مجال الأعمال التقليدية التي هي امتداد لطبيعتها الأنثوية	2.42	0.706	80.7	2	مرتفع
4	ثقافة العيب المسيطرة على فكر المرأة الفلسطينية للمشاركة في الحياة العامة	2.52	0.664	83.9	1	مرتفع
5	عدم استقلال المرأة الفلسطينية وتفردها بقرارها	2.27	0.707	75.8	3	متوسط
6	عدم قدرة المرأة الفلسطينية لتحمل الأعباء الحياتية المترتبة على المشاركة السياسية	1.85	0.785	61.7	6	متوسط
7	ضعف الثقافة القانونية للمرأة الفلسطينية وقلة وعيها السياسي	2.09	0.794	69.5	5	متوسط
	المتوسط الحسابي العام	2.16	0.392	72.0	متوسط	

يتضح من جدول (5) أن المتوسطات الحسابية لـ (العوامل الشخصية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية)، تراوحت ما بين (1.83 -2.52)، حيث حاز البعد على

متوسط حسابي إجمالي (2.16)، وهو تأثير ذو مستوى متوسط، وباستعراض ترتيب العبارات، تبين أن العبارة رقم (4) كان لها أعلى تأثير والتي تنص على "ثقافة العيب المسيطرة على فكر المرأة الفلسطينية للمشاركة في الحياة العامة" وبمتوسط حسابي (2.52)، يليها العبارة رقم (3) والتي تنص على "لا زالت المرأة الفلسطينية تعمل في مجال الأعمال التقليدية التي هي امتداد لطبيعتها الأنثوية"، وذلك بمتوسط حسابي (2.42).

بينما أنَّ أقل العبارات أهمية في العوامل الشخصية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، كانت العبارة رقم (1)، والتي تنص على "تدني المستوى التعليمي للمرأة الفلسطينية"، وذلك بمتوسط حسابي (1.83)، يليها العبارة رقم (6) والتي تنص على "عدم قدرة المرأة الفلسطينية لتحمل الأعباء الحياتية المترتبة على المشاركة السياسية" وذلك بمتوسط حسابي (1.85).

النتائج المتعلقة بالإجابة على السؤال الثاني: ما العوامل الأسرية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي للعوامل الأسرية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، والجدول أدناه يوضح ذلك.

جدول (6): يوضح العوامل الأسرية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية

م	العوامل الأسرية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الرتبة	المستوى
1	العادات والتقاليد التي تعزز الثقافة الذكورية والنظرة السلبية تجاه دور المرأة في المجتمع	2.65	0.583	88.3	1	مرتفع
2	اتساع دائرة الفقر في الأسرة الفلسطينية وانعكاساته السلبية على المشاركة السياسية للمرأة	2.28	0.742	76.0	5	متوسط
3	ساهمت البنية الأبوية للأسرة الفلسطينية في حجب المرأة عن الحياة العامة والمشاركة السياسية	2.23	0.693	74.5	6	متوسط
4	تعدد الأدوار الأسرية التي تقوم بها المرأة الفلسطينية داخل وخارج البيت	2.44	0.707	81.3	3	مرتفع
5	الزواج المبكر وما ينتج عنه من التزامات	2.46	0.709	82.0	2	مرتفع
6	الخشية من تفكك الأسرة نتيجة للانشغال في الحياة العامة والسياسية	2.38	0.677	79.4	4	مرتفع
7	انخفاض المستوى الثقافي والتعليمي للأسرة	1.99	0.704	66.4	7	متوسط
	المتوسط الحسابي العام	2.35	0.358	78.3		مرتفع

يتضح من جدول (6) أن المتوسطات الحسابية لـ (العوامل الأسرية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية)، تراوحت ما بين (1.99 -2.65)، حيث حاز الُبعد على متوسط حسابي إجمالي (2.35)، وهو تأثير ذو مستوى مرتفع، وباستعراض ترتيب العبارات،

تبين أن العبارة رقم (1) كان لها أعلى تأثير والتي تنص على أن "العادات والتقاليد التي تعزز الثقافة الذكورية والنظرة السلبية تجاه دور المرأة في المجتمع" وبمتوسط حسابي (2.65)، يليها العبارة رقم (5) والتي تنص على "الزواج المبكر وما ينتج عنه من التزامات"، وذلك بمتوسط حسابي (2.46).

بينما أنَّ أقل العبارات أهمية في العوامل الأسرية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، كانت العبارة رقم (7)، والتي تنص على "انخفاض المستوى الثقافي والتعليمي للأسرة"، وذلك بمتوسط حسابي (1.99)، يليها العبارة رقم (3) والتي تنص على "ساهمت البنية الأبوية للأسرة الفلسطينية في حجب المرأة عن الحياة العامة والمشاركة السياسية" وذلك بمتوسط حسابي (2.23).

النتائج المتعلقة بالإجابة على السؤال الثالث ما العوامل التشريعية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي للعوامل التشريعية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، والجدول أدناه يوضح ذلك.

جدول (7): يوضح العوامل التشريعية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

م	العوامل التشريعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب	المستوى
1	المشرع الفلسطيني ميز بين الرجل والمرأة في نصوص قانونية تميزية (قانون الانتخاب، الجنسية، التقاعد، الضمان الاجتماعي..)	2.34	0.768	78.1	2	مرتفع
2	لم يمنح القانون الفلسطيني المرأة الحقوق الكاملة لتفعيل دورها السياسي	2.10	0.751	70.1	5	متوسط
3	الفجوة بين النص القانوني والتطبيق في التشريعات المتعلقة بالمرأة	2.38	0.654	79.4	1	مرتفع
4	القوانين الفلسطينية السائدة ومنها قانون الانتخابات تفرض قيود على المشاركة السياسية للمرأة	2.10	0.730	70.1	4	متوسط
5	عدم احترام الدولة لالتزاماتها عند المصادقة على الاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة	2.23	0.748	74.5	3	متوسط
	المتوسط الحسابي العام	2.23	0.471	74.4		متوسط

يتضح من جدول (7) أن المتوسطات الحسابية لـ (العوامل التشريعية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية)، تراوحت ما بين (2.10 -2.38)، حيث حاز البعد على متوسط حسابي إجمالي (2.23)، وهو تأثير ذو مستوى متوسط، وباستعراض ترتيب العبارات، تبين أن العبارة رقم (3) كان لها أعلى تأثير والتي تنص على "الفجوة بين النص القانوني والتطبيق في التشريعات المتعلقة بالمرأة" وبمتوسط حسابي (2.38)، يليها العبارة رقم (1) والتي

تنص على "المشرع الفلسطيني ميز بين الرجل والمرأة في نصوص قانونية تميزية (قانون الانتخاب، الجنسية، التقاعد، الضمان الاجتماعي..)"، وذلك بمتوسط حسابي (2.34).

بينما أنَّ أقل العبارات أهمية في العوامل التشريعية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، كانت العبارة رقم (2)، والتي تنص على "لم يمنح القانون الفلسطيني المرأة الحقوق الكاملة لتفعيل دورها السياسي"، وذلك بمتوسط حسابي (2.10)، يليها العبارة رقم (4) والتي تنص على "القوانين الفلسطينية السائدة ومنها قانون الانتخابات تفرض قيود على المشاركة السياسية للمرأة" وذلك بمتوسط حسابي (2.10).

النتائج المتعلقة بالإجابة على السؤال الرابع: ما العوامل السياسية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي للعوامل السياسية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، والجدول أدناه يوضح ذلك.

جدول (8): يوضح العوامل السياسية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

م	العوامل السياسية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب	المستوى
1	تجاوزات النظام السياسي وعدم احترامه للحقوق الأساسية لمواطنيه	2.31	0.696	77.1	4	متوسط
2	الافتقاد إلى رؤى إستراتيجية لتنمية المرأة سياسياً	2.32	0.687	77.3	3	متوسط
3	غياب المناخ الديمقراطي على أسس سليمة تسبب في عزوف المرأة عن المشاركة السياسية	2.23	0.690	74.2	7	متوسط
4	عدم مشاركة المرأة الفلسطينية في الأحزاب السياسية مشاركة فاعلة	2.27	0.726	75.5	6	متوسط
5	الانقسام السياسي الفلسطيني	2.50	0.687	83.3	1	مرتفع
6	الأحزاب والفصائل الفلسطينية ما زالت تتبنى المفهوم الذكوري دون إعطاء فرص حقيقية للمشاركة النسائية	2.38	0.676	79.2	2	مرتفع
7	ضعف الإرادة السياسية في بلورة قوانين تقوم على المساواة في الحقوق	2.28	0.752	76.0	5	متوسط
	المتوسط الحسابي العام	2.33	0.384	77.5		متوسط

يتضح من جدول (8) أن المتوسطات الحسابية لـ (العوامل السياسية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية)، تراوحت ما بين (2.23 -2.50)، حيث حاز البعد على متوسط حسابي إجمالي (2.33)، وهو تأثير ذو مستوى متوسط، وباستعراض ترتيب العبارات، تبين أن العبارة رقم (5) كان لها أعلى تأثير والتي تنص على "الانقسام السياسي الفلسطيني" وبمتوسط حسابي (2.50)، يليها العبارة رقم (6) والتي تنص على "الأحزاب والفصائل الفلسطينية ما زالت تتبنى المفهوم الذكوري دون إعطاء فرص حقيقية للمشاركة النسائية"، وذلك بمتوسط حسابي (2.38).

بينما أنَّ أقل العبارات أهمية في العوامل السياسية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، كانت العبارة رقم (3)، والتي تنص على "غياب المناخ الديمقراطي على أسس سليمة تسبب في عزوف المرأة عن المشاركة السياسية"، وذلك بمتوسط حسابي (2.23)، يليها العبارة رقم (4) والتي تنص على "عدم مشاركة المرأة الفلسطينية في الأحزاب السياسية مشاركة فاعلة" وذلك بمتوسط حسابي (2.27).

النتائج المتعلقة بالإجابة على السؤال الخامس: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تعزى لمتغير (الحالة الاجتماعية، مكان السكن).

للإجابة عن هذا السؤال تم استخدام اختبارIndependent Samples T-Test، واختبار One way ANOVA لمعرفة الفروق لدى عينة الدراسة في العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تعزى لمتغيرات الدراسة، كما هو مبين في الجداول الآتية:

جدول (9): يوضح الفروق في استجابة عينة الدراسة للعوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية

العوامل المؤثرة	الحالة الاجتماعية	ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	قيمة الدلالة
الدرجة الكلية	عزباء	100	59.7100	7.62014	1.984	.307
	متزوجة	28	56.4286	8.15329		

يوضح جدول (9) وباستخدام اختبار "Independent Samples T-Test" عدم جود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) في استجابة عينة الدراسة للعوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية.

جدول (10): يوضح الفروق في استجابة عينة الدراسة للعوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تعزى لمتغير مكان السكن

العوامل المؤثرة	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	قيمة الدلالة
الدرجة الكلية	بين المجموعات	163.785	2	81.893	1.344	.264
	داخل المجموعات	7615.207	125	60.922		
	المجموع	7778.992	127			

يوضح جدول (10) وباستخدام "One way ANOVA" عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) في استجابة عينة الدراسة للعوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تعزى لمتغير مكان السكن.

08- مناقشة نتائج الدراسة:

السؤال الأول: ما العوامل الشخصية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

بينت نتائج الدراسة إلى أن العوامل الشخصية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية كانت متوسطة، وفيما يتعلق بحصول عبارتي (ثقافة العيب المسيطرة على فكر المرأة الفلسطينية للمشاركة في الحياة العامة، ولا زالت المرأة الفلسطينية تعمل في مجال الأعمال التقليدية التي هي امتداد لطبيعتها الأنثوية) على أعلى متوسط حسابي، يعزو الباحث تلك النتيجة إلى أن كثير من النساء لا يقتنعن بقدراتهن في المشاركة بالعمل السياسي، بل يعتبرنه انتقاصاً من أنوثة المرأة، وربما يعود هذا إلى التنشئة الاجتماعية التي تدعم هذه الرؤية وتؤكد على أن الوظيفة الأولى للمرأة تتمثل في وظيفتها كزوجة وأم، وإلى جانب عدم اهتمام النساء بتطوير وعيهن السياسي من خلال المشاركة في الاعمال السياسية، والاكتفاء بالقضايا ذات الطابع المجتمعي البعيد عن تأثيره في عملية صنع القرار، وكذلك انعدام الثقة بين النساء وعدم مساندة المرأة للمرأة في المشاركة في الاعمال السياسية، وتفضيلها للرجل من منطلق أنه الأنسب للعمل السياسي، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (Ahmed & Moorthy, 2021) عن العوامل التي تؤثر على المشاركة السياسية للمرأة في السياسة الانتخابية، حيث توصلت نتائج الدراسة أن النساء ممنوعات من المشاركة في السياسة ومن العديد من جوانب الحياة اليومية في الهند، وأنهن غير راضيات عن السياسات القومية والخاصة بالولاية وحتى البلدية، وتختلف هذه النتيجة مع نتائج دراسة أسعد (2021) التي توصلت إلى أن هناك تغيرات مبكرة حدثت لصالح المرأة في عهد الشاه ويعزى ذلك إلى اندماج إيران في الرأسمالية العالمية، وأن المرأة الإيرانية لعبت دوراً هاماً في نجاح الثورة الإسلامية.

وفيما يتعلق بحصول عبارتي (تدني المستوى التعليمي للمرأة الفلسطينية، عدم قدرة المرأة الفلسطينية لتحمل الأعباء الحياتية المترتبة على المشاركة السياسية) على أدنى متوسط حسابي، يعزو الباحث تلك النتيجة إلى أن نسبة كبيرة من فئات المجتمع الفلسطيني هي فئات متعلمة خاصة فئة المرأة، وهذا ما يلاحظه الباحث بصفته محاضر جامعي من أن نسبة اقبال الإناث على التعليم الجامعي هو ضعف نسبة الذكور، فالمرأة الفلسطينية هي امرأة متعلمة وهذا لا يتعارض مع مشاركتها في العمل السياسي، وفيما يتعلق بعدم قدرة المرأة الفلسطينية لتحمل الأعباء الحياتية المترتبة على المشاركة السياسية، يعزو الباحث تلك النتيجة إلى أن الجهود والاعباء التي قد تترتب على العمل السياسي للمرأة لا تتعارض مع اعبائها الحياتية والأسرية، خاصة وأن المرأة الفلسطينية تستطيع أن توزان بين المهام الحياتية والأسرية والعمل السياسي.

السؤال الثاني: ما العوامل الأسرية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

أشارت نتائج الدراسة إلى أن العوامل الأسرية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية كانت مرتفعة، وفيما يتعلق بحصول عبارتي (العادات والتقاليد التي تعزز الثقافة الذكورية والنظرة السلبية تجاه دور المرأة في المجتمع، الزواج المبكر وما ينتج عنه من

التزامات) على أعلى متوسط حسابي، يعزو الباحث تلك النتيجة إلى أن العادات والتقاليد الفلسطينية تعزز الثقافة الذكورية والنظرة السلبية تجاه دور المرأة في المجتمع، وبالتالي تؤثر الثقافة السائدة في المجتمع الفلسطيني على واقع الحياة الاجتماعية للنساء، هذه الثقافة تعتبر بأن المرأة قاصر بسبب طبيعتها العاطفية غير العقلانية، مما يجعلها غير كفؤ لتبوأ مناسب قيادية، ومن الجدير ذكره أن هذا الموروث الثقافي لا يتعلق برؤية المجتمع فقط للمرأة، بل يتعلق برؤية المرأة لنفسها ولدورها، بحيث يقلل من إمكانية ترشيح النساء لأنفسهن، وضعف ثقتهن بانتخاب النساء، وفيما يتعلق بالزواج المبكر وتأثيره على العمل السياسي يعتقد الباحث أن الزواج المبكر يُشغل المرأة بالأعمال المنزلية والانجاب ورعاية الأطفال، وبالتالي يعيق مشاركتها السياسية، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (El Waked & Al-Zoby, 2021) التي توصلت أن تحديات إعاقة المرأة الأردنية عن المشاركة السياسية تشمل: التحديات الاقتصادية، تصورات المجتمع، العادات والتقاليد، ودراسة (Meera & Yekta, 2021) التي أظهرت نتائجها أن هناك تحديات في سياق المشاركة السياسية للمرأة، تتمثل في المشكلات الثقافية والأيديولوجية، حيث تساهم الظروف البيئية الاجتماعية الحالية في أفغانستان في الثقافة القبلية وأنماط الحياة التي تتمحور حول العشائر، والتي تتميز بالنظام الأبوي وتتمحور حول الرجولة، ودراسة ساسي (2020) التي توصلت إلى أن الموروث الثقافي لا زال يؤثر إلى حد كبير على النظرة الاجتماعية للمرأة التي تحاصرها داخل أدوارها التقليدية والتي تعيق وصولها لدور المرأة السياسية والمشاركة في العمل الحزبي وتنمية مجتمعها أو المساهمة في صنع القرار السياسي، ودراسة أبو زايدة (2020) التي أظهرت نتائجها أن أهمّ المعوقات التي تواجه المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تتمثل في العادات والتقاليد التي تعزز الثقافة الذكورية والنظرة السلبية تجاه دور المرأة في المجتمع.

وفيما يتعلق بحصول عبارتي (انخفاض المستوى الثقافي والتعليمي للأسرة، ساهمت البنية الأبوية للأسرة الفلسطينية في حجب المرأة عن الحياة العامة والمشاركة السياسية) على أدنى متوسط حسابي، يعزو الباحث تلك النتيجة إلى أن الأسر في المجتمع الفلسطيني تتمتع بمستوى تعليمي وثقافي مرتفع، وبالتالي لا يعد ذلك من ضمن العوامل المؤثرة على مشاركة المرأة في العمل السياسي، وفيما يتعلق بساهمة البنية الأبوية للأسرة الفلسطينية في حجب المرأة عن الحياة العامة والمشاركة السياسية، يرى الباحث أنه الأسر الفلسطينية ورغم سيادة النظام الأبوي فيها، إلا أنها تعطي المساحة الكافية لأبنائها لممارسة حياتهم الاجتماعية والتعليمية والسياسية وبالتالي لا يعد ذلك من ضمن العوامل التي تعيق المشاركة السياسية للمرأة.

السؤال الثالث: ما العوامل التشريعية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

بينت نتائج الدراسة إلى أن العوامل التشريعية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية كانت متوسطة، وفيما يتعلق بحصول عبارتي (الفجوة بين النص القانوني والتطبيق في التشريعات المتعلقة بالمرأة، المشرع الفلسطيني ميز بين الرجل والمرأة في نصوص قانونية تميزية "قانون الانتخاب، الجنسية، التقاعد، الضمان الاجتماعي..") على أعلى متوسط حسابي، يرى

الباحث أن المشكلة ليست في نص القانون، فالقواعد القانونية تضع مبدأ المساواة دائماً نصب عينها، وتبقيه أساساً للتعامل في جميع الحالات، وعليه تكمن المشكلة في التطبيق، وفي الآليات التي يجب أن تضعها القوانين لضمان مشاركة أوسع للمرأة في الحياة السياسية، وفيما يتعلق بأن المشرع الفلسطيني ميز بين الرجل والمرأة في نصوص قانونية تميزية، فيرى الباحث أن ذلك يتعارض مع اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، وبنظرة سريعة على التشريعات والقوانين السائدة في فلسطين، نجد أن بعض التشريعات تعيق إمكانية استقلال المرأة، الذي يعتبر مدخلاً هاما لوصول المرأة للمناصب العليا، وتشمل بعض التشريعات على العدد من القوانين التميزية الناشئة عن نظرة المجتمع والمشرع للمرأة، ويتجلى هذا التمييز في العديد من المظاهر كالتمييز الناشئ عن انكار المساواة بين الرجل والمرأة، والتمييز في قانون الجنسية وغيرها، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة عواد (2017) التي توصلت أن الحقوق السياسية للمرأة في فلسطين لا تزال تحتاج إلى العديد من الدوافع القانونية وأوصت المشرع الفلسطيني بالعمل على رفع الحصص من خلال تعديل قوانين الانتخابات التي تحد من مشاركتهم بنسبة معينة أو من خلال نظام يضمن التسلسل الهرمي لأسماء النساء في القوائم الانتخابية من أجل تحقيق التمييز الإيجابي الذي يعمل على حماية حقوق المرأة في المشاركة السياسية من أجل عدم الحد من المشاركة السياسية للمرأة كرجل.

وفيما يتعلق بحصول عبارتي (لم يمنح القانون الفلسطيني المرأة الحقوق الكاملة لتفعيل دورها السياسي، القوانين الفلسطينية السائدة ومنها قانون الانتخابات تفرض قيود على المشاركة السياسية للمرأة) على أدنى متوسط حسابي، يعزو الباحث تلك النتيجة إلى أن القانون الأساسي الفلسطيني المعدل لعام 2005، أكد على مجموعة من الحقوق التي يجب أن تتمتع بها النساء، خاصة حقها في المساواة، حيث نصت المادة 9 على أن "جميع الفلسطينيين أمام القانون سواء، لا تمييز بينهم بسبب العرق أو الجنس أو اللون أو الدين أو الرأي السياسي، أو الإعاقة"، كما أكدت المادة 26 على حق الفلسطينيين في المشاركة السياسية، وأكدت على الحق في التصويت والترشيح في الانتخابات.

السؤال الرابع: ما العوامل السياسية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

أشارت نتائج الدراسة إلى أن العوامل السياسية المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية كانت متوسطة، وفيما يتعلق بحصول عبارتي (الانقسام السياسي الفلسطيني، الأحزاب والفصائل الفلسطينية ما زالت تتبنى المفهوم الذكوري دون إعطاء فرص حقيقية للمشاركة النسائية) على أعلى متوسط حسابي، يعزو الباحث تلك النتيجة إلى أن الانقسام السياسي الفلسطيني يشكل تحدياً أمام تفعيل المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، الأمر الذي يتطلب بشكل جدي أنهاء حالة الانقسام واتمام ملف المصالحة، وإعادة اللحمة بين شطري الوطن، وتوحيد النظام السياسي الفلسطيني، لضمان مشاركة المرأة في الحياة السياسية بشكل فاعل وعادل، وفيما يتعلق بالأحزاب والفصائل الفلسطينية زادت تتبني المفهوم الذكوري بين أعضائها، يرى الباحث أن ذلك نتج عنه ضعف تمثيل المرأة في الأحزاب السياسية، مما أدى إلى إقصاء النساء من تلك الأحزاب فأصبحت النساء تمثل أقلية داخل الحزب، ويرى الباحث من خلال الحقائق والنسب الواردة في الأنظمة

الداخلية للتنظيمات والأحزاب السياسية، أن نسب مشاركة المرأة في الهيئات القيادية للفصائل والأحزاب السياسية تراوحت بين (5-19%) وهي نسبة متواضعة مقارنة بالرجال، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (Shehab et al., 2020) التي خلصت إلى عدة توصيات أبرزها ضرورة إلزام الأحزاب السياسية الفلسطينية بتنفيذ مبدأ التعددية السياسية، وإعطاء المرأة الفلسطينية حقوقها وفق الدساتير الفلسطينية، وتجاوز الصعوبات الاجتماعية والثقافية التي تحول دون الانخراط السياسي، ودراسة أبو زايدة (2020) التي أظهرت نتائجها أن أهمّ المعوقات التي تواجه المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تتمثل في الانقسام الفلسطيني الداخلي الذي شكّل تحدياً رئيسياً أمام تفعيل المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

وفيما يتعلق بحصول عبارتي (غياب المناخ الديمقراطي على أسس سليمة تسبب في عزوف المرأة عن المشاركة السياسية، عدم مشاركة المرأة الفلسطينية في الأحزاب السياسية مشاركة فاعلة) على أدنى متوسط حسابي، يعزو الباحث تلك النتيجة إلى أن هناك مناخاً ديمقراطياً يعطي الفلسطينيين المساحة الكافية للمشاركة السياسية وهذا ما تحقق في انتخابات 1996، و2006، وبالتالي لا يؤثر هذا المناخ من وجهة نظر الباحث على المشاركة السياسية للمرأة بل أن الانقسام السياسي الفلسطيني هل هو الذي أدى إلى غياب هذه المناخ الديمقراطي، وفيما يتعلق بعدم مشاركة المرأة الفلسطينية في الأحزاب السياسية مشاركة فاعلة، يرى الباحث أنه هناك مشاركة سياسية للمرأة داخل هذه الاحزاب ولكن الاشكالية تتمثل في مستوى تمثيل المرأة في تلك الأحزاب السياسية.

السؤال الخامس: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تعزى لمتغير (الحالة الاجتماعية، مكان السكن).

أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابة عينة الدراسة للعوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية، ويعزو الباحث ذلك أن النظام السياسي الفلسطيني يسمح لجميع الحالات الاجتماعية -عزباء، متزوجة، مطلقة، أرملة- للمشاركة في الحياة السياسية، وبالتالي لا يوجد قانون ينص على احقية حالة اجتماعية عن غيرها في المشاركة في الحياة السياسة ، وبالتالي جميع الحالات تتمتع بالمساواة في المشاركة السياسية، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (Zaky & Mohamed Moawad, 2021) التي أكدت على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha \leq 0.05$) من حيث دور المشاركة السياسية للمرأة في تنمية المجتمع المحلي من وجهة نظر أفراد المجتمع والنساء أعضاء مجالس المنظمات حسب المتغير (الحالة الاجتماعية).

أما بالنسبة لمتغير مكان السكن، أظهرت نتائج الدراسة عدم جود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابة عينة الدراسة للعوامل المؤثرة في تفعيل مستوى المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تعزى لمتغير مكان السكن، ويعزو الباحث تلك النتيجة أن قطاع غزة يتميز بمحدودية مساحته، والتوزيع الديمغرافي لسكانه يظهر بأن أغلب سكانه يقطنون في المدن والمخيمات والقليل منهم داخل القرى، هذا بالإضافة إلى ارتفاع المستوى الثقافي بين طبقيات المجتمع الفلسطيني في جميع أماكن سكاناه، وما تنص عليه القوانين والتشريعات الفلسطينية بالسماح لجميع المواطنين الفلسطينيين بالمشاركة السياسية بغض النظر عن امكان تواجدهم، وهذا ما نراه في الانتخابات

الفلسطينية كنشاط سياسي بحرص لجنة الانتخابات الفلسطينية على مشاركة جميع الفلسطينيين بعض النظر عن أماكن تواجدهم سواء كانوا في قطاع غزة أو الضفة الغربية أو القدس المحتلة أو في الأراضي المحتلة عام 48.

09- الخاتمة والتوصيات:

يرى الباحث أنه على الرغم من أن المرأة الفلسطينية تشكل نصف المجتمع الفلسطيني من الناحية العددية، إلا أنها تمثل أقلية بالمفهوم السياسي، وبالتالي أن مشاركة المرأة الفلسطينية في الحياة السياسية ما زلت متدنية وضعيفة، وأن جهوداً كبيرة ما زالت مطلوبة للنهوض بواقع المرأة الفلسطينية، فإن لم تكن المرأة هي المشاركة في التخطيط والتنفيذ واتخاذ القرار فستبقى مهمشة، مما يؤكد أهمية العمل على زيادة مشاركة المرأة في الحياة السياسية على قاعدة أن لكل إنسان الحق في المشاركة في العملية التنموية والاستفادة من ثمارها، وفي ضوء ذلك يوصي الباحث بالآتي:

-توعية المجتمع بالتغلب على ثقافة العيب المسيطر على فكر المرأة الفلسطينية في المشاركة السياسية، واعطائها الحرية الكاملة في ذلك.

-تغيير الفكر السائد في المجتمع الفلسطيني بأن المرأة الفلسطينية لابد وأن تعمل في الاعمال التقليدية التي هي امتداد لطبيعتها واعطائها المساحة الكافية للعمل في الاعمال السياسية.

-مطالبة مؤسسات المجتمع بالعمل على تغيير الثقافة الذكورية والنظرة السلبية لدور المرأة في المجتمع، واعطائها الحقوق الكاملة دون نقصان أسوة بالرجل.

-رفع سن الزواج إلى السن القانوني حتى يكون عائق أمام عمل المرأة في الحياة السياسية.

-إزالة الفجوة بين النص القانوني والتطبيق فيما يتعلق بالتشريعات المرتبطة بالمرأة.

-تعديل النصوص القانونية التي ميّز فيها المُشرع الفلسطيني بين المرأة والرجل خاصة قانون الانتخابات.

-إنهاء الانقسام السياسي الفلسطيني والذي يمثل تحدياً كبيراً أمام المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

-أن تتخلى الفصائل والأحزاب السياسية عن المفهوم الذكوري في تشكيل الأحزاب وإعطاء فرص حقيقية للمرأة لتمثيلها.

قائمة المراجـــــــع

1.أبو زايدة، علاء زايد عبد الهادي. (2020). *معوقات وتحديات تفعيل المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية*، رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

2.أسعد، أميرة نعيم. (2021). واقع المشاركة السياسية للمرأة في إيران. *مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث*، 1(2)، 644-665.
http://search.mandumah.com/Record/1189835

3.الدوى، موزة عيسى. (2018). *المشاركة السياسية للمرأة البحرينية المعوقات وآليات التجاوز*، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة.

4.العيلة، رياض. (2007). واقع المرأة الفلسطينية في المشاركة السياسية والعامة، *مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية*، 21(1)، 309-348.

5.القحطاني، سارة بنت فهد. (2017). المشاركة السياسية للمرأة السعودية في مجلس الشورى ومعوقاتها، *مجلة العلوم الاجتماعية*، 4(58)، 196-231.

6.الكعبي، إبراهيم محمد. (2007). العوامل المعيقة للمشاركة السياسية للمرأة القطرية العامة ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، *مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية*، 23(2)، 507-553.

7.بادي، سامية. (2005). *المرأة والمشاركة السياسية "التصويت، العمل الحزبي، العمل النيابي"*، جامعة منتوري قسنطينة. الجزائر.

9. حسين، ماجد الحلواني. (2000). *رؤية مستقبلية لبرامج المرأة، المنتدى الفكري الأول "المرأة والإعلام"*، القاهرة.

10.رسول، اخلاص أكرم أحمد. (2012). العوامل المؤثرة على دور المرأة في صنع القرار دراسة ميدانية في معهد الإدارة. *مجلة الفلسفة*، 9(1).
https://www.iasj.net/iasj/article/73487

11.ساسي، سفيان. (2020). التمكين السياسي للمرأة في الجزائر. *مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية*، 4(2)، 523 - 545.
http://search.mandumah.com/Record/1106358

12.سليمان، هدى توفيق. (2003). *تقييم مشروع تنمية المرأة الريفية كمدخل لتنمية المجتمع المحلي*، المؤتمر العلمي السادس عشر كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان.

13.عبد الهادي، محمد أحمد. (1987). *اتجاهات شباب الجامعة نحو المشاركة السياسية*، المؤتمر العلمي الأول لكلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان.

14.عليان، عمران على. (2014). أزمة المشاركة السياسية لدى المرأة الفلسطينية العاملة "مستوياتها ومعوقاتها"، *مجلة العلوم الاجتماعية*، 42(3).

15.عواد، حسام محمود صالح. (2017). *الحقوق السياسية للمرأة في الاتفاقيات الدولية والقانون الفلسطيني*، رسالة ماجستير منشورة، جامعة النجاح الوطنية.

16.فتحية، عويسات. (2019). معوقات ممارسة المرأة للحقوق السياسية في الوطن العربي، *مجلة آفاق للعلوم* 1(16)، 22-28.

17.فهمي، محمد سيد. (2004). *المشاركة الاجتماعية والسياسية للمرأة في العالم الثالث*، المكتب الجامعي الحديث.

18.مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الانسان. (2006). المعاهدات الدولية الأساسية لحقوق الانسان.

19.Ahmed, M., & Moorthy, R. (2021). Gender inequality in Assam: factors affecting women’s political participation in electoral politics. *Linguistics Culture Review, 5*(S2), 922-933. https://doi.org/10.21744/lingcure.v5nS2.1551

20.El Waked, M. A. Y., & Al-Zoby ,K. F. (2021). The Challenges Hindering Jordanian Women From Political Participation From The Perspective Of The Female Graduate Students At The University Of Jordan. *Psychology Education Journal*, *58*(5), 1762-1769 .

21.Giommoni, T. (2021). Exposure to corruption and political participation: Evidence from Italian municipalities. *European Journal of Political Economy*, *68*, 102000. https://doi.org/https://doi.org/10.1016/j.ejpoleco.2021.102000

22.Meera, M., & Yekta, K. (2021). The Challenges to Political Participation of Women in Afghanistan. *Asian Studies*, *9*(1), 65-91. https://doi.org/10.4312/as.2021.9.1.65-91

23.Shehab, J., Marni, N., & Sciences, S. (2020). The Role of Palestinian Women in Political Participation during the Israeli Siege Imposed on the Gaza Strip, Palestine. *Addaiyan Journal of Arts, Humanities*, *2*(01), 47-61. https://aipublisher.org/projects/ajahss /

24.Zaky, S., & Mohamed Moawad, M. (2021). The role of women's political participation in achieve development Local Societies. *Egyptian Journal of Social Work, 11*(1), 123-144. https://doi.org/10.21608/EJSW.2020.30551.1094

سوسيولوجيا التنظيمات: مفاهيم ومقاربات

د. عبد السلام بيان

باحث في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة ابن طفيل-القنيطرة-المغرب

ملخص: شكل ظهور سوسيولوجيا التنظيمات قفزة كبيرة في ميدان علم الاجتماع، حيث إن هذا التخصص الجديد اهتم بمختلف أنواع وأشكال التنظيمات، ولهذا أصبحنا أمام مفاهيم جديدة ونظريات متعددة ومرتبطة بهذا التخصص، والتي استطاعت تجاوز العديد من هفوات النظريات السابقة. وسنقتصر في هذه الورقة العلمية على مفهوم التنظيم والإسهامات النظرية لماكس فيبر ومشيل كروزي في مجال سوسيولوجيا التنظيمات..

الكلمات المفتاحية: التنظيم، البيروقراطية، التحليل الاستراتيجي.

Sociology of Organisations: Concepts and approaches

Dr.Abdeslem Bayane

University Of Ibn Toufail-Kenitra-Morocco

Abstract: The appearance of the sociology of organisations was a big step in the field of sociology, this type of sociology is interested in any kind of organisation. This gave rise to several notions and theories. In this paper we will study the determination of the notion of organization and the theoretical contributions of Max Weber and Michel Crozier in the sociology of organisations.

Keywords: Organisation, bureaucracy, strategic analysis.

تقديم

يرى أغلب الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية أن مفهوم التنظيم مفهوم حديث، لكن فكرة التنظيم فكرة قديمة جدا؛ لأن جميع الحضارات والمجتمعات البشرية كانت تمارس هذا الفعل في مختلف أمورها وأنشطتها، والاختلاف يكمن فقط في تسمية هذه التنظيمات : كالتجمعات المهنية والجيوش الحربية والقوافل التجارية والأسواق والزوايا أو الطوائف الدينية...الخ.

واهتمت مختلف التخصصات العلمية - كعلم اللغة والاقتصاد والاجتماع والقانون...- بهذا المفهوم منذ زمان بعيد، إلا أن اهتمام السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا جاء متأخرا كثيرا. ورغم كثرة الأبحاث والدراسات التي تناولت التنظيم من منظور سوسيولوجي، فإن أهمية هذا الموضوع تستدعي مزيدا من البحث والدراسة. وتأتي هذه الورقة العلمية للبحث في أهم النظريات السوسيولوجية التي عالجت مفهوم التنظيم، وذلك بالانطلاق من التحديد المفاهيمي، ثم الوقوف على بعض النظريات التي قدمت مساهمات كبيرة في هذا الجانب.

إشكالية البحث

تتجلى إشكالية هذا البحث في صعوبة تحديد مفهوم التنظيم، نظرا لطابعه الإشكالي ولتنوع التعريفات التي أعطيت له، بالإضافة إلى الإشكال المرتبط بتنوع النظريات المتعلقة بالتنظيم عامة وبسوسيولوجيا التنظيمات خاصة.

أهداف البحث وأهميته

تهدف هذه الورقة إلى مناقشة بعض تعاريف التنظيم ومحاولة الخروج بتعريف جامع، والمقارنة أيضا بين إسهامات كل من ماكس فيبر وميشيل كروزي في مجال سوسيولوجيا التنظيمات. أما بخصوص أهمية هذه الورقة فتتمثل في إعادة قراءة ومناقشة مفاهيم ونظريات سوسيولوجيا التنظيمات، والتعريف بها لدى الباحثين والمهتمين بهذا الموضوع.

منهج الدراسة

هذه الورقة تعتمد على التحليل والمقارنة النظرية، سواء أثناء التحديد المفاهيمي لكل من التنظيم والمفاهيم المجاورة له، أو أثناء عرض بعض النظريات السوسيولوجية والمقارنة بينها.

أولا: التنظيم كمفهوم سوسيولوجي

جاء في لسان العرب أن "التنظيم من الفعل نَظَّمَ يُنَظِّمُ تَنْظِيماً أي بمعنى التأليف، ويقال نَظَمْتُ اللؤلؤ، أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظَمت الشعر ونظَّمته، والنظم: هو المنظوم، وصف بالمصدر وهو ما نظمته من لؤلؤ وحرز وغيرهما. أما النظام فهو ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، وكل شعبة منه وأصل نظام"(ابن منظور، ص578). أما عند الفيروزبادي، فلم نعثر على أية إشارة لمفهوم التنظيم، لكنه في المقابل، أشار إلى النَّظْم لذي يدل على "التأليف، وضَمُّ شيء إلى شيء آخر"(الفيروزبادي، 2008، ص1624).

ومن هذا كله يتضح أن التنظيم لغويا هو الجمع والتأليف بين عدة أمور أو أشياء أو عناصر على نحو ما. ويقصد بالتنظيم على العموم، نوعا من التوليف لعدد من الموارد المختلفة، لجعله أداة أو آلة في خدمة إرادة ما تروم تحقيق مشروع محدد(Raymond Boudon, 1982, p398).

ومن الناحية السوسيولوجية فإن الاهتمام بهذا المفهوم جاء مع ميلاد سوسيولوجيا التنظيمات خلال الستينيات من القرن الماضي، رغم أن هناك إشارات إلى هذا المفهوم في أبحاث ودراسات المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع، أمثال أجست كونت ودوركايم وكارل ماركس ... وتختلف مسميات التنظيم، فيراد به أيضا "المنظمة" أو"المؤسسة" أو "التنظيم الاجتماعي"... ويبين هذا التنوع في المصطلحات الصعوبة التي تكتسيها عملية تحديد هذا المفهوم.

وتتميز العصور الحديثة بالطابع التنظيمي إلى درجة أننا لا نستطيع أن نستغني عنه في جميع أنشطتنا الحياتية. وأشار "أميتاي إتزيوني"(Amitai Etzioni) في كتابه "التنظيمات الحديثة" أننا أصبحنا نتعامل مع التنظيمات في جميع مراحل حياتنا، فهي موطن ولادتنا، وهي مكان تعلمنا، وهي مكان عملنا(Amitai Etzioni, 1968, p48) . وهذا يدل على كثرة وتنوع التنظيمات في العصر الحديث، وكونها عصب الحياة.

وإذا كان ماكس فيبر أول من وضع نظرية للتنظيم، فإنه قابل التنظيم بمفهوم البيروقراطية، كما أن التنظيم عنده يرادف مفهوم البيروقراطية الذي يرتبط بالعقلانية كخاصية أساسية للمجتمعات الحديثة. ومن بين التعريفات التي صاغها ماكس فيبر للتنظيم نذكر التعريف الآتي:" إن العلاقة الاجتماعية المغلقة أو التي تحد من قبول الأجانب تسمى تنظيما، عندما يسهر أشخاص محددون على حسن تطبيق قوانين التنظيم: رئيس، ـوموظف إداري له سلطات تمثيلية" (Max Weber, 1987, p48)، فالتنظيم الذي أشار إليه ماكس فيبر عبارة عن علاقة اجتماعية بين فاعلين، وهو فضاء ونسق مغلق لا يقبل أعضاء خارج التنظيم، ويوجد على رأسه قائد له سلطة على الآخرين، هذه السلطة هي المصدر الذي يستمد منه مشروعيته وهيمنته على الآخرين.

وعكس ذلك فإن التنظيم الاجتماعي حسب زنانكي يدل على التنظيم الذي يتخذه مجموعة من الفاعلين بغرض تحقيق هدف معين؛ وكل تنظيم فهو تنظيم اجتماعي، لأنه مجال للتفاعل والتعاون بين الفاعلين الذين يقومون بأفعال وأنشطة مختلفة أو متشابهة، مستمرة أو دورية وفي مدة زمنية غير قصيرة ولا محددة (Florian Znienki,1945, p200-201). وهكذا حدد زنانكي إحدى أهم خاصيات التنظيمات الاجتماعية المتمثلة في: وجود أهداف وغايات يسعى الفاعلون إلى تحقيقها، وكون التنظيم اجتماعيا، والتعاون بين الفاعلين، ثم خاصية الاستمرارية. وهو تعريف دقيق وشامل يتجاوز التعاريف التي قدمها رواد سوسيولوجيا التنظيمات(Bruno Milly, 2012, p26).

وبالنسبة لمنظري سوسيولوجيا التنظيمات فإننا سنركز على الاتجاه البنائي الوظيفي مع كل من بارسونز وروبرت ميرتون. فالتنظيم عند بارسونز عبارة عن "وحدات اجتماعية تقاوم وفقا لنموذج بنائي معين لكي تحقق أهدافا معينة" (Talcot) Parsons, 1960, p17. ولا يختلف تعريف تالكوت بارسونز عن التعريفات التي أشرنا إليها أعلاه، إلا في مسألة اعتباره التنظيم نسقا اجتماعيا يقوم على مجموعة من العلاقات، وهذا النسق العام يمكن أن يحتوي أنساقا فرعية، كما أن عناصر هذا النسق(التنظيم) محددة وثابتة، وتعمل دائما لتلبية رغبات الفاعلين وضمان استمرارية التنظيم؛ وفي نفس الاتجاه الذي يجعل من التنظيم أداة لتحقيق الأهداف المشتركة لجماعة ما وفق مقاربة وظيفية تروم إشباع حاجيات أعضاء التنظيم ومحيطه؛ لأن التنظيم

الاجتماعي عبارة عن" وحدات اجتماعية يتم توجيهها نحو تحقيق أهداف جمعية، أو إشباع حاجات نظامية لأعضاء المجتمع أو البيئة"(Michael I.Reed,1992, p75).
لكننا نرى أن التعريف الذي أتى به ميشل كروزي(Michel Crozier) ساهم في الكشف عن جوانب جديدة في التنظيمات الاجتماعية، فقد أصبح التنظيم الاجتماعي بناء اجتماعيا وإنسانيا، ومجالا للصراع والسلطة والاستراتيجيات والاستراتيجيات المضادة، التي تهدف إلى السيطرة على التنظيم، عكس بعض التعريفات التي اعتبرته معطى طبيعيا. إذن فالتنظيم هو البناء الإنساني الذي يجب دراسته وتحليله، كما أن هذا البناء الإنساني يعمل على تلبية عدة وظائف اجتماعية (Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977, p15-23). وبذلك فإن التنظيم عند مشيل كروزي هو "مجموعة معقدة من الألعاب المتقاطعة والمترابطة فيما بينها، والتي من خلالها يعمل الأفراد الذين يمتلكون مهارات (atouts) متباينة في الغالب، ويبحثون عن حلول للحصول على أكبر قدر من الأرباح دون الإخلال بقواعد اللعب غير المكتوبة، والتي تفرض عليهم من الوسط، مستغلين في ذلك جميع الامتيازات، ويعملون أيضا على الحد من امتيازات الآخرين Michel). Crozier, 1963, p8) في هذا التعريف يبين لنا كروزي أن التنظيم مجال للصراع، على عكس ما ذهب إليه أصحاب التحليل النسقي الذين يرون أن التوازن من سمات التنظيمات، ويضيف أيضا أن القواعد التي تتحكم في أي تنظيم ليست بالضرورة مكتوبة، وهذا يدل على أن كروزي وسع مجال التنظيمات لتشمل الجمعيات، والتنظيمات الرخوة كالكنائس والدير والزوايا والجمعيات..، فهو لا يقتصر إذن على التنظيمات البيروقراطية التي تتوفر على هرمية في السلطة وتقسيم دقيق للعمل. ونحن نتفق مع هذا الطرح، لأن التنظيم والفعل المنظم غير مرتبطين بقواعد مكتوبة ومحددة، فبعض المجتمعات القديمة عرفت أشكالا من التنظيمات المتطورة، لكن من دون أن تكون لها قواعد وضوابط مكتوبة، خاصة المجتمعات التي تعتمد الشفاهية أكثر من الكتابة.
إضافة إلى ما سبق، فقد تم تعريف التنظيم في السوسيولوجيا انطلاقا من الخصائص التي يتميز بها، **فأنتوني غدنز** يرى أن التنظيم أو المنظمة عبارة عن "تجمع كبير من الناس يتهيكل ويقوم على أسس غير شخصية، ينشط لتحقيق أغراض وأهداف محددة".(أنتوني غيدنز، 2005، ص407)، وبالتالي فمن خصائص أي تنظيم وجود مجموعة من الأفراد يرغبون في تحقيق أهداف مشتركة ومحددة؛ ويضيف صاحبا المعجم النقدي لعلم الاجتماع خاصيتي التعاون والتراتبية لكي نتحدث عن التنظيم، والذي يميزه عن التجمع الذي يندثر مع انقضاء سبب وجوده (ريمون بودون وفرنسوا بوريكور، 1986، ص199). وينحو إدغار تشاين Edgar Schein منحى ماكس فيبر باستعمال مفهوم العقلانية في تحديد مفهوم التنظيم، لكنه يضيف أهمية التنسيق والتوليف وتوفر الأهداف المراد تحقيقها. ويعرف التنظيم بكونه :"ذلك التنسيق العقلاني للأنشطة، الذي يقصده عدد من الأفراد بغية تحقيق مجموعة من الأهداف والغايات الضمنية والمشتركة بينهم(Edgar Schein, 1971, p78). وإلى جانب كل هذا فإن أي تنظيم لابد له من تقسيم للمهام والأعمال لتجنب الفوضى وتداخل المهام، وهي أهم خاصيات المجتمعات الحديثة. وهكذا فإن هنري منتزبارغ Henri Mintzberg يعتبر التنظيم "بمثابة المجموع العام لأشكال تقاسم

العمل ما بين مجموعة من العناصر، وتنسيق نتائج المهام المتقاسمة" (Hinri Mintzberg, 1982, p102).

وتصب التعريفات الحديثة للتنظيم في نفس منحى ما جاءت به التعريفات الكلاسيكية، خاصة عند رواد سوسيولوجيا التنظيمات، ونقدم مثال جيل هيرو الذي يرى أن: "التنظيم يمكن أن يفهم كفضاء يتعاون فيه الأفراد والجماعات في تناغم مع القواعد والأدوات التقنية" (Gilles HERROS, 2008, p270). إذا فخاصية التعاون ضرورية في أي تنظيم، والتعاون يكون من أجل تحقيق أهداف وغايات مشتركة وفق قوانين وقواعد محددة وباستعمال الموارد والوسائل الضرورية.

بينما يرى غي روشي Guy Rocher أن التنظيم في علم الاجتماع يستعمل تحديدا للدلالة على مجموعة من الترتيبات الرسمية للأدوار ذات طابع بيروقراطي ولها وظائف محددة (Guy Rocher, 1968, p13)، أما التنظيم الاجتماعي فهو مختلف عن مفهوم التنظيم، لكونه "الترتيب الشامل لجميع العناصر التي تروم إلى بَنْيَنَة (structuration) الفعل الاجتماعي في شكل كل يمثل صورة وشكلا خاصا مختلفا عن مكوناته وعن الترتيبات الأخرى الممكنة"" (Guy Rocher, 1968, p13). وهذا ما جاء في معجم العلوم الاجتماعية، حيث عرفه روبرت فارسRobert Faris بكونه "مجموعة مستقرة نسبيا من العلاقات المتبادلة الوظيفية بين العناصر المكونة (أفراد ومجموعات)، تنتج عنها خصائص غير موجودة في هذه العناصر، مما يؤدي إلى إفراز كيان فريد""(Robert farisأورده,Guy 1988,p16 Rocher)

نستنتج مما سبق أن التنظيم يتكون عموما من مجموعة من الأفراد داخل فضاء ما، يتعاونون من أجل تحقيق أهداف مشتركة، لكن يمكن أن تنشأ بين أعضاء التنظيم صراعات من أجل امتلاك السلطة نتيجة استعمالهم لمجموعة من الاستراتيجيات. والتنظيم ليس فضاء ساكنا، فكل تنظيم به دينامية داخلية ويتأثر بالمحيط الخارجي. كما أن مفهوم التنظيم لا ينطبق فقط على التنظيمات البيروقراطية، فقد يشمل المجالات الرخوة كالجمعيات والتعاونيات، وكذا التنظيمات التي كانت تدبر شؤون المجتمعات التقليدية.

ثانيا): سوسيولوجيا التنظيمات بين ماكس فيبر ومشيل كروزيي

على الرغم من كون سوسيولوجيا التنظيمات حديثة الظهور والنشأة، إلا أن النظريات السوسيولوجية التي تطرقت للتنظيم من منظور سوسيولوجي كثيرة، حيث يقسم أغلب الباحثين هذه النظريات إلى نظريات كلاسيكية ونظريات حديثة، وتنقسم كذلك هذه النظريات حسب الاتجاهات النظرية، إلى نظريات وظيفية ونظريات الفعل الاجتماعي ونظريات الصراع... كما أن هناك مدارس فرنسية وألمانية وأمريكية...

وتجدر الإشارة إلى أن أول ظهور لسوسيولوجيا التنظيمات كان مع هنري فايول، ثم جاء بعده تايلور، وبعده التون مايو صاحب مدرسة العلاقات الإنسانية، لكن ما يهمنا في هذا المقال هي اسهامات كل من ماكس فيبر ومشيل كروزي.

1.ماكس فيبر والنموذج المثالي للتنظيم

يعتبر ماكس فيبر من بين علماء الاجتماع الأوائل الذين اهتموا بموضوع التنظيمات، وهو صاحب نموذج التنظيم البيروقراطي الذي مازال مؤثرا في كثير من الدراسات والأبحاث حول التنظيمات، خصوصا أنه وضع نماذج مثالية للتنظيمات، هذه النماذج غير موجودة على مستوى الواقع، لكنها أدوات تحليلية تساعد الباحث على معرفة طبيعة وخصائص التنظيمات التي يدرسها.
فكيف قارب ماكس فيبر موضوع التنظيمات؟

يصنف ماكس فيبر ضمن التيارات الكلاسيكية في سوسيولوجيا التنظيمات (يوسف صديق، 2017، ص35)، ونرى أن نماذجه حول التنظيم مهمة في مقاربة موضوع التنظيمات، لأنها نماذج مثالية كفيلة بمعرفة مدى قربها أو بعدها من التنظيمات التي توجد في الواقع الاجتماعي.

وركز ماكس فيبر في نظريته حول النموذج المثالي للتنظيم البيروقراطي- الذي يعتبر من سمات التنظيمات الحديثة في المجتمعات الحديثة- على مفاهيم أساسية مثل: المشروعية والهيمنة والبيروقراطية والسلطة... بالإضافة إلى الفعل الاجتماعي كأساس لدراسة أنماط السلوكات والعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع وداخل أي تنظيم.

وهناك اختلاف كبير حول أصل وأول استعمال لمفهوم البيروقراطية(جمال فزة، 2013، يوسف صديق، 2017)، وعموما فقد استعمله ماكس فيبر كمفهوم محوري في النموذج المثالي للتنظيم البيروقراطي لتبيان مشروعية أشكال الهيمنة و"السلطة" داخل التنظيم الاجتماعي، حيث يتحدد النموذج المثالي للتنظيم البيروقراطي من خلال مجموعة من الخصائص والسمات، ليست بالضرورة موجودة كلها في كل تنظيم، "ولا تشير صفة "المثال" هنا إلى سمات مرغوبة، بل إلى ملامح الشكل الخالص للمنظمة البيروقراطية التي قد يتحقق كلها أو بعضها في الحياة العملية الواقعية(أنتوني غدنيز،2005، ص 410). وقد حدد ماكس فيبر خصائصه في:

1. توزيع السلطة في تراتبية ومراتب واضحة.
2. تحكم القواعد والأنظمة المكتوبة سلوك موظفي المنظمة على جميع المستويات.
3. يعمل الموظفون في البيروقراطية بدوام كامل ويتقاضون أجرا عن عملهم.
4. هناك فصل بين مهمات المسؤول داخل المنظمة وحياته وخارجها.
5. إن أعضاء المنظمة لا يمتلكون الموارد المادية التي يؤدون عملهم من خلالها (أنتوني غدنيز،2005، ص 410).

وحدد ماكس فيبر في كتابه (الاقتصاد والمجتمع) ثلاثة أنواع من الهيمنة، تقابل كل واحدة منها نوعا من السلطة المشروعة. هذه النماذج الثلاثة من الهيمنة هي: الهيمنة العقلانية التي تستمد مشروعيتها من القوانين الوضعية والسلطة المتعارف عليها لدى الجميع، وتمثل مرحلة من النضج العقلي الذي يعمل على إبداع هذه الأشكال من السلطة؛ والهيمنة التقليدية، وتمثل مرحلة السلطة المبنية على الأعراف والتقاليد التي كان يحتكم إليها الناس قبل ظهور الفكر الوضعي العقلاني؛ والهيمنة الكاريزمية التي تستمد مشروعيتها من السلطة، التي تصدر عن أشخاص لهم قوى وصفات خارقة تمكنهم من فرض هيمنة روحية على الأفراد أو الجماعات. ويضيف ماكس فيبر بأن هذه النماذج الخالصة ليست إلا نماذج مبسطة باعتبارها أدوات تحليلية تساعد على فهم

التنظيمات الاجتماعية، لكن في الواقع العملي تظهر هذه النماذج متداخلة (Raymond Aron, 1967, p566-558).

غير أن ماكس فيبر مع ذلك اهتم بالعلاقات الرسمية وأهمل العلاقات غير الرسمية داخل التنظيم، وتميز أيضا بمغالاته في البيروقراطية. كما أنه لم يعط حرية للفاعل وللتغير داخل التنظيم ولعلاقة التنظيم مع محيطه. وهو ما سيجعل استحضارنا لمشيل كروزي في دراسة التنظيمات ضرورة، لأنه أعطى أهمية للتفاعلات داخل التنظيمات وللاستراتيجيات التي يسلكها الفاعلون والتي تمكنهم من حرية نسبية؛ زيادة على التأثير الذي يمكن أن يمارسه المحيط على التنظيم، لأن التنظيم بناء اجتماعي وليس معطى طبيعيا.

2.التحليل الاستراتيجي للتنظيمات

وهي من بين النظريات التي أحدثت ثورة في سوسيولوجيا التنظيمات بإعطائها أهمية للفعل الاجتماعي وللعلاقات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية داخل أي تنظيم ولدور المحيط والبيئة وخبرة الفاعلين في تحليل التنظيمات الاجتماعية. وهي نظرية ذات خلفية وظيفية، لأنها تهتم بالكيفية التي تعمل بها التنظيمات وبالاختلالات التي قد تطال أي تنظيم، وبالعلاقات بين جميع الفئات وباستراتيجيات الفاعلين وبأشكال السلطة وبمظاهر التعاون أو الصراع داخل أي تنظيم(Pierre Ansart, 1990, p64-65).

ومن أجل ذلك أبدع كروزي التحليل الاستراتيجي كمنهج يروم فهم منطق اشتغال التنظيم ويحدد طبيعة علاقاته الداخلية يورصد الاختلالات التي تحدث داخل التنظيمات، بغية فهم المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الحديثة، كمشاكل الاندماج داخل التنظيمات والمؤسسات، أو مشاكل التكيف مع التنظيمات الحديثة. وهذا عكس المقاربات التي تهتم بالبنية وبالنسق الاجتماعي، غير أن كروزي لا ينفي تأثير المحيط على التنظيم.

ويرتكز التحليل الاستراتيجي على عدة مفاهيم مترابطة فيما بينها، أهمها: نسق الفعل الملموس ومناطق الخصاص أو اللايقين أو الارتياب والاستراتيجية والسلطة، والفاعلون...

وعلى عكس النظريات الكلاسيكية في سوسيولوجيا التنظيمات التي اهتمت بالجوانب العقلانية للسلوك التي يقوم بها الفاعل الاجتماعي، فإن التحليل الاستراتيجي ينحو منحى مخالفا، وذلك بدراسته للسلوكات غير العقلانية ولمختلف معانيها ودلالاتها، لأن السلوك الإنساني حسب ميشل كروزي ليس نتاجا لما هو عقلاني فقط، بل إنه يتضمن معان غير عقلانية.

وتعتبر التنظيمات حلولا لمشاكل الأفعال الجماعية التي تستدعي التعاون المشترك لتحقيق الأهداف والغايات المشتركة، فنظرية ميشل كروزي وهيرار فريد بيرغ تنطلق من التنظيم لتهتم بالفعل المنظم، فالفاعلون داخل أي تنظيم يسلكون مجموعة من الاستراتيجيات من أجل الحفاظ على أهدافهم بالسيطرة على مناطق اللايقين، بفضل ما يحوزونه من سلطان. ويشبه مشيل كروزي التنظيم "بلعبة" (un jeux) يؤدي فيها الفاعلون مجموعة من الأدوار من خلال هامش الحرية الذي يوجد لديهم، عكس ما ذهب إليه أصحاب العقلانية البيروقراطية الذين لم يتركوا أي هامش للفاعل داخل التنظيم ولا يرون فيه سوى منفذ للقرارات والأوامر التي تصدر ممن هم أعلى منه رتبة وسلطة.

ومن منظور التحليل الاستراتيجي فالسلطة هي" قدرة مجموعة من الأفراد أو الجماعات البشرية على التأثير على أفراد أو جماعات بشرية" ,Michel Crozier, Erhard Friedberg,1977) p65). ويتضح أن السلطة عبارة عن علاقة بين طرفين، وحيثما توجد علاقات فهناك سلطة. وبما أن التنظيمات الاجتماعية تضم أشكالا متعددة من العلاقات بين الفاعلين، فإنها تحتوي على أشكال مختلفة للسلطة.

وقد ميز مشيل كروزي وهيرار فريد بيرغ بين أربعة مصادر أساسية كبرى لها داخل أي تنظيم اجتماعي، تقابلها مجموعة من مناطق اللايقين التي يمكن للفاعلين الاجتماعيين داخل التنظيم السيطرة عليها، وأولها مرتبط بتملك مهارات وكفاءات عملية مهمة، وثانيها تتعلق بعلاقات التنظيم مع الوسط الذي يوجد به أو مع محيطه الخارجي*؛ وثالثها يهم مسألة تملك معلومات لها علاقة بالتنظيم وقدرات تواصلية جيدة تنضاف إلى الكفاءات والقدرات التي يتوفر عليها الفاعل، وهي ضرورية أثناء التفاوض حول مناطق الخصاص؛ ورابعها يخص القواعد العامة للتنظيم، والتي بقدر ما يعرفها الفاعل الاجتماعي بقدر ما تكون له سلطة داخل التنظيم. ويستدرك ميشل كروزي وهيرار فريدبيرغ بخصوص مصادر السلطة ومناطق الارتياب التي حددها، بأنها لا تعدو أن تكون سوى ضرورة منهجية ومن أجل التحليل، لأن هذه الأصناف تتداخل فيما بينها، أي لا توجد تصنيفات محددة وثابتة(Michel Crozier, Erhard Friedberg,1977, p82). ولدراسة الفعل الجماعي المنظم الذي هو تجسيد للتنظيمات الاجتماعية، اقترح أصحاب التحليل الاستراتيجي ما يسمى بنسق الفعل الملموس، حيث إن النسق الاجتماعي "معطى طبيعي" غير ملموس على مستوى الواقع، لكن يمكن التنبؤ به ,Michel Crozier, Erhard Friedberg) p282 ,1977)، في حين أن نسق الفعل الملموس هو: " كلٌّ إنساني مُبَنين، يقوم بالتنسيق بين المشاركين فيه من خلال ميكانزيمات وألعاب ثابتة نسبيا، والتي تهدف إلى الحفاظ على بنية النسق، أي الحفاظ على استقرار الألعاب وعلى العلاقات بين مكونات النسق"(Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977, p286)، وهو بمثابة أداة تحليلية لأي تنظيم اجتماعي؛ علما أنهما قالا بأن منهجهما لا يقتصر فقط على "التنظيمات الإدارية والصناعية المغلقة" والتي تتبع قواعد عمل صارمة، إذ يمكن أن يطبق على عدد كبير من التنظيمات والأنساق التي لا تتبع درجة عالية من البيروقراطية..، لأن مستوى التحليل يتعلق بالفعل الإنساني المنظم الذي أبدعه الإنسان، وليس التنظيم نفسه، ويمكن أن يشمل أيضا " مشاكل التغير" وما يرتبط بها من ضرورة استحضار التاريخ(Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977, p10). وبما أن مشيل كروزي وهيرار فريد بيرغ يستهدفان أساسا في تحليلهما الاستراتيجي الفعل الجماعي المنظم، الذي هو خاصية أي جماعة بشرية، سواء كانت بالمجتمعات المسماة "تقليدية" أو بالمجتمعات الحديثة، فقد خلصا إلى كون الجماعة الأولية أو الجماعة (communauté) ينظر إليهما ككليات طبيعية، وذلك راجع إلى المنهج التحليلي الذي يتبعه الباحث رغبة منه في البحث عن قوانين شاملة وثابتة، خصوصا عندما يتعلق الأمر بمدة زمنية قصيرة.

---

*أي الكيفية التي يستغل بها الفاعل الاجتماعي علاقاته مع المحيط للتأثير على التنظيم، من خلال السيطرة على مناطق الخصاص أو الارتياب.

وهكذا فقد تبنى ميشل كروزي وهيرار فريد بيرغ نوعا من الاستدلال يضع المسلمات والقوانين والظواهر التي ينظر إليها كأنها "طبيعية" محل تساؤل، حتى لو تعلق الأمر بالجماعة الأولية، لأنه ليس من الطبيعي أن يجتمع أعضاؤها؛ أي هناك مشاكل مرتبطة بالتعاون وبالتنظيم والفعل المنظم ولو في أشكاله البسيطة. وبالتالي لابد من البحث عن سبب هذا الاجتماع (Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977, p278-279)، وهذا ما جعلهما يقولان أن:"...تنوع المجموعات البشرية والتي تظهر كمجموعة من العلاقات المبنينة دليل على نسبية القوانين، التي ينظر إليها كأنها مطلقة. (Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977, p289).

ويضيفان أن أي تجمع مهما كان يقوم نسق فعل ملموس، حتى القرية أو بادية فإنها تضم نسق فعل ملموس يعمل على تنظيم حياة الناس، ويتوفر على خصائص التنظيم، وهو ما يتجلى في المجلس البلدي الذي يسير تلك القرية، والمثال الآخر يتعلق بالجمعيات التي تضم مجلس تنظيم يسهر على تدبير شؤونها، وهو شكل من أشكال النسق الملموس(Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977 p280.

نتائج البحث

نستخلص مما سبق أن:

-التنظيم مفهوم معقد يصعب تحديده.

-ماكس فيبر اهتم بالعلاقات الرسمية وأهمل العلاقات غير الرسمية داخل التنظيم، وتميز أيضا بمغالاته في البيروقراطية، كما أنه لم يعط حرية للفاعل وللتغير داخل التنظيم ولعلاقة التنظيم مع محيطه.

-التحليل الاستراتيجي ينحو منحى مخالفا، وذلك بدراسته للسلوكات غير العقلانية ولمختلف معانيها ودلالاتها.

-مشيل كروزي وهيرار فريد بيرغ ميزا بين أربعة مصادر أساسية وكبرى للسلطة داخل أي تنظيم اجتماعي، تقابلها مجموعة من مناطق اللايقين التي يمكن للفاعلين الاجتماعيين داخل التنظيم السيطرة عليها.

-أصحاب التحليل الاستراتيجي اقترحوا ما يسمى بنسق الفعل الملموس لدراسة الفعل الجماعي المنظم، الذي هو تجسيد للتنظيمات الاجتماعية.

خاتمة

هكذا استطاعت سوسيولوجيا التنظيمات كفرع جديد داخل حقل السوسيولوجيا أن تنتج مفاهيم ونظريات جديدة، ذات قيمة مضافة، خاصة مع ظهور تنظيمات حديثة في مختلف مجالات ومناحي الحياة، نتيجة التقدم والتطور الذي عرفته الإنسانية بعد الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا.

وشكلت إسهامات مشيل كروزي وهيرارد فريدبرغ جوابا لبعض الهفوات التي تركتها النظريات السابقة في مجال التنظيمات، والتي لم تكن تعطي أهمية للفاعل وللعلاقات غير الرسمية دخل التنظيم ولحرية الفاعل... وبالتالي فإن التحليل الاستراتيجي كشف عن بعض المشاكل التي تعاني منها التنظيمات، ونبه إلى بعض المسائل المهمة داخل أي تنظيم لتكون فعاليته وإنتاجيته كبيرة.

قائمة المراجع:

1. الفيروزبادي مجد الدين محمد بن يعقوب(2008)، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي وزكرياء جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، مصر.
2. بودون ريمون، بريكور وفرانسوا(1986)، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى؛ الجزائر.
3. صديق يوسف(2017)، مدخل إلى سوسيولوجيا التنظيمات، مطبعة المعرف الجديدة، الرباط.
4. فزة جمال(2013)، (سوسيولوجيا التنظيمات: أسس واتجاهات، دار أبي رقراق، ط.1، الرباط.
5. أبو الفضل جلال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري(د.ت)، لسان العرب، المجلد الثاني عشر، دار صادر، بيروت.
6. أنتوني غدنر(2005)، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصياغ، مؤسسة ترجمان، المنظمة العربية للترجمة، ط.1، بيروت.
7. Pierre Ansart(1990), La sociologie contemporaine, 3.Ed, Seuil, Paris.
8. Raymond Aron(1967), Les étapes de la pensée sociologique, Edition Gallimard.
9. Boudon Raymond(1982), dictionnaire critique de la sociologie, P.U.F, Paris.
10. Michel Crozier(1977), Erhard Friedberg, L'acteur et le système, Ed Seuil.
11. Crozier Michel(1963), Le phénomène bureaucratique, Editions du Seuil.
12. Etzioni Amitai(1964), Modern Organizations, Englewod Cliffs, New Jersey, Printice-Hall.
13. Herreros Gilles, Au-delà de sociologie des organisations : Sciences sociales et intervention, collection sociologie économique, Ed ERES, France, 2008.
14. I.Reed Michael, The Sociology OfOrganizations: Themes, Perspectives and Prospects, N.Y:Harvester Wheatsheaf, 1992.
15. Milly Bruno, Le travail dans le secteur public, entre institutions, organisations et professions, Presses universitaires de Rennes, coll. «Didact sociologie», 2012.
16. Mintzberg Henri, Structure et dynamique des organisations, Ed d'Organisation, Paris, 1982.

17. Parsons Talcot, Structure and Process in Modern Societies, Glencoe 111: The Parsons Free Press,1960.
18. Rocher Guy, Introduction à la sociologie générale 2:L'organisation sociale, Edition HMH, Ltée, 1968.
19. Schein Edgar, Psychologie et Organisation, Ed Hommes et Techniques, Paris, 1971.
20. Weber Max, Economy and society, an outline of interpretive 1 sociology, Edited by Gunether Roth and Claus Wittich, translated by Ephraim Fischoff and other, The Regents of the university of California, 1978.
21. Znienki Florian, Social Organization and Institutions, in George Gurvitch, Twentieth Sociology Century, Philosofical Library Inc, New York, 1945.

تحديات الديمقراطية في معترك موجات الحداثة قراءة نقدية لرؤية ليو شتراوس

أحسن مانع

جامعة باجي مختار عنابة-الجزائر

ملخص: يسعى هذا المقال لإستجلاء التغير الجذري الذي طرأ على طبيعة الفلسفة السياسية، و ذلكبين ثنايا خفايا الفلسفات التي إعترضت طريق براديغم الديمقراطية، و ما إستتبع ذلك على ثقافة العصر الحديث، في سياق الإشكالية التالية: كيف بإمكان أزمة تقع في مجال التنظير السياسي أن تؤثر في ثقافة بأكملها هي الثقافة الغربية الحديثة؟و ما التحديات التي فرضتها هذه الأزمة على الديمقراطية؟ و قد أفضت حفرياتنا في أبرز فلسفات عصر التنوير القائمة على المنهج التاريخي من جهة و التحليلي النقدي من جهة ثانية، لعدة نتائج تتمثل أهمها في أزمة القيم التي زعزعت النظرة الإيجابية للديمقراطية،إذ أن إنكار إعتبار معياري الخير والشر والصحيح والخاطئ في تقدير الأحكام و الإيمان المفرط بالتقدم قد ألحق أزمة ليس فحسب في الديمقراطية بل في ثقافة العصر الحديث بأكمله، و أن بعض هذه الفلسفات حصرت الحياة في جعل العمل الإنساني مرتبطا بالمفردات البسيطة للفعالية فقط، ذلك ما نراه في نموذج فلسفة هوبز التي سلبت فكرة الغايات من الطبيعة الإنسانية، ولتجاوز هذه الأزمة يشترط شتراوس إعادة الإعتبار للعديد من المفاهيم والمبادئ وكذا الغايات الأساسية في الديمقراطية و التي بلورتها الفلسفة السياسية الكلاسيكية اليونانية و كذا مفكري الإسلام في العصر الوسيط.

الكلمات المفتاحية: أزمة الديمقراطية، المكيافيلية، القيم، الفلسفة السياسية الكلاسيكية.

critical Challenges of democracy under the waves of modernity, reading of Leo Strauss vision

Abstract: This article seeks to clarify the radical change that has occurred in the nature of political philosophy, between folds of the hidden philosophies that have obstructed the path of democratic paradigm, and wich has entailed on the culture of the modern era, all that in the context of the following problem: How can a crisis in the field of political theorizing affect a whole culture: modern Western culture? And what challenges did this crisis pose to democracy? Our researches in the most prominent philosophies of the Enlightenment era, based on the historical

method on the one hand and the critical analytical method on the other, have led to several results, the most important of which are the crisis of values that shook the positive view of democracy, since the denial of considering the criteria of good and evil, right and wrong in evaluating judgments and excessive belief in progress has caused a crisis not only in democracy but in the culture of the modern era as a whole, and that some of these philosophies confined life to making human work related to the simple vocabulary of effectiveness, that is what We see in the model of Hobbesian philosophy, which robbed the idea of ends from human nature. To overcome this crisis, Strauss requires a re-consideration of many concepts and principles as well as the basic goals in democracy that were crystallized by classical Greek political philosophy and Islamic medievalthinkers as well.

Keywords: crisis of democracy, Machiavellianism, values, classical political philosophy.

مقدمة

إن إشكالية أزمة الحداثة الغربية دائمة الحضور في الخطاب الفلسفي منذ القرن الماضي على الأقل، ولئن كان الفيلسوف الألماني اوزفالد شبنغلر (1880- 1936) الأكثر شهرة في إثارة هذه الإشكالية من خلال مؤلفه " تدهور الحضارة الغربية"، فذلك لا يعني أنه الأكثر تداولابحكم صنيعه في تشخيص طبيعة جذورها ومظاهرها ومآلاتها، فالفيلسوف الأمريكي ذي الأصل الألماني ليو شتراوس ليس أقل حظا منه.

لقد إنصب إهتمام ليو شتراوس Leo Strauss (1899- 1973) على الفكر اليوناني و الوسيط اليهودي و الإسلامي، ما جعله يبدو مؤرخا للفلسفة السياسية، مع ذلك فقد كان تحوله إلى هذا التاريخ لا بسبب حب استطلاع أثري عن الماضي دفعه إليه، بل ما دفعه هو ما شخصه بوصفه الأزمة الأعظم و هي الأزمة الحالية للغرب،من مؤلفاته: ما الفلسفة السياسية، القانون الطبيعي و التاريخ، الإضطهاد و فن الكتابة.

و إذ نسعى في تحليل سيرورة وصيرورة الحداثة من منظور شتراوس،فإن ذلك لا يستهدف فحسب أخذ نظرة عن صورة الألغام التي زرع بعض الفلاسفة في مزرعة الديمقراطية الليبرالية ليمتد لظاها لمختلف مجالات الحداثة، بل إن الغاية هي أيضا في الوقوف على الإسهامات التي قدمتها بعض فلسفات الحداثة في إنضاج الفكر الإنساني عامة و السياسي خاصة، و ما يمكن

إستغلاله لبناء الآليات الواضحة والناجحة للنظر الدقيق في الشأن السياسي، وكذا في أكثر القضايا أهمية في هذا الشأن وهي بلورة رؤية مكتملة لنظام حكم سياسي تنبض فيه روح الحياة، وما يسمح بتطبيق مخرجات هذا التنظير في أرض الواقع.

و إذ يشتهر شتراوس بفكرة تحقيب الحداثة الغربية في ثلاث موجات، فإن كل موجة منها ولدت من رحم أزمة حدثت في مجال الفلسفة السياسية لم يتحقق تجاوزها بعد، وقصد تقديم مقاربة نقدية لقراءة شتراوس لهذه الأزمات السياسية، آثرنا بحث الموضوع في سياق الإشكالية التالية: ما طبيعة أزمة الحداثة الغربية ؟ و كيف بإمكان أزمة تقع في مجال التنظير السياسي أن تؤثر في ثقافة بأكملها هي الثقافة الغربية الحديثة؟

1- المكيافيلية:

لقد نشأت الحداثة الغربية في أحضان حركات التنوير و النهضة و الإصلاح، و بناءا على نمط الثقافة التي سادت، يمكن إعتبار فترة القرن الخامس عشر فترة مشتركة بين العصور الوسطى والعصر الحديث،وفي هذه الفترة يبرز ميكيافيلي (1469-1527) كأحد المنظرين للحياة السياسية من خلال كتابيه المطارحات والأمير بشكل خاص.

لقد نبعت أولى الأزمات في الحداثة الغربية من أفكار مكيافيلي و أخرجتها إسهاماته لوضح النهار، ذلك ما يبدأ به شتراوس عند توصيف جذور الأزمة، إذ يقول عنه: " لقد رفض مكيافيلي التقاليد الفلسفية واللاهوتية جملة وتفصيلا. ويمكننا عرض طريقة تفكيره كما يلي: إن الآراء التقليدية إما أنها تقود إلى الإستنتاج بأن الشؤون السياسية لا ينظر إليها بجدية (الأبيقورية)، وإما أنها بعبارة أخرى تفهم على ضوء كمال متخيل أي جمهوريات وإمارات متخيلة، والأكثر شهرة من بينها هي مملكة الرب. على المرء أن يبتدئ من كيف يعيش الناس بالفعل، أي يجب أن يوجه نظره إلى الأسفل، و الخلاصة الطبيعية المباشرة هي إعادة تأويل الفضيلة" (Leo Strauss, 2008, p 218)، بهذا يسبر مكيافيلي ضد تيار أفلاطون وأرسطو الذي مؤداه أن أحسن نظام حكم هو النظام الأكثر ملائمة لممارسة الفضيلة، وبلهجة أقل حدة يرفض مكيافيلي تصورهما إعتبار تحقيق نظام الحكم الأحسن وليد الصدفة، إذ ليس مستحيلا ـ كما تصور ارسطو ـ إستنبات نظام حكم أحسن حتى لو كانت طبيعة الأرض الموجودة و طبيعة الناس الموجودين لا تلائم، بل ينبغي القول حتى لو كان الناس فاسدين فالمهمة تواجهها صعوبات جمة فحسب، بإمكان إنسان سام أن يحول تلك الجحافل من الفاسدين إلى مادة صالحة مستعملا الأدوات المناسبة لذلك، وتوضيحا لهذه الفكرة يقول صاحب الترجمة الإنكليزية للمطارحات في مقدمة الكتاب: " لقد كان من المبادئ المقررة لدى الفلسفة الجامعية التي عرف عنها مكيافيلي بعض الأمور حتما، أن من المستحيل إخفاء شيئ معين على مادة من المواد، إلا إذا كانت هذه المادة منسجمة مع ذلك الشكل. وعندما طبق مكيافيلي هذه النظرية في حقل السياسة، قال أنه إذا كانت المادة ـ أي الشعب ـ فاسدة، ـ و هو يعني بالفساد هنا، ميل الشعب إلى الخضوع، وعدم تعوده الحكم أو ميله إليه ـ فإن من

المستحيل أن يقوم أي نوع من أنظمة الحكم الجمهوري. وأن النظام الأفضل لتحقيق النجاح بالنسبة إلى شعب كهذا، هو النظام شبه الملكي"(نيقولو مكيافيلي، 1982، ص 169).

وإذ يعد ميكيافيلي من المنظرين البارزين في العصر الحديث، فمرد ذلك للرؤية الخاصة التي تميز بها والمستمدة من النظرة الإستقرائية لتاريخ الإمبراطوريات من جانب و من ممارسته للشؤون السياسية عن كثب من جانب آخر، و تستمد نظرته للشأن السياسي جذورها أيضا من المبدأ البراغماتي الذي إلتصق بالمكيافيلية و هو "مبدأ الغاية تبرر الوسيلة"، وإذ يطرح البعض التساؤل: لماذا يرتبط هذا المبدأ بمكيافيلي و "الغاية تبرر الوسيلة" هي شعار كثير من الناس منذ غابر الأزمان؟ والجواب في ذلك أن مكيافيلي رفع من شأن هذا المبدأ لمستوى التنظير و أقام وفقه فلسفة بأكملها، يعرفها كل مشتغل بالسياسة عنوانها " المكيافيلية" وشعارها الغاية تبرر الوسيلة. ففي كتابه "الأمير" الذي يمثل جملة من النصائح التي على الأمير أن يراعيها ـ حتى يحتفظ بإمارته سالمة غانمة ـ لا تخلو نصيحة من نصائحه تشبعا بروح هذا المبدأ الذي أحدث منعرجا حاسما في تاريخ الفلسفة السياسية و في توصيف الحياة السياسية، ذلك ما اعتبره البعض الشعرة التي قصمت ظهر التفكير الفلسفي في الحياة السياسية ذاتها، و ضربت عرض الحائط بكل ما قيل في الفلسفة السياسية الحالمة بحياة أمثل أو أفضل.

وإذ يحلو للبعض القول أن مكيافيلي يميل لنظام الإستبداد المستنير و يسير عكس تيار الديمقراطية، فإن ذلك يعني تبني نظام الإستبداد التقليدي ومحاولة تبيئته في ظروف العصر الذي عاش فيه و المتميز ببداية ظهور أفكار عصر التنوير التى استهدفت أساسا إرساء نظرة جديدة للحياة في مختلف المناحي وبشكل خاص في الحياة السياسية، هاته الحياة التي انطبعت من قبل بطابع تقسيم السلطة بين الكنيسة وملاك الآراضي الإقطاعيين. و حتى حينما ينير مكيافيلي الضوء الأخضر للإستبداد فإنه يضع شروطا لذلك مثل تلك التي وردت عند تحليله لنظام الحكم في ظل الإمبراطورية الرومانية، إذ يقول:" أثبتت التجارب على النقيض من ذلك، أن الديكتاتورية كانت نافعة دائما. و من الحق أن يقال أن هذا النظام هو الوحيد بين أنظمة روما العديدة، الذي يستحق الإعتبار وأن يوضع بين الأسباب التي تعود إليها عظمة الإمبراطورية الرومانية الفسيحة الأرجاء. ولو لم يكن مثل هذا النظام، لتعذر على المدن أن تجد سبيل الخلاص من الأوضاع الشادة وغير العادية، وذلك لأن الأنظمة التي تسير عليها الجمهوريات في الأوقات العادية، تكون بطيئة في إجراءاتها، إذ لا يمكن لأي حاكم أن يتخذ قرارا أو يقوم بعمل على مسؤوليته الخاصة" (نيقولو مكيافيلي، 1982، ص 334- 335).

و تعتبر فكرة الإمكان التي أصر عليها مكيافلي صورة تطبيقية مصغرة للفكر الوضعي الذي تبنى الإيمان بعقيدة التقدم و التطلع لسيطرة الإنسان الكلية على الطبيعة بمختلف طبائعها، أي بما في ذلك الطبيعة الإنسانية، ذلك ما يعتبره شتراوس تعسفا في حق خصوصيات الظواهر الإنسانية والإجتماعية التي تحكمها غايات ذات طبيعة قيمية، أي تنتسب لمجال القيم وتحديدا للخير والشر، لهذا لا يصح أن ينظر لها كظواهر ينطبق عليها منهج و منطق ظواهر الطبيعة. وبذلك، يدشن

مكيافلي سيل أفكاره الثورية في الفضيلة و التقدم والتي ستتلاقح مع مساهمات هوبز حول الحق الطبيعي لتشكل الموجة الأولى للحداثة أو بمسمى آخر: أزمة الحداثة.

بالعودة للسؤال الذي طرحنا آنفا، كيف بالإمكان لأزمة تقع في الفلسفة السياسية أن تؤثر في ثقافة بأكملها؟ أي ثقافة العصر الحديث القائمة على العقلانية؟ يعتبر شتراوس أن هذه الثقافة ذاتها فقدت إيمانها بقدرة العقل حينما أحجمت عن بحث غاياتها القصوى، و من ذلك المجتمع الخير، و ليس ذلك إلا تعبيرا عن رفض الفلسفة السياسية ما قبل الحديثة، إذ يقول: " تتجلى أزمة الحداثة أو تكمن في واقع كون الإنسان الغربي الحديث، لم يعد يفهم ما يريد و لم يعد يعتقد أن بإمكانه أن يعرف ما هو خير وما هو شر، ما هو صحيح وما هو خاطئ. وإلى بضعة أجيال خلت كان من المسلم به عادة أن بإمكان الإنسان أن يعرف ما هو صحيح وما هو خاطئ، ويعرف النظام الإجتماعي العادل أو الحسن او الأحسن. وبإختصار، يعرف أن الفلسفة السياسية ممكنة بل و ضرورية "(Leo Strauss, 2008, p 212).

والملفت أن ـ ما يمكن تسميته تجاوزا ـ الفلسفة السياسية الحديثة قد بلورت وحدتها العضوية والموضوعية وملامحها الخاصة بها ولو نظريا، مثلما كان للفلسفة السياسية ما قبل الحديثة وحدتها الأساسية و ملامحها، ولا شك أن العديد من المفكرين بدءا بمكيافلي قد ساهموا في حصول هذه القطيعة عن وعي، كل بطريقته لكنهم يتقاسمون أساسين هما الإيمان بشعار التقدم الذي رفعته الوضعية وبعقلانية الصيرورة التاريخية أي بالتاريخانية.

2 ـ أثر الفلسفات التاريخانية و الوضعية

إن إكتمال نضج التاريخانية فيما يرى شتراوس يجعلها العدو الأكثر جدية للفلسفة السياسية، إذ أن هذا النضج أعاد رسمها بوجه جديد، لتصبح متميزة عن الوضعية بالخصائص التالية:

" ـ تهجر التاريخانية إقامة الفصل بين الظواهر والقيم، لأن كل فهم بما في ذلك الفهم النظري يتضمن تقييمات ذات خصوصية.

-تنكر سلطة العلم الحديث، الذي يبدو لها كشكل من أشكال التوجه الفكري للإنسان فحسب.

ـ ترفض إعتبار الصيرورة التاريخية تقدمية بالأساس أو عقلانية بشكل عام.

ـ تنكر إلحاح الأطروحة التطورية، وتتبنى فكرة أن تطور الإنسان بالإنطلاق من اللا إنسان لا يؤدي لمعقولية إنسانية الإنسان"(Leo Strauss,1992, p 31) .

قد يسأل سائل، أليس جل هذه الخصائص متناقضة مع ما نعرف عن التاريخانية؟ فبالفعل، لا معنى للتاريخانية دون المبدأ الأساسي في المذهب التاريخاني وهو عقلانية الصيرورة التاريخية، لكن بالإنطلاق من الوقائع يكشف شتراوس أن التاريخانية الأكثر تطرفا قد أنكرت أهمية إعتبار الميزات الثابتة في الإنسانية مؤشرات للتمييز بين حسن وسوء القرارات المصيرية، و المثال في

ذلك قرار هيدغر الأقل حكمة وإعتدالا لمساندة النازية سنة 1933، ذلك ما كشف وأكد لشتراوس طبيعة أهم خاصية تنكرها التاريخانية والمتمثلة في رفض تقدمية الصيرورة التاريخية وتحقيق المجتمع الخير، إذ يرد عن هذا التوجه " الراديكالي" بالقول: " ليس بإمكان الإنسان رفض طرح مشكلة المجتمع الخير، كما لا يمكنه التخلي عن تحمل مسؤولية الإجابة عن ذلك بإستدعاء التاريخ أو أي سلطة أخرى بخلاف منطقه الخاص" (Leo Strauss,1992, p 32) .

في شق آخر يؤاخذ شتراوس التوجه الوضعي في عدة إعتبارات، إذ يقول في سياق بيان الهشاشة النظرية لوضعانية العلوم الإجتماعية:

" ـ من المستحيل دراسة الظواهر الإجتماعية، بمعنى كل الظواهر الإجتماعية الأعلى مستوى من حيث الأهمية من دون إقامة أحكام القيمة...

يتأسس إنكار أحكام القيمة على إفتراض عدم قدرة العقل الإنساني حل النزاع بين مختلف القيم أو بين مختلف نظم القيمة...

ـ الإيمان بأن المعرفة العلمية ـ أي نوع المعرفة الحاصلة أو المستهدفة من طرف العلم الحديث ـ هي أعلى مستوى لشكل المعرفة الإنسانية ".(Leo Strauss,1992, p 31)

لكن ما الفكرة التي في ذهن شتراوس عن معنى الوضعية؟ ذلك ما بينه جيفري براش في مقاله " ليو شتراوس و مشكلة الوضعية"، فبعد أن أشار لندرة حديث شتراوس عن الوضعية في كتابات ما قبل الحرب العالمية الثانية مقارنة بما بعدها، برر بحثه عما يقول شتراوس في كتاباته الأولى بأنها تعبر عما يشكل قناعته حول الوضعية، وأن أقدم ما وجد يعود لسنة 1936، و كتب يقول: " إنطلاقا من هذا الكتاب ـ كتاب شتراوس: فلسفة هوبز السياسية الذي نشر سنة 1936 ـ، تعني الوضعية مصير الحضارة المعاصرة منظورا له كنتيجة لتطور تاريخي طويل منذ فجر العصر الحديث" (Jeffery Andrew Barash, 2001, p 154)، ليضيف قائلا: " من الواضح، أن الفهم الشتراوسي للوضعية مرتبط بالفكرة الدقيقة لنظام قيم طبيعي واجبه مواجهة الوضعية"(Jeffery Andrew Barash,2001, p 155) ولا يعني هذا القول الأخير إلا تأكيد المبدأ الأساسي الخطير في الفكر الوضعي و هو إنكار إعتبار معياري الخير و الشر و الصحيح والخاطئ في تقدير الأحكام في شأن الظواهر الإجتماعية، ولتوضيح هذا الخطر يذكر شتراوس مثال الفرق بين مخترع القنبلة و بين من يتخذ قرار إستعمالها من عدمه، إذ ليس موقف رجل السياسة وعالم الفيزياء سيان، فإن كان الفيزيائي على صواب في البحث في أي شيئ كان، سعيا منه لتقدم العلم و هو معذور في عدم إنشغاله بإشكال الخير والشر، فرجل السياسة بين المطرقة والسندان ، إذ تقرير استعمال القنبلة أو عدم إستعمالها يستدعي تحكيم أحكام القيمة لحسن تقدير الأضرار، و في هذا السياق يقول شتراوس: " إن أحكام القيمة التي تمنع من المرور من البوابة الكبرى للعلوم السياسية و الإجتماعية أو الإقتصاد، تدخل لهذه الميادين من الباب الخلفي: إنها تأتي من هذا الفرع للعلوم الإجتماعية الذي نطلق عليه علم النفس المرضي" (Leo

(Strauss,1992, p 26 و في هذا الميدان يحدد المختصون مدى سوية الأشخاص الذين يعانون إضطرابا أو عصابا أو فاقدي التكيف بإعتماد معايير أهمها هو معيار مدى قدرة هؤلاء الأشخاص على إقامة الأحكام والتمييز بين ما هو خاطئ وماهو صواب وماهو خير وما هو شر حتى لا يلحقون أذى لا بأنفسهم و لا بغيرهم.

وإذ يعتبر شتراوس فلسفة هوبز (1588- 1679) السياسية الطبقة الأكثر عمقا لروح الحداثةو جذور أزمتها، فمرد ذلك لمده خيوط الفكر الوضعي لميادين كانت محتكرة على العلوم وأهمها الحياة السياسية، فبتهوينه لمصداقية أحكام القيمة المستمدة من نظام الطبيعة وإلحاحه بالتوازي على فعالية النشاط العادي للإنسان في الواقع الحي من جهة و أكيده على نجاح الحاضر كعلامة على قدرة السيطرة على المستقبل من جهة ثانية، أضحى ذلك رمزا للموقف الأخلاقي الجديد للحداثيين، وذلك يؤكد تهوين قيمة المعرفة ما قبل العلمية، ما يجعلنا أمام واقع يصفه شتراوس بالقول: " تحتفظ الوضعية بطريقة شبه مغلفة بالشك الديكارتي المطلق إزاء المعرفة ما قبل العلمية و قطيعته الجذرية معها"(Leo Strauss,1992, p 29).

بذلك، يكون هوبز مسؤولا بصورة واضحة - وواعدة - عن إدخال " جرثومة الفساد" في قلب الفلسفة السياسية، بتشويشه على بديهية الفكرة المؤسسة لها و المتمثلة في الأخلاق، إذ أن هوبز إستأصل فكرة الغايات من الطبيعة الإنسانية وإستأثر المفهوم الذي يجعل العمل الإنساني مرتبطا بالمفردات البسيطة للفعالية.

لقد طبق هوبز المنهج العلمي الجديد الذي يجعل التفسير مقصورا على حصر المركب في عناصره، و هذا الأمر أدى لإعتبار حالة الطبيعة بيت القصيد في تحليل المجتمع المدني، بناءا على الموقف الأخلاقي المتمثل في إستبعاد فكرة القيم. تبعا لذلك لا يكون تغير مفهوم السياسة عند هوبز مرتبطا بالمنهج ذاته بقدر ما هو مرتبط بالحكم الأخلاقي الذي صيغ حول الإنسان.

لقد تمكن هوبز من وضع الشعور الأخلاقي للإنسان في طبيعته البسيطة، المعبر عنه بالمقولة " الإنسان ذئب لأخيه الإنسان"، فحينما ينعكس الإنسان على ذاته - في تصور هوبز - فإنه يرى هذه الذات منجذبة برغبتين أساسيتين هما الغرور و الخوف من الموت الذي يتهددنا من طرف الغير. و واضح بشكل جلي أن هذا التصور يهدم كل نية في مسعى الحياة الديمقراطية، و هو أكثر جلاء في الحل الذي يفرض، فلتجاوز هذا التهديد وقصد حفظ البقاء على قيد الحياة حدث إبتكار الحل السياسي، المتمثل في إمتثال الفرد لإرادة الحاكم، وليست هذه الإرادة قوية بفعل العقلانية التي تطبعها بل إنها قوية بتأثير طابع العنف المتشبعة به، وبهذا الشكل لا تكتمل فعالية عقلانية الفرد من جهة و الحاكم من جهة ثانية إلا من خلال تجاوز العقلانية ذاتها والميل صوب ما يمليه القانون الطبيعي، أي ضرورة المحافظة على الحياة. وللوقوف على البون الشاسع بين مفهوم القانون الطبيعي الذي إعتمد هوبز كمبدإ والحق الطبيعي الذي تخلى عنه، نقتطف هذا القول من كتاب التنين: " إن قانون الطبيعة هو مبدأ أو قاعدة عامة يجدها العقل، وبها يمنع من فعل ما هو مدمر لحياته أو ما يقضي على وسائل الحفاظ عليها، ومن إهمال ما يظن أنه يمكن أن يحفظها. فعلى

الرغم من أن الذين يتكلمون عن هذا الموضوع يخلطون عادة بين الحق والقانون، غير أنه يجب التمييز بينهما، لأن الحق يقوم على حرية الفعل أو عدمه، بينما القانون يحدد و يلزم بأحد الأمرين: لهذا يختلف القانون والحق بقدر ما يختلف الإلتزام و الحرية، وهما لا يصحان معا في موضوع واحد" (توماس هوبز، 2011، ص 139).

إن هذا المبدأ هو منطلق الثورة التي ثارها هوبز على التصور الكلاسيكي الذي يجعل الحق الطبيعي حجر الزاوية في الفلسفة السياسية، وبدلا عن ذلك يجعل خضوع الفرد للقانون الطبيعي أمرا حتميا، وبإختصار فيما يرى أحد المفكرين: " فإن فلسفة هوبز تمثل اللحظة الفريدة التي تمكن من قراءة القرار الميتافيزيقي و الأخلاقي للحداثة بشكل واضح تماما" (Michel Malherbe,1989, p 361).

لكن، لا ينبغي أن نتغاضى على التغيير الجذري الذي طرأ أيضا في ميدان العلوم الطبيعية وساهم أيما مساهمة في تمتين ركائز الوضعية، و ذلك الأمر هو ما أشار إليه شتراوس وإعتبره ثاني أكبر تغيير حدث بعد مكيافيلي إضافة للتغيير الذي قام به هوبز.

و تعد الجهود التي قام بها كل من بيكون وهيوم جهودا معتبرة في التأسيس لهذه الفكرة الجديدة عن هدف العلم، والتي مفادها أنه وسيلة للتحكم المنهجي الأقصى في الشروط الطبيعية للحياة الإنسانية، و بعبارة أخرى السيطرة على الطبيعة لتحسين وضع الإنسان، وإذ يرفض شتراوس ذلك، فإنه لسبب إنطباقها مع هدف مجهود هوبز، حيث يقول: "إن السيطرة على الطبيعة تعني أن الطبيعة عدو وفوضى يجب إخضاعها للنظام فكل شيئ حسن مرده إلى عمل الإنسان أكثر مما هو راجع إلى هبة الطبيعة"(Leo Strauss, 2008, p 221)، و لسائل أن يرفع الإنشغال أين تنطبق فكرة هوبز مع فكرة رواد الوضعية في العلوم الطبيعية؟ والجواب البديهي في ذلك هو إن كانت الطبيعة عدو و فوضى فإن الحق الطبيعي أيضا يكون كذلك و بالتالي فهو مرفوض، و حينما يكون كل عمل حسن مرده الإنسان فهو يعني أيضا أن القانون الطبيعي حسن أيضا ما دام عملا إنسانيا.

إن إعتبار شتراوس للتغيير الذي أحدثه مكيافيلي في المناخ الأخلاقي باعثا الحياة للموجة الأولى للحداثة، لا يعني البتة أن حلول الموجة الثانية التي سيدشنها روسو مرتبط بفكرة أن الأولى بلغت منتهاها وإنكسرت في إحدى شواطئ السيرورة التاريخية، بل إن ما يعنيه هو أن القطيعة مع القدامى تتم عبر تراكم التغييرات الجذرية التي حققها من يصفهم بالأدمغة العظيمة الواعية لما تقوم به. فما الذي أسهم به روسو (1712- 1778) لإحداث الموجة الثانية بشكل خاص، و لم يرق شتراوس يا ترى؟

3- من فلسفة الوجود البهيج إلى الوجود المأساوي

لقد كتب روسو دراسة ثورية حول التربية بعنوان "إميل" ، وأخرى للتنديد بالملكية كمصدر للتفاوت الاجتماعي بعنوان " خطاب حول أصل التفاوت"، أما الكتاب الذي جعل روسو من أشهر الفلاسفة فهو " العقد الاجتماعي"، والذي يقرر فيه أن النظام الاجتماعي حق مقدس قائم على التعاقدات، و أن هذا الحق ليس نابعا من الطبيعة.

ويقوم النظام الإجتماعي حسب روسو على الإرادة العامة، التي تعني التعبير الوحيد عن الرغبة في عمل شيء ما مدعومة بقوة الإرغام الضرورية على الفعل. أما السيادة فهي السلطة المطلقة الموجهة بالإرادة العامة التي يمنحها العقد الاجتماعي للكيان السياسي على كل المنتمين إليه، فإن كان الإنسان سيدا على بدنه من خلال السلطة المطلقة التي يمارسها على أعضاء هذا البدن، فكذلك الأمر بالنسبة للكيان السياسي الذي يكون سيدا من خلال الإرادة العامة التي أنتجها العقد، إرادة الشعب التي ستكون مصدرا لكل مشروعية،وعليه تكون السيادة هي الممارسة الفعلية للإرادة العامة، يقول روسو في سياق تعريفه لصاحب السيادة: " انه اتفاق للكيان مع كل عضو من أعضائه، اتفاق مشروع لأن ركيزته هو العقد الاجتماعي، عادل لأنه واحد بالنسبة للجميع، ضروري لأن له غاية واحدة هي الخير العام، وصلب لأن الضامن فيه هو القوة العمومية والسلطة العليا"(J.J. Rousseau, 1996, p 46)، ومثلما يستبعد روسو الطبيعة كمصدر للقانون فهو يستبعد أيضا الدين فيعتبر إرادة الشعب (الإرادة العامة) المصدر الوحيد لتأسيس القانون.

في نطاق آخر، إنتقد روسو نظرة رواد الحداثة للمشكل السياسي الأخلاقي التي إنطبعت بالتقنية و التي أدت لإنكار الفضيلة، لكنه يظل في نظر شتراوس مظهرا لأزمة الحداثة، حيث يقول: " إن الأزمة الأولى للفكر الحديث قد تمظهرت في فكر جون جاك روسو. لم يكن روسو أول من فكر بأن مغامرة الحداثة كانت خطأ فادحا وأن البحث عن الدواء يكمن في الفكر الكلاسيكي... لكن روسو لم يكن رجعيا، لقد كان غارقا في الفكر الحديث" (Leo Strauuss, 1986, p 220)، وإذ يؤاخذ شتراوس روسو في نظرته للفضيلة، فلأن روسو لم يبدل جهدا لإعادة الإعتبار للمفهوم الكلاسيكي للفضيلة بوصفها غاية وكمال لطبيعة الإنسان، وقدم تأويلا للفضيلة بالإنطلاق من المفهوم الحديث لحالة الطبيعة، المفهوم الذي يعتبر حالة الطبيعة في البدء حالة حرب الكل ضد الكل، يقول شتراوس: " كل الفلاسفة الذين فحصوا أسس المجتمع شعروا كلهم بضرورة العودة إلى حالة الطبيعة، لكن لا أحد منهم بلغ هذا الهدف. لكن روسو إستطاع بلوغه لأنه رأى بأن ذلك الإنسان الذي يعيش على الحالة الطبيعية هو إنسان مجرد من كل ما إكتسبه بمجهوداته الخاصة. فالإنسان في حالة الطبيعة إما أنه أدنى من مرتبة الإنسان أو ما قبل إنساني، أما إنسانيته أو عقلانيته فقد إكتسبها عبر سيرورة طويلة"(Leo Strauss, 2008, p 223)، وبالفعل، إن الإنسان في حالة الطبيعة فاعل حر حسب روسو، وهو لا إجتماعي ولا عقلاني، كما أن روسو لم يعتمد الإرادة العامة لتأسيس المجتمع المدني إلا للحفاظ على ذاته و كذا الحفاظ على كامل الحرية التي تمتع بها في حالة الطبيعة، لكن كيف لهذه الإرادة العامة أن تميز بين الحسن والقبيح والوضع في الحالة الطبيعية أدنى من منزلة البشر؟ ذلك ما بدا لشتراوس شكلا من أشكال إستياء الحداثة

من الفاصل بين الواقعي والمثالي، أو ما يفصل ما بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، فتصور روسو للإرادة العامة بإعتبارها ما ينبغي أن يكون، أي أنها لا تخطئ وهي خيرة على الدوام، ليس إلا حيلة لسد الشرخ بين الواقعي والمثالي، وبإختصار إن الإرادة العامة فيما يقول شتراوس هي : " إرادة تكفل خيرها، ولا حاجة إلى اللجوء إلى أي إعتبار فعلي لما تتطلبه طبيعة الإنسان أو كماله الطبيعي"(Leo Strauss, 2008, p 226)، وفي ظل هذا الوضع يكون الفرد حسب قراءة شتراوس بحاجة للمجتمع لصياغة رغباته وطموحاته تجاه أنداده في شكل قوانين ليس إلا، ليتحقق المثل الأعلى أو الكمال الطبيعي للإنسان في سياق السيرورة التاريخية وبهذا الشكل لا يكون الإنسان من إستهدف ذلك الكمال وإنما نتج بالصدفة في مرحلة من مراحل الصيرورة التاريخية حتى إن كانت الإرادة العامة عاقلة كما يتصور روسو.

وإذ يعتمد روسو الإرادة العامة لجعل الإرادة الخاصة عقلانية وخيرة، دون أن يضع في الإعتبار الأول تحقيق السعادة والكمال الطبيعي، فهو يدعونا للعيش لشكل من العيش يطلق عليه شتراوس بالوجود البهيج، حيث يقول في سياق تلخيص موقفه من إسهامات روسو: " فروسو يجابهنا بتناقض الطبيعة من جهة، وبالمجتمع المدني والعقل والأخلاق والتاريخ من جهة أخرى. بحيث أن الظاهرة الأساسية هي الإحساس بالوجود البهيج، أي الإتحاد والمشاركة في الطبيعة، وهو جزء لا يتجزأ من الطبيعة بما هي متميزة عن العقل و المجتمع"(Leo Strauss, 2008, p 229).

على النقيض من الوجود البهيج لروسو، وما دام لا حل للمشكل الإنساني بإعتباره مشكلا إجتماعيا، ينقلنا نيتشه إلى الوجود المأساوي بالضرورة بإعلان حتف الديمقراطية و قدوم الموجة الثالثة للحداثة.

إن أشد ما يلفت الإنتباه لدى نيتشه (1844- 1900) هو التعالي على الخير و الشر أو بعبارة أخرى إنكاره للأخلاق، تناسقا مع مبدأ الحس التاريخي الذي يفترض أن كل المثل العليا هي حصيلة المشاريع الحرة والإبداع الإنساني، وأن ليس لهذه المثل نسقا تنتظم فيه بسبب تعذر تركيبها تركيبا حقيقيا، فليس لأي سلطة السند الموضوعي للحديث عن نسق للمبادئ التي يؤمن بها، فلا العقل ولا الدين ولا حتى الطبيعة تملك هذا السند، يقول نيتشه: " تطبيق مبادئ: يريد المرء بواسطة مبادئه أن يقمع عاداته أو يبررها أو يكرمها أو يشتمها أو يخفيها: فإنسانان يحملان المبادئ نفسها يسعيان بها ـ على الأرجح ـ إلى أمور متباينة جذريا" (نيتشه، ما وراء الخير و الشر، ص 104)، و يقول أيضا: " أحتاط من كل صانعي الأنظمة وأتحاشاهم، إن روح النظام نقص في النزاهة" (نيتشه، 1996، ص 12).

نموذج ذلك حدث في عصر نيتشه ذاته، حينما ظهرت للوجود فكرة هيجل ـ وهو أقوى فيلسوف للتاريخ حسب شتراوس ـ عن قمة ونهاية التاريخ أو حول إكتمال السيرورة التاريخية، هذا الإكتمال الذي سيكون في المسيحية المتصالحة مع العالم أي المسيحية المعلمنة، التي يقول عنها شتراوس: " بدأت مع حركة الإصلاح، وإستمرت مع الأنوار، وإكتملت مع دولة ما بعد الثورة، وهي أول دولة تقوم بشكل واع على الإعتراف بحقوق الإنسان" (Leo Strauss, 2008, p

(231، فلئن تمكن هيغل من مصالحة فكرة الحقيقة الفلسفية مع اللحظة المطلقة في التاريخ أي قمته، فليس ذلك إلا بإستناده على السند العقلي الذي يعتبره نيتشه مفتقرا للموضوعية، مثله مثل الذين إعترضوا على فكرة إكتمال التاريخ، يقول شتراوس: " و كان نيتشه أول من واجه هذه الوضعية. إن النظرة التي ترى بأن مبادئ الفكر و العمل هي مبادئ تاريخية لن ينقص منها التمني المفتقر إلى الأساس" (Leo Strauss, 2008, p 234).

بديلا عن ذلك، ينادي نيتشه بإرادة القوة وهي إحدى الخصائص الجوهرية في طبيعة الإنسان، يقول شتراوس: " و هذا يعني في المستوى الأول، إرادة السيطرة الشاملة على الآخرين، و على نفسه أيضا. فإذا كان الإنسان الطبيعي عند روسو شفوقا، فإن الإنسان الطبيعي عند نيتشه فظ"(Leo Strauss, 2008, p 234)، وهذه الإرادة للقوة التي تقف على طرفي نقيض مع امختاف المبادئ الديمقراطية و أهمها العدالة،هي طاقة الإنسان الأعلى الذي يتمتع بقوة لانهائية، ثقافة المستقبل الأسمى، و لأجل الإنفلات من مشكل تساوي الناس عندما يبلغ الإنسان أوج قوته يقتضي الحال العودة للماضي أو للطبيعة للحفاظ على التراتبية، ذلك ما يطلق عليه نيتشه بالعود الأبدي.

إن إنكار نيتشه للخبر والشر هو إنكار للقيم، هذه القيم التي فهمها بمعنى خاص، إذ يقول في نقده للقيمة: " مفهوم القيمة هو التفكير في شروط البقاء والزيادة المتعلقة بأشكال معقدة، ديمومتها نسبية في صيرورة الحياة. ليست هناك وحدات نهائية دائمة، و لا ذرات و لا جواهر فردة... هناك أشكال مهيمنة، دائرة المهيمن تتسع بإستمرار، أو تتسع وتضيق بشكل دوري"(نيتشه، 2011، ص 242).

ومثلما نقد نيتشه القيم نقد أيضا الإيمان الحديث بالعقل، هذا النقد الذي لا يمكن نكرانه أو نسيانه حسب شتراوس، و بالفعل فليس النقد الذي يكيله نيتشه للحداثة إلا نقدا للعقل الحديث، الذي أفرط في منح الثقة في الإنسان إلى درجة تتويج الأنوار الحديثة بالعدمية، يقول شتراوس: " الديمقراطية الليبرالية مثلها مثل الشيوعية، كانت ناتجة عن الموجة الأولى و الثانية للحداثة، في حين أن التجسيد السياسي للموجة الثالثة تبين أنه الفاشية. ومع ذلك فهذه الحقيقة، التي لا يمكن دحضها، لا تسمح لنا بالعودة إلى الأشكال المبكرة للفكر الحديث: فنقد العقلانية الحديثة، أو نقد الإيمان الحديث بالعقل، والذي قام به نيتشه، لا يمكن نكرانه أو نسيانه، وهذا هو السبب العميق في أزمة الديمقراطية الليبرالية"(Leo Strauss, 2008, p 235).

تبعا لما قيل سلفا، تنكشف معطيات إجابة إشكاليتنا القائلة: كيف لأزمة تقع في ميدان الفلسفة السياسية أن تؤثر في ثقافة بأكملها؟

إن حقيقة الأزمة تكمن في الصورة الحديثة للديمقراطية، صورة الديمقراطية الليبرالية التي أرخت العنان للعقل، وفي الوقت الذي ظهرت محاولات لنقد العقلانية الحديثة فإنها لم تكتمل لتؤكد نكوصها عن روح العقلانية الكلاسيكسية اليونانية والوسيطية الإسلامية، فالعقلانية الحديثة

تعترف من حيث لا تدري بعجز العقل، ذلك ما يظهر في إحجامها عن الخوض في غاية الوجود الإنساني، ما أدى لإدامة أزمة الحداثة و تفاقمها لتظهر في أبشع صورها وهي صورة الفاشية.

الخاتمة

ختامالما قدمنا في هذه المقاربة، يجدر بنا ترسيم ثمرة بحثنا في النتائج التالية:

1- لقد ساهم العديد من المفكرين بدءا بمكيافلي في حصول هذه القطيعة مع الفلسفة السياسية الكلاسيكية و إحداث أزمة الديمقراطية عن وعي، كل بطريقته، لكن ما يجمعهم هو التشبع بمبادئ الوضعية أو بعقلانية الصيرورة التاريخية أو بهما معا، لكن في الوقت ذاتهفهذه الثقافة الحديثة فقدت إيمانها بقدرة العقل حينما أحجمت عن بحث غاياتها القصوى، ومن ذلك غاية تحقيق المجتمع الخير، وليس ذلك إلا تعبيرا عن رفض الفلسفة السياسية ما قبل الحديثة التي تعج بنماذج المجتمع الخير.

2- إن أزمة الديمقراطية هي أيضا في إنكار إعتبار معياري الخير والشر و لصحيح والخاطئ في تقدير الأحكام في شأن الظواهر الإجتماعية، هذا الإنكار الذي إتخذته الفلسفة الوضعية مبدأ تحت شعار الموضوعية والإيمان بالتقدم.

3- لقد أنتج الإيمان الحديث بالتقدم مفهوما سطحيا للحياة الإنسانية تنحصر في جعل العمل الإنساني مرتبطا بالمفردات البسيطة للفعالية، ذلك ما نراه في نموذج فلسفة هوبز التي سلبت فكرة الغايات من الطبيعة الإنسانية.

4- إن شعار السيطرة على الطبيعة الذي حملته الفلسفة الوضعية أضحى حملا ثقيلا على الحداثة، إنه شعار يعني أن الطبيعة عدو وفوضى يجب إخضاعها للنظام وأن كل شيئ حسن مرده إلى عمل الإنسان أكثر مما هو راجع إلى هبة الطبيعة، ذلك ما شجع على إنكار كل سلطة، فليس لأي سلطة السند الموضوعي للحديث عن نسق للمبادئ التي يؤمن بها، لا الطبيعة ولا العقل ولا حتى الدين، وأن السند الموضوعي الوحيد يظل التقدم و الفعالية و تلك هي العقبات التي تقف في طريق الديمقراطية و التحديات التي يجب عليها رفعها.

أخيرا يمكن القول أن أطروحة شتراوس حول سيرورة و صيرورة الحداثة الغربية، تكشف عن ضرورة إعادة الإعتبار للعديد من المفاهيم و المبادئ وكذا الغايات التي يزخر بها براديغم الديمقراطية و التي بلورتها الفلسفة الكلاسيكية اليونانية و كذا الوسيطية الإسلامية، و من ذلك مفهوم الفضيلة و المجتمع الخير بوصفهما غاية و كمال لطبيعة الإنسان.

قائمة المراجع:

1.توماس هوبز (2011) الليفياتان، ، ترجمة ديانا حبيب حرب و بشرى صعب، دار الفارابي، ط 1.

2.نيتشه (د س)، ما وراء الخير و الشر، نيتشه، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، د ط.
3.نيتشه(1996)، أفول الأصنام، نيتشه، ترجمة حسان بورقية و محمد الناجي، افريقيا الشرق، ط 1.
4.نيتشه (2011)، إرادة القوة، نيتشه، ترجمة محمد الناجي، افريقيا الشرق، ط 1.
5.نيقولو مكيافيلي(1982)، مطارحات، تعريب خيري حماد، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 3.

6.Jeffery Andrew Barash (2001),Leo Strauss et la question du relativisme, revue Cités, PUF, 2001/4 N 8.

7.J.J. Rousseau (1996), Du contrat social, Booking international, Paris.

8.Leo Strauss (2008), La philosophie politique et l'histoire, trad Olivier Sedeyn, éd le livre de poche.

9.Leo Strauss (1992), Qu'est-ce que la philosophie politique, trad Olivier Sedeyn, PUF .

10.L.Strauss (1986), Droit naturel et histoire, trad Monique Nathan et Eric De Dampierre, Flammarion.

11.Michel Malherbe (1989),Leo Strauss, Hobbes et la nature humaine, Revue de métaphysique et de morale, Armand colin, N 3 ,1989.

التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين القيم والفنون الغنائية دراسة تحليلية لمضمون القيم السائدة في بعض الأغاني الفنية بدار الأوبرا بدمنهور

د.هبة سعد توفيق الأصولي

جامعة طنطا – جمهورية مصر العربية

ملخص: تتحدد مشكلة الدراسة الراهنة في ظهور بعض الأنماط الفنية التي تعمل على تزييف الوعي، وتغيير القيم، والعادات، والتقاليد الاجتماعية، والأخلاقية، باتخاذها شكلًا جديدًا من الإثارة؛ والذي حظى بقبول الكثيرين، رغم ما تتضمنه من إبراز بعض السلوكيات الانحرافية غير المقبولة، وبناءً على ذلك يتحدد الهدف الرئيس من الدراسة في تحديد القيم الاجتماعية التي تعكسها الأنشطة الفنية، وقد انتمت الدراسة إلى الدراسات الوصفية التحليلية؛ لكونها تهدف إلى تحليل ووصف محتوى الأنشطة الفنية وما تتضمنه من قيم إجتماعية، واعتمدت على منهج تحليل المضمون، واستخدمت طريقة التأويل السوسيولوجي للنصوص الفنية، بالإضافة إلى مجموعة من الأدوات هى: استمارة تحليل المضمون، ومعيار القيم، ومعادلة هولستي الإحصائية، وأداة المقابلة والملاحظة بالمشاركة، وتوصلت الدراسة إلى أن الأنشطة الفنية يمكن أن تعكس مجموعة من القيم الاجتماعية بشكل غير مباشر. الكلمات المفتاحية: القيم، القيم الاجتماعية، الأنشطة الفنية.

Analytical Social influences that exchange values and the lyrical arts study of the content of prevailing values in some songs performed at the Damanhour Opera House

Abstract: The problem of the current study is the appearance of some artistic patterns that work on faking the awareness, changing of social values, social and moral traditions of our society by shaping in a new exciting form that attracts teenagers and children’s and it is extensively accepted by many people. Consequently, The major purpose of this study is to determine the social values reflected by artistic activities. This study belongs to descriptive and analytical studies, because it aims to analyze and describe the content of artistic activities and extraction the social values are contain it. The study depends on the content analysis method and used the sociological interpretation method, content analysis model, standard values, Holsti's statistical formula, interview, observation and

observation of participation. The study reached that artistic activities can be reflecting a series of social values for indirectly. Key words: values, social values, artistic activities.

مقدمة

يعتبر الفن نموذجًا من نماذج النشاط الإنساني، لذا تأتي أهمية سوسيولوجيا الفن؛ للكشف عن التأثيرات الاجتماعية للفنون المتنوعة، وتسليط الضوء على عمق دورها في ترسيخ القيم الاجتماعية، بجانب تحديد مدى ارتباط الفنون بالواقع الإنساني للفرد الممارس للنشاط الفني؛ لإظهار مدى التأثير المتبادل بينهما، بالإضافة إلى تقييم دور المؤسسات الثقافية في انتقاء الأنشطة الفنية التي تتضمن قيمًا اجتماعية تتصدى لمختلف التيارات الفنية الأخرى التي تفرز سلوكيات غير مرغوبة اجتماعيًا، ووفقًا لذلك تم اختيار دار أوبرا دمنهور في هذه الدراسة، لكونها نموذجًا لمؤسسة ثقافية وفنية؛ بهدف تقييم دورها الاجتماعي عبر الأنشطة الفنية المقدمة من خلالها.

فالفنون من أهم القوي التي يمكن أن تسهم في توجيه أفراد المجتمع نحو قيم معينة؛ وذلك لكونها تحظى بأهمية بالغة لدى جماهير عريضة، وبالتالي لها من تأثير كبير في حياة الناس، فهي جزءًا لا يتجزأ من عملية التنشئة الثقافية، حيث إنها تلعب دورًا فعالًا في بناء شخصية الفرد وتشكيل اتجاهاته؛ نظرًا لتمتعها بقوة جاذبة تجعلها قادرة على نقل مختلف الأفكار بصورة ممتعة، فإذا ما استخدمت بشكل أمثل متبنية القيم المثلى، ساعد ذلك في توجيه أفراد المجتمع نحو القيم المحققة للصالح العام، والمنظمة للعلاقات الاجتماعية وصولاً لعملية الضبط الاجتماعي.

أولًا: مشكلة الدراسة

إن الفن يمثل أهمية كبيرة في التأثير على أفراد المجتمع، لذا اهتمت به السلطات المتعددة في عصور متعاقبة، حيث سعى بعض الملوك إلى بناء المؤسسات الثقافية التي تنشر الفنون في الأقاليم المحيطة بالمناطق الريفية، منهم الملك فؤاد الذي قام بتأسيس أوبرا دمنهور عام 1930، وأطلق عليها في ذلك الوقت دار التمثيل؛ بهدف الإسهام في تعليم الآداب الاجتماعية، بجانب توفير نوع من اللذة والمتعة للجمهور، حتى مرت بمراحل زمنية متعددة وتم إغلاقها، ثم عادت للنهوض مرة أخرى لتنضم إلى المركز الثقافي القومي "دار الأوبرا المصرية"؛ لتصبح أول أوبرا إقليمية بجمهورية مصر العربية، ومن المفترض أن يتلقى فعالياتها عدد ضخم من أفراد المجتمع المنتمين للريف والمدينة بمحافظة البحيرة التي تضم كثافة سكانية كبيرة، حيث يبلغ تعداد سكانها 6.107.723 مليون نسمة، منهم 3.125.173 مليون نسمة ذكور، و 2.982.550 إناث. (الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، 2017).

وقد تواجه هذه المؤسسة الثقافية مجموعة من التحديات تتمثل في ظهور بعض الأنماط الفنية التي تعمل على تزييف الوعي، وتغيير القيم، فقد ظهرت هذه النماذج الفنية حينما سادت مظاهر التشيؤ، وأصبح الفن عبارة عن سلعة تخضع لعملية التبادل التجاري، وبالتالي أصبح الهدف من إنتاج الأعمال الفنية هو إحداث الإثارة التي تؤدي إلى زيادة إقبال أفراد المجتمع، من أجل تحقيق

أرباح مرتفعة، وأدى ذلك إلى صناعة نماذج لا تعتمد على المعايير النوعية للفنون، ولا تتضمن محتوى يعكس ثقافة جادة لأفراد المجتمع أو يعكس قيم اجتماعية إيجابية، وتغيرت طبيعة وخصائص الفنون التي تقوم على الإبداع، بل وحظت بقبول الكثيرين، رغم ما تتضمنه من إبراز بعض السلوكيات الانحرافية غير المقبولة، فمنها ما تتضمن نوعًا من الإسفاف، فتحمل في طياتها ما يحرض على فساد الأخلاق، فأصبح هذا النوع من الفنون شريكًا في عوامل الانحرافات المجتمعية التي انتشرت بالمجتمع.

لذا تتلخص مشكلة الدراسة في التساؤل الآتى وهو: ما هي الدور الفني والثقافي الذي تقوم بها دار الأوبرا بدمنهور للتصدي لهذه التيارات الفنية؟

ثانيًا: أهداف الدراسة وتساؤلاتها:

تهدف الدراسة إلى إثراء البحث العلمي في مجال علم اجتماع الفن، وذلك بالتركيز على الفن وعلاقته بالأنساق الاجتماعية التي تعتبر القيم جزءًا لا يتجزأ منها، وذلك من خلال تحقيق مجموعة من الأهداف هي:

1- رصد القيم الاجتماعية التي تعكسها مضامين بعض الأغاني في أوبرا دمنهور وفقًا لمعيار محدد.

2- قراءة المعاني الكامنة في محتوى الأنشطة الفنية، وتحديد علاقتها بالتغيرات التي حدثت بالنسق القيمي.

3- الوقوف على التوجهات الأيديولوجية ومدى تأثيرها على مضمون النصوص الفنية الغنائية.

4- تحديد مفهوم الأنشطة الفنية في ضوء سوسيولوجيا الفن، وذلك من خلال اكتشاف المقاصد الاجتماعية المباشرة وغير المباشرة للنصوص الفنية.

ثالثًا: مفاهيم الدراسة

لقد تم تحديد أربعة مفاهيم للدراسة هي:

1- القيم Values:

هناك إجماع على أن القيم هي بنى كامنة تظهر من خلال السلوكيات والمواقف المختلفة بالمجتمع، حيث إنها تعتمد على البيئة الإنسانية التي تغرس الأنماط الثقافية والمعرفية الأساسية من خلال التنشئة الاجتماعية المبكرة التي تسهم في تشكيل القيم. (Bogdan Voicu and Balazs Telegdy, 2016)

ومن وجهة نظر علماء الاجتماع، تعنى القيمة الحكم أو القرار الذي يصدره الشخص نتيجة تفاعلاته مع المجموعة التي يعيش معها، وذلك في إطار المعايير والنظم والمبادئ التي يكتسبها الفرد من محيطه الاجتماعي، حيث إن الجماعة هي التي تحدد ما هو مرغوب فيه ومرغوب عنه من السلوك الإنساني. (أحمد حافظ فرج، 2003)

وحيثما يوجد الحد الفاصل بين المرغوب والمرغوب عنه تتشكل المبادئ الهادفة للحفاظ على العلاقات الاجتماعية، تحقيقًا للسلام المجتمعي، ووفقًا لذلك فإن النسق القيمي هو عماد المجتمع، فعلى سبيل المثال الفرد المسلم المرتبط بثقافته الدينية يؤمن بالمعتقدات الراعية للقيم المجتمعية مثل الإيمان بوحدة الله وآخر الأنبياء، والإيمان بالقرآن الكريم وغيرها من الكتب المقدسة، ويمثل

هذا النسق القيمي معاييرًا تنضبط بها سلوكيات الفرد المؤمن بها، وتجعله يستطيع الحكم على الفعل بأنه صواب أو خطأ.(Syeda Tahira Shah and Farhana Khurshid,2010)

التعريف الإجرائي للقيم: مجموعة من الأفكار، والاتجاهات المقبولة، والمتفق عليها كمبادئ معيارية وفقًا للممارسات الثقافية التي ارتبط بها أفراد المجتمع، فأثرت في شخصياتهم، وانعكست على أسلوب حياتهم وتعاملاتهم الإنسانية ، فنبذوا من يخالفها، وعلى هذا تتسم بالديمومة، وهي أداة من أدوات الضبط الاجتماعي.

2- القيم الاجتماعية Social values:

عُرفت القيم الاجتماعية بأنها: "المُثل العليا التي توجه السلوك الشخصي، وتؤهله للتفاعل مع الآخرين، والتعامل مع المواقف المختلفة في التفاعلات الاجتماعية".

فهي معايير اجتماعية تترسخ كمعتقدات أساسية حتى تساعد الأفراد على التمييز بين الصواب والخطأ، وتسهم في تحقيق التوازن الاجتماعي، مما يجعل للمؤسسات التعليمية مسؤولية كبيرة في ترسيخها، خاصة في ظل التغيرات التي تحدث في المجتمعات، والتى تؤدى إلى ظهور احتياجات جديدة ومشكلات لم تكن موجودة من قبل، وقد تكون هذه التغييرات سلبية أو إيجابية، وتؤثر على النسق القيمي. (Mimar Turkkahraman,2013)

وقد اختلف الباحثون والعلماء في تعريفها لعدة أسباب أهمها: تباين الأهداف وتعدد التخصصات التي استخدمت هذا المفهوم، فهناك باحثون قدموا مفهومًا للقيم يعكس منظور الإدارة الاستراتيجية، وركزوا على التمييز بين قيمة الاستخدام وقيمة التبادل، وآخرون قدموا تعريفًا عن القيم يركز على الأفكار أنظمة المعتقدات التي تعمل كمبادئ توجيهية فى الحياة، وأشاروا إلى أنها الوسيلة التي يتحدد بها ما هو مقبول وغير مقبول في النظام الاجتماعي.(Archana Singh, 2016)

فالقيم هي عبارة عن مجموعة من المبادئ التوجيهية التي تنظم علاقات الأفراد أثناء القيام بالأعمال الأساسية المشتركة، وإن الالتزام بها يضمن التعامل بشكل متسق في ظل تطبيق نهج أخلاقي محدد، كما أنها تعتبر المحرك الأساسي في صنع القرارات. (Report of the Department of Culture, 2017)

التعريف الإجرائي للقيم الاجتماعية: "مجموعة من السمات والسلوكيات الاجتماعية الناشئة والمتكونة من المجتمع والعائدة إليه مرة أخرى في عملية مترابطة، فإذا ما تأسست على قواعد راسخة، صارت ثابتة تتوارثها الأجيال دونما تأثر بالتطورات الاجتماعية المؤدية إلى إفراز قيم جديدة غير صالحة لتنظيم العلاقات الاجتماعية وتحقيق التوازن الاجتماعي.

3- الفن Art:

يؤكد علماء الاجتماع أن مصطلح فن الذي يشتق منه ألفاظ أخرى مثل عمل فني وفنان هي مشتقات تاريخية حديثة، ظهرت في الغرب منذ مئات السنين، وقبل ذلك لم يوجد مصطلح فن بالمعنى المعاصر، بالرغم من أنه قبل ظهور هذا المصطلح كان الناس ينتجون أعمالًا ثقافية.(ديفيد أنغليز؛ جون هغسون، 2007).

إن الفن بوصفه اصطلاحًا يشمل معانِ كثيرة، فهو يتضمن كل ألوان المهارات والإنتاجات الثقافية التي يتناقلها الناس، والتي تستخدم عادة لإثارة الخبرة الجمالية، وقد يقصده الفنان أو لا يقصده قصدًا واعيًا، وقد يكون له أهداف أو لا يكون، فهو من وجهة نظر الفنان محاولة من جانبه ليعبر عن الآخرين أو ينقل إليهم شيئًا من خبراته الماضية أو اتجاهاته أو مشاعره أو أفكاره الحاضرة، ويجعلها محسوسة أو مجسمة بطريقة يمكن إدراكها.(توماس مونرو،2014)

فهو مجال واسع من الخبرات الإنسانية وعواطفها ومعتقداتها وأفكارها، ويتم التعبير عنها في أشكال جمالية تستهوي الأحاسيس، وتثير استجابات عاطفية وعقلية في الذهن الإنساني. (جانيت وولف، 2000)

وهو يعتبر نشاطًا إنسانيًا يتناقله أفراد المجتمع فيما بينهم، حيث يقوم به إنسان ما انفعل بأحاسيسه نتيجة معاناة تعرض لها فى حياته المجتمعية، ثم ينقلها بوعي إلى الآخرين في صورة إنتاج فني، وتتمثل في الروايات والقصص والتراجيديات والكوميديات واللوحات والسيمفونيات والأوبرات والباليهات وغيرها. (ليفي تولستوي، 1991)

تعريف الفن إجرائيًا: "نشاط إنساني إبداعي يقوم به مجموعة من أفراد المجتمع الموهوبين الذين يمتلكون القدرة على تحويل الواقع الاجتماعي إلى صورة جمالية ممتعة، تحمل الكثير من القيم الاجتماعية والمعايير والمبادئ الإنسانية".

4- الأنشطة الفنية Artistic activities:

إن الأنشطة الفنية عملية تربوية تساعد النشء والشباب على اختلاف أنواعهم في فهم لغة الفنون، ووظيفته بالمجتمع، ومعرفة مدى أثر الفن في البيئة التي صنعها الإنسان، وكذلك نمو اللغة والسلوك للإنتاج الخلاق والاستجابة إلى الفن والتقويم الناقد له من خلال الحكم الجمالي". (سلوى محسن الطائي، 2010)

وهي عبارة عن أساليب للتعبير عن المشاعر والأفكار، وتعتبر من الأشياء التي تميز السلوك الإنساني، فهي تمثل الخيال والأصالة التي تعتبر مصادر متجددة لتشكيل التفكير الاجتماعي الرفيع المستوى".(تقرير مشروع تطوير وتنمية الطفولة المبكرة، 2006)

ويمكن فهم الأعمال الفنية باعتبارها نتيجة لأنشطة متآزرة منسقة تقوم بها كل العناصر الفاعلة التي يجب أن تتعاون لكي يكون العمل الفني على ما هو عليه، وتتضمن هذه العناصر كل الذين شاركوا في إنتاج العمل مثل: الملحنين، ومؤلفي المسرحيات، والموسيقيين، والممثلين، ومقدمي المعدات المادية الضرورية مثل: صانعي الآلات الموسيقية، والجمهور مثل: المترددين علي العمل الفني والنقاد وما شابه ذلك. (بيير بورديو، 2013)

التعريف الإجرائي للأنشطة الفنية: "وسيلة تستخدمها المؤسسات الثقافية من أجل مساعدة الموهوبين من مختلف الشرائح الاجتماعية لممارسة أنشطة يعبرون من خلالها عن أفكارهم واتجاهاتهم بصورة جمالية إبداعية مدروسة".

رابعًا: الدراسات السابقة

المحور الأول: الدراسات المتعلقة بالقيم الاجتماعية:

أ- الدراسات باللغة العربية:

1- هيفاء محمود الأشقر، أثر برامج الأطفال في قيم الانتماء الوطني لدى أطفال الروضة، 2017. هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر برامج الأطفال في قيم الانتماء الوطني لدى طفل الروضة، وتصميم قائمة بقيم الانتماء الوطني الواجب توافرها في برامج الأطفال، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وأسلوب تحليل المضمون، وتوصلت إلى وجود فروق في درجات الانتماء الوطني، وظهرت القيم ذات البعد السياسي في المرتبة الأولى، وجاءت في المرتبة الثانية القيم ذات البعد الاجتماعي.(هيفاء محمود الأشقر، 2017)

2- سامية السيد حمزة فرحات، القيم التربوية الاجتماعية في الشعر العبري الأندلسي، 2014. هدفت الدراسة إلى الكشف عن بعض القيم المتضمنة في الشعر العبري الأندلسي، وتوضيح الدور الذي يقوم به الشعر في بث القيم، واعتمدت على المنهج الوصفي وتحليل المحتوى، وبينت أن شعراء الأندلس اهتموا بالطبيعة، وعبروا عن جمالها ومباهجها، مما أسهم ذلك فى بناء إنسان إيجابي يسعى إلى صناعة الحياة على نحو أفضل، وأثبتت أن أساليب غرس القيم تتنوع حسب مهارة الشاعر ومدى ملاءمة القصيدة للموقف الذي أُلقيت من أجله. (سامية فرحات، 2014)

2- **مروى توفيق عباس، دور مسرح الطفل في تدعيم قيم الانتماء الوطني، 2017.** هدفت الدراسة إلى الكشف عن القيم التي تعكسها المسرحيات، وأهم القيم المتضمنة في النصوص المسرحية، واعتمدت على منهج المسح الإعلامي والمسح بالعينة وتحليل المضمون واستمارة الاستبيان وأسلوب المقابلة، واستخلصت أن مسرح الطفل يسهم في إكساب قيم الانتماء الوطني للأطفال، ويعكس اهتمامات المجتمع وثقافاته.(مروة عباس،2017)

4- **هبة توفيق، الغناء الجماعي ودوره في تنمية الانتماء الوطني ، 2017.** هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع الغناء العربي ودوره في تنمية الانتماء الوطني، والتصور المقترح لتفعيل ذلك الدور، وأهم الأسس النظرية الفلسفية في مجال الانتماء، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وأداة الاستبيان، وأسفرت عن أن فن الغناء أسرع الفنون تعبيرًا عن أحداث ثورة 25 يناير، وتدعيمًا لها وحشدًا لمشاعر الوطنية، وأن الأغنية الوطنية تستطيع تنمية حب الوطن والانتماء له، وتزيد من الاعتزاز بالوطنية، وتعزيز وتدعيم روح الجماعة، وتسهم في تشجيع الإقبال على الأنشطة التطوعية لخدمة الوطن والمجتمع. (هبة توفيق، 2017)

ب- الدراسات الأجنبية

1- ستيفن هورنستين Stephen Horenstein، تعزيز القيم من خلال الفنون، 2008. هدفت الدراسة إلى توضيح طريقة تعزيز احترام الذات لدى الشباب من خلال برنامج فني ، وذلك بالاعتماد على نظرية الممارسة التي تعتمد على مجموعة من الأنشطة الفنية الملموسة، واعتمد البحث على طريقة دراسة الحالة وأداة المقابلة، وبينت زيادة مشاعر الانتماء، والاستعداد لتحمل المسؤولية نتيجة ممارسة الفنون والموسيقى، وأن الأنشطة الفنية تعزز من رفاهية الأطفال وثقتهم بأنفسهم، وتكسبهم قيمة التعاون. (Stephen Horenstein,2008)

2- أوروا سيدني أندو Aurora Sidney Ando، الفن والتعبير الإبداعي من أجل تحقيق التغيير الاجتماعي: القيم والهوية والفعالية،2014. هدفت الدراسة إلى استكشاف دور الفنون

والتعبير الإبداعي في تحديد قيم الشباب وبناء تصور لأدوارهم، وطبقت الدراسة بحث العمل التشاركي، وطريقة المجموعة البؤرية، وتوصلت إلى أن الفنون والتعبير الإبداعي يمكن أن يؤثر إيجابيًا في مساعدة الشباب على تحديد قيمهم، وأن صناعة الفن والإبداع تعملعلى تعزيز قيمة المشاركة لديهم، وترسخ قيمة التواصل والتفاعل. (Aurora Sidney, 2014)

3- سيدا طاهيرا شا وفرحا خورشيدSyeda Tahira Shah and Farhana Khurshid، تأثيرات التلفزيون على نظام القيم الاجتماعية في المجتمع الباكستاني، 2017. هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف آثار الإعلام التلفزيونى على القيم الاجتماعية والدينية في المجتمع الباكستاني، وتحديد مدى العلاقة التأثيرية المتبادلة بين وسائل الإعلام والنسق القيمي، واستخدمت الدراسة مقياس استبيان ليكرت الخماسي وطريقة المجموعة البؤرية، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن للتلفزيون تأثير قوي على نظم القيم الاجتماعية والدينية وتصورات المشاهد وتفكيره ومعتقداته، وله إسهامات في إحداث آثار متضاربة بالممارسات المجتمعية لدى الأفراد خاصة الشباب. (Syeda Tahira Shah and Farhana Khurshid, 2017)

المحور الثاني: الدراسات المتعلقة بالأنشطة الفنية

أ- الدراسات باللغة العربية:

1- **ميساء عبد الله درويش، سوسيولوجيا الفن المسرحي، دراسة تحليلية للمسرح لدى الأخوين رحباني، 2002.** هدفت الدراسة إلى تحديد علاقة الفن بالواقع الاجتماعي من خلال تحليل المضامين الاجتماعية لعدد من المسرحيات التي ظهرت في المجتمع اللبناني في الفترة الزمنية من 1970 إلى 1975 للأخوين رحباني، والكشف عن المشكلات الاجتماعية التي أظهرها الأخوين رحباني في مؤلفاتهم، ومدى تأثرهم بالمعطيات السياسية والاجتماعية، ووصلت الدراسة إلى أن أعمال الأخوين رحباني ارتبطت بالأوضاع والقضايا المجتمعية، وتأثروا بالنظم السياسية السائدة، وألقوا الضوء على الحب كأداة لعلاج المشكلات الاجتماعية. (ميساء عبد الله درويش، 2002)

2- مهني صالح محمد عليوة، الواقع الاجتماعي في مسرح محمد عناني، 2007. هدفت الدراسة إلى معرفة مدى تأثير الواقع الاجتماعي المعاصر على البناء الدرامي أو المضمون الفكري، من خلال تحليل مضمون المسرحيات التي كتبها محمد عناني، وتحديد أهم سماتها الفنية ومضامينها وأهدافها، وجمعت الدراسة بين المنهج الاجتماعي والمنهج التحليلي والمنهج الوصفي، واستخلصت أن أعمال محمد عناني اندمجت مع الواقع الاجتماعي بكل ما يحتويه هذا المجتمع من مشاكل، فقد عبرت مسرحياته عن الواقع الاجتماعي الذي كان يحمل داخله مشكلات وأوضاع غير مألوفة مع طرح بعض الحلول الجادة لها. (مهني عليوة، 2007)

3- **بسنت خيرت حمزة، السينما وقضايا المجتمع، 2008.** هدفت الدراسة إلى التعرف على القضايا الاجتماعية التي تطرحها السينما المصرية في الفترة ما بين عام 2000 إلى عام 2005، والتعرف على ما إذا كان المَخرج والسيناريست يستلهمان أفكارهما من الواقع أم لا، واعتمدت على المنهج الوصفي وأداة المقابلة، وتوصلت إلى أن الأفلام عبرت عما يعانيه الشعب المصري

من فقر وانحرافات سلوكية، وسجلت كل ما وقع في مصر من فساد، كما استخلصت أن السينما لم تنفصل عن الواقع الاجتماعي. (بسنت حمزة، 2008)

ب- الدراسات الأجنبية

1- جو باركيت Jo Barraket، دور الفنون في الإدماج الاجتماعي، 2005. هدفت الدراسة إلى تحديد آثار الفنون على الإدماج الاجتماعي، وإظهار أهمية تبني المبادرات القائمة على الفنون في التخفيف من حدة الفقر، اعتمدت على طريقة دراسة الحالة، وأداة المقابلة ،وتحليل الأدبيات السابقة، وتوصلت إلى أن الفنون تعزز من عملية الإدماج الاجتماعي من خلال تحسين الأداء التعليمية والمشاركة، وتعزيز التنمية الشخصية، وتحسين التماسك الاجتماعي وتقليل العزلة الاجتماعية، وتعزيز المواطنة الفاعلة.(Jo Barraket, 2005)

2- هيكونج سونج HeeKyung Sung، تأثير الفنون ودورها في رفاهية المجتمع،2016. هدفت الدراسة إلى استكشاف الأبعاد الأساسية لمؤشرات الفنون المحلية، وإظهار العلاقة بين عوامل الفنون والأصول الثقافية ورفاهية المجتمع، وإظهار المتغيرات القابلة للتطبيق لفهم أبعاد الفنون والثقافة في المجتمع فهمًا شاملًا، واستخلصت الدراسة أن الأعمال الفنية ترتبط ارتباطًا كبيرًا بالرفاهية الفردية والمجتمعية الشاملة، كما أن الأنشطة الثقافية والفنية تلعب دورًا مهمًا في توفير فرص واعدة لتحسين نوعية الحياة للسكان والمجتمعات. (HeeKyung Sung,2016)

3- شيون لانجدون Sean Langdon، ما تأثير الشركات الأمريكية لإنتاج الأفلام والتليفزيون على الثقافة الغربية، 2019. هدفت الدراسة إلى تحديد الآثار التي خلفتها مشاركة الإنتاج السينمائي والتلفزيونى الأمريكي على المجتمع الغربي، واعتمدت على تحليل المضمون، وتوصلت إلى وجود بعض التأثيرات الضارة لهذه الأفلام، حيث إنها تسهم في زيادة الاغتراب والتعصب الثقافي، نتيجة العولمة التي صارت تغزو مجال صناعة السينما والتليفزيون، وأصبح النمط الأمريكي في حياة كل شخص يعيش على كوكب الأرض. (Sean Langdon, 2019)

تعقيب على الدراسات السابقة

يتضح من الدراسات السابقة أن القيم الاجتماعية تتعرض لبعض التحولات المجتمعية التي تعمل على تهميش بعضها وإحلال أخرى، وذلك نتيجة التغيرات التي أثرت على كافة الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ومن ثم تغيرت أساليب التنشئة الاجتماعية التي تعتبر الأنشطة الفنية جزءًا لا يتجزأ منها، حيث إن الفنان يتبنى قيمًا محددة من خلال تفاعلاته مع بيئته الاجتماعية، ثم يبرزها في عمله الفني، وينقلها إلى الجمهور.

لذا تفيد هذه الدراسات في تحديد المتغيرات التي أثرت على القيم، وتوضيح العوامل الاجتماعية التي دفعت الفنون إلى بلورة قيم محددة، حيث هناك بعض الأنشطة الفنية التي تأثرت بالعولمة وأبرزت القيم المادية وأغفلت الإنسانية، بينما ثمة أعمال أخرى سعت إلى التصدي لها، وحاولت أن تعكس القيم التي تسهم في تحقيق الضبط الاجتماعي.

وبالرغم من أن هذه الدراسات استخدمت مناهج وأدوات متنوعة، فقد تتفق الدراسة الراهنة مع بعضها في الاعتماد على منهج تحليل المضمون، ولكن تحاول الدراسة الراهنة إضافة هذه البحوث باستخدام طرق تحليلية تعتمد على تأويل النص؛ من أجل تحديد العوامل الاجتماعية

والثقافية التي دفعت الفنان إلى إنتاج هذا العمل، ومن ثم تحديد القيم الاجتماعية التي تعكسها الأنشطة الفنية، وتحديد المتغيرات التي حدثت في النسق القيمي من خلال هذا العمل الفني.

خامسًا: التوجهات النظرية للدراسة

انطلقت الدراسة من نظرية فرانكفورت، وذلك لتركيزها على مجموعة من المفاهيم الهامة هي:

1- التشيؤ Commodification: يشير التشيؤ إلى تحويل المنتجات الفنية إلى سلع وأشياء يمكن التعامل معها بمنطق البيع والشراء، ولكن هذا المعنى يعمل على انحطاط القيمة الجمالية للعمل الفني الراقي، حيث إن هذا المنطق يؤدي إلى تقييم العمل الفني وفقا لأذواق الجماهير، ويجعل الإنتاج الفني مرتبطًا بثقافتهم بصرف النظر عن كونها ثقافة متدنية أوغير متدنية، مما يؤثر ذلك على نوعية الفنون المتميزة الراقية التي لا يستطيع العامة تذوقها. (هارلمبس وهولبورن، 2010)

2- الشمولية Totalitarianism: قد انتقدت فرانكفورت النظام الشمولي الذي جعل كل شيء موحد خاصة في ظل نظام الاحتكارات الذي جعل كل الحضارات متشابهة، كما توحدت أيضا التظاهرات الجمالية التي تمدح النظام السلطوي، ومال كل نشاط بما فيهم الفن إلى النمط التجاري، وسيطرت عليه السلطة القائمة التي قررت عدم إنتاج شيء ثقافي لا ينسجم مع معاييرها وأيديولوجيتها، وبالتالي كانت أجهزة الثقافة ضعيفة وغير مستقلة، فهي تخضع إلى سيطرة وهيمنة النظام، ولا يمكن إهمالها من قبل من بيدهم السلطة. (ماكس هوركهايمر؛ ثيوردور أدورنو، 2006)

4- الوعي الاجتماعي Social consciousness: تعتبر المعرفة الجانب الأول للوعي، حيث إنها تنبع من التفاعلات الاجتماعية، بينما يشمل الجانب الثاني من الوعي الأخلاق وعلم الجمال والفلسفة، وتعتبر هذه الأشكال الثلاثة هي أساس الوعي الاجتماعي، وفي علم الجمال يتحقق الوعي من خلال المشاعر والعواطف الإنسانية، ويتم التعبير عنها في صورة فنية. (Periklis (Pavlidis,2015

5- التنوير Enlightenment: التنوير حركة نقد عقلانية تسعى إلى تحقيق التقدم من خلال وضع الإنسان في مركز التغيير، وجعله معيار كل نشاط تنموي باعتباره صانع التحولات الاجتماعية، وتعمل على إطلاق طاقات العمل والإبداع من أجل الحصول على الحرية وتطبيق العدل، وذلك بتطبيق الشمولية في كافة مجالات المجتمع. (شبل بدر،2006)

6- **علم الجمال Aesthetics:** يعنى هذا المفهوم عند فرانكفورت محاولة كشف علاقة الوعي الجمالي والفنون باعتبارهما صورة تمثل الحياة الاجتماعية، حيث يمثل الفن مكانة خاصة في نظرية فرانكفورت باعتبارها أداة تقاوم هيمنة النظم الشمولية . (توم بوتومور، 2004)

7- العقلانية الأداتية Instrumental rationalit : هو نمط من المعرفة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتقنية، نتيجة حتمية فكرة الصراع من أجل السيطرة على الطبيعة، باعتبارها مادة استهلاكية يمكن توظيفها في منفعة الإنسان، حيث أصبحت علاقة الإنسان بالطبيعة علاقة نفعية وأداتية، وتحولت كل جماليات الطبيعة إلى أشياء قابلة للانتفاع، فأصبح الإنسان مجرد جزء أو عنصر من الطبيعة، يخضع للتقنين والتوجيه مثلها، وبالتالي عجزت العقلانية عن إدراك العمليات الاجتماعية

والإنسانية في سياقها الشامل، وصارت غير قادرة على تحقيق أي تقدم معرفي أو أخلاقي. (كمال بومنير، 2010)

هذا بجانب الدور الوظيفي لهذه النظرية في مجال الفن وعلاقته بالنسق القيمي وتتمثل فيما يلي:

1- صياغة نظرية نقدية تهاجم الرأسمالية الاحتكارية: قد كانت مدرسة فرانكفورت إحدى مجموعات الماركسية الجديدة التي ركزت على آثار الثقافة الجماهيرية وظهور المجتمع الاستهلاكي، وسعت إلى تحديد الاستراتيجيات الجديدة للوصول إلى التحرر السياسي، كما اعتبرت فرانكفورت التكنولوجيا عاملًا منتجًا للثقافة الشاملة التي أدت إلى خضوع الأفراد لأنماط التفكير والسلوك المسيطر(على الهامل، 2016).

2- اتخاذ الفن أداة لتحرير الأفراد والمجتمعات من الهيمنة السائدة بالمجتمع: اهتمت النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت بالأعمال الجمالية، وارتبط الفن برؤاهم الكلية ونقدهم الجذري للوضع السائد، باعتباره أداة تحرير الفرد من صور الهيمنة السائدة في المجتمعات الغربية المعاصرة، حيث إن الفن من وجهة نظرهم هو البعد الوحيد الذي يمكن أن يستخدمه الفرد ليتجاوز السيطرة التي تهدده، هذا بالإضافة إلى أنه نشاط يتسم باللذة والمتعة، ويمكن أن يعبر عن الحرية، فهو يمتلك القدرة على تحقيق عالم إنساني أفضل بحيث يتجاوز ما هو قائم بالمجتمع. (كمال بومينر، 2010)

3- نقد العقلانية الآداتية: اهتمت نظرية فرانكفورت بنقد العقلانية الآداتية ، وتوضيح أوجه السيطرة الجديدة التى صارت تهدد الوجود الإنسانى، وذلك نتيجة فقد المشروع التنويرى الأول الذى دعا إلى قيم تقوم على تحرير الفرد من الخرافات القديمة لصالح العلم والمعرفة، بهدف تحسين الظروف المعيشية للفرد، إلا أن هذا المشروع لم يحقق هدفه المنشود، لاتخاذه أسلوب أداتي مرتبط بالقوة والهيمنة على الطبيعة، وأصبح هدفها الرئيس هو تحقيق السيطرة(كمال بومينر، 2010).

5- **الاهتمام بدراسة الخيال وربطه بالواقع:** اهتمت النظرية النقدية بدراسة الخيال وعلاقته بالواقع، بهدف فهم الإنسان اجتماعيًا ونفسيًا، وإدراك موضع المتخيلة في البناء الإنساني الكلي ومدى علاقتها بالواقع، وذلك باعتبار أنها القيمة العقلية التي مازالت تتمتع بالحرية، فالمتخيلة هي وسيلة يستخدمها الفرد لمقاومة أشكال القمع المختلفة، وبالتالي يعمل على إخراج كل ما هو مكبوت داخل الفرد حتى يتحول إلى شكل فني يمكن إدراكه. (رمضان بسطويسي، 1993)

فالفن كما يرى عالم اجتماع الأدب "ليو لوفنتال" أحد أعلام فرانكفورت يمكن أن يسهم في إشباع الخيال الذي يؤدي بدوره إلى إشباع اجتماعي حقيقي، وبالتالي فإن التحليلات الأدبية والفنية تسهم في النقد الاجتماعي؛ لأنها تبحث عن العوامل التي تؤدي بقدرتها الفائقة إلى إدراك اجتماعي(روبرت هولب، 2000).

6- ترسيخ قيم جديدة تهدف إلى تحرير الفرد من الشمولية: توجهت النظرية النقدية إلى ضرورة إحياء القيم الاجتماعية غير المرتبطة بالتشيؤ، وذلك باتخاذ شكل مختلف لا إقطاعي ولا بيروقراطي، وذلك بعدما أصبح الفرد أكثر ارتباطًا بالتقنيات الحديثة من الحياة الاجتماعية،

وصار في حالة لا مبالاة وقلق، حيث أصبح شيئًا يتحرك مثل الآلة، لذا تناولت فرانكفورت آثار انتقال المجتمعات من الإقطاعية إلى الصناعية(إيريك فروم، 2013).

سادسًا: الإجراءات المنهجية للدراسة

1- **منهج الدراسة:** اعتمدت الدراسة على المنهج التأويلي؛ بهدف استنباط ما وراء النصوص الفنية، وذلك من خلال استخدام تحليل المضمون بعض الأغاني التي تُعرض في مسرح أوبرا دمنهور، بما تتضمنه من نصوص لغوية؛ بهدف تحديد القيم التى تعكسها، واكتشاف الخلفية الفكرية أو الثقافية أو العقائدية أو السياسية التي أدت إلى تضمن هذه القيم في محتوى الأنشطة التي سيتم تحليلها، وتوضيح مدى تأثيرها على القيم

2- أسلوب منهجية الدراسة: قامت الدراسة بتفكيك النص وإعادة تركيبه، ومن ثم التأويل من خلال قراءة ما وراء نصوص الأغاني، وتقديم عرض وصفي وتحليلي لمتغيرات (فئة ووحدة التحليل) للنصوص الغنائية، وذلك بالتركيز على على فئة الجملة، مع استخلاص عدد من الكلمات الأكثر شيوعًا، والوقوف على دلالتها السوسيولوجية، وقد أجرى التحليل في ضوء النظرية السوسيولوجية لمدرسة فرانكفورت، وفي ضوء الدراسات السابقة، بجانب البنية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي أنتجت هذا العمل الغنائي، ثم تقديم تحليل كمي وكيفي لمتغيرات التحليل.

3- أدوات الدراسة: استخدمت الدراسة استمارة تحليل المضمون بعد عرضها على محكمين من أساتذة علم الاجتماع بكليتي الآداب والتربية بجامعة عين شمس والقاهرة وطنطا ودمنهور بدولة مصر، كما تحققت الباحثة من ثبات التحليل من خلال إعادته بفاصل زمني يصل لأسبوعين، وذلك بالاعتماد على معادلة هولستي وهي: $CR = \frac{2M}{N1+N2}$، وقد بلغت نسبة معامل الثبات 0.86، فتعتبر جيدة؛ لاعتماد نتائج التحليل، كما استخدمت الدراسة أداة الملاحظة بالمشاركة، وأداة المقابلة مع أحد المؤلفين الذين قاموا بتأليف أغنية من أغاني تحليل الدراسة وهى أغنية "شدي حيلك يا بلد"، بالإضافة إلى معيار القيم الذي تضمنت ما يلى: الانتماء، المواطنة، الصبر، التضحية، الشجاعة، الثقة بالنفس، الوفاء والإخلاص، المشاركة، الطموح، التماسك الاجتماعي، الحرية، الإنجاز،و قيم دينية مثل الرضا والإيمان بالله وتعظيم الأنبياء.

4- التحليل الكمي والكيفي لفئات الموضوع والقيم: قد تم تحليل كل أغنية على حدة تحليلًا كميًا وكيفيًا، وتحديد التوجهات الأيديولوجية والفكرية للفنانين الذين قاموا بإنتاج هذا العمل، والظروف الاجتماعية والسياسية التي أثرت على منتجهم الفني، ومن ثم توضيح القيم الاجتماعية التي يحرص الفنان على إبرازها في إبداعاته الفنية، كما قامت الباحثة بتحديد النسب المئوية للقيم التي تم استنباطها من الجمل النصية، ثم حساب تكراراتها، ثم قامت الباحثة بتأويل نصوص الأغنية؛ من أجل استخراج المعاني الدقيقة من النصوص، ومن ثم استنتاج القيم الاجتماعية التي تعكسها هذه الأعمال الفنية بطريقة منطقية.

5- نصوص التحليل من حيث فئة الشكل: يعد تحديد لغة الأغاني من المحددات المنهجية الهامة في عملية التحليل، ومن هذا المنطلق تم تحليلها وفقًا للغة المستخدمة (عامية أو فصحى) كما في جدول رقم (1)، حيث يفيد ذلك في تحديد فئة الجماهير التي تتلقى هذه الأغاني، حيث إن اللغة العامية تتسم بالبساطة، ويستطيع فهمها عامة أفراد المجتمع، ويمكن إدراجها ضمن الثقافة الجماهيرية، بينما اللغة العربية الفصحى في الغالب لا يستطيع فهمها إلا صفوة المجتمع.

جدول رقم (1) تكرارات الأغاني من حيث النوع واللغة

اللغة / نوع الأغاني	فصحى		عامية		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
دينية	2	%50	3	%30	5	%38,5
وطنية	1	%25	4	%40	5	%38.5
اجتماعية	1	%25	3	%30	4	%30.7
المجموع	4	%100	10	%100	13	%100

ويتضح من هذا الجدول أن الأغاني الدينية هي أكثر الأنواع استخدامًا للغة العربية الفصحى، بينما الأغاني الوطنية والاجتماعية كانت أقل تضمنًا للنصوص التي تحتوى على لغة عربية فصحى، كما يتبين أن اللغة العربية العامية كانت أكثر استخدمًا في مجمل الأغاني كما هو موضح في جدول رقم (2).

جدول رقم (2) تكرارات اللغة المستخدمة في الأغاني

اللغة	التكرارات	النسبة المئوية
فصحى	4	%28.57
عامية	10	%71.42
المجموع	14	%100

فقد بلغت نسبة استخدام اللغة العربية العامية 71.42%، بينما الأغاني باللغة العربية الفصحى بلغت نسبتها 28.57%، مما يشير ذلك إلى أنه هذه تتناسب مع مختلف فئات المجتمع، ويتفق ذلك نظريًا مع وجهة نظر "بنيامين" أحد أعلام مدرسة فرانكفورت في ضرورة إزالة الهالة والغموض من الفن بسبب القدسية التي كانت تجعله مقتصرًا على فئة معينة وهم الصفوة الذين يستطيعوا إدراك الفنون وفهمها(عبد العالي معزوز، 2014).

6- طبيعة المادة البحثية المدروسة

تمثلت طبيعة الدراسة في ثلاثة أنواع من الأغانى هي: أغاني وطنية ، وأغاني اجتماعية، وأغاني دينية، ويمكن تحديد تعريفاتها كالآتى:

1- الأغاني الوطنية: هي نصوص حماسية ترتبط بحب الوطن.

2- الأغاني الدينية: هي نصوص فنية ترتبط بالعقيدة التي يؤمن بها الفرد.

3- الأغاني الاجتماعية: نمط فني يعبر به الفنان عن العلاقات الإنسانية المختلفة في المجتمع.

وقد بلغت أعداد الأغاني محل الدراسة أربع عشرة أغنية تنقسم أنواعها كالآتي:

1- خمس أغاني وطنية: طوبة فوق طوبة، وعاش اللي قال، وشدي حيلك يا بلد، وبالأحضان، ومصر تتحدث عن نفسها.

2- أربع أغاني اجتماعية: أنا لحبيبي، وأما براوة، والفن، وبدر تم.

3- خمس أغاني دينية: رقت عيناي، وقلبك حنين يا نبي، وحرمًا يا سيدي، ومن نورك يارب، وكم ناشد المختار ربه.

وقد تم تصميم جدول وصفي عام رقم (3) يوضح أنواع الأغاني، وجنسية الفنان الذي قام بأداء الأغنية، والفترة التاريخية التي أنتجت فيها الأغنية، بالإضافة إلى القيمة الغالبة للأغنية

جدول رقم (3) وصف عام لإجمالي الأغاني

نوع الأغنية	عدد الأغاني المختارة	نوع المغنى		الجنسية		الفترة التاريخية			القيمة الغالبة للأغنية		
		ذكر	أنثي	مصري	غير مصرى	قبل الثورة	الافتتاح	التسعينات	انتماء	حب	ديني
الأغنية الوطنية	5	4	1	5	0	1	3	1	4	0	0
الأغنية الاجتماعية	4	2	2	2	2	2	1	1	2	2	0
الأغنية الدينية	5	3	2	1	4	0	3	2	0	3	3
الإجمالي	14	9	5	8	6	3	7	4	6	5	3

سابعًا: نتائج الدراسة

أولًا: نتائج خاصة بالقيم الاجتماعية التي تعكسها مضامين بعض الأنشطة الفنية في مركز تنمية مواهب أوبرا دمنهور.

توصلت نتائج الدراسة إلى أن الأنشطة الفنية يمكن أن تعكس مجموعة من القيم الاجتماعية بشكل غير مباشر، حيث تتبنى دار الأوبرا المصرية - باعتبارها إحدى المؤسسات الثقافية التابعة للدولة - استراتيجية محددة لتقديم فنون جادة ترتقي بالذوق العام الذي يتطابق مع المعايير السلوكية الإيجابية، ومن ثم فإن هذه الفنون يمكن أن تسهم في صياغة سلوكيات أفراد المجتمع، من خلال بناء مجموعة من القيم وفقًا لرؤية فنية عميقة تربط بين الثقافة والمجتمع.

فقد أثبتت الدراسة أن الأنشطة الفنية لها دور كبير في تشكيل المعايير والقيم الاجتماعية، لما لها من أسلوب جذاب وممتع يمنحها القدرة على التأثير في سلوك الأفراد والجماعات، وبذلك فإن الأنشطة الفنية جزء لا يتجزأ من التفاعلات الاجتماعية المختلفة، فهي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمُثل العليا، وتحتوي على الفضائل المرغوبة بالمجتمع، من خلال تضمنها الجوانب الإيجابية التي تصورها الفنون بأسلوب جمالي، وذلك بالاعتماد على جانب من الخيال.

وقد اختلف مضمون القيم الاجتماعية التي عكستها الأنشطة الفنية باختلاف نوع النصوص، حيث يتضح من الدراسة أن هناك تباين بين الأنواع الغنائية في درجة تركيزها على القيم الاجتماعية، فهناك قيم معينة تركز عليها الأغاني الدينية، وقيم أخرى تعكسها الأغاني الاجتماعية والوطنية، مما يؤكد ذلك أن القيم متعددة الأشكال والأنواع، وأنه ثمة قيم يمكن ترجيحها على الأخرى، وفقًا للأهداف والمصالح والظروف الاجتماعية والسياسية.

1- القيم في الأغاني الوطنية

توصلت الدراسة إلى أن الأغاني الوطنية عكست جميع القيم التي تم تحديدها في المعيار المصمم لقياس القيم، ولكن بنسب متفاوتة كما موضح في جدول رقم (4).

جدول رقم (4) القيم الاجتماعية التي عكستها الأغاني الوطنية

م	الأغنية / القيم	طوبة فوق طوبة	عاش اللي قال	شدي حيلك	بالأحضان	مصر تتحدث عن نفسها	التكرارات	النسبة المئوية
1	الانتماء	0	0	4	11	0	15	%11.5
2	المواطنة	5	0	3	2	0	10	%7.7
3	الصبر	0	1	4	1	4	10	%7.7
4	التضحية	0	0	1	0	0	1	%0.77
5	الشجاعة	0	1	1	1	2	5	%3.84
6	الثقة بالنفس	4	1	3	0	8	16	%12.3
7	الوفاء والإخلاص	1	4	2	3	2	12	%9.2
8	المشاركة	5	1	4	1	0	11	%8.4
9	الطموح	0	0	5	5	0	10	%7.7
10	التماسك الاجتماعي	0	0	0	1	0	1	%0.77
11	الحرية	0	1	2	25	3	8	%6.15
12	الإنجاز	3	3	1	6	3	16	%12.3
13	قيم دينية	0	0	3	9	3	15	%11.5
المجموع		18	12	33	42	25	130	%100

يتضح من الدراسة أن ثمة قيمتين جاءتا في المرتبة الأولى بنسب متساوية بلغت 12.3% هما قيمة الإنجاز، والثقة بالنفس، تلتهما في المرتبة الثانية قيمة الانتماء التي تتساوى مع القيم الدينية بنسبة 11.5%، ثم جاءت قيمة الوفاء والإخلاص في المرتبة الثالثة بنسبة 9.2%، يأتي بعدها في الترتيب الرابع قيمة الصبر، والمواطنة، والطموح بنسب متساوية بلغت 7.87%، وتتبعها قيمة المشاركة في الترتيب الخامس بنسبة 8.4%، ثم أتت قيمة الحرية في الترتيب السادس بنسبة 6.1%، وجاءت بعدها قيم الشجاعة في الترتيب السابع بنسبة 3.84%، وفي الترتيب الأخير جاءت قيمتى التماسك الاجتماعي والتضحية بنسب متساوية بلغت 0.77%.

2- القيم في الأغاني الدينية:

توصلت نتائج الدراسة إلى أن الأغاني الدينية يمكن أن تعكس قيم الانتماء، والوفاء والإخلاص، والحرية، والمشاركة، والتماسك الاجتماعي، والطموح، والثقة بالنفس، والشجاعة، بجانب بعض القيم الدينية، ويتضح ذلك في جدول رقم (5)، مما يشير إلى أن الأغاني الدينية بالرغم من ارتباطها بالعقائد والشعائر الدينية والطقوس التي تتصل بالعبادات، إلا أنها لا تعكس القيم الدينية فحسب، بل تتضمن قيمًا أخرى ترتبط بمختلف نواحي الحياة الاجتماعية، حيث إن الدين يدعو إلى بعض القيم التي تتصل بالعلاقات والتفاعلات الإنسانية؛ لاعتنائه بمختلف شؤون الإنسان الحياتية،

وبناءً على ذلك تعكس الأغاني الدينية قيمًا اجتماعية مختلفة، وهذا ما أظهرته الدلالات اللغوية والسيوسيولوجية للمحتوى الفني الديني.

كما أظهرت الأغاني الدينية أهمية التأمل في صميم الطبيعة، واستكشاف ما فيها من بواعث الحياة، وحثت على التدبر في آيات الكون، وبالتالي فهذه الأغاني تبعث المشاعر الروحانية والجمالية التي تسهم في تنمية حب الفرد للطبيعة التي خلقها الله، كما أن هذا النوع من الأغاني يساعد المتلقي على معرفة الأماكن المقدسة الدينية.

وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن القيم الدينية في هذا النوع من النصوص الغنائية جاءت في المرتبة الأولى بنسبة 41.12%، وتليها في الترتيب الثاني قيمة الانتماء بنسبة 18.3%، ثم أتت بعدها في الترتيب الثالث قيم الوفاء والإخلاص والحرية بنسب متساوية بلغت 9.19%، ثم جاءت قيمة المشاركة في الترتيب الرابع بنسبة 5.74%، وقيمة التماسك الاجتماعي في الترتيب الخامس بنسبة 3.44%، وجاءت كل من قيمة الطموح والثقة بالتفس بنسب متساوية بلغت 2.29%، وجاءت في المرتبة الأخيرة كل من قيمة الشجاعة والحرية بنسبة 1.14%.

جدول رقم (5) القيم الاجتماعية التي عكستها الأغاني الدينية

م	الأغنية / القيم	رقت عيناي شوقا	قلبك حنين يا نبي	حرمًا يا سيدي	من نورك يارب	كم ناشد المختار ربه	التكرارات	النسبة المئوية
1	الانتماء	0	6	8	2	0	16	%18.3
2	المواطنة	0	0	0	0	0	0	0
3	الصبر	0	0	0	0	0	0	0
4	التضحية	0	0	0	0	0	0	0
5	الشجاعة	0	0	0	1	0	1	%1.14
6	الثقة بالنفس	0	0	0	2	0	2	%2.29
7	الوفاء والإخلاص	2	0	0	6	0	8	%9.19
8	المشاركة	0	5	0	0	0	5	%5,74
9	الطموح	0	0	0	2	0	2	%2.29
10	التماسك الاجتماعي	0	2	1	0	0	3	%3.44
11	الحرية	0	0	1	0	0	1	%1.14
12	الإنجاز	3	1	2	2	0	8	%9.19
13	قيم دينية	14	8	5	9	5	41	%47.12
المجموع		19	22	17	24	5	87	%100

3- القيم في الأغاني الاجتماعية

توصلت نتائج الدراسة إلى أن الأغاني الاجتماعية يمكن أن تعكس قيم الانتماء، والصبر والتضحية، والثقة بالنفس، والوفاء والإخلاص، والطموح، والإنجاز، بينما افتقدت قيم أخرى مثل المواطنة، والشجاعة، والمشاركة، والحرية، والقيم الدينية، ويتضح ذلك في جدول رقم (6).

جدول رقم (6) القيم التي عكستها الأغاني الاجتماعية

م	الأغنية / القيم	أنا لحبيبي	أما براوة	الفن	بدر تم	التكرارات	النسبة المئوية
1	الانتماء	5	1	6	2	14	%42.4
2	المواطنة	0	0	0	0	0	0
3	الصبر	0	1	0	0	1	%3.03
4	التضحية	2	0	0	0	2	%6.06
5	الشجاعة	0	0	0	0	0	0
6	الثقة بالنفس	0	1	0	0	1	%3.03
7	الوفاء والإخلاص	1	0	0	0	1	%3.03
8	المشاركة	0	0	0	0	0	0
9	الطموح	0	5	0	0	5	%15.1
10	التماسك الاجتماعي	3	3	0	0	6	%18.1
11	الحرية	0	0	0	0	0	0
12	الإنجاز	0	1	0	2	3	%9.09
13	قيم دينية	0	0	0	0	0	0
المجموع		11	12	6	4	33	%100

يتضح من الدراسة أن قيمة الانتماء احتلت مرتبة كبيرة في الأغاني الاجتماعية، حيث بلغت نسبتها 42.4%، ثم جاءت في المرتبة الثانية قيمة التماسك الاجتماعي بنسبة 18.1%، تليها قيمة الطموح في الترتيب الثالث بنسبة 15.1%، ثم قيمة الإنجاز في الترتيب الرابع بنسبة 9.09%، ثم قيمة التضحية في الترتيب الخامس بنسبة 6.06%، وفي الترتيب الأخير جاءت قيم الصبر، والثقة بالنفس، والوفاء والإخلاص بنسب متساوية بلغت 3.03%.

4- القيم الاجتماعية التي تعكسها الأنشطة الفنية

علاوة على ما سبق يتضح أن الأغاني الوطنية هي الوحيدة التي تعكس قيمة المواطنة، فهي مرسومة لتُظهر هذه القيمة، وبالتالي لا تعكسها الأغاني الاجتماعية أو الدينية، وذلك لكون هذه القيمة ترتبط بالعلاقة بين الأفراد ودولتهم، فهي لا تأتى إلا ضمن هذه النوعية من الأغاني التي تعبر دائمًا عن الوطن، وتحث الجماهير على القيام بواجباتهم تجاهه.

كما يتبين من الدراسة أن الأغاني الوطنية والدينية قد عكست قيمة الوفاء والإخلاص بنسب متقاربة للغاية بلغت 9.2% و 9.19%، بينما عكستها الأغاني الاجتماعية بنسبة أقل كثيرًا بلغت 3.03%، وقد احتلت قيمة الانتماء أعلى نسبة في الأغاني الاجتماعية بلغت 42.4%، في حين

بلغت نسبتها في الأغاني الوطنية 11.5%، وفي الأغاني الدينية 28.7%، وهذا لا يعني أن قيمة الانتماء اتسمت بالضعف في الأغاني الوطنية، ولكن جميع الجمل الوطنية تحمل في طياتها انتماءً وارتباطًا شديدًا بالوطن، فهي في مجملها تعكس الانتماء، وكل جملة داخل هذه العمل تنطلق من هذا الانتماء الذي يدفع الفرد إلى التحلي بقيم أخرى مثل الثقة بالنفس التي تسهم في اعتزاز الشخص بنفسه، ورفع الروح المعنوية من أجل زيادة القدرة على النضال ومقاومة الأعداء، بجانب القيم الدينية التي تتناغم وتنسجم مع الغايات الوطنية، حيث يلجأ الفرد إلى الإله الذي يؤمن به في وقت شدته ومحنته؛ لاعتقاده أن أهدافه سوف تتحقق بالاستعانة به والتقرب إليه.

كما توصلت الدراسة إلى أن كلا من الأغاني الوطنية والدينية والاجتماعية يتماثلون في تضمنيهم بعض القيم الاجتماعية هي: الانتماء، والثقة بالنفس، والوفاء والإخلاص، والطموح، والتماسك الاجتماعي، بينما لم يتماثلوا في احتوائهم قيم المواطنة، والشجاعة، والمشاركة، والحرية، والقيم الدينية، وقد توافقت الأغاني الوطنية مع الدينية في تضمين قيم الشجاعة والمشاركة والحرية والقيم الدينية، بينما توافقت الأغاني الوطنية مع الاجتماعية في تضمين قيمتي الصبر والتضحية، ويتضح ن خلال جدول رقم (7) إجمالي القيم التي تعكسها هذه الأغاني.

جدول رقم (7) القيم الاجتماعية التي تعكسها إجمالي الأغاني

م	الأغاني / القيم	الوطنية		الدينية		الاجتماعية		التكرارات	النسبة المئوية
1	الانتماء	15	%11.5	25	%28.7	14	%42.4	54	%21,6
2	المواطنة	10	%7.7	0	0	0	0	10	%4
3	الصبر	10	%7.7	0	0	1	%3.03	11	%4.4
4	التضحية	1	%0.77	0	0	2	%6.06	3	%1.2
5	الشجاعة	5	%3.84	1	%1.14	0	0	6	%2.4
6	الثقة بالنفس	16	%12.3	2	%2.29	1	%3.03	17	%6.8
7	الوفاء والإخلاص	12	%9.2	8	%9.19	1	%3.03	21	%8.4
8	المشاركة	11	%8.4	5	%5,74	0	0	16	%6.4
9	الطموح	10	%7.7	2	%2.29	5	%15.1	17	%6.8
10	التماسك الاجتماعي	1	%0.77	3	%3.44	6	%18.1	10	%4
11	الحرية	8	%6.15	1	%1.14	0	0	9	%3.6
12	الإنجاز	16	%12.3	8	%9.19	3	%9.09	25	%10
13	قيم دينية	15	%11.5	32	%36.78	0	0	47	%18.8
	المجموع	130	%100	87	%100	33	%100	250	%100

كما إنه على مستوى جميع الأغاني حصلت القيم الدينية على أعلى درجة بين القيم، حيث بلغت نسبتها 22,4%، تليها قيم الانتماء في الترتيب الثاني بنسبة 18%، ثم جاءت قيمة الإنجاز في الترتيب الثالث بنسبة 10%، وأتت قيمة الوفاء والإخلاص في الترتيب الرابع بنسبة 8.4%، وفي الترتيب الخامس جاءت قيمتي الثقة بالنفس والطموح بنسبة 6.8%، وجاءت قيمة المشاركة في الترتيب السادس بنسبة 6.4%، ثم جاءت قيمة الصبر في الترتيب السابع بنسبة 4.4%، وفي الترتيب الثامن جاءت قيمتي المواطنة والتماسك الاجتماعي بنسبة 4%، ثم جاءت قيمة الشجاعة في الترتيب التاسع بنسبة 2.4%، وقد كانت قيمة التضحية في الترتيب الآخير بنسبة 1.2%، وموضح ذلك في جدول رقم (8).

جدول رقم (8) القيم الاجتماعية التي تعكسها الأنشطة الفنية

م	القيمة	التكرارات	النسبة المئوية
1	الانتماء	45	%18
2	المواطنة	10	%4
3	الصبر	11	%4.4
4	التضحية	3	%1.2
5	الشجاعة	6	%2.4
6	الثقة بالنفس	17	%6.8
7	الوفاء والإخلاص	21	%8.4
8	المشاركة	16	%6.4
9	الطموح	17	%6.8
10	التماسك الاجتماعي	10	%4
11	الحرية	9	%3.6
12	الإنجاز	25	%10
13	قيم دينية	56	%22.4
	المجموع	250	%100

ثانيًا: نتائج خاصة بالمعاني الكامنة في بعض الأنشطة الفنية وعلاقتها بالتغيرات الاجتماعية التي حدثت بالنسق القيمي في مضمون الأنشطة الفنية.

بينت الدراسة أن كل شيء يخضع للتغيير بما في ذلك النسق القيمي، وتحدث هذه التغيرات في سياقات اجتماعية وسياسية واقتصادية متعددة تتفاعل معًا حتى تؤثر في اتجاهات الأفراد والفنانين الذين ينتجون الأعمال الفنية، حيث إنهم أكثر فئة استبصارًا بالواقع الاجتماعي، من خلال المعايشة والإحساس بالآخرين الذي يثير انفعالاتهم، ويحفزهم للتعبير عن هذه الهموم والآلام بأسلوب جمالي ممتع، فهم أكثر أفراد المجتمع إحساسًا بالآخرين، فيقومون بنقد الواقع ويعكسون في فنونهم القيم التي يرونها تتناسب مع أهداف المجتمع في الفترة التي يُصنع فيها العمل الفني، مما يؤكد ذلك أن أولويات القيم تتباين باختلاف الظروف في كل عصر.

1- النصوص الفنية وعلاقتها التغيرات الاجتماعية التي حدثت بالنسق القيمي في مضمون الأغاني الوطنية

توصلت الدراسة إلى أن الأغاني في أعوام (1973،1961،1921م) تتضمن بعض القيم الدينية، حيث إن هذه السنوات الثلاث كانت تتسم بشدائد مرت بها البلاد من حروب وضغوط خارجية تحاول الهيمنة على البلاد، وإن تضمين هذه القيم الدينية في هذه الفترة الزمنية يؤكد أن الشدة وزيادة الإحساس بالقهر تجعلان الأفراد يستعينون بربهم بشكل أكبر.

وقد ارتفعت نسبة قيمة المشاركة في أغنية "طوبة فوق طوبة" التي تم إصدارها عام 2014م، وبلغت نسبتها 27.7%، بينما جاءت قيمة المشاركة في أغنية "شدي حيلك يا بلد" بنسبة 12.1%، كما بلغت نسبتها 8.3% في أغنية "عاش اللي قال" عام 1973م، وجاءت في أغنية "بالأحضان" بنسبة 2.38%، بينما تلاشت هذه القيمة في أغنية "مصر تتحدث عن نفسها" التي تم إنتاجها عام 1921م، مما يشير ذلك إلى أن الظروف السياسية والاجتماعية تؤثر على القيم،

فإنه كلما قلت الحروب واتجهت البلاد نحو السلام؛ زاد الإحساس بالحاجة إلى المشاركة من أجل البناء والتطوير.

من جانب آخر، إنه حينما يجتمع الأعداء ضد الوطن وتزيد حالات الاستبداد والظلم؛ تزداد حاجة المجتمع إلى قيمة الثقة بالنفس، لذا عكست أغنية مصر "تتحدث عن نفسها" التي تمت كتابتها عام 1921م قيمة الثقة بالنفس، حيث ارتفعت مناداة الشعوب بالاستقلال من التدخلات الأجنبية البريطانية التي كانت تسود الوطن في هذه المرحلة التاريخية، بينما انعدمت هذه القيمة في أغنية "بالأحضان" التي تم غناؤها عام 1961م، حيث كانت تعلو الأصوات فخرًا بالانتصارات، وكانت المجتمعات في حاجة إلى التركيز على قيم أخرى مثل: الشعور بالحرية وبث روح الانتماء.

كما برزت قيمة الثقة النفس بنسبة 9.09% في أغنية "شدي حيلك يا بلد" التي أُذيعت عام 1973م، وقد كُتب مطلعها بعد أحداث هزيمة عام 1967م التي تسببت في زعزة ثقة الشعب بنفسه، فكان الشعب في حاجة إلى فنان يكتب هذه الكلمات ليرفع روحه المعنوية، كما جاءت قيمة الثقة بالنفس بنسبة 8.3% في أغنية "عاش اللي قال" التي كُتبت أيضا في عام 1973م؛ بهدف تحفيز الجنود على استكمال الانتصارات والإنجازات التي تحققت في هذه الفترة، بينما جاءت هذه القيمة بنسبة أعلى في أغنية "طوبة فوق طوبة" التي أُنتجت عام 2014م، حيث بلغت نسبتها 22.2%.

كما توصلت الدراسة إلى أن الحقب الزمنية التي كانت تعاني من سيطرة الاحتلال والطبقات البرجوازية؛ زادت فيها مناداة الفنانيين بالحرية، حيث بلغت نسبة هذه القيمة 12% في أغنية "مصر تتحدث عن نفسها" التي تم إنتاجها عام1921م، ثم تضاءلت هذه النسبة في أغنية "بالأحضان" التي تم إنتاجها عام 1961م، وبلغت 4.76%، ثم ارتفعت في أغنية "شدي حيلك يا بلد" التي انتشرت في عام 1973م، وبلغت 6.06%، وزادت هذه النسبة قليلًا في أغنية "عاش اللي قال" التي أُنتجت عام 1973م وبلغت 8.3%، في حين أنها تلاشت في أغنية "طوبة فوق طوبة" التي أُنتجت عام 2014م؛ وذلك لأن مصر اتجهت اتجاهًا جديدًا في هذه الفترة، وبدأ يزاداد إحساس شعبها بالخلاص من كافة أشكال الاستبداد، وارتفع الشعور بالحرية، لذا فهي بحاجة إلى قيم تسهم في تحقيق البناء.

ومن هذا المنطلق فإن التغيرات الاجتماعية قد أثرت على الأنساق القيمية التي عكستها النصوص الفنية، ومما يؤكد ذلك أن القيم يمكن ترتيبها في سلم هرمي، ويمكن أن يتغير هذا الترتيب من حقبة زمنية إلى أخرى وفقًا لأولويات المجتمع التي تتطابق مع أهدافه وغاياته، حيث إن الفنون تتأثر بالسياقات المجتمعية المختلفة.

كما يتضح أيضا ظهور قيمة الصبر في الأغاني التي أُنتجت في الأوقات العصيبة، بينما لن تظهر في أوقات البناء والسعي نحو تحقيق التنمية، فاختفت هذه القيمة في أغنية "طوبة فوق طوبة" التي أُنتجت عام 2014م، وأيضا ظهرت بنسبة ضئيلة في أغنية "بالأحضان" التى أُنتجت عام 1961م وبلغت نسبتها 2.38%، ولكنها جاءت بنسبة 16.6% في أغنية "مصر تتحدث عن نفسها" التي أُنتجت عام 1921م، حيث كانت تخضع البلاد في هذه الفترة للاحتلال الإنجليزي، وقد اشتدت مقاومة المصريون للتدخل البريطاني والتحرر منه حتى تم إلغاء الحماية البريطانية على مصر

في عام 1922م، كما ظهرت هذه القيمة في أغنية "شدي حيلك يا بلد" التي أُنتجت عام 1973م بنسبة 12.1% ، حيث تعتبر هذه الأغنية مزيج ما بين فترتين هي: فترة النكسة الإسرائيلية التي كانت لها آثار وخيمة في نفوس المصريين؛ فكانوا بحاجة إلى فنان يبين لهم قيمة الصبر، وفترة حرب أكتوبر التي كانت آثارها إيجابية؛ نتيجة الانتصارات العظيمة التي شهدتها البلاد في مصر، وقد ظهرت أيضا هذه القيمة في أغنية "عاش اللي قال" التي أُنتجت عام 1973م بنسبة 8.3%.

ونظرًا لأن هذه الأعمال عبرت عن لحظات تاريخية معينة، فهي مازالت مستمرة باعتبارها تراثًا غنائيًا فنيًا يتوارثه جميع الأجيال، حيث يمكن من خلال هذه الأغاني فَهم طبيعة المجتمعات، فهي ألقت الضوء على هموم الشعوب ومعاناتهم وطموحاتهم الوطنية ورغباتهم في التحرر من الاستبداد والظلم، كما أنها تتمتع بقيمة فنية وجمالية كبيرة.

2- التغيرات الاجتماعية وعلاقتها المؤثرة بالنسق القيمي في مضمون الأغاني الدينية:

بما أن كل ما في المجتمع متغير، فكل ما فيه يتأثر بهذا التغيير، وبالرغم من أن الأغاني الدينية تعكس القيم التي يحث عليها الدين، وبالتالي فهي تتميز بالدوام والاستقرار؛ نظرًا لثبات النص الديني المنبثق منه هذا النوع من الغناء، إلا أنه حدثت بعض التغيرات بالأغنية الدينية.

فإنه من المفترض أن معاني القيم التي تعكسها النصوص والأغاني الدينية، لن تتغير نتيجة التحولات والتطورات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع، ولن تتحول بتغير الزمان والمكان، حيث إن القيم الاجتماعية التي يتضمنها هذا النوع من الأغاني ترتبط بالعقيدة والروحانيات الإيمانية، وتدعو إلى السمات الإنسانية التي يتصف بها الأنبياء والأولياء الصالحين، إلا أنه ثمة تغيرات طفيفة حدثت في الأغنية الدينية، فقد كانت قديمًا تعتمد على اللغة العربية الفصحى، لكنها بدأت تتطور في العصور الحديثة، حيث استخدم الفنان أسلوبًا أكثر بساطة، هذا بجانب بعض التغيرات التي حدثت في المجتمع، وأثرت على طريقة عرض الأغنية الدينية؛ نتيجة إدخال بعض التقنيات الحديثة في موسيقاها.

وظهر ذلك في أغنية "كم ناشد المختار ربه" التي عكست القيم الدينية بنسبة 100%؛ نتيجة ارتباط المجتمع في هذا الوقت بالروحانيات التي تحث على حب الله ورسوله، بينما بدأت الأغنية الدينية في المجتمعات المعاصرة تتجه إلى إلقاء الضوء على الإنجازات التي حدثت في التاريخ الإسلامي منذ البعثة النبوية مرورًا إلى سيرة النبي وسلوكياته مثل أغنية "رقت عيناي شوقًا" التي تطرقت إلى غار حراء وبداية نزول الوحي، وأغنية "قلبك حنين يا نبي" التي تناولت سلوكيات الرسول مع الأطفال، وأغنية "حرمًا يا سيدي" التي ركزت على الأماكن المقدسة المرتبطة بالعقيدة الدينية، فأصبحت الأغنية الدينية تعكس قيمًا أخرى مثل: الانتماء، والتماسك الاجتماعي، والإنجاز، والمشاركة، والوفاء والإخلاص.

3- **التغيرات الاجتماعية وعلاقتها المؤثرة بالنسق القيمي في مضمون الأغاني الاجتماعية:**

إن التغيرات التي حدثت بالمجتمع قد أثرت على اتجاهات الفنانين، وأسهمت في إعادة ترتيب السلم القيمي في مضمون الأغنية، وأدت إلى إحداث تغييرات في دلالة النص الإبداعي، والمعايير الفنية لدى الجمهور المتلقي للفن، حيث إن الفنان يعبر عن الحياة الاجتماعية التي يعيشها جميع

أفراد المجتمع، ويعكس القيم التي استمدها من واقعه الإنساني، وذلك لكون أن الأغنية هي نتاج تفاعل اجتماعي.

فقد أظهرت أغنية "بدر تم" التي أُنتجت بالقرن الخامس الهجري مدي تعلق الفنان بطبيعته الكونية، حيث لم يكن في هذه الفترة تعقيدات كبيرة في أسلوب الحياة الاجتماعية، فقد اتسمت بالبساطة والصفاء الروحي، وقد كان المعنى الدلالي لهذا الموشح يشير إلى سلاسة الحياة التي تجعل الفنانين والأفراد يتأملون في الطبيعة وجمالها بشكل أعمق، فكانت أبرز القيم هي الانتماء للطبيعة والشعور بالفرحة والإنجاز، لما تحققه الحياة من تغريدات عذبة وممتعة، ولكن فنانيها تميزوا باستخدام المبالغة في الأسلوب اللغوي، حيث اتخذوا اللغة العربية الفصحى وسيلة رئيسة؛ لإنتاج إبداعاتهم، وهذا ما لا يميل إليه الناس في مجتمعاتنا المعاصرة التي تتسم بالتكنيك السريع في كل شيء.

وكذلك أغنية "الفن" التي تم إنتاجها عام 1944م، قد بينت مدي تعلق الفنان المبدع بحب الطبيعة، هذا بالرغم من أن مطلع الأغنية الذي تم تحليله كان مقدمة لغرض نفعي وهو مدح الملك، ولكن ارتباط الفنان بالطبيعة وانتمائه لها، دفعه إلى إبراز ذلك الانتماء في كل إبداعاته الفنية.

بينما أغنية "أما براوة" التي تم إنتاجها عام 1971م، فقد أظهرت قيم متنوعة أبرزها قيمتي الطموح، والتماسك الاجتماعي، حيث أخذت العلاقات الإنسانية أشكالًا مختلفة، وتغيرت اتجاهات الأفراد وقيمهم، وبالرغم من أن هذه الأغنية أشارت إلى بعض رموز الحياة الكونية والطبيعية التي عكست قيمة الانتماء، إلا أنها لم تكن من أبرز القيم، فقد بلغت أدنى نسبة بين نسب القيم الاجتماعية التي عكستها هذه الأغنية.

أما أغنية "أنا لحبيبي" التي أُنتجت عام 1995م، أظهرت قيمًا اجتماعية، ومعاني كثيرة حول الواقع الاجتماعي والسياسي، هذا بالرغم من أن نصوصها في ظاهرها تبدو رومانسية، وتشير إلى الحب الخالص، ولكنها تُخفي في مضمونها آلام ومعاناة نتيجة التفاعل الاجتماعي المتبادل بين المؤلف ومجتمعه المحيط به، فهي بينت مدى انتماء الفنان للبيئة، والطبيعة التي تعلق بها، وأيضا كشفت مدي ارتباط المؤلف بوطنه، وقد ظهرت صدق مشاعره الإنسانية في صورة رموز وكلمات تشير إلى الحب السامي، فكانت أبرز القيم التي عكستها هذه الأغنية هي: الانتماء، والتماسك الاجتماعي.

وانطلاقًا مما سبق يتضح من الدراسة أن الغناء باعتباره نوعًا من أنواع الفنون يتميز بقابليته للتغيير، لينسجم ويتواكب مع التحولات التي تحدث في الحياة الاجتماعية، حيث إنه من أكثر الوسائل اللغوية التي تؤثر في أفراد المجتمع، ويمكن من خلالها نقل القيم، وذلك باستخدام طرق غير جامدة وممتعة حتى تبقى في ذاكرة جميع أفراد المجتمع، وذلك لكونه مردودًا سوسيولوجيًا ينشأ من داخل الواقع الاجتماعي، ويحاول الفنان تصويره بأسلوب جمالي.

ثالثًا: نتائج خاصة بالتوجهات الأيديولوجية ومدى تأثيرها على مضمون النصوص الفنية الغنائية.

أسفرت الدراسة عن أن الفنون بمختلف أنواعها ترتبط ارتباطًا كبيرًا بأيديولوجيا المجتمع سواء السياسية أو الدينية، كما تتعلق بالعلاقات الإنسانية المتعددة؛ لذا يمكن توضيح التوجهات الأيديولوجية التي تؤثر في الفنان على النحو التالي:

1- الاضطرابات الاجتماعية التي تجعل الفنان يشعر بمزيد من القهر والقمع.

2- السلطة التي يمكن أن تفرض على الفنانين توجهات معنية في كتاباتهم ونصوصهم الفنية، ويمدونهم أحيانًا بالمنح والمكافآت التي تشجعهم على الانحياز إلى أشخاص معينين، وتدفع الفنانين إلى الثناء بإنجازاتهم وقيمهم، وهذا ما حدث في أغنية الفن التي صُنعت من أجل الإشادة بالملك فاروق.

3- يتأثر الفنانون بالنماذج الإيجابية في المجتمع التي تتضمن مشاعر الاحترام والحب، ويعبرون عنها في أعمالهم.

4- وقد يتأثر الفنانون بأبطال معينين تركوا بصمة إيجابية في حياة الناس، مما يحفزهم على إلقاء الضوء عليهم.

5- يؤثر الدين بشكل عميق في الفنان مما يدفعه إلى إنتاج أعمال فنية تُعظم الشعائر العقائدية والرموز المقدسة، وقد يتأثر الفنان بالدين لدرجة أنه يشعر بحريته وقوته في التزامه بالتعاليم الدينية.

6- قد يتأثر الفنان بالطبيعة الخلابة ويرتبط بها مما يتجلى ذلك في عمله الفني نتيجة انتمائه الشديد بالأماكن التي نشأ فيها والتي تتسم بالجمال الكوني.

7- تثير الصورة السلبية بالمجتمع في بعض الأحيان مشاعر وانفعالات لدى الفنان وتجعله ينتج فنًا يحمل مشاعر استخفاف ضمنية مثل أغنية مصر تتحدث عن نفسها التي كتبها المؤلف استخفافًا بالوضع السياسي السائد.

8- البيئة الاجتماعية والتجارب والعلاقات الإنسانية المختلفة مع الآخرين قد تؤثر في فكر الفنان، حيث إنها تشمل بعض المشاعر والعواطف مثل الحب أو البغض الذي يظهر في النصوص الفنية.

9- الذوق العام وتقدير الجماهير لفنون معينة قد يؤثر على الفنان، ويدفعه إلى إنتاج أعمال معينة من أجل إرضائهم حتى لو لم تتناسب مع القيم الاجتماعية والجمالية.

10- إن إطلاق الحرية للفنان في كتابة ما يشعر به يؤثر على فكره وأيديولوجيته، حيث تسهم في فك أسره من رجاء المكافآت أو الخوف من العقاب، فتمنحه القدرة على إنتاج فن جيد غير مبتذل.

خاتمة الدراسة

في ختام البحث الراهن، اتضح أن الأنشطة الفنية نشاط إنساني يتميز بقدرته على التأثير فيمن يخضعون لسحره، وينجذبون لسطوته الناعمة، فهو اللسان الذي يعبر عن مكنونات الحياة الإنسانية، وذو تأثير كبير في البنية العامة للمجتمع، وهي إحدى الظواهر الاجتماعية التي تسهم في بلورة القيم من خلال إلقاء الضوء على كل ما هو جيد ومثالي، وإنكار كل ما هو سيئ.وإنه نظرًا لتعدد المواقف والظروف في الأمة العربية، وامتلاكها تراثًا غنائيًا كبيرًا من حيث الكم والكيف، فقد قدم الفنانون أعمالًا فنية عظيمة في حقب زمنية مختلفة، خلدوا فيها لحظات تاريخية مازالت مسجلة ومتداولة تتوارثها الأجيال؛ نظرًا لقيمتها الفنية والجمالية والفكرية، كما أنها تقدم

استبصارًا بالواقع الاجتماعي، لذا يمكن من خلال هذه الفنون قراءة قيم المجتمعات، حيث إن الفن نتاج اجتماعي، وموروث إنساني يربط الماضي بالحاضر والمستقبل، إذ يمكننا أن نعرف الحالة العامة لمجتمع ما وعاداته وتقاليد من خلال أعماله الفنية.

وبناءً على ذلك، فإن إن استحضار القيم الاجتماعية في النصوص الغنائية يتغير بتباين الزمان والمكان، حيث أظهرت الدراسة أنه يمكن ترتيب القيم الاجتماعية في سلم هرمي، ويختلف هذا الترتيب من مجتمع إلى آخر، إذ إن كل مجتمع يرجح قيم محددة على غيرها، وذلك وفقًا للأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة التي تسهم في تحديد مدي أهمية كل قيمة عن الأخرى، وبناءً على ذلك يستحضرها الفنان؛ لتتناسب مع الواقع الإنساني الذي يعيش فيه.

فالفنون بمختلف أنواعها ترتبط ارتباطًا كبيرًا بالمجتمع، حيث يتأثر الفنان بكل ما هو قائم فى الحياة مثل: الاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي تدفع الفنان إلى المناداة ببعض القيم مثل الحرية أو الطموح أو التضحية أو الصبر...وغيرها من القيم المرتبطة بالوضع القائم، وقد يتأثر الفنانون بالنماذج المثالية في المجتمع، فيعبرون عنها في أعمالهم، وقد يرتبطون ببيئتهم وطبيعتها الخلابة أو أوطانهم، فيبرزون قيمًا أخرى ترتبط بحياتهم.

وإن ما يجعل الأنشطة الفنية جاذبة ومؤثرة في عدد كبير من أفراد المجتمعات، هو ما تنقله من معانٍ تمتزج باللذة والمتعة التي تستميل نفوس المتلقين، حيث إن الفنان الذي يبدع، يضفي على أعماله الفنية بعض المواقف الخيالية الممتعة التي تعطي معنى عميقًا للفكرة التي يقصدها، فهو لا يقوم بنسخ الواقع بشكل حرفي.

لذا لابد من توجيه الفنون للقيام بوظائف اجتماعية وأخلاقية تسهم في تحرير الأفراد من كافة القيود التي تجعلهم خاضعين لعمليات التشيؤ؛ حتى لا يصبح النشاط الفني لهوًا تافهًا، بل ينبغي أن يعود على المجتمع بقيمة اجتماعية غير مباشرة، وينقل مفاهيم اجتماعية يعاصرها أفراد المجتمع، فتؤثر في اتجاهاتهم وتصرفاتهم.

وعلاوة على ما سبق يمكننا تحديد توصيات الدراسة فيما يلي:

1- مراجعة مضمون جميع الفنون قبل عرضها للجماهير، وإقصاء كافة النشاطات التي لا تحتوي على قيم اجتماعية.

2- يجب أن تحرص المؤسسات الثقافية التابعة للدولة على عدم ربط الفنون بأي مصالح نفعية؛ حتى لا يقع الفن فريسة في أيدى المستثمرين الذين يستخدمونه كدعاية لمنتجاتهم أو أفكارهم أو أغراضهم الشخصية.

3- ينبغي التأكيد على أهمية التقنيات الحديثة في عرض الأنشطة الفنية الجادة؛ لجذب حشد كبير من الجماهير.

4- تنظيم ورش فنية لصغار السن من الموهوبين وتوجيههم نحو أعمال فنية تنسجم مع قيم المجتمع.

5- تنمية الوعي بأهمية الفنون ودورها الوظيفي في المجتمع، وأنها ليست مجرد شيء للمتعة والتسلية.

6- يجب أن تسهم الأغاني الوطنية في تنمية الشعور الوطني لدى أفراد المجتمع دون انحياز لأي شخص بعينه.

7- ينبغي أن تتضمن الأغاني الدينية بعض المعلومات التاريخية والعقائدية، والأنماط السلوكية لرموز الدين حتى يقتدي بهم المتلقين من أفراد المجتمع.

8- يجب أن تتضمن الأغاني الاجتماعية قيمًا تتناسب مع أعراف وتقاليد وعادات المجتمعات.

قائمة المراجع

1.أحمد حافظ فرج(2003)، التربية وقضايا المجتمع، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة.

2.إيريك فروم(2013)، كينونة الإنسان، ترجمة: محمد حبيب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا.

3.بسنت خيرت حمزة(2008)، السينما وقضايا المجتمع: دراسة اجتماعية على عينة من الأفلام الشبابية، رسالة ماجستير "غير منشورة" بقسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر.

4.بيير بورديو(2013)، قواعد الفن، ترجمة: إبراهيم فتحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

5.تقرير مشروع تطوير وتنمية الطفولة المبكرة(2006)، المنهج المطور لرياض الأطفال، وزارة التربية والتعليم ومكتب اليونسكو، مصر.

6.توم بوتومور(2004)، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجرس، دار الكتب الوطنية، الطبعة الثانية، ليبيا.

7.توماس مونرو(2014)، التطور في الفنون، الجزء الأول، ترجمة محمد على أبو درة وآخرون، سلسلة ذاكرة الكتاب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

8.جانيت وولف(2000)، علم الجمال وعلم اجتماع الفن، ترجمة: مارى تريز عبد المسيح؛ خالد حسن، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

9.الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء(2017)، الكتاب الإحصائي السنوي، جمهورية مصر العربية، مارس.

10.ديفيد أنغليز؛ جون هغسون(2007)، سوسيولوجيا الفن طرق الرؤية، ترجمة: ليلى الموسري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

11.رمضان بسطويسي(1993)، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت "أدورنو نموذجًا"، مطبوعات نصوص90، القاهرة.

12.روبرت هولب(2000)، نظرية التلقى: مقدمة نقدية، ترجمة: الدكتور عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.

13.سامية السيد حمزة فرحات(2014)، القيم التربوية الاجتماعية في الشعر العبري الأندلسي، دراسة منشورة بمجلة الدراسات الشرقية، عدد52، جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية، يناير.

14.سلوى محسن الطائي؛ سهيل نجم(2010)، مشكلات تدريس التربية الفنية من وجهة نظر المشرفين الفنيين، مجلة العلوم الإنسانية بجامعة بابل، المجلد 18 العدد 4، العراق.

15.شبل بدر وآخرون(2006)، التنمية الثقافية والتنوير، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
16.عبد العالي معزوز(2014)، فلسفة الصورة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
17.علي الهامل(2016)، نقد ثقافة الميديا بين مدرسة فرانكفورت ومعهد برمنجهام، المجلة المغربية للسياسات العمومية عدد 19، الرباط.
18.كمال بومنير(2010)، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر.
19.ليفي تولستوي(1991)، ما هو الفن، ترجمة: محمد عبده النجاري، دار االحصاد للنشر والتوزيع، دمشق.
20.ماكس هوركهايمر؛ ثيوردور أدورنو(2006)، جدل التنوير "شذرات فلسفية"، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الحديث المتحدة، بيروت.
21.مروى توفيق عباس(2017)، دور مسرح الطفل في تدعيم قيم الإنتماء الوطني من عام 2011 إلى عام 2015، دراسة دكتوراة "غير منشورة" بقسم الإعلام التربوي، كلية التربية النوعية، جامعة بنها.
22.مهني صالح(2007)، الواقع الاجتماعي في مسرح محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
23.ميساء عبد الله درويش(2002)، سوسيولوجيا الفن المسرحي، دراسة تحليلة للمسرح لدى الأخوين الرحباني كنموذج في الفترة من (1975-1970)، رسالة ماجستير بالموقع الإلكتروني للجامعة الأردنية، الأردن.
24.هارلمبس وهولبورن(2010)، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة: حاتم حميد، دار كيوان للطباعة والنشر، سوريا.
25.هبة الله توفيق(2017)، الغناء الجماعي ودوره في تنمية الانتماء الوطني لدى تلاميذ الحلقة الثانية من التعليم الأساسى، دراسة ماجستير "غير منشورة" بقسم العلوم التربوية والنفسية بكلية التربية النوعية، جامعة القاهرة، مصر.
26.هيفاء محمود الأشقر(2017)، أثر برامج الأطفال في قيم الاتنماء الوطنى لدى أطفال الروضة، رسالة ماجستير منشورة بالموقع الإلكتروني لكلية التربية جامعة البعث، سوريا، 2017.
27.Archana Singh(2016), The Process of Social Value Creation, A Multiple-Case Study on Social Entrepreneurship in India, Centre for Social Entrepreneurship, School of Management and Labour Studies, Tata Institute of Social Sciences, Mumbai, India.
28.Aurora Sidney Ando(2014), Art and creative expression for positive social change: values, identity and efficacy, a dissertation presented to the Faculty of Saybrook University, San Francisco.

29.Bogdan Voicu and Balazs Telegdy(2016), Dynamics of Social Values: 1990 –2012, Scientific Journal of Sapientia University, Vol.6, Romania.
30.Dopira Mykhailo(2010), Social values transformation, entrepreneurship, and economic growth: a cross-country analysis, Kyiv School of Economics, Ukraine.
31.HeeKyung Sung(2016), The Influence and Role of Arts on Community Well-being, a dissertation presented in partial fulfillment of the requirements for the degree doctor of philosophy, Arizona state university, Arizona.
32.Jo Barraket(2005), The role of the arts in social inclusion, Social Policy Working Paper, Centre for Public Policy, University of Melbourne, No. 4, Australia.
33.Mimar Turkkahraman(2013), Social values and value education, Akdeniz University, 5th World Conference on Educational Sciences - WCES, Antalya, Turkey.
34.Periklis Pavlidis(2015), Social consciousness, education and transformative activity, a journal for critical education policy studies, United Kingdom.
35.Report of the Department of Culture(2017), Information and Sports, specific documents to meet Requirements for people with disabilities: Social Value Case Study, North and Newcastle City Council, UK.
36.Sean Langdon(2019), what impact has the American corporatization of film and tv production had on western culture, Performing arts research dissertation, the University of the West of Scotland, Scotland.
37.Stephen Horenstein(2008), Promoting values through the arts, Meitarim-Lod Music and Arts Center, studies in musicology, Tel Aviv.
38.Syeda Tahira Shah and Farhana Khurshid(2017), Societal Curriculum: Effects of Television on Social Values System in Pakistani Society, Bulletin of Education and Research, M.A Education, Fatima Jinnah Women University, Islamabad-Pakistan.

آليات إنتاج الولاية والصلاح: البناء السوسيو ثقافي لظاهرة الأوليائية

عبد الرحيم العطري

جامعة محمد الخامس، الرباط- المملكة المغربية

ملخص: غالبا ما يقترن الحديث عن الضرائحية بالشعوذة وتدوير كثير من الصور النمطية، الشيء الذي يلغي إمكانية التفكير في أبعاد هذه الممارسات ومدلولالتها الأنثروبولوجية، من هنا تتقدم هذه المساهمة، بتواضع كبير، مقترحة الفهم أولا، للاقتراب من آليات البناء السوسيوثقافي للأوليائية، واكتشاف شروط إنتاجها في ظل أنساق اجتماعية تتوزع على الصراع والتفاوض مع الواقع.

يندرج البحث في الأوليائية ضمن مطمح فكري منفتح، يمتح من نمط تفكير علائقي mode de penser relationnel هدفه الرئيس إنجاز قراءة ممكنة للزمن الضرائحي، كتاريخ وجغرافيا وثقافة متجذرة، ليس بهدف إعادة إنتاج إجابات جاهزة ونمطية، وإنما من أجل توسيع دوائر النقاش حول المقدس، والحفر العميق في امتداداته وممارساته ورموزه وطقوسه، بعيدا عن أي نظرة تحقيرية أو احتفائية للتدين الشعبي.

الكلمات المفتاحية: المقدس، الولاية، المريد، الشيخ، الضرائحية.

Mechanisms production of holiness: Socio-cultural buillding of shrines phenomenon

Abstract : The research focused on shedding light on the Mechanisms production of holiness in Society and identifying the Socio-cultural buillding of shrines phenomenon, by thinking the history life of some examples in islamic context.

Especially, The problem of the research lies in the fact that holiness is a production of religion, space and humain with social structures. It also aims to highlight the role of ritual and symbolic world that make a sens in this context, which reflected in research at multiple levels.

Key words: sacred, holiness, shrine, Master, Disciple.

في البدء

إن الانشغال بالمقدس الأوليائي له ما يبرره واقعيا، فبالرغم من كل التحولات التي عرفتها المجتمعات العربية الإسلامية، فإن الاعتقاد في بركة الأولياء، مترسخ بقوة في المخيال، وناتئ جدا في المجال، ومؤثر أيضا في بناء وتسويغ كثير من الاستراتيجيات الفردية والجماعية، وعليه فإن ما يلوح في مظان هذه المساهمة، يأتي ممهورا بتوقيع الملاحظ/المراقب، لما يعتمل في ديناميات هذا الحقل، دونما إعلان ممكن للتعاطف أو الرفض للممارسات والخطابات التي تلوح أحيانا "ميتا واقعية".

ليست مهمتنا البحث عن"عقلنة" ممكنة لهذه الممارسات، ولا التأكد من وجاهتها أو محدوديتها، وأساسا في جوانب الكرامة وما يتصل بها من انخراقِ عادةٍ و إبراءٍ وتيسيرٍ ومباركةٍ. ذلك أن الانهمام بحقل الإنتاج والتدبير الرمزي لحياة المجتمع يندرج في إطار فهم يعتبر أن رهانات الصراع والتدافع الاجتماعي ليست دائما، وبالضرورة، اقتصادية، فهناك جانب مهم من الحياة الرمزية يكون محور صراع وتنافس شديدين، فعلاقات القوة لا تشتغل بعيدا عن علاقات المعنى. وإن السؤال عن الكيفيات التي يُعاش بها المقدس ويُستثمر ويُستنزل، يعد ضروريا لإدراك وتمثل مفهومه، فالتجربة التي تُختبر فيها العلاقة بين المقدس والدنيوي، تصير مدخلا لفهم الأبعاد الاجتماعية لتدبير علاقات القوة و المعنى.

فالجذبة مثلا، كممارسة شعبية تتم في إطار الأضرحة والمواسم، كانت في الغالب مثار انتقادات تحقيرية، بل ومحط نقاش إفتائي ضمن قارة الإسلام السلفي أساسا، بل اعتبرت أيضا في بعض الكتابات المحلية والأجنبية ممارسات "همجية متخلفة"، فيما الأمر بالنسبة للباحث السوسيولوجي/الأنثروبولوجي، يبدو مختلفا عن هذه "الأحكام"، فالجذبة اشتغال طقوسي ورمزي على الجسد والروح، يراد منه التحرير والتطهير، تبعا للمعتقد المتحكم في إنتاج الممارسة. كما أنها إنطاق للجسد وتبيان ممكن للغته، ما يوجب البحث في مدلولات اللغة وفك شفراتها المعلنة والمضمرة.ففي كل الممارسات الضرائحية يلوح الرمز وتتكثف الدلالة وتنكشف وتتحجب المعاني، وكأننا في جغرافيا لا نهائية من الأيقونات والاستعارات، التي تتطلب نفسا عميقا للقراءة والموضعة.

ومنه يصير كل اشتغال على المقدس، حائزا لفائق الأهمية في مجتمعات تتكثف فيها الرموز والطقوس، وتتواشج فيها علاقات المعنى بعلاقات القوة، إلى الدرجة التي يغدو فيها صعبا إدراك الخيط الرفيع القائم بين الثنائيات والأضداد، فالرموز داخل مجتمعات الندرة وانبناءات المقدس، حاسمة ومؤثرة في صناعة الوضعيات الاجتماعية، "فالرموز تتوفر فيها حد التخمة"، فكل فعل، مهما بدا بسيطا أو مركبا، في هذه المجتمعات إلا ويكثف رمزية ما، تصنع معنى ما، يُقرأ و تُفك شفراته، ويقود بالتالي إلى إنتاج وقائع و تمثلات ما. فهل يمكن اعتبار ظاهرة الصلاح كرد فعل ديني يسائل ما هو سياسي؟ وهل يمكن التعاطي معها كتموقفات من السائد محليا على مستوى التدبير السلطوي؟ فهل الصلاح جواب على اللاصلاح أو بالأحرى "اللا إنصلاح"؟

أولا: المقدس الضرائحي

ثمة تعريفات عدة تنطرح كمرادفات للمقدس، وهي تعريفات تستند في الغالب إلى ثقافة الأزواج التقابلية، بحيث يتم تعريف المقدس من خلال مقابله وليس مرادفه، وفي هذا الإطار نجد أن المقدس يأتي في مقابل المدنس Profane ، أو كمقابل للدنيوي. فيما تشير تعريفات أخرى إلى اعتباره دالا على ما هو ديني و طقوسي، أو متعلقا بالرمزي في مقابل المادي، والمتعالي في مقابل السفلي، وهو ما يؤكد أن التعريف في مختلف هذه الحالات يطرح سؤال العلاقة مع نسق ما أو مقابل ما، ويطرح أساسا سؤال المفارقية والتعالي المميزة لفكرة المقدس. ففي كل حين يحضر المقدس كمتعالٍ وكمفارقٍ وكمحايثٍ أيضا، ويحتل مكانة عليا في النسق الرمزي للوقائع والتمثلات، إنه الحد الكامل في مقابل الحد المشوه، تبعا لتصور العالم القديم، بل إنه يصير دالا على الإلهي، في مقابل البشري والدنيوي.

بالرجوع إلى إيميل دوركهايم، وتحديدا في مساءلته للأشكال الأولية للحياة الدينية، نجده يقترح زوجا تقابليا يتكون من المقدس والمدنس للفهم والتفسير، وأن الدين هو المؤسسة التي تفصل بين المقدس والمدنس (Durkheim,1968, p.37.).إذ يعتبر دوركهايم بأن المقدس هو السمة الأساسية لتعريف الظاهرة الدينية، علما بأن القداسة في ذاتها تنتج عن المجتمع نفسه، ولا تقف بالتالي عند حدود الديني إلى تمتد إلى مجالات أخرى (Durkheim,1968, p.37.). لكن هل بالإمكان معرفة أين ينتهي المقدس؟ وأين يبدأ المدنس؟ فالمقدس أو المدنس هما إنتاجان خالصان لكل مجتمع، وما يعد مقدسا في هذا السجل الثقافي، قد يصير مدنسا في سجل آخر.

يرى إميل دوركهايم بأن "كل المعتقدات الدينية المعروفة بسيطة كانت أو معقدة تفترض تصنيفا للأشياء الواقعية أو المثالية عبر مستويين متقابلين يتم الإشارة إليهما بمصطلحين متميزين وهما: المقدس و المدنس"(Durkheim,1968, p.37)، إنه الحضور المتجدد "للأزواج التاريخية". لكن وبالرغم من هذه الصعوبات التي يطرحها التعالق، على مستوى التعريف، بين المقدس والمدنس، المقدس والدنيوي، الإلهي والبشري، والديني واللا ديني، فإن هذا كله لم يمنع من استحضار كل هذه التقابلات، في كل محاولة مفترضة لتعريف المقدس، لأنه يحيل على هذه التقابلات بشكل أو بآخر، قليلا أو كثيرا، في تأشير على تعقيد و"عُسْر المعنى" الذي يكتنفه.

لقد أكد مرسيا إلياد، على وجوب الخروج من فخ التعارض هذا، باعتبار المقدس غير متماثل مع الإلهي، ولا مقابل فقط للدنيوي، ذلك أن المقدس هو "تجلٍ للإلهي في الزمان والمكان، والطقوس بالطبع هي التي تضمن إمكان العبور من الزمن العادي إلى الزمن القدسي"(Mircea, 1965,p.61)، فالطقس والرمز، والحالة هاته، هو الذي يعطي للفعل والتمثل، طابع القداسة أو يسحبها منهما، فالمقدس حسب إلياد هو تجلٍ ما، "تجلي شيء ذي حقيقة لا تنتمي إلى عالمنا في أشياء هي جزء مكمل في عالمنا الطبيعي"(Mircea, 1965,p.61)، وهو تجلٍ يلوح في خطابات وممارسات وتصورات وقيم ومعتقدات، وهو ما يجعل مساحاته تضيق وتتسع تبعا للنسق الاجتماعي والثقافي العام الذي يتأسس فيه هذا المقدس. فالتجلي في المكان والزمان هو ما يمنح

المقدس حقيقته، وهو ما يؤسس للعبور إليه عن طريق الطقس والرمز، فهناك "تزامن بين ميلاد القدسي والمجالي، على اعتبار أن المجال كنظام وكون لا يوجد إلا بتجسد المقدس فيه" Mircea, (1965,p.65)، فالمجال يصير مثلا بأضرحته ومساجده ومزاراته وكنائسه ودِيَره وبِيَعه ومعابده...علامة على حضور المقدس و تجلياته.

إن الطقس، بناء على هذا الترتيب، يعد ترجمة واقعية للمقدس، فالرموز والطقوس تشكل جوهر المقدس، بل إن الولوج إلى المقدس وإدراكه يتطلب في كل حين الانتباه للطقس والرمز، فالمقدس هو طاقة رمزية بممارسات طقوسية، فعن طريق الرموز تتأتى قراءة المقدس، إن الرمز يستحيل لغة للتبادل والفعل والتفاعل. فالمقدس مع مرسيا إلياد سوف لن يبقى حبيس منطق التعارض مع المدنس و الدنيوي، بل سيصير متجليا في جميع أشكال الزمان والمكان، يتحدد المرور إليه بالطقس والرمز. فالطقس هو ما يسمح "بفعل العبور من الدنيوي إلى المقدس، لأنه يُحَيِّن الزمن الأسطوري الأصلي، بوصفه الزمن المؤسس للأزمنة الوجودية و التاريخية" Mircea, (1965,p.57).

فالمقدس بالنسبة لمارسيا إلياد يحل ويتمظهر في أية لحظة، إلا أن أولى أشكال هذا التمظهر تلوح في زمن البدء الأسطوري، الذي ينطرح "كزمن قدسي ودائري ونموذجي بالنسبة لكل الأزمنة القدسية سواء تلك الحاضرة في الطقوس أو الأساطير"(Mircea, 1963,p.16). والتي تمثل عنده مجالا رمزيا لتجلي المقدس، فبفضلها يتم الحكي عن الكيفيات الأولى التي أتت بها الموجودات إلى الوجود، إنها حكاية عن عمليات الخلق الأولى والأصلية، وذلك في صيغة دائرية تسترجع باستمرار البدء القدسي الأول(Mircea, 1963,p.17).

مع مارسيا إلياد يغدو المقدس تجليا يحل في المكان والزمان، يتأتى العبور منه وإليه عن طريق الطقس وآلية البدء الأسطوري، إلا أنه مع روجي كايوا سيصير دالاً على خاصية ثابتة أو عابرة ترتبط بالأزمنة والأمكنة، لهذا يرى كايوا بأن "المقدس في صورته الأولية البسيطة، يشكل طاقة خطرة، خفية على الفهم، عصية على الترويض، شديدة الفعالية"، إنه يدل على "مقولة شديدة الحساسية، تعتبر ركيزة و أساس الإحساس الذي يغمر المؤمن، إنها الفكرة الأم بالنسبة لكل ديانة، فالديانة هي إدارة المقدس" (Caillois, 1950, p.40).

إن المقدس برأي كايوا يحيل على خاصية ثابتة أو عابرة، تتمظهر في "بعض الأشياء(أدوات العبادة) أو الكائنات(الملك و الكاهن) أو الأمكنة(المعبد، الكنيسة، المزار) أو الأزمنة(أيام الجمعة والسبت و الأحد، تبعا لاختلاف الديانات،عيد الفصح، عيد الميلاد..)" (Caillois, 1950, p.37)، فالمقدس حسب كايوا ليس صفة تملكها الأشياء في حد ذاتها، بل هو "هبة سرية متى فاضت على الأشياء والكائنات، أسبغت عليها تلك الصفة"(Caillois, 1950, p.37).
يضيف كايوا قائلا بأن تعريف المقدس يستلزم استحضار المدنس، فمن خلال المقابل والمفارق يتأتى التعريف، فمن الضروري، برأيه، "الجمع بين المقدس والمدنس، لمعرفة كنه كل واحد

منهما، فعالمي المقدس والمدنس لا يمكن تعريفهما بشكل دقيق إلا في علاقة أحدهما بالآخر، فهما يتنافيان ويستلزم أحدهما الآخر"(Caillois, 1950, p.24).

يدل المقدس عند كايوا على طاقة أو قوة داخلية غامضة لا يمكن تعريفها بذاتها فقط، بل في علاقتها بالدنيوي، فالقداسة لا تختبر واقعيا إلا في إطار الممارسات الطقوسية للدنيوي، فالمقدس يشتكل من قوى و طاقات، فيما الدنيوي مشكل من مواد وأدوات، لكنهما ضروريان معا لاستمرار الحياة وتطورها، فكل واحد يمنح معنى الحضور للآخر، عن طريق الطقس والرمز. فلا حدود للمقدس إذا، ولا إمكان لتأطيره بدقة متناهية في شرط زماني أو مكاني محدد، إنه يحل في الأشياء ويمنحها معنى القداسة أو يسحبها عنها، وهو بذلك يؤسس للتمييز بين ما هو مقدس، وما هو غير ذلك، وتحديدا بين المقدس والدنيوي. ومن أجل ضبط العلاقة بين العالمين فإن كايوا يرى بأن الطقوس هي التي تتولى تنظيم العلاقة بينهما، عن طريق دينامية الدخول والخروج، ذلك أن هناك طقوسا للتقديس تعمل على إدخال الكائنات والأشياء إلى عالم المقدس، فضلا عن طقوس إبطال التقديس الذي تخرج الكائنات والأشياء إلى العالم الدنيوي.

إن المقدس وفقا لهذا الطرح يتعلق ببنية وممارسات مقننة، تنسحب على مجال معين، في مقابل بنيات وممارسات تصنف داخل دائرة الدنيوي(غير المقدس، المتغير والقابل للتصرف). ولا يعني ذلك أن الدنيوي هو مجال لـ "اللا نظام" والانفصال، وإنما يتعلق الأمر بمجالين يؤسس أحدهما للآخر باستمرار، قد يؤدي إلى انتقال ما هو مقدس إلى ما هو دنيوي والعكس صحيح. فالمقدس يحيل على ما هو ديني في كثير من جوانبه، باعتباره قوة خفية تحقق "فيضها" القدسي على الأزمنة والأمكنة، حيث يتجلى في كثير من الفضاءات ويمتد إلى عدد من الأفراد والتفاعلات الاجتماعية، فالمقدس يتجلى بواسطة البركة في العالم بصفته هبة إلهية وقوة يختص بها أناس دون غيرهم، وقد ينبثق من الانحدار النسبي من الرسول أيضا (Geertz, p.24). وبذلك يتجلى المقدس في مجالات طبيعية (أمكنة، أنهار، أشجار..) وما فوق طبيعية (كائنات سماوية، آلهة..) كما يتجلى في الزمان (أيام أعياد، دورات فصول..) وفي الأشخاص (أنبياء، صلحاء، أولياء، شرفاء..)، وكذا في اللغة والأساطير والشعائر والطقوس، وغير ذلك من أشكال تنظيم الإنسان لعلاقته مع العالم، وفق اعتبارات المعنى والقوة. ومنه تغدو الضرائحية والأوليائية تجسيدا واختبارا عملياتيا لتصريفات ومعاني المقدس.

يعد الضريح مؤسسة "دينية" مركزية في المجتمع المغربي، لم تلغها ضروب الزمن، ولا صيغ الانتماء إلى سجل ثقافي مغاير ينتصر للتقنية والطرق السريعة للإعلام والمعلومات. فعبارة "بلد الألف ولي" التي تحدث عنها بول باسكون (باسكون، 1986، ص96)، ما زالت تصدق، وإلى حد بعيد على ما يعتمل في هذا الهنا، من حضورية دائمة للضرائحية في تدبير كثير من فعاليات وحساسيات المشترك الجمعي. فإذا كان الشرق بلد الأنبياء، فإن المغرب يعد بلد الأولياء، هذا ما يتردد أكثر في عدد من المصادر المناقبية التي اهتمت بترجمة الصلحاء والزهاد الذين لا تخلو منهم مدينة أو بادية ما، "فمن بين كل البلدان الإسلامية يعتبر المغرب البلد الذي يبجل أكبر عدد من الأولياء، فلا وجود مطلقا لهضاب لا يتوجها مزار، وقليلة هي القرى أو المقابر التي لا يوجد

فيها ضريح يمجد وليا أو أكثر" (باسكون، 1986، ص96). لهذا نلاحظ في بلد الأولياء أن عبارات من قبيل "طلب التسليم" و"مسلمين أ رجال البلاد" و"شايلاه" (بمعنى شيء لله)، "أ مول قبة خضراء" تدعونا في كل حين إلى الانتباه إلى مغبة الاستهانة بالقدرات الاستثنائية لهؤلاء الصلحاء، وتنصحنا في الآن ذاته بضرورة طلب "أمانهم" للاحتماء بهم (العطري، 2000، ص89)، ما يبرز السلطة الرمزية للمقدس الولوي. فالضريح كبناء محتضن ومؤسس لبركة الولي الصالح، يعد "الشاهد المعماري" على امتدادات المقدس في الأرض، كما أنه الدعامة الوسيطية بين الأرض والسماء، فالقبة المتجهة إلى الأعلى، تبرر هذه العلاقة الوسيطية وتدعمها معماريا، إن الأمر يتعلق بخزانات أرضية للقداسة السماوية كما ذهب إلى ذلك درمنعن. (Dermenghem,1954,p11)

يعد "مقدم الضريح" العنصر/المفتاح في تدبير المتن الضرائحي، فهو من يسهر على المحافظة على الضريح وصيانته واستقبال زواره واستلام "الفتوح"، وتختلف تسميته تبعا للنفوذ الإشعاعي للضريح، إذ يسمى "المقدم" أو "المزوار" في ضريح سيدي عبد الله بن حسون، لكنه يغدو "الفقير" أو "الطالب" في أضرحة محلية ضئيلة الإشعاع. ويكون المقدم في الغالب من أفراد من ذرية صاحب الضريح تتوفر لهم ظهائر التوقير والاحترام، مثلما هو الأمر مع أحفاد سيدي عبد الله بن حسون وسيدي أحمد بن عاشر، أو يكون من أحد الأتباع و المريدين، والمقدم قد يكون أحيانا من الأعيان أويكون فقط من بسطاء الناس وفقرائهم.

يستند تدبير المجال الضرائحي والزاوياتي على مسألة "الحرم"، "بحيث لا سبيل لمن يطرق ساحته بهتك حرم أو خرق عادة"، ما يجعل البعض "يستحرم" بالضريح، حتى لا تمسه أيدي المخزن، وهو ما حدث مع متهم بالسرقة، استحرم بضريح سيدي عبد الله بن حسون، (خلال التحري الميداني)، رافضا الانتقال مع رجال الشرطة إلى المخفر، والذين منعهم المقدم من الدخول إلى الضريح، وهو ما كان فعلا. فلم يتم إلقاء القبض على المتهم داخل الضريح، بل اضطر رجال الشرطة التربص به إلى أن خرج من مجال الحرم، ليباشروا بعدا مهمتهم. فقد كان المخزن يعمل أحيانا على تحديد مجال الحرم الخاص بكل ضريح عن طريق ظهائر سلطانية، وفي هذا الصدد يخبرنا عبد الرحمان بن زيدان أن السلطان مولاي اسماعيل في ظهير مؤرخ بعام 1122 هـ(1710م) حدد حرم الولي سيدي أحمد بن خضراء في مكناس موسعا من دائرته المحيطة به، فتشمل "من درب الجنان إلى مسجد أبي يعزى المعروف إلى سيدي زكرار إلى زاوية سيدي محمد بن عبد الله إلى سيدي مغيث، بحيث لا سبيل لمن يخرق في الحرم المذكور المحدود عادة بنقص و لا زيادة" (ابن زيدان، 1990، ص 125).

إن المقدس الولوي يقوي من قدسيته عن طريق المعمار، فالعمارة ليست مجرد أبنية خالية من السلطة، إنها "سياج احتوائي" يتضمن رسائل ورموزا، إنها تنطق بمكنون سلطاتها الرمزية والمادية، وتعبر عن انتماءاتها الأنطولوجية، فقباب الأضرحة المتجهة إلى السماء تعبر عن دلالة التوسط بين الدنيوي والقدسي، كما ترمز إلى الرفعة والتسامي، إنها تترجم المقدس معماريا وتعيد صياغته من داخل الدنيوي. كما تتم استعادة أشكال المقدس الديني المركزية(الكعبة أساسا) في

بناء وتطقيس الضريح، سواء من حيث شكله المربع، أو استحضار عملية الطواف بالدربوز أو تغطيته بالكساء الأخضر، في محاولات لتحيين المقدس وإسباغه على مختلف نواحي المتن الضرائحي. فالمقدس بحسب درمنغن لا يمكن أن يوجد في هذا العالم دون شهادة أو علامة أو أيقونة دالة عليه، فالأماكن و الأشياء الأرضية لا تستمد قداستها إلا من كونها ذات علاقة معينة مع السماء"، ومنه تغدو الأضرحة وبعض الأحجار والأشجار بمثابة "خزانات أرضية للقداسة السماوية" (Dermenghem,1954,p34).

أملا في تنزيل و توصيف المقدس، نعمد إلى اعتباره دالا على أزمنة وأمكنة وممارسات وخطابات، رمزية ومادية، يتم تمثلها على نحو متعال ومفارق، يأتي فوق المدنس والدنيوي، يستند إلى الإلهي والديني في تفسيره واكتساب قوته التأثيرية. فالمقدس يشير إلى الانتماءات الشريفية والأمكنة الدينية كالمسجد والمسيد والضريح والزاوية، وكذا الممارسات والطقوس والمعتقدات ذات الصلة، في مستوى الأشكال الشعبية للممارسات الدينية، وما يرتبط بها من اعتقادات في البركة والشرف والكرامة، وما ينجم عن هذه الاعتقادات من ممارسات وتمثلات تتوزع على تقديس الأمكنة وزيارة الأضرحة والاحتفال بمواسمها. فالبركة تعني النماء والزيادة والعلو واليمن، وهي تحيل على "عطاء" وقدرة استثنائية ذات مصدر إلهي تتوفر لبعض الأشخاص(هاذاك راه مبارك أو مبروك، الله ينفعنا ببراكتو..)، فروجيه باستيد يعتبر البركة كـ"سائل مقدس يفيض من المرابط ويمتد إلى كل ما يمس هذا الولي من ثياب وماء.. وبعد الموت تظل جثته محتفظة بالبركة وتظل عالقة بقبره"(باستيد، 1951، ص.65).

يقول جاك بيرك بأن هناك "تداخلا بين الاقتصادي و القداسي"(Berque, 1989,p.19) ، ولهذا يتوجب الانتباه دوما إلى العملية التي تتحول فيها رمزية القداسة إلى مصدر لتبرير وتوسيع حقل سيادة الشرف ومعه حقل الملكية الخاصة. فبناء المقدس وصيانته يندرج في إطار سلوك قصدي وعفوي، واع وغير واع في الآن ذاته، يدبره الفاعل في ظل مجتمع مفتوح على الحراك والتنافس، ما يجعل الأمر متصلا ببنية متحركة تنكشف حركيتها في جغرافية المقدس وتغيراته المستمرة، من حيث البناء والفعل والفاعل. إذ يمر المقدس دوما من واقعة الاستثمار الرمزي إلى مستوى الاستثمار الاقتصادي والسياسي، مثلما يحدث مع الزوايا، حيث يكون البدء دينيا وروحيا، لكنه سرعان ما يتحول إلى نفوذ اقتصادي وسياسي ينافس السلط الأخرى في تدبير المجال وتقرير مصائره.

إن جغرافية المقدس في المجال التداولي العربي الإسلامي، لم تكن يوما ما ثابتة، ففي ظل مجال عرف تاريخيا بالتوتر والندرة، يصير المقدس آلية بناء وإعادة إنتاج، بل إنه يغدو عاملا محركا للفعل والفاعلين، فالمجتمع، أي مجتمع، برأي كورنيليوس كاستورياديس "لا يمكن اختزال صراعاته وحركيته في الصراعات ذات الأساس الاقتصادي فقط، بل إن المجتمع بقدر ما تسوده علاقات القوة المبنية على أنماط إدارة وتوجيه المصالح الاقتصادية، تسوده وبنفس القوة، علاقات المعنى، مثلما أن رهانات الصراع الاجتماعي لا تستهدف المصالح الاقتصادية فقط، بل أنماط

الشرعية"(كاستورياديس، 2003، ص.7)، ولهذا فإن الصراع حول "الرمزي" يظل أكثر تأثيرا في صياغة الحال والمآل، في ظل مجتمعات ينتصر فيها "الطقوسي" و"الرمزي" بشكل واضح.

ثانيا: الولاية والكرامة

تدل الولاية لغة على الإمارة والسلطان، كما تحيل على القرب والنصرة، فالولي في قواميس اللغة هو المحب والصديق والنصير والكفيل(الكيالي، 2010، ص.19)، أما الولي اصطلاحا فهو العارف بالله تعالى، المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات، ويسمى وليا لأن الله تعالى تولى أمره، فلا يكله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة(الكيالي، 2010، ص.18). تماما كما جاء في عدد من الآيات البينات من الذكر الحكيم، مثل قوله تعالى "الله ولي الذين آمنوا" (سورة البقرة: الآية 257)، وقوله تعالى "وهو يتولى الصالحين" (سورة الأعراف: الآية 196)، وقوله تعالى "إنما وليكم الله ورسوله" (سورة المائدة: الآية 55). فالولي الصالح تبعا لما نحتته الكتابات المناقبية هو "من توالت طاعاته من غير تحلل معصية، وهو من تولى الحق حفظه، فأولياء الله هم أحباء الله وأعداء نفوسهم، فهم خُلص المؤمنين لقربهم من الله سبحانه وتعالى"(الكيالي، 2010، ص.19).

يتوجب التأكيد على أن الولاية هي درجة عليا تتحصل لصاحبها وطالبها بعد كثير مجاهدة ومكابدة، فأول الطريق "الإرادة ومعها المجاهدات، وأوسط الطريق المحبة ومعها الكرامات وآخر الطريق المعرفة ومعها المشاهدات، فإذا تمكن في هذه المراتب ولا يجري عليه أحكام التلوين، وصار سباحا في بحار التوحيد وسر التفريد، يكون وليا نائبا للأنبياء وصادقا من الأصفياء"(القشيري، 2001،ص.55)، يسري عليه قول الله تعالى "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"(سورة يونس: الآية 62).

إن الولاية درجات تبتدئ بالسالك وتنتهي بقطب الأقطاب، فقد بين محي الدين ابن عربي في "أهل المراتب و الأحوال" كيف أن أولياء الله هم مراتب وأحوال، فهم على "طبقات كثيرة وأحوال مختلفة، فمنهم من يجتمع له الحالات والمقامات كلها والطبقات، ومنهم من يحصل من ذلك ما شاء الله، وما من طبقة إلا لها لقب خاص من أهل الأحوال التي يظهر عليها، وهم من يحصره عدد في كل زمان، ومنهم من لا عدد له لازم، يقلون ويكثرون"(ابن عربي، 2009، ص.20). فهناك السالك والمجذوب والبهلول والوتد والجرس والبدل والنقيب والنجيب والبهالي والصالح والملامتي والغوث والقطب، وقطب الأقطاب في قمة الولاية، وهي درجة عليا لا تتحقق إلا للجامعين الأحوال والمقامات، فالقطب يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهي درجة لا تتحقق إلا بعد طول مجاهدة وعمق عرفان(ابن عربي، 2009، ص20).

لا ولاية إلا بكرامة، فالكرامة هي ما يبرر الولاية ويمنحها شرعية الانوجاد، فالأولياء الصالحون، كما قال التليدي، هم أصناف من الناس، يوجد منهم العلماء والفقهاء والأمراء والضقاة والتجار والفلاحون وأصحاب المهن والحرف وأهل الثروات، وفيهم العباد والزهاد والعقلاء

السالكون وأرباب الأحوال والمجاذيب"(التليدي، 1987، ص19)، ممن تتأكد ولايتهم عن طريق البركة و الكرامة و الخارق للعادة، مما يتحقق على أيديهم، و بفضل "بركتهم" المستمرة حتى بعد رحيلهم.

يورد صاحب التشوف تأكيدا للكرامة من توقيع إمام المتكلمين القاضي أبو بكر بن الطيب البصري الباقلاني، الذي قال بأن "المعجزات يختص بها الأنبياء، والكرامات تكون للأولياء"، ويضيف في ذات السياق الشهرستاني قائلا: "أما كرامات الأولياء فجائزة عقلا و واردة سمعا، و من أعظم كرامات الله تيسير أسباب الخير وإجراؤه على أيديهم وتعسير أسباب الشر عليهم، وحيث كان التيسير أكثر كانت الكرامات أوفر" (ابن الزيات، 2010، ص54).

جاء في التشوف أن الكرامة تتحقق لمن تعمق في الزهد والعبادة، عارضا عن ملذات الدنيا وأهوائها (ابن الزيات، 2010، ص75). فالكرامة تتخذ صيغا شتى، تنبني على انخراق العادة ومفارقتها للواقع و المعتاد، تماما كما هو الأمر بالنسبة لانفلاق البحر وجفافه، والمشي على الماء، وطي الطريق وانزواء الأرض، وكلام الجمادات والحيوانات، وإبراء العلل والصبر على الجوع، ورؤية المكان البعيد.."(النبهاني، 2001، ص47)و في هذا الصدد يورد صاحب التشوف الأبيات التالية:

لا تسترب في كرامات يخص بها * * من اتقى الله في سر وإعلان

ثم إن الكرامات أنواع إذا نظرت * * كالزهر في حسن أنفاس وألوان

مشي على الماء أو في الجو قد نقلا * * وشبع ذي سغب أو ري ظمآن

وكم أجيب ولي حين دعوته * * وكم أغيث ولي عند إذعان

وفيهم من يجيبه الجماد و من * * يغيب عن درك أسماع وأجفان

ومنهم من يرى المختار من ملك * * ومن يجالسهم في حال إخوان

صفوا فصفوا ونالو ضعف سعيهم * * المرء يكسب إحسانا بإحسان

في عيش أرواحهم ماتت نفوسهم * * وقد تموت نفوس دون أبدان(ابن الزيات، 2010، ص76).

فالولي الصالح هو الأقدر على خرق العادي، وفقا لما تؤسسه الكرامة، وما يتقعد تاريخيا عن طريق التواتر، فكل استعصاء للأمور يجد طريقه إلى الحل والتيسير على عتبات الضريح، بل إن كل ما يحدث يمكن أن يتم "التدخل" فيه عن طريق سلطة الولاية وتأثيرات الكرامة، فالأولياء "يقدرون على تغيير مجرى الحوادث والأشياء، يشفون الأمراض المستعصية التي لا ينفع معها علاج طبي، ويروضون الحيوانات المفترسة ويصاحبون الجن"(شغموم، 1991، ص27).

إن قراءة جغرافية المقدس وديناميته تتأسس على التقاط مثل هذه الممارسات المشار إليها قبلا (بناء مسجد، ترميم ضريح، شراء كسوة...)، ففي هذا التفاعل مع السير المجتمعي للمجموعة الإنسانية تتم "صيانة" الاجتماعي وإعادة إنتاجه، وفق "قواعد لعب" محددة ومبنينة تنتج أدوارا Rôles و علاقات Relations وتفاعلات Interactions تحمل معناها ودلالاتها الخاصة، خارج أية عقلانية مؤسسة سلفا. إذ يتعلق الأمر بمجتمع يحضر فيه الطقوسي في كل حركاته وسكناته، فما من فعالية اجتماعية، إلا ولها ما يبررها ويعضدها من طقوس الأداء والاشتغال. بما يفيد حضور عنصر التوظيف والاستثمار في مختلف هذه الممارسات. وهو ما يظهر بجلاء أكثر في حقل التراتبات الاجتماعية، حيث الحاجة مستمرة لإظهار التفوق على الزبناء والأتباع والمنافسين، في كل شيء، حتى في مستوى التدين واحترام الطقوس والمعتقدات.

ثالثا: من الاستبعاد إلى الأوليائية

إن الولي الصالح يقدم نفسه/مشروعه، كبديل ثقافي/سياسي، لما ينكتب في الواقع، إنه يقترح نموذجا آخر، يكون في الغالب مضادا، لما يقترحه السياسي، فهو مُنتمٍ بالضرورة إلى سجل العلماء الذي يواجه ضديا سجل السلطة، كما أنه يحيل على السماوي والأخروي في مقابل الدنيوي. فالولاية تحتمل بعدا احتجاجيا في غالب الأحيان، يظهر ذلك من خلال "اختيارها المجالي" الذي ينحصر في الهامشي والعلوي، وكل ما يدير له الناس ظهورهم، أو يبدون تخوفا من الاقتراب منه، وبذلك فهذا "الاختيار المجالي" أو بالأحرى الاستبعاد المجالي الطوعي، يؤدي وظائف عديدة نذكر منها أربع على الأقل:

الرفض: عندما يختار الولي الصالح قمة الجبل أو هامش المدينة أو مقابرها المطلة على البحر، فكأنه يريد تأكيد رفضه للقائم في المركز، وهجرته لخيراته الرمزية والمادية، موثرا الانتماء إلى عالم الكفاف والندرة، فالصلاح يناقض الفساد، والرفض له يكون "اختيارا مجاليا" يلوح في "المنفى" والابتعاد عن مواطن الفساد. فأغلب الصلحاء في المغرب والمشرق اختاروا "البعد" و "الغربة" جوابا على ما عرفته مجتمعاتهم من سوء أحوال سياسية.

المخاض: يُقرأ هذا "المنفى المجالي" كرحم للمخاض وإعلان الولادة، فكل تجربة صلاح، تتأسس في البدء على وجوب القطيعة، فالانفصال يثمر الاتصال، ذلك أن الانفصال عن الدنيوي، هو ما يُمهد للاتصال بالقدسي، فالطريق إلى الولاية تمر بمخاضات الانفصال، ولهذا تصير المغارة في الجبل، أشبه ما تكون بــ"رحم" مجالي، يولد منه الولي، بعد "حمل" افتراضي، يتأسس على مجاهدة النفس وترويضها، بل وتعذيبها أحيانا، حتى تتطهر، وتتفوق على "اللذوي" فيها.

التعالي: الولاية مراتب تتجه صعودا، والطريق إليها مراتب أيضا تفترض التعالي والتجاوز، ومنه يصير المجال واختياره دالا على رغبة أثيرة في الانتقال من الأرضي إلى السماوي. فقمم الجبال ومغاراتها العميقة، وشواطئ البحر تحيل كلها على البعيد والمتعالي عن المشدودين إلى

الدنيوي، إنه إعلان للاختلاف، وطموح انفصال وتعالٍ، للاقتراب من السماء، حيث الوصل والكشف والامتلاء.

اللقاء: في هذا "الاختيار المجالي" نقرأ الهجرة واللقاء أيضا، فالولي الصالح عندما يهاجر إلى الأطراف والنهايات، فكأنه يريد بذلك تحقيق البدايات، الجبل في قمته، هو نهاية للأرضي صعودا نحو السماء، وهو ما تؤديه الصوامع أيضا من حيث الدلالة، فهي آخر نقطة أرضية علوية أو آخر علامة مجالية في اتجاه السماء، وبها يتحقق اللقاء مع القدسي.

وعليه، فمجال الولاية هو "حمال أوجه" متعددة، إنه "مجال ناطق" يعلن "مواقف" وتمثلات للفعل الأوليائي والتفاعل مع المحيط، كما أنه، وهذا هو المهم، يؤسس لمراتب الولاية وامتداداتها الطقوسية نحو المقدس والمتعالي عن المدنس والدنيوي. ليست الولاية مجرد "هجرة" باتجاه السماء، إنها موقف مما يعتمل في الأرض، فبركة الأولياء تنشأ من فخ التناقضات القائم بين الكائن والممكن دنيويا، ففي اللحظة التي تتواتر فيها الأزمات ويَعِز فيها الانصلاح، يبرز الصلاح كجواب تعبدي/صوفي، على عسر الفهم والتكيف مع المحيط. ولهذا نلاحظ أن رد الفعل تجاه الطبيعة (كوارث، جوائح، ...)، أو تجاه السلطة (استغلال، تسلط، ...)، لا يخرج في كثير من الأحيان، عن مقترب الهجرة إلى السماء، فالأفراد يبحثون عن ملاجئ مادية أو معنوية لمواجهة الواقع المأزوم، والديني بما يكتنزه من قيم التفاوض مع الواقع و إمكان تجاوزه، يصير حلا إيجابيا للكثيرين.

إن الولي، في انقطاعه ومنفاه الاختياري/استبعاده الطوعي، يعلن "رفضا" واضحا للدنيوي والسياسي، كي يؤسس ويغذي بركته ويثمر كراماته، فهو يتفرغ لبناء "شرعية" الأوليائية، و التي لا تتأكد إلا بعد طول اشتغال، و عَدِيدِ مقدمات ومبررات. فعليه أن "تفيض" بركته على من حوله، وأن تلوح كراماته التي تبرر الاعتراف به وتشرعن لقب الولاية والصلاح، وإلا فإنه لن يحظى إلا بألقاب محدودة الفعالية والمكانة في سوق التبادلات الرمزية. فكلما فاضت البركة وأُثْبِتَتِ الكرامة، كلما كان توصيف "سيدي" دالا عليه، وإن تعالت أكثر استبدلت "سيدي" بـــ "مولاي"، خصوصا إذا كان السند الشرفاوي حاضرا، أو كان خرق العادة فوق المتوقع والمعاش. وبالمقابل، فإن محدودية الفعل والأثر لا توجب إلا ألقابا من قبيل "الفقير"، "العابد"، "الفقيه"، فالعلامات لا تمنح اعتباطيا في حقل القداسة، وإنما ينبغي أن تكون مبررة بعميق البركة والكرامة. فكيف يولد الولي ؟ كيف تنتج بركة الولاية؟ وكيف تتوطد في سياق اجتماعي ثقافي معين؟ بأي سند تحافظ على استمراريتها و"وجاهتها" الدينية، « la notabilité religieuse »؟

إن البركة كفعل رمزي هو ما يغذي الولاية ويؤسس الاعتراف بها، "هذاك بجوادو، ببركتو" ، فحضور البركة وتواشجها بالكرامة وخرق العادة، هو ما يعطي للولي "سلطته" و"مكانته" في المجتمع المحلي، وبالطبع فإن "فيض" البركة والكرامة بدرجة أعلى، قد ينقل الولي من "نفوذ روحي" محلي محدود، إلى نفوذ جهوي أو إقليمي، ومنه وجب التمييز بين أولياء لهم إشعاع

محلي وآخرين تتسع دوائر نفوذهم إلى مناطق بعيدة. « Les saints patrons et les saints locaux »

هناك عناصر متعددة تُسهم، بعد طول مخاض ومجاهدة مع النفس في إنتاج الولاية وكسب الاعتراف بها. وهي في الغالب تحضر مجتمعة أو متفرقة في سِيَر عدد من الأولياء، فهناك العلم والصلاح والشرف والفعل، علما بأن هذه المكونات، ليست بالضرورة هي المسالك الوحيدة والممكنة لإنتاج وتخصيب الولاية، إنها عناصر ضمن أخرى، تنضمر وتنجلي، تجتمع وتتفرق في السير الأوليائية.

العلم: وإن كان حاضرا بقوة في تفسير نماذج في مراتب وسير الولاية، فإنه قد لا يحضر في حَيَوات وتجارب أخرى، ذلك أن بعض الأولياء لم تتحدث المصادر عن عُلو شأنهم في العلم، ومع ذلك فإنهم ارتقوا عاليا في مسالك الكرامة والبركة. وعموما فالعلم والهجرة إليه تظل حاسمة في صناعة الولي، وتمهيد طريقه إلى مراتب القرب والاتصال بالقدسي. فمولاي عبد السلام بن مشيش "الذي كانت ولادته سنة (559هـ/ 1198م) أو تزيد بنحو أربع سنوات على خلاف المؤرخين، تعلم في الكتاب، فحفظ القرآن الكريم وسنه لا يتجاوز الثانية عشرة، ثم أخذ في طلب العلم، فنال منه حظا وافرا، وفتح الله عليه بالأخذ عن شيوخ المعرفة وأقطاب الحقيقة"(العشاب، 2012، ص13)، فالعلم والنهل منه بحظ وافر، يُعبد الطريق نحو القرب والاتصال، وهو ما يصدق أيضا على سيدي بنعاشر الذي عُرف بالتبحر في الطب والشعر والمنطق.

إلا أنه ينبغي التأكيد على أن شرط العلم لم يكن حاسما في صناعة الولاية لدى أولياء آخرين، عرفوا بأميتهم "أحيانا" تماما كما هو الأمر بالنسبة لمولاي بوعزة (أبو يعزى يلنور)، فبالرغم من طول سياحته و اتصاله و خدمته لنحو الأربعين وليا (من أمثال أبي شعيب أيوب السارية، ابن عبد الله أمغار، أبي موسى عيسى ايغور، أبو النور عبد الجليل ...) فإنه لم يتعلم العربية، بحيث ظل أميا لا يعرف الكتابة والقراءة"(الصومعي، ص122).

إن الولاية تبنى وتستمر، وإن كانت تتأسس في اشتغالها على نقص وجودي manque d’être وليس نقص امتلاك manque d’avoir، فالراغب في تسلق مراتب الولاية عندما يَختار أو يُختار له السفر(ابن عربي، 1997، ص457)، فهو لا يرجو من وراء زهده كمالا دنيويا يتأسس على امتلاك الغائب والمادي، وإنما يهفو، بالمقصد والوسيلة، إلى تحقيق الوجود من خلال السفر في وجود المقدس، وهو ما يتحقق أكثر، وليس حصرا، عن طريق العلم.

المجاهدة: الطريق إلى الولاية تَنْسَلِكُ عبر مجاهدة النفس وقهرها، إنه تمرين صعب ينخرط فيه الراغب في الوصل، لتطهير النفس من نوازعها اللذوية الدنيوية، فالطعام والملبس والمأكل والمرقد، وكل ما يحيل على الغرائزي، يصير ثانويا وغير ذي أهمية بالنسبة للسالك والممتشق لدروب الولاية والصلاح.و لهذا فقد كانت الكتابة المناقبية تعج بأخبار التقشف والجَلَد والقناعة والعزلة التي امتازت بها حياة الأولياء، فقد عرف عن مولاي بوعزة بأنه كان لا يقتات من نبات

الأرض سوى الدفلى والخبيز والبلوط، وكان دائم الصوم، ولا يلبس سوى حصيرا "تليسا" وبرنوسا مرقعا وشاشية من عزف"(الصومعي، ص122).

أما الصبر والجلد فنجده ناصعا مكتملا في نموذج سيدي يوسف بن علي، الذي كان مصابا بالجذام، ومن شدة فرحه المقرون بفرحه على البلوى، أنه سقط بعض جسده في بعض الأوقات، فصنع طعاما كثيرا للفقراء، شكرا لله على ذلك"(ابن الزيات، 2010، ص56)، فيما تحيل القناعة على الاكتفاء بالقليل وعدم التطلع إلى الكثرة، بل والعطاء في عز الافتقار، على سيدي موسى بسلا كان يبتاع السمك وينفق منه على جيرانه من ساكني فندق أسكور، كما أن الكثيرين من الأولياء، تواترت الأخبار الكراماتية التي تؤكد أن منهم من كان يأكل تمرة واحدة في اليوم، أو يكتفي ببقايا الطعام وأقلها إداما أو لحما.

وإذا كنا قد أوضحنا قبلا أن الانعزالية تتضمن أبعادا متعددة، فإنها تُعد أيضا من مؤسِسات الولاية، "فبقدر ما تبعد عن شواغلك بين أهلك ومعاريفك تبتعد عما يحول بينك وبين ما يقرب من ربك، والذكر يلائم الصمت، فكلاهما يطرد عدو المجاهدة، ألا وهو الحس. لأن كثرة الحس تمنع كثرة المعنى، مهما تقوى الحس، يضعف المعنى"(السوسي، ص32) .فالبعد انقطاع عن الحسي، عن الدنيوي، عن المدنس، والعزلة مجاهدة للنفس وانتصار عليها، باعتبارها مائلة وراغبة أبدا في التعلق بالحسي والمتعوي. والسالك إلى مراتب الولاية يتوجب عليه إحداث القطيعة والانتصار على اللذوي، أملا في اكتناز المعنى، وفي ذلك كله مجاهدة للنفس وقهر لها. بل إن هذا القهر يظهر في سِير أخرى باختيار حفرة القبر مرقدا بَدَل الأسِرَّة الوثيرة، ولبس المرقع والخشن من اللباس، إمعانا في تمريغ الجسد في تراب الوضاعة والاحتقارية، تمرينا له على مجابهة اللذة وتجاوزها.

الصحبة: الولاية لا تصدق ولا تنكتب إلا بالمثال والنموذج، فالأخذ عن السلف والابتداء بالمريدية، هو ما ينتج الاعتراف بعدا، "فمن لا شيخ له فالشيطان شيخه، ومن لم يمت تحت بيعة شيخ، مات في الترهات والظلال، وكل سالك للطريق، يحتاج فيه إلى دليل مرشد عارف ناصح"(الشاذلي، 1989، ص121). إن الصحبة والمريدية، هي فترة امتحان وتعلم، في انتظار بلوغ الكرامة، وإثبات الصلاح، فالمريد، وكما يدل على ذلك توصيفه، هو من يريد بلوغ المنتهى، فالمريدية إرادة وانقياد في الآن ذاته، إنها إرادة لجني البركة وبلوغ الوصل وإدراك الخلافة والمشيخة، كما أنها انقياد وإعلان للخضوع في سبيل التعلم والبناء. ولهذا نلاحظ في سير كثير من الأولياء، كيف كانت الصحبة والمريدية هي مرحلة خضوع وخدمة لفائدة شيخ ما، بل تصل أحيانا إلى حد اختبار الولاء، ولو كان هذا الاختبار مفتوحا على التضحية بالنفس، والتخلي عن المتع وضرورات الحياة، فالطريق إلى التصوف تستلزم ثلاث عتبات وهي التخلي والتحلي والتجلي. وفي هذا السياق فقد كان مولاي بوعزة ملازما وخديما لمولاي بوشعيب، كما كان عبد الله الغزواني ملازما لسيدي عبد العزيز التباع، هذا الأخير الذي كان بدوره ملازما و تابعا لسيدي محمد السهلي.

إن الصحبة و المريدية مرحلة تعلم واختبار على إمكان الانفصال والاتصال، وإنها لا تنتهي بإرادة المريد، بل بتقديرٍ وبِإِشَارَةٍ من الشيخ، فلا يجوز للمريد أن يترك شيخه قبل أن يبدي الشيخ رأيه في استقلاله عنه أو عدم استقلاله، وإلا صار كالطفل الذي يفطم قبل الأوان(الشاذلي، 1989، ص121)، وإلا بات بلا بركة لا تثمر كرامة بعدا. فالصحبة مدرسة والمريدية امتحان وجواز مرور إلى المشيخة، وبذلك فهما معا تفترضان سلوكا بل وتقعيدا للممارسة والعلائقية مع الصاحب والمرشد، فهناك نحو العشرين نوعا من الآداب و"ديونتولوجيا" المريدية، يستجمعها محمد المهدي الفاسي في الآتي:"خمسة في حالة الجلوس، وخمسة في حالة الغيبة، وخمسة في حال ذكره، وخمسة في حال صحبته، فأما الخمسة في حال الجلوس، فهي السكينة والوقار والهيبة والحياء والخوف، والخمسة التي في حال الغيبة عنه، فهي المراقبة نحوه، والافتقار إليه والتواضع والاستمساك بعنايته، والمداومة على ذكر فضائله في قلبه بالتعظيم. والخمسة التي في حال ذكره، فهي النظر إليه والرجاء فيه والاستنصار ببركته والنظر فيما بينهما من العقيدة. والخمسة التي في حال الصحبة، فهي مداومة الحب، ومداومة الشوق والحمق نحوه، والهيج والانذهال من الاشتياق إليه"(الفاسي، 2005، ص55).

للصحبة والمريدية آداب يتوجب العمل بها ومن خلالها، طيلة مسار الرحلة المؤدية إلى المشيخة والولاية، فالأمر يتعلق بسفر تعلمي/صُحبوي، يجني من وراءه السالك البركة والاعتراف بأحقية الانتماء إلى سجل الكرامة. فكلما تخلى المريد عن أنانيته وأعلن عن فائق خضوعه وانتصاره لشيخه، كلما قصرت المسافة بينه وبين موعد استقلاله، فالقرب ينتج البعد، ويؤسس قربا من نوع آخر. ففي اللحظة التي يختص فيها المريد بخدمة شيخه ومعلمه، ويلتزم بآداب الصحبة فإنه يعلن عن هجرته وسفره إلى القرب، منتصرا على النفس المائلة إلى الاعتداد بذاتيتها وعندياتها، إنه اشتغال آخر على قهر النفس و"تعبيدها" حتى لا تشغلها بعدا شواغل الدنيا ولا نزوعات الاكتمال والتكبر.

السفر: الأمر يتعلق بسفر وهجرة فضلى إلى السماء، كما يشير إلى ذلك كثير من آل المراتب والأحوال، ففي رسائل ابن عربي وابن سبعين والقشيري وابن القيم وغيرهم، نلاحظ باستمرار حضورية السفر والهجرة في الاشتغال على طقس المرور إلى المشيخة والولاية، فلابد من الفصل كي يتحقق الوصل، والفصل هنا يكون بالانتقال رمزيا وماديا، من الدنيوي إلى القدسي. وبما أن لكل سفر زاد، فالزاد هنا خطاب وممارسة، إنه فعل وأداء تعبدي وسلوكي، يكون ممكنا عبر تجاوز وعثاء السفر وعقباته، فابن عجيبة يعتبر السلوك إلى الله مرتهنا إلى قطع ست عقبات وهي: "العقبة الأولى: فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية، العقبة الثانية: فطم النفس عن المألوفات العادية،العقبة الثالثة: فطم القلب عن الرعونات البشرية، العقبة الرابعة: فطم النفس عن الكدورات الطبيعية، العقبة الخامسة: فطم الروح عن البخورات الحسية، العقبة السادسة: فطم العقل عن الخيالات الوهمية، فتشرق من العقبة الأولى على ينابيع الحكم القلبية، وتطلع من الثانية على أسرار العلوم اللدنية، وتلوح لك في العقبة الثالثة أعلام المناجاة الملكوتية، ويلمع لك في العقبة الرابعة أنوار المنازلات الغريبة، وتطلع لك في العقبة الخامسة أنوار المشاهدات الحبية،

وتهبط من العقبة السادسة على رياض الحضرة القدسية، فهناك تغيب بما تشاهده من اللطائف الأنسية عن الكثائف الحسية، فإذا أرادك لخصوصية الاصطفائية، سقاك بكأس محبته شربة تزداد بتلك الشربة ظمأ، وبالذوق شوقا، وبالقرب طلبا، وبالسكر قلقا"(ابن عجيبة، ص34).

فالسفر إلى القدسي، يستلزم المجاهدة والاجتهاد، فما يروى عن الشيخ علي بن إبراهيم البوزيدي، أنه بلغ من عبادته وتوصله للصيام وتركه الطعام إلى أن تركه جُملةً، ويقال أن ورده كان كل ليلة أربعمائة ركعة"(جلاب، 2011، ص45)، فالسفر إلى أزمنة القدسي يفترض الانقطاع عن غيره من شواغل النفس والدنيوي. من هنا يلوح الفناء كهدف مركزي للهجرة إلى القدسي، على اعتبار أن "الفناء بقاء" كما يقول ابن عجيبة، "فمن صح فناؤه صح بقاؤه، واعلم أن الفناء يوجب الغيبة عما سوى الله"(ابن عجيبة، ص34)، وهو ما يقود إلى منازل القربة التي تعلن ميلاد الكرامة وجني البركة و توزيع ثمارها على الآخر. إن السفر الأوليائي يخلص بسالكه إلى "كمالات" مطلوبة، تكمل صفاء الروح ورسوخ أقدامها في معرفة الحق، وهو ما يجمله ابن عجيبة في إحدى عشرة خصلة حميدة تغني عن إحدى عشرة صفة دونها، فالسفر ارتقاء و شموخ عرفاني يثمر: الحرية، الفوز، الجمع الأتم، الصحو، التحقيق، البسط، التلبيس، البقاء، السر، الاتصال و الحكمة"(الكيالي، 2010، ص110).

البناء: خلال مسار الولاية يتأكد أن الأمر يتعلق بهدم وبناء متواصل، هدم للمدنس وبناء للمقدس، ففي أول خطوات التشييد، توضع اللبنات على امتداد الصحبة والمريدية، وخلال السفر والقربة يتواصل تقديم الدليل تلو الدليل، على إمكان بلوغ مراتب الولاية والاتصال. فالأداء والسلوك يتوجب فيه أن يكون دالا على ممكنات التفوق الرمزي على القائم من أوضاع في الدنيوي، والتفوق هنا يكون غالبا بإتيان خوارق العادات، وتدشين الكرامات، "فالأمر الخارق للعادة، والذي يظهره الله عز وجل على يد عبد مؤمن صالح غير مقرون بالسوء"(التليدي، 1987، ص15)، ذلكم هو ما يدعم البناء ويعمل على تنضيده وإخراجه من مرتبة المريدية إلى المشيخة والأوليائية، إنه أمارة الوصل والقربة، فالكرامة تحتمل بدورها انقلابا على السائد واحتجاجا عليه.

إن مقاومة الجوع تنتسب إلى سجل زمني عُرف بتعاقب الجائحة والمسغبة، كما أن الوقوف في وجه جور الحكام، تأكيد على انفساد الأحوال وسوء العلاقة بين السلطة والمجتمع، وعليه نجد أن الكتابات المناقبية قد أغرقت في توصيف انخراق العادة وإثبات الكرامة، وفي ذلك كله تعرية للواقع وإدانة له، بل وطرح لبديل مختلف لتجاوز الأزمة، فَطَيُّ الطريق يغدو بديلا لطول المسافات بين الممكن والمستحيل، وكرامة القناعة والكفاف تغدو رسالة مشفرة ضدا على البذخ والثراء الفاحش، كما أن كرامة الشجاعة والإيثار والقيم الإنسانية النبيلة تصير "انتقادا" مباشرا للبؤس القيمي واللاتصالح مع أزمنة القدسي، ففي الكتابة المناقبية نجد تصورا إصلاحيا، مضمرا ومعلنا، على اعتبار أن كتابها لم يكونوا منفصلين عن أزمات عصورهم. إلا أن ما يهم الآن هو التأكيد على أن الكرامة كإعلان عن بلوغ المقصد، تعد من أهم آليات إنتاج بركة الأولياء، ومن أهم مبررات شهرتها وتحقيق الاعتراف بها، وبالطبع فكلما كانت الكرامة أكثر خرقا للعادة، كلما اتسعت دائرة النفوذ الروحي للولاية.

يمكن القول بأن عملية بناء الولاية مغربيا في ظل سياق اجتماعي وسياسي ينبصم بثلاث معطيات على الأقل، أولها يتصل بالصراع على أنماط التدين والصراع على الكلام باسم الله، وهو ما يستمر إلى الآن وبصيغ متفاوتة، فدائما هناك صراع وتنافس حول النظام الرمزي للمجتمع، بحيث يصير المقدس وتدبيره من أهم مراكز الاهتمام التي يتنافس حولها وفيها الفاعلون في المجتمع. وفي مستوى المعطى الثاني، فإن الولاية تنبني في ظل علاقات متوترة بين السلطة والمجتمع، بحيث تستحيل رفضا للتدبير السلطوي وخروجا عليه و مواجهة له، بطريقة أو بأخرى، بدءا من اختيار المنفى المجالي إلى إنتاج الخطاب المضاد والممارسة المناقضة للسائد محليا. أما المعطى الثالث فيتصل بالجوائح والأوبئة والمجاعات والقحوط التي كانت تحصد الأرواح، وتدخل البلاد في حروب وصراعات مستمرة حول الماء والكلأ والأرض وصنوف المعاش. لهذا كله تقدم الولاية متنها واشتغالها كخلاص دنيوي/سماوي، عبر قيمها و ممارساتها القائمة على السفر و الهجرة إلى منازل القربة والوصل.

إن الولاية بهذا المعنى، تقدم نفسها كرد فعل ديني، يسائل ما هو سياسي، وتقدم "طروحاتها" كبديل/خلاص، لواقع موغل في الرداءة، وبذلك فالبناء يتوطد بتقديم النموذج المغاير، الداعي، خفية وعلنا إلى تغيير الواقع و تجاوزه. فالولي، وفي سياق مأزوم تحديدا، يتحول إلى "ملاذ" يتم اللجوء إليه، تماما كما حدث مع سيدي موسى الدكالي عند انحباس المطر، أو مع سيدي بن عاشر عند المرض، وما يتواصل أيضا من استحرام بالأولياء خلال مطاردة المخزن، فحتى في حال رحيل الولي إلى دار البقاء، فإن ضريحه يغدو "ملجأ" لكل من انظلم أو دارت به الدوائر، وهو اللجوء الذي تتم شرعنته بمنطق "الحرم"، الذي يمنح الحماية القصوى، فإليه يكون اللجوء السياسي والاجتماعي والصحي والنفسي...، فالولي يقدم مشروعه/كرامته/بركته، كبديل تعبدي/سلوكي لما تعذر حله وتدبيره إيجابيا في سجل العسر والأزمة والانحباس.

إن البناء الأوليائي يتواصل عبر الكرامة ويشيد من مداخل أخرى تتوزع على السلوك اليومي الذي يحمل الإبهار والاختلاف، فخرق العادة يكون أيضا في المأكل (الاكتفاء بتمرة في اليوم)، والمشرب (الصبر على العطش لأيام)، والمرقد (النوم في قبر مثلا)، والعبادة (قيام الليل، الصوم، السجود الطويل...)، ومختلف مناحي التدبير اليومي، وذلك على مستوى العلاقة مع الذات والآخر و الكون. في كل هذه التواصلات تبنى الولاية وتستثمر وتستزيد حضورا وامتدادا، وتتأكد الحاجة إليها ويتم الاعتراف بها.

رابعا: آليات البناء السوسيوثقافي

نؤكد في البدء على أن هذه الآليات المار ذكرها، ليست بوصفة خطية/نمطية لإنتاج الولاية، فقد تجتمع في بعض السير، وقد تتفرق و تختفي في أخريات، بل وقد تنضاف إليها مُخصبات متنوعة من قبيل الانتماء الشرفاوي الذي يعضد الولاية، وينتقل بها من لقب "سيدي" إلى "مولاي"، مثلما هو الأمر بالنسبة لمولاي عبد السلام بن مشيش، الذي يحوز الصلاح والعلم والنسب النبوي الشريف. ومع ذلك فكل العناصر المؤسسة للولاية تحتاج إلى شرط الاعتراف بالوجاهة الدينية

والفاعلية الصلاحية، فالولي، ولكي تتأكد قوته الرمزية، عليه أن يقدم ما يبرر، ما يدعو إليه أو ما يمارسه. فانعزاله ورفضه للواقع، ينبغي أن يُثمر شواهد وخوارق، وإلا صار مجذوبا لا وليا صالحا، فالمجتمع يمنح العلامات والاعترافات بناء على الأدلة والشواهد، وهو ما يتواصل حتى بعد رحيل الولي، حيث يتم استدعاء قاعدة قياس الشاهد على الغائب.

هنا يصير الإبراء من الأمراض وشق الصدر وتعلم القرآن وحفظه، والمشي فوق الماء وطي الطريق وتظليلها، والطيران في الجو، وتحويل الرمل ذهبا، وما إلى ذلك من الخوارق التي عجت بها كتب المناقب، يصير هذا الكل الكراماتي، موجبا للاعتراف بالفعالية الرمزية للولاية، مع ما يستتبع هذا الاعتراف من اعترافات أخرى بالنفوذ الروحي الذي يؤسس سلطا وعلاقات وأتباع. فكل سلطة، ومهما كانت مصادرها، إلا وتفترض ميلاد علاقات تراتبية بين من يملك السلطة ومن تقع عليه مفاعيلها الإخضاعية.

سلطان البركة: سبق وأن أشرنا إلى أن البركة، تعني فيما تعنيه، النماء واليمن و الوفرة والزيادة، وبذلك فإن "سلطانها" ومفعولها الرمزي يقود إلى الاعتراف بولاية صاحبها، فعندما تفيض البركة ضدا على الندرة وتخرج المجتمع من أزماته، فإن الاعتراف يصبح مسلما به. نذكر في هذا الصدد أن الشيخ سيدي أحمد الركيبي المعروف بالليث، على اعتبار أنه كان يتحول إلى أسد في بعض الأحيان، أنقذ قومه من بطش السلطان الأكحل الذي كان يطارد عرب معقل في الصحراء، باقتراح العفو عنهم مقابل فدية يدفعها عنهم، وكذلك كان، فقد أمر سيدي أحمد الركيبي خدام السلطان بملء جراب الخيل بالرمال، والتي تحولت إلى ذهب خالص بلغ مقدار ستون قنطارا"(الناقوري، 2007، ص35).

نورد أيضا إحدى كرامات الولي الصالح أبي المحاسن الذي كان في زيارة أحد الأولياء برفقة بعض من أصحابه، فوصلوا إلى دكالة فخرج عليهم جماعة من اللصوص، فلما دنوا منهم، عَمَوا عنهم، فلم يبق إلا فرس الشيخ، وكانت أنثى، فانقلبت صخرة، فجعل اللصوص يتساءلون، فيقول بعضهم، ها هنا كانوا عند هذه الصخرة، ثم ذهبوا"(التليدي، 1987، ص35).

نؤكد مرة أخرى أن الهدف من جرد هذه الكرامات، لا يتصل بالدفاع عن معقوليتها وثبوتيتها، ولا الدخول في رفضها أو تبخيسها، إن هي إلا متون للاشتغال والتفكير، بعيدا عن الاحتفاء أو الإنكار، تفيدنا أساسا في تحديد أساسيات البناء السوسيوثقافي للولاية، بالتأكيد على أن الكرامة تعد "شرطا وجوديا" بملمح الضرورة للاعتراف بالولي، والسعي الدائم للاستفادة من بركته، حيا أو ميتا، ذلك أن البركة لا تخضع للتقادم ولا تسقط بانتفاء الجسد ورحيله، إنها تستمر عبر الأحفاد، وحتى عبر الأمكنة والأشياء التي فاضت عليها وفيها كراماته. فالضريح والمغارة والماء والتراب والخرقة والسبحة والعكاز والشجرة والحفيد والخديم...، وما إلى ذلك من الأشخاص والأماكن والأشياء التي استفادت من لمسة" الولي، تعد منافذ إلى كرامته وبركته، ومنه تبرر الزيارة والحج إلى آثاره الدنيوية، والحرص على استقدام "باروك" الزيارة لمن لم تسعفه الظروف لجني البركة من مواقعها. وبما أن البركة تعني الزيادة والنماء، فإنها تظل "أعز ما يطلب"، فالزائر يلتمس

بركة الولي، طلبا للولد أو البنت أو الذرية عموما، في حالات العقم[1] أو الاقتصار على إنجاب على الذكور أو الإناث، كما يلتمس بركته لإثراء المحصول الزراعي والاستمطار وحماية دواب الضرع والظهر، وتيسير التجارة و العلم وسائر الأعمال والمعاملات.

وكلما كانت النتائج أوفر حظا وأقرب من المأمول، كلما تقوى "سلطان البركة" وتجذر الاعتراف بالنفوذ الروحي للولاية، إلا أنها في حال المحدودية، فإنها تقلل من دوائر النفوذ أو تسحبه نهايةً، فالبركة تفيض وتتراكم، لكنها قد تتعرض للتآكل، مع الأحفاد والأتباع، لينشأ منطق التشكيك في قدرة هذا الولي أو ذاك، على قضاء بعض الأغراض، ومن ثمة نفهم كيف يتم تحجيم الفاعلية الأدائية لبعض الأولياء، وكيف يقر المجتمع بالقدرة العجائبية لقضاء كل الحوائج لأولياء آخرين. فالنجاح في الفعل والإنماء الحقيقي، هو الفيصل الحاسم في إنتاج الاعتراف الكلي أو الجزئي.

فاعلية الغرابة: نتذكر دوما أن الغريب يستجمع حدي الانتماء واللاانتماء، كما نتذكر أيضا أن الاعتراف بسلطان الولاية يتوقف على القدرة على العطاء، والذهاب بعيدا في شأن الانخراق والتمايز، فلا سلطان للمألوف والاعتيادي. فعندما يصير الاختيار المجالي محيلا على الغرابة، فالانقطاع عن الناس واللذوي، واختيار المغارة أو قمة الجبل أو نهاية اليابسة في مواجهة البحر، يصير، فعلا غريبا وغرائبيا، طبعا يريد من خلاله الولي تحقيق الوصل، خصوصا وأن الاتصال يكون في آخر نقطة انفصال، فالغرابة هنا تفيد في استخراج "وثيقة اعتراف" رمزية من لدن المجتمع.

غرابة الاشتغال على الجسد بتعذيبه وترويضه، تفيد في تجذير النفوذ والمكانة الرمزية، بل إن الإمعان في تعذيب الجسد، والصبر على التنكيل به، يعد كرامة تحسب للولي، وتزيد من حظوته وحضوره في سجل التنافسات الكراموية. وبذلك فابن الزيات في عمله المناقبي لم ينس التطرق إلى أوصاف الأجساد المهترئة، فأبو محمد عبد الله "صار جسده كالسفود المحترق من كثرة التقشف"، وأبو يعقوب "صلى حتى تفطرت قدماه"، وآخر "كان من كثرة العبادة نحيلا كالخيال، حتى لصق جلده بعظمه"، وآخر "كان يواصل خمسة عشرة يوما حتى أنحلته العبادة"، وولي آخر "محلوق الرأس، نحيل البدن، قد لصق جلده بعظمه"(بوبريك، 2010، ص56).

إن الجسد المعذب والصبر على التنكيل به، موجب للغرابة، ومُفْضٍ إلى الاعتراف بالكرامة والبركة، باعتباره مدشنا للاختلاف وخالقا للتميز عن الآخر، ولهذا يلاحظ أن الأتباع وأتباع الأتباع الذين يفتقرون إلى كثير من الرساميل الرمزية، التي قد تضعهم في منزلة الولاية الأولى، لا يجدون بدا من تعذيب الجسد، أملا في "كسب" الاعتراف و"تحيين" الاعتراف أساسا ببركة الولي، واستمراريتهما في الزمان والمكان. يصدق هذا تحديدا على حفدة سيدي الهادي بنعيسى أو

[1] من الطقوس الاسترضائية طلبا لبركة الولي في شأن العلاج من العقم وتسريع الحمل، والتي لاحظناها في كثير من الأضرحة، نجد أن النساء يحرصن على ترك الحزام (وهو حزام العفة الرمزي، الذي يعلن أن حاملته متزوجة ومحصنة) ليبيت في الضريح أو يمرر على مقامه، على أساس أن تفيض بركة الولي على الحزام، ومنه إلى البطن التي تحتزم بذات الحزام.

بويا رحال الذين يقدمون ويشهرون بركتهم عبر أجساد خارقة تستطيع تحمل لدغات الثعابين والأفاعي، وتقدر على شرب الماء الساخن وتحمل الانجراحات بواسطة الزجاج و السكاكين.

يصير الجسد المعذب والمنكل به في هذه الحالة مدخلا لكسب الاعتراف وتأكيد الكرامة والبركة، فهذا الوسيط المادي الذي يجسر علاقة الفهم والقبول بين الرمزي والمادي، إنه العلامة الدالة التي تتوسط وتزيل الالتباس القائم بين عالمين: الأول واقعي يمكن إدراكه وتلمسه، والثاني رمزي تتكثف فيه المعاني ولا تكاد تبين إلا بمفتاح الكشف والبرهان. فلا يقف الأمر عند مازوشية الجسد التي تصبو إلى تأكيد الفارقية، بل يصل إلى مستوى الإبهار والتفنن في إظهار القدرة على تطويع الجسد وترويضه، وهو ما نكتشفه في الحركات الرياضية لأحفاد سيدي أحماد أو موسى الذين يدشنون فعل الغرابة من مدخل رياضي خالص، فالجمناز الذي يختصون به، ولو كان بعيدا عن القواعد الأولمبية، وقريبا من البهلوانية، يمارس على المتلقي جمنازا فكريا وروحيا يدعوه إلى ممارسة انقلابات وتقلبات من حد الرفض والتشكيك في قدرة الولي واستمرارية بركته إلى حد الاعتراف و"الإيمان" بفاعلية وسريان كراماته، التي تجعل الجسد مطواعا قابلا للطي والطيران والتضاؤل والتحمل والإبهار، في استعادة ممكنة لكرامة البدء.

قوة الأثر: البقاء للأثر، والفناء بقاء، وما يؤسس البقاء فعلا هو الأثر الدال على صاحبه، وعليه فالولاية بلا آثار، هي ولاية منقوصة، أو على الأقل لن يكون مقدورها الصمود طويلا، ولن تستطيع الامتداد طولا وعرضا في النسيج المجتمعي، وأساسا في المخيال الاجتماعي. ذلك أنه يفترض في الأثر الأوليائي أن يكون حائزا على درجة عليا من الإقناعية، فالأثر هو ما ينتج الاعتراف ويوسع أمداء الولاية وينقلها من المحلي إلى الوطني، بل أحيانا إلى العالمي. كما يفترض فيه أن يكون متجاوبا مع المطامح والغايات وقادرا على منافسة "العروض الأوليائية" المطروحة في سوق التبادلات الرمزية، فالتنافس على أشده - على الأقل بين الأتباع ومسوقي فاعلية البركة- بين مكونات النسق الديني، والنتيجة تحسب في الغالب، ليس لمن يقدم العرض الأجود، ولكن لمن يقدم العرض الأكثر تلبية للانتظارات.

فمن يساعد على الاستمطار في سنوات الجفاف هو الأجدر بالاعتراف، والذي يتغير إسمه وينادى عليه بأبي الشتاء، كما في حالة مولاي بوشتى الخمار، مثلما يكون القادر على الإبراء أو توفير الأقوات خلال أزمنة الأوبئة والقحوط، هو صاحب الأثر الفعال، الذي يثمر اعترافا نكتشفه في توصيفات "طلبو التسليم، التسليم أ رجال البلاد" أو "هاذا باراكتو تا تهرس الحجر" أو "دعوتهم" الدالة على أتباعه وأحفاده "تا تجبر ولا تا تهرس"، أو "دعوتهم واصلة". وفي هذا الصدد يورد ابن الزيات إحدى كرامات سيدي بوزكري (أبو زكرياء يحيى بن محمد الجراوي، دفين القصبة الزيدانية بتادلة) قائلا بأنه: "اجتمع الناس للاستسقاء، فدعوا وتضرعوا و السماء صاحية لا غيم فيها، فقالوا يا أبا زكرياء استسق لنا، فقام أبو زكرياء ورمى بقلنسوته عن رأسه إلى الأرض، وكان أقرعا، وقال: يا رب، هذا الأقرع يسألك الغيث، فوالله ما نزل الناس عن ذلك، حتى مطروا مطرا غزيرا"(ابن الزيات، 2010، ص138).

إن الأثر يكون أحيانا أتباعا في تزايد، ما يستجلب غضب السلطة، فعندما تلوح الأمارة وتتأكد الغرابة والفاعلية، يتكاثر الأتباع و المريدين طلبا للمدد و البركة، ذلك أن الولي يستجيب لشروط عصره، ويقدم الجواب الكافي على جملة من الإخفاقات والبياضات التي قد يعرفها المجتمع (مطر/جفاف، أكل/جوع، علاج/مرض، عدل/ظلم، صلاح/ فساد...)، إنه يقدم البديل والمضاد لما تقدمه أو ترعاه السلطة، وبذلك يصير "معارضا" و"منافسا" لمشروعيتها، فكونه يقدم الحلول عن طريق الخوارقي، فإنه يمارس تفوقا ماديا ورمزيا عليها، ما يوجب الرد عليه تهميشا وكبحا وأحيانا قمعا وسجنا. ولهذا يقول الناصري عن مولاي عبد الله طير الجبال، أنه "كانت له شهرة عظيمة، وكان ابتداء أمره أنه تلمذ طائفة من الفقراء بمراكش، واجتمع عليه الناس، فأنكر ذلك السلطان زيدان بن المنصور السعدي، وأمر بالقبض عليه، وخرج إلى قبيلة سكتانة حيث ضريحه اليوم، فاستقر بها إلى أن توفي"(الناصري، 2001، ص177).

إن الأثر العابر للأجيال هو الأداء الأوليائي المختلف والمستجيب للتطلعات والانتظارات، إنه الحد الآخر الذي لا ينكتب واقعيا، إنه الصلاح في مقابل الفساد، و الوفرة ضدا على الندرة، والاكتمال في مواجهة النقص والفاقة، ففي السلوك والأداء اليومي، ينبني الأثر ويتواصل "أثره"، فللأثر أثر الاتباعية والاتساعية، ذلكم ما يؤسس الولاية ويضمن اتساع نفوذها الروحي، خصوصا عندما العرض الروحي l’offre spirituel الذي تقدمه متفوقا على عصره، وبالتحديد على ما يقدمه الفاعلون والمتنافسون حول سلط تدبير أزمات المجتمع وإخفاقاته وإعاقاته.

إن البناء السوسيوثقافي يثمر في النهاية "ميلادا للولي"، إلا أن هذه الولادة، تأتي أحيانا مفارقة في المشهد الأوليائي، فقد تكون بعض الممات والانقبار، ليعلن الميلاد مجددا في شكل ضرائحي ينشد الاستدامة والجني المستمر للبركة والكرامة، فالأضرحة والأحواش والقبور، في حال تفخيمها والاعتناء بها، يراد منها تأبيد البركة وتوكيد الخلود، إنها نوع من الشهود المادي الذي يستبدل الموت بحياة جديدة يحافظ على امتدادها الأحفاد والأتباع والمريدين، على اعتبار أن البركة لا تموت، قد تتضاءل، قد تُستنزف، ولكنها تتواصل بصيغ متعددة، ما دامت هناك حاجة إلى الصلاح ضدا على انفساد الأحوال وسوئها.

يمكن القول بأن الولاية في رحلتها ما بين الحياة والموت تعيش ثلاث ولايات على الأقل، الأولى جنينية/مخاضية تعلن عن احتمال الولاية وظهور الأمارة المؤكدة للصلاح والنبوغ، وهو ما نلاحظه في كثير من الأعمال المناقبية، التي كانت تلح في الغالب، على أن بركة الولي الفلاني، لاحت منذ نعومة أظافره، أو في مراحل متقدمة من عمره. أما الولادة الثانية فتكون عند الاستقلال عن سلطة الشيخ وبداية تشكل النفوذ الذاتي الذي قد ينافس الشيخ/ المعلم، وقد يتجاوزه أحيانا، فيما الولادة الأخيرة هي التي تسمى انبعاثا وتحدث بعد الإقبار، والتي يمارسها "المؤمنون" بالبركة والراغبون في الإفادة من ثمراتها.

إن الولاية في "قداستها" تجلٍ في البدء والانتهاء، ولهذا فالتجلي ينبغي أن يكون بصيغ متفاوتة الدرجة والنوع في مراحل حياتها وخلودها، حيث يكون البدء بالعلامة الدالة على الصلاح،

انجلاء أوليا يشرع باب القداسة ويبرر إمكان الدخول إليها وجني بركتها، ويكون المسير والمصير بعدا مع الصحبة والمريدية كتمرين انتظار لبروز تجلٍ جديد، يعلن على إثره السالك استقلاله واتجاهه إلى بناء "قداسته" الخاصة. ثم، وهذا هو مشهد الخلود، يحدث التجلي المجالي عن طريق آثار الولي المادية، عن طريق المغارات والهوامش وقمم الجبال ومشارف البحار والأنهار التي شهدت مخاضه، وتكشفت له فيها الحجب، وكذا عن طريق مدفنه الذي يصير مزارا وملاذا طلبا للإبراء والتيسير والانصلاح.

يستحيل المكان والشيء مقدسا بسبب مرور الولي منه أو اندفانه فيه، تنتقل القداسة من الجسد الفاني إلى الأحجار والأشجار والأتربة والمياه، وتفيض البركة على الدائرين في فلك القداسة. لكن لنعترف أن الأمكنة والأشياء، هي ثابتة ومتشابهة، فما الذي يجعلنا نميزها بالقداسة وفيض البركة والكرامة، أو لا نلقي لها بالا، هل هو تاريخها؟ أم هي تمثلاتنا التي يجري تنضيدها وفق رواسب ثقافية تاريخية أيضا؟

أي نعم لكل مكان ذاكرته، و لكل شيء "رائحته" ودلالته، والمجتمع هو الذي يمنح العلامات أو يلغيها، بل إنه يقود الاحتمالات إلى أقصاها مبررا إمكان تحول المدنس إلى مقدس، ذلك أن إطلاق صفة القداسة على الضريح والسبحة والعكاز وسائر الأماكن والأشياء، بل وحتى الأشخاص الذين فاضت عليهم بركة الولي، يندرج ضمن مطلب الخلود والاستدامة، إنه رفض سيكولوجي مبطن ومعلن، لكل تشكيك في ديمومة الولاية (طلب التسليم، البلاد راه بجوادها). هناك إبداعية واجتهادية متواصلة من طرف الأتباع للحفاظ على هذه القداسة العابرة للأزمنة، لا ينبغي أن يفسر الأمر دوما بإطالة الإفادة من الخيرات المادية، وإن كان هذا الأمر صحيحا، ولكن ينبغي النظر أيضا إلى حاجة المجتمع إلى "ملاذاته الروحية"les refuges spirituels .

لهذا يقول مرسيا إلياد بأنه علينا أن ننتبه إلى الطرائق التي بها "يجتهد الإنسان الديني للحفاظ على وجوده في كون مقدس لأطول زمن ممكن، وكيف تبدو تجربته الشاملة في الحياة، بالنسبة لتجربة الإنسان المحروم من الشعور الديني، الإنسان الذي يحيا أو يرغب في أن يحيا في عالم سلخت عنه قداسته"(إلياد، 2009، ص53). إن الرغبة في إدامة القداسة وإضفائها على معنى الأمكنة والأشياء تنطوي على "حاجات" إنسانية هروبية، لتأمين الملاذ متى انسدت الأبواب، وتكدر صفو الحيوات. إذ يصير الضريح موئلا و"حرما" لا تنتهك حرمته، ولا تطول يد البطش من التجأ إليه.

هنا نتذكر كيف أن مولاي عبد الله الشريف، شيخ الزاوية الوزانية، أسس ولايته/زاويته على هذا المعطى الالتجائي، لتشتهر زاويته بعدا بدار الضمانة، فقد روي عنه أنه كان يقول لزواره ما معناه: "دارنا هذه كسفينة نوح من ركبها نجا... ومن رآني أو رآى من رآني إلى أحد عشر لا تلمسه النار"، كما كان مولاي التهامي الشيخ الثالث للزاوية يقول لأتباعه:

"من جا لحضرتنا يبرا ++ يمشي بقلبو مستامن

يجي نحاس يمشي نقرا++ و سيدنا محمد ضامنو".

وهذا ما يفسر تسمية وزان بـ "دار الضمانة"، أي أنها تضمن لمن انحاش إلى أهلها النجاة في الدنيا و الآخرة"(العمراني، 2009، ص55)، وهنا نلاحظ إعادة إنتاجٍ واضحة لبركة الولي، عن طريق استثمار المقدس، فتوصيفات من قبيل "دار الضمانة"، "دار الأمان"، "دار الشرف"، كلها توجب الاعتراف باستمرارية القداسة وتجذرها. وهو ما يستلزم الامتثالية التامة التي يختزلها المغاربة في عبارة جامعة مانعة وهي "طلب التسليم، شايلاه أ رجال البلاد"، بمعنى جئناكم طائعين مستسلمين، مسلمين، راغبين فقط في طلب كرمكم و بركتكم.

وإذا كانت ولادتا الولي الأولى والثانية (أمارة البدء والاستقلال عن الشيخ) تكون ممهورتين بتوقيعه هو، فإن الولادة التالية بعد الموت، تكون في الغالب موضوع تنافس شديد، فكلٌ راغبٌ في اكتناز "الخبزة"، وكلٌ راءٍ لنفسه الأجدر بضمان إدامة البركة، ولو في شكل بناء قبة أو توفير غطاء. ففي حالة سيدي موسى ينكشف جزء من هذا التنافس حول بركة الولي، حيث يقول صاحب الإتحاف الوجيز أنه: "لما مات تنافس الناس في دفنه، فكل يريد دفنه بروضته"(الدكالي، ص85)، و يضيف صاحب التشوف موضحا: "فطائفة تحمله إلى هذه الجهة، وأخرى تحمله إلى جهة أخرى، وطال ذلك بينهم، من أول وقت الظهر إلى وقت العشاء الآخرة، وكان الوالي بسلا شديد البؤس، فقيل له في ذلك، فقال: ما عندي في هذا عمل، ولولا أن الله تعالى يحب هذا الإنسان ما جعل، في قلوب الناس "حبه""(ابن الزيات، 2010، ص29). إلا أن هذا التنافس حول "امتلاك" أو توريث البركة لم ينته بدفنٍ أول وكفى، فالدكالي في إتحافه يشير إلى أن سيدي موسى "دفن أولا بروضة بني القاسم بن عشرة، ثم نقل منها بعد سبعة أيام إلى قبره الذي هو به اليوم، نقلته ملالة بنت زيادة الله، وبنت عليه قبة، صرفت عليها خمسمائة دينار، وليست هي القبة التي عليه الآن، فإنها مجددة في زمان السلطان مولانا إسماعيل العلوي"(الدكالي، ص85). ويستمر هذا التنافس آنا من مداخل أخرى كالترميم والتجديد وتغيير كسوة الضريح، والإنفاق و الإطعام، أملا في الاحتفاظ بلقب "خديم السيد"، وتأمين الانتفاع ببركته.

يستمر الولي مولودا وخالدا عبر آلية التطقيس التي تهم زيارته، فكل فعل وكل طلب أو لجوء يقتضي المرور عبر لحظات طقوسية ضابطة لا تقبل التفاوض، فمنذ الزقاق المؤدي إلى الضريح هناك أعمدة تفرض الانحناء (في ضريحي مولاي إدريس زرهون وإدريس الأكبر)، ومنذ عتبة الضريح الأولى تلوح القداسة وتتجلى وتنكشف موجبات التعاطي والتفاعل مع بركة الولي، فعتبة الضريح تعني الانتقال إلى درجة أعلى، إلى سجل آخر، مفتوح على المقدس، إنها علامة الفصل والوصل، الانفصال عن الدنيوي والاتصال بالقدسي والعلوي، والعتبات عموما تحتمل هذا الاستجماع، إنها تفصل وتصل في الآن ذاته، وهو ما يسري على البيوت، فالعتبة فيها تفصل بين السجلين الخاص والعام.

وبما أن القداسة تتجلى في المكان كما أسلفنا قبلا، فإن الدخول إلى الضريح يتيح المرور إلى السماء، فالملاحظ أن القباب والكوات المفتوحة باتجاه السماء، يحرص واضعوها تدخل ضوءا محدودا يحيل على الأنوار المنهرقة من أعلى في شكل رسائل ورؤى يحتاجها الزائر لتجاوز غمته، وهي بذلك تتضمن وتضمن فعل التوسط بين الأرض والسماء، فكل مكونات الضريح

تؤدي وظيفة الإبهار العلني، ووظيفة التوسط الخفية، فالقبة دليل على تعالي وسمو صاحب البركة، لكنها توسط ومعراج إلى السماء، والكساء توقير واحترام له، لكنه أمل في التغطية والحماية، والشموع والقناديل والثريات أدوات إضاءة، وهي في الآن ذاته بحث عن ضوء في زمن الإظلام والظلم (الله يشعل ضوك). حيث تفيض البركة على كل الأمكنة و الأشياء، وبذلك يصير ماء الضريح مطهرا وشافيا وترابه معالجا ورادا لكل سوء، والمطلوب في كل حين هو الوصول إلى "معنى المعنى" حتى يظفر الزائر بـ"الخبزة"، و"تكتمل الزيارة وينال المقصود"، تبعا لما تنحته الثقافة الشعبية من مسكوكات لفظية/دُعائية بصدد الزيارة الميمونة والناجحة.

على سبيل الختام:

لنخلص أخيرا إلى القول بأن إنتاج وإعادة إنتاج بركة الأولياء، مسار فائق الصعوبة لا يتأتى إلا لمن توفرت له الأسباب وتحققت له الأمارات، وعانق التجربة بكل امتلاء، فليس سهلا أن يكون المرء وليا. هناك مسار وأداء طويل يستلزم الكثير من المجاهدة والصحبة والتعلم والمراس، إنه تمرين تعبدي لا تعرف بدايته ولا نهايته. وبالرغم من محاولة التذكير بأهم ملامح مشروع الأوليائية فإنه لا يمكن القول بإمكان اتباع هذه القواعد و المحتذيات، وصولا إلى النهايات/البدايات.

فكل ولي يصنع ولايته، كما أن المجتمع في سياقات معينة يحتاج كرامات مخصوصة، ما يجعله يعلي من شأن البعض ولا يهتم إلا قليلا بأولياء آخرين، وهنا يكون الاعتراف بالفاعلية والفعالية ويتسع بذلك النفوذ الروحي وتتواتر الخيرات الرمزية والمادية لوارثي البركة، أو على العكس من ذلك، تنحد ممكنات الشيوع و يتوقف المشروع الأوليائي عند حدود ضيقة، وما يصنع هذا المآل أو ذاك هو المفارقية والإبهارية التي تلوح في الكرامة/الأمارة، وتتواصل في البركة التي تجذر الاعتراف وتحدد احتمالات الامتداد بعد الانقبار.

إن البقاء يستوجب الفناء، والوصل يتطلب الفصل، وذلك ما يجيده الولي، وهو يؤسس بركته ويقوي من حضوره في سياقات اجتماعية وسياسية فائقة الصعوبة والعسر، إنه يفنى ويهاجر ويتعذب من أجل البقاء في المخيال الاجتماعي، كما أنه ينقطع ويتعالي ويسمو كي يحقق الاتصال بالقدسي ويحوز البركة و القداسة التي تنسحب على أمكنته وأشيائه توكيدا للاستمرارية التي يستقل بها المقدس.

إن المجموعة البشرية، هي في حاجة دائما للمقدس الأوليائي، ليس من أجل تدبير حياتها الدينية، بل، وهذا هو الأهم، من أجل إثراء علاقاتها وتقوية حظوظ مواجهتها للسلطة المتوزعة طولا وعرضا في المجتمع (مخزن، أعيان، قبائل ...)، فالزاوية أو الضريح يتوفران، في غالب الأحيان على رأسمال رمزي تعددي يتكون من الشرف والعلم والصلاح والكرامة، ويتوفران أيضا على رأسمال مادي يتمظهر في الملكية العقارية والأموال والإعفاءات من الكلف المخزنية، بمعنى أن

الأمر يؤسس لِتَماهٍ مع المخزن في امتلاكاته وسلطاته، فالأسس الرمزية للزاوية تبدو منافسة لتلك التي يستند عليها المخزن.

ولهذا يظل الاعتماد عليها روحيا واقتصاديا وحتى سياسيا، من الشروط الضرورية لتأمين الاستمرارية في ظل نسق مفتوح على التوتر والاحتقان. ففي هذه الحركية المتعددة الأبعاد والانتماءات، ثمة ارتكان إلى المقدس في التدبير والتفاعل، فإعادة الإنتاج تظل محكومة في كثير من الأحيان بالقدرة على استثمار المقدس وتوظيفه، ولهذا لا يبدو غريبا أن يكون الاعتماد على المقدس الولوي فعلا أثيرا لدى المنتمين إلى النسق، وإن اختلفت انتماءاتهم المراتبية لذات النسق، فالكل، يفيد، أو يستثمر ويستزيد من الخيرات الرمزية لحقل المقدس.

قائمة المراجع

1.ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي(2010)، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص و وثائق رقم 4، الطبعة الثالثة، الرباط.

2.ابن زيدان عبد الرحمن(1990) ، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، الجزء الرابع، الرباط، الخزانة الملكية، الطبعة الثانية.

3.ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح متن الحكم، دار ابن الوراق، بيروت،

4.ابن عربي محي الدين(2009)، أهل المراتب و الأحوال، تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول، دار جوامع الكلم، القاهرة، الطبعة الأولى.

5.ابن عربي محي الدين(1997)، رسائل ابن عربي: كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

6.التليدي عبد الله(1987)، المطرب في مشاهير أولياء المغرب، مؤسسة الشمال للطباعة، طنجة، الطبعة الثانية.

7.الدكالي محمد بن علي(1986)، الإتحاف الوجيز: تاريخ العدوتين، تحقيق: مصطفى بوشعراء، منشورات الخزانة الصبيحية، سلا.

8.السوسي المختار(2014) ، الترياق المداوي في أخبار الشيخ سيدي الحاج علي السوسي الدرقاوي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط.

9.الشاذلي عبد اللطيف(1989)، التصوف و المجتمع: نماذج من القرن العاشر الهجري، سلا.

10.العشاب عبد الصمد(2012)، مولاي عبد السلام بن مشيش، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، الطبعة الأولى.

11.العطري عبد الرحيم(2000)، دفاعا عن السوسيولوجيا، دار بابل للطباعة و النشر، الرباط، الطبعة الأولى.

12.العمراني محمد(2009)، كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية، مجلة أمل، العدد 35، السنة السادسة عشرة.

13.الفاسي محمد المهدي(2005)، ممتع الأسماع في أخبار الجزولي و التباع، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
14.القشيري عبد الكريم بن هوزان(2001)، الرسالة القشيرية، تحقيق: مصطفى زريق، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية.
15.الصومعي أحمد التادلي(1996)، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق محمد الجاوي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية أكادير.
16.الكيالي عاصم إبراهيم(2010)، الولاية و الولي عند السادة الصوفية في الشريعة و الطريقة و الحقيقة، دار كتب ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى.
17.الناقوري إدريس(2007)، أيت لحسن: القبيلة، التاريخ و المواقف، دار الثقافة، البيضاء.
18.الناصري أحمد بن خالد(2011)،كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: أحمد الناصري، أشرف عليه: محمد حجي، إبراهيم بوطالب، أحمد التوفيق، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الرباط، الطبعة الأولى.
19.النبهاني يوسف بن إسماعيل(2001)، جامع كرامات الأولياء، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى.
إلياد مرسيا(2009)، المقدس و العادي، ترجمة عادل العوا، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى.
20.باستيد روجيه(1951)، مبادئ علم الاجتماع الديني، ترجمة: محمود قاسم، المكتبة الأنجلوساكسونية، الطبعة الأولى.
21.باسكون بول(1986)، الأساطير و المعتقدات بالمغرب، ترجمة: مصطفى المسناوي، مجلة بيت الحكمة، العدد 3، السنة الأولى. الرباط.
22.بوبريك رحال(2010)، بركة النساء: الدين بصيغة المؤنث، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.
23.جلاب حسن (2011)، سبعة رجال، منتدى ابن تاشفين للمجتمع و المجال، مراكش، الطبعة الثالثة.
24.شغموم الميلودي(1991)، المتخيل و القدس في التصوف الإسلامي: الحكاية و البركة، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى.
25.كاستورياديس كورنيليوس(2003)، تأسيس المجتمع تخيليا، ترجمة: ماهر الشريف، منشورات دار المدى، دمشق، الطبعة الأولى.
26.Berque Jacques(1982), Ulémas, fondateurs, insurges du Maghreb, Editions Sindibad, Paris.
27.Caillois Roger(1950), L'homme et le sacré, Editions Gallimard, Paris.
28.Dermenghem Emile(1954), Le culte des saints dans l'islam Maghrébin, Editions Gallimard, Paris.
29.Durkheim Émile(1968), Les formes élémentaires de la vie religieuse. Editions PUF, Paris.

30.Eliade Mircea(1963), Aspects du mythe, Editions Gallimard, Paris..
31.Eliade Mircea(1965), Le sacré el le profane, Editions Gallimard, Paris.
32.Geertz Gliford(1992), Observer l'Islam : changement religieux au Maroc et en Indonésie, La Découverte, Paris.

منهجية التحسين المستمر ودورها في ترشيد الأداء الوظيفي في ظل متطلبات إدارة الجودة الشاملة TQM دراسة ميدانية بمؤسستين بوهران (SIMAP) و(SNV)

د. قصير بن عودة، جامعة محمد بن أحمد وهران2_ الجزائر_ مخبر الأرغونوميا- الجزائر

ملخص تهدف هذه الدراسة بشقّيها النظري والتطبيقي إلى إبراز و تحديد طبيعة العلاقة بين إستراتيجية التحسين المستمر في المنظمات باعتبارها بعداً أساسياً من أبعاد إدارة الجودة الشاملة **TQM** ودرها في تعزيز وترشيد الأداء الوظيفي باعتباره من المخرجات التي تسعى المنظمة لتحقيقها، و لتحقيق أهداف و أغراض هذه الدراسة تم تطوير استبيانين وُزعا على عينة تكونت من ستين عاملاً، في مؤسستين إنتاجيتين بولاية وهران، حيث عولجت البيانات باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية **SPSS**، و قد خلصت الدراسة بمنهجها الوصفي الذي اعتمده الباحث إلى أنه توجد علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين المتغيرين إستراتيجية التحسين المستمر و الأداء الوظيفي، كما مكنت الدراسة إبراز ما لهذا الموضوع من أهمية بالغة في تحقيق أهداف و نجاح المنظمات، و كان من أبرز توصيات هذه الدراسة وجوب الاهتمام بعملية التحسين المستمر كونها أحد العوامل و المحددات التي تستخدم في تطوير المنظمات لاسيما إذا استخدم في دعم وتنمية الأداء الوظيفي للموظفين.

الكلمات المفتاحية: إستراتيجية التحين المستمر، منهجية الكايزن، الأداء الوظيفي، إدارة الجودة الشاملة.

The continuous improvement methodology and its role in enhancing job performance in light of the requirements of (TQM)

Abstract : The aim of this study, both theoretical and practical, is to highlight and define the nature of the relationship between the continuous improvement strategy in organizations as an essential dimension of total quality management (TQM) and its role in enhancing job performance as one of the outputs that the organization seeks to achieve. To achieve the objectives of this study, two questionnaires were developed and distributed to a sample of sixty workers, in two production establishments in the Wilayat of Oran, where the data were processed using the SPSS statistical package, The study concluded with its descriptive approach

adopted by the researcher that there is a positive correlation with statistical significance between the two variables, the strategy of continuous improvement and job performance. The study also made it possible to highlight the importance of this topic in achieving the goals and success of organizations, and one of the most prominent recommendations of this study was the necessity of paying attention to the process of continuous improvement as it is one of the factors and determinants that are used in the development of organizations, especially if it is used to support and develop the job performance of employees.

Key words: continuous improvement, Kaizen, functionality performancen,TQM.

مقدمة الدراسة:

يعتبر موضوع الأداء الوظيفي من المواضيع التي نالت نصيباً وافراً من الاهتمام والبحث في الدراسات الأكاديمية و الإدارية بشكل عام و في دراسات الموارد البشرية بشكل خاص، وذلك لأهمية الأداء ومتعلقاته وانعكاساته الإيجابية على مستوى الفرد والمنظمة، هذا مما دفع بالمنظمات أن تسعى جاهدةً لتحسين ورفع كفاءة الأداء كونه أحد أهم العوامل الأساسية التي تبنى عليها العديد من القرارات الإدارية، كما لا يمكن لهذا المتغير أن يؤدي دوره بفعالية إلا بتوفير آليات دافعة وثقافات تنظيمية مناسبة وفضاءات تسمح له بالتطوير والإبداع والتغيير وتحقيق المطلوب والوصول إلى الغايات والأهداف.

ومن بين أهم الثقافات التنظيمية والسلوكات الإدارية التي تبنتها المؤسسات في العصر الحديث إستراتيجية التحسين المستمر كآلية من آليات الجودة التي تهدف إلى تطوير كافة النشاطات التنظيمية ومختلف المجالات الإدارية وعلى رأسها تطوير الأداء الوظيفي وتعزيزه، فدور عملية التحسين المستمر أن تأتي بالجديد والأحسن بشكل دائم ومستمر لوجود مناخ ملائم و متوفر لتحسين الأداء في أي منظمة، و يرى **"إيش جاكسون" أن** هناك دائما مساحة للتحسين والتطوير وهي مساحة كبيرة جداً في الواقع(إيش، 2019، ص134)

تساؤلات الدراسة:

تكمن ضرورة إجراء هذه الدراسة من الغاية التي تسعى إليها المنظمات اقتصاديةً كانت أو خدماتية في تحقيق التميز و الريادة في سوق الأعمال، وبما أن التحسين المستمر هو جملة من الجهود الشاملة و الهادفة إلى تغيير وتطوير الموارد البشرية من خلال التأثير في أدائهم قيمهم

ومهاراتهم بشكل يؤدي إلى خلق مناخ تنظيمي مناسب اتخذته إدارة الجودة الشاملة **TQM** كآلية من آليات تحقيق الجودة وتعزيزها وبثها كثقافة سائدة في المنظمة، و بناءً عليه و استناداً على ما ورد في مقدمة هذه الدراسة يمكن طرح الإشكالية التالية:

- هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين التحسين المستمر و الأداء الوظيفي ؟

فرضيات الدراسة:

و لغرض الوصول إلى أهداف هذه الدراسة تمت صياغة الفرضية التالية:

- توجد علاقة ارتباطية معنوية ذات دلالة إحصائية بين التحسين المستمر و الأداء الوظيفي.

الهدف من الدراسة:

بناءً على الإشكالية والأهمية التي تكتسبها هذه الدراسة، فإن الهدف لا يخرج عن كونه محاولة لتحقيق أغراض التالية:

- تحديد مستوى العلاقة بين متغيرات الدراسة.

- التعرف على أهمية إستراتيجية التحسين المستمر وتطبيقاته ومزاولاته في الإدارة الحديثة، وإبراز دوره في تعزيز المنظمات والمؤسسات وتطورها.

- الاطلاع على المنهاج اليابانية الحديثة في عالم الإدارة وعلى رأسها منهجية الكايزن **Kaizen**.

- نشر الوعي بمفاهيم وثقافة إدارة للجودة الشاملة **TQM** في بيئة العمل وممارساتها لاسيما مجتمع الدراسة.

- اختبار صحة فرضية الدراسة.

- الخروج بتوصيات مهمة في ضوء النتائج المتوصل إليها في الواقع الميداني.

الإطار النظري للدراسة:

أولاً: التحسين المستمر: Continuous improvement

1 - مفهوم التحسين المستمر:

يعتبر التحسين المستمر للعمليات الإدارية هو أحد مبادئ إدارة الجودة الشاملة، حيث يشترك جميع العملين في تحسين العمليات الداخلية للمنشأة عبر فِرق تحسين المستمر من خلال منهجية تطبيقية محددة،والحديث عن تحسين المؤسسة لفعاليتها و كفاءتها يقودنا مباشرة إلى الحديث عن

واحدة من المقاربات الإدارية الحديثة القائمة على هذا الأساس و نقصد بها مقاربة، Kaizen و معناها في لغة الدولة ٱلتي ظهرت فيها و هي اليابان " التغيير الهادئ " إلاّ أنّ المصطلح المتداول لها في لغة الجودة هو "التحسين المستمر"، مؤدى هذه المقاربة أن على كل فرد في المؤسسة، من المدير العام إلى العامل البسيط، أن يساهم بثبات في تحسين نشاطات المؤسسة، عملياتها، أنظمتها الإدارية، تكنولوجيتها، طرقها.. إلخ، و بتعبير آخر، تتمثل مقاربة Kaizen في إرساء ذهنية لدى أفراد المؤسسة بضرورة استغلال جميع فرص التحسين الممكنة مهما كانت بساطتها في الارتقاء بمستوى أداء المؤسسة(ملوك، 2010، ص39).

عرّف العكيلي(2010) التحسين المستمر على أنه عملية البحث المنسق الذي يتناول أفضل السبل لانجاز الأشياء وأن الهدف من عملية التحسين المستمر هو التفوق على المعايير الحالية للصناعة و تحديد المشكلات و حلها بمهارة لخلق ميزة تنافسية جديدة(وليد، 2015، ص427).

وعرفه أتكينسون(Atkinson)وآخرون بأنه الجهود المستمرة في العمليات القائمة لاستكشاف أفضل الطرائق في التنفيذ والتي تتضمن البحث المركز على الأنشطة التي تهتم بها المنظمة لمواجهة متطلبات الزبائن.(علاء، 2014، ص283)

والتحسين المستمر حسب **"جمس** و **بايتس"** ينطوي على تأسيس البنية التحتية اللازمة لتطويرها، فالخطوة الأولى هي تحديد عمال الإنتاج الرئيسيين و تزويدهم بالموارد و التدريب والتحفيز اللازمين لجعلهم أشخاصاً فعالين وناجحين(جيمس، 2015، ص196).

تؤكد فلسفة إدارة الجودة الشاملة على أهمية التحسين المستمر لمختلف الأنشطة الوظيفية والعمليات التسييرية في المؤسسات، و يؤكد هذا المبدأ فرضية أن الجودة النهائية ما هي إلا نتيجة لسلسة من الخطوات و النشاطات المرتبطة.

إن فكرة التحسين المستمر تعتمد على تدعيم البحث و التطوير و تشجيع الإبداع و تنمية المعرفة و المهارات لدى الكفاءات البشرية المتاحة بالمؤسسة، كما يعد عنصرا أساسياً في تخفيض الانحرافات على جميع مستويات النشاط، ذلك أن التركيز على التحسين المستمر لأنظمة العمليات الإنتاجية و المالية و التسويقية و للموارد البشرية يحقق بالضرورة أعلى مستوى من الرضا للمستهلك كنتيجة لتقديم قيمة في المنتج النهائي، لذا يتطلب الأمر إجراء الدراسات المستمرة و تحليل النتائج للوصول إلى كفاءة عالية لأنظمة العمليات المختلفة من جهة، وتطوير جودة المخرجات من السلع والخدمات من جهة أخرى(سملالي، 2003، ص178).

وقد أوردت الباحثة "حريق" في أطروحتها حول (إستراتيجية التدريب في ظل إدارة الجودة الشاملة) "بأن التحسين المستمر فلسفة إدارية تهدف إلى العمل على تطوير العمليات والأنشطة المتعلقة بالآلات والمواد والأفراد وطرق الإنتاج بشكل مستمر، وفلسفة التحسين المستمر هي إحدى ركائز منهجية دارة الجودة الشاملة والتي تحتاج إلى دعم الإدارة العليا وتشجيعها من خلال منح الحوافز المادية والمعنوية المناسبة(قصير، 2020، ص36).

إن فلسفة **كايزن** هي إحدى وسائل التغيير على مستوى المنظمات التي لم يتعرف عليها عالمنا العربي بعمق حتى الآن. فلقد طبقت اليابان أسلوب (بقاء الحال من المحال)، وبقيت معظم المؤسسات والشركات العربية تحتفظ بمنهج " تغيرُ الحالِ من المُحال"(أبو النظر، 2015، ص65).

2- عناصر تطبيق تقنية التحسين المستمر:

إن التحسين المستمر يتطلب الالتزام بإجراء تغيرات تدريجيا نحو الأحسن و بشكل متواصل، و ذلك يعتمد على عناصر أساسية متمثلة بالمحافظة على إجراءات معينة تتلخص فيما يرمز له بـــ **(S5)**و تعني خمسة كلمات يابانية كلها تبدأ بالحرف **(S)** و يمكن تلخيص هذه العناصر كالآتي:

أ – التصفية (S1(Seriri: و هو العنصر الأول الذي يركز على حدث الأنشطة غير الضرورية و ذلك عن طريق عملية تدعى البطاقة الحمراء و هي تمثل نقطة البداية لتشخيص المشاكل الخفية و توفي المسائلة في موقع العمل.

ب – التنظيم(Seition) S2: و يركز على كفاءة العمليات الإنتاجية أو تقديم الخدمات عن طريق إتباع إستراتيجية مناسبة تضمن عملية تنظيم و إدارة العمل و من فوائده الوصول بسهولة إلى العناصر الضرورية في العمل و تقليل الوقت الضائع.

ج – التنظيف: (Seiso) S3 و تعني بالفحص و التنظيف المستمر لموقع العمل، و من فوائده تجنب أعطال المكائن.

د – التقييم: (S4(Seiketsu و يعني ضرورة وضع معايير للأداء يمكن الرجوع إليها لتحديد الأخطاء و الانحرافات.

ه – التدريب و الانضباط:(S5(Shiutsuke و يعتبر هذا العنصر من أصعب و أهم العناصر في التحقيق لأنه مرتبط بتدريب القوى العاملة على تحقيق العناصر السابقة و جعلها جزء من سلوكها.

ومن الملاحظ أن عمل هذه العناصر الخمسة يتم بشكل مترابط و متكامل و تهدف هذه العناصر إلى إجراء تغيرات نحو الأحسن و بشكل مستمر و زيادة كفاءة العمل و رفع مستوى الجودة(علاء، 2014، ص284).

3- خطوات التحسين المستمر:

لنجاح أي منظمة في عملية التحسين المستمر يجب عليها مراعاة الخطوات التالية :

3-1 التخطيط: الهدف في هذه المرحلة هو تخطيط ما يجب أن يفعل، أي تحديد الأهداف والعمليات الضرورية لتحقيق المنتج أو الخدمة حسب المواصفات.

2-3 التنفيذ : يتم في هذه المرحلة تنفيذ ما تم تخطيطه.

3-3 التقييم: يتم بتقييم النتائج المتحصل عليها من العملية و هذا بمقارنتها مع الأهداف و المواصفات.

4-3 التحسين: بناءا على نتائج نقوم بإجراء التحسينات و التعديلات على العملية أو المنتج أو الخدمة و نعود إلى المرحلة الأولى لتعديل التخطيط و من ثم تسير الحلقة المستمرة. (وليد،2015،ص428)

والشكل التالي يبين عجلة " ديمنغ " لتحسين العمليات(PDCA) (Christian,2013,pM39)



شكل رقم(1) يبين عجلة ديمنغ للتحسين العمليات التنظيمية (Christina,2013,p39)

4 - منـهجية الكــايزن Kaizen: 改善

تعتبر منهجية **الكايزن** من أعمدة التحسين المستمر فهي فلسفة ابتكرها "تاييشي أُوهونو" (Taichi Ohno) لقيادة المؤسسات الصناعية، المؤسسات المالية، بل و لتطبيقها في كل نواحي الحياة، معتمدة على العملية و التحليل. و في ميدان الأعمال أو الصناعات. في العادة تشير كلمة (**كايزن**) إلى النشاطات التي تؤدي باستمرار إلى تحسين جميع مناحي العمل، كالصناعة و التسيير الإداري. و تحسين النشاطات الموحدة و طرق العمل، تعمل الكايزن على الحلول دون وجود نفايات. وهي تتكون من كلمتين يابانيتين :كاي «Kai» تعني التغيير، و زن «Zen» وتعني الأفضل، و تترجم إجمالاً إلى (Continuous improvement) أي التحسين المستمر، و قد ظهر مفهوم **الكايزن** للوجود عام **1984** على يد الخبير الياباني "ماساكيإماي" ، حيث وضح فيه أن كل عمل ينفذ يمكن تحسينه، و أن كل عملية تتم حاليا لابد و أنها تحتوى على أي هدر سواء كان الهدر مادياً أو معنوياً أو فكرياً أو غيره من الأمور الضئيلة التي لا نُــــلقى لها بالاً و التقليلُ من هذا الهدر مهما كان نوعه يُنتج قيمةً مضافة للعملية، و العميل هو المستفيد في النهاية من نتائجها(توفيق، 2010، ص41).

ويُعبر"**ماساكي إماي**" العالم الياباني صاحب فكرة **الكايزن** (**Kaizen**) عن فكرته في صورة مظلة تحتوي على كثير من العناصر وأساليب التحسين المستمر، والكايزن كلمة يابانية تعني التحسين والتطوير المستمر(قصير، 2018، ص86).



الشكل يبين مظلة الكايزن (Kaizen).(السلمي، 2000، ص82)

5 ـ أدوات تطبيق منهجية الكايزن وفق معايير الجودة الشاملة: TQM

تعتبر أدوات تطبيق منهجية الكايزن المستوحاة من فلسفة الجودة الشاملة هي الأساليب و المناهج العلمية و العملية التي تُطبَق على كافة الأنشطة بغرض تطويرها و تحسينها، و تتنوع أدوات الجودة على حسب طبيعة الأنشطة و المهام، و على حسب الأهداف المرجوة من الجودة، و من أهم النماذج و أشهرها :

1-5 مخطط عظم السمكة، السبب والنتيجة (Fish Bone) : يعرف مخطط السبب و النتيجة كذلك بمسمى مخطط " إيشيكاوا " نسبة للعالم الياباني إيشيكاوا الذي قام بتطوير هذه التقنية في عام1943، حيث عرفها جابر بأنها " إستراتيجية تدريسية تتضمن عدة خطوات إجرائية متتابعة، تركز على التفاعل بين الطالب و المعلم، و المادة العلمية، لاكتساب المعرفة الجديدة و تكاملها، واتساقها مع المعرفة القائمة لدى الطلبة للوصول إلى نهايات و نتائج جديدة(جابر، 2003، ص62).

2-5 مخطط باريتو 20/80 (Pareto Chart) المجالات القليلة الحاكمة: يعد مبدأ باريتو من أقوى الأدوات التي ابتكرها الإنسان، و لهذا نجد أن تحديد 20 ٪ أو العوامل القليلة الحاكمة يؤدي إلى توفير جهد كبير، و لكن يجب أن تؤخذ هذه العوامل في الحسبان في ضوء القضايا لأشمل(توفيق، 2011، ص386).

ويضيف "**جيمس و بايتس**" في كتابهما (الكتاب الصغير لنظريات الإدارة الكبيرة): مبدأ "باريتو" ربما يكون النظرية الوحيدة الأكثر فائدة التي يمكن للمديرين أن يعرفوها، لماذا؟ لأنه يمكن استخدامه لتقليل أعباء العمل التي يشعر بها المدير ويمكن تطبيقه على نطاق واسع من الظروف(جيمس، 2015، ص234).

3-5 العصف الذهني (إثارة الأفكار) **(Brain Storming)** : العصف الذهني هو إستراتيجية تستخدم كأسلوب لتحفيز التفكير و الإبداع لحل المشاكل المستعصية سواء العملية أو العلمية أو الحياتية، و يعرفه عبد الرحمان توفيق في كتابه (إدارة الجودة الشاملة على أنه" استخدام العقل في التصدي النشط للمشكلة"(محمود، 2012، ص54).

4-5 خريطة التدفق: **(Flow Chart)** هي عبارة عن تمثيل بياني يعتمد على الرسم لتوضيح ترتيب العمليات اللازمة لحل المشكلة، الهدف منها المساعدة في إلقاء الضوء على تتابع العمليات المتعلقة بنقاط اتخاذ القرار الرئيسية.

5-5 منهجية ستة سيجما: (Six Sigma) (σ6) تعتبر " الستة سيجما" أو ما يسمى " النظام الرشيق" من أهم الابتكارات الإحصائية في فضاء الجودة الشاملة، لاسيما في العصر الحديث، و هي من أهم و أبر المبادرات التي قدمتها شركة الاتصالات العامية متورولا **(Motorola)** لتقليل نسبة الهدر و تحقيق الكمال، و ذلك عام 1980. و يشير منهج Six Sigma إلى العملية التي لا ينتج عنها أكثر من 3.4 عيوب في ملون فرصة، لأن هذا المعدل من العيوب منخفض جداً، و يرتبط مصطلح " الستة سيجما" أحياناً مع مصطلح انعدام العيوب(Zero Defect) (Park,2003,p02)

ومن الناحية التطبيقية تعد " الستة سيجما" أحد أكثر برامج استراتيجيات الإدارة فاعليةً في العصر الحاضر فيما يتعلق بالتغيير في كل الثقافة و العملية الإنتاجية(الزهراني، 2010، ص29).

6-5 نظام ضمان الجودة الآيزو:(ISO) إن مصطلح الآيزو يمثل اختصارا لاسم المنظمة الدولية للمواصفات و هي International Organization of Standardization: و مقر هذه المنظمة الدولية في جنيف بسويسرا، حيث أنها تضم أكثر من 100 دولة في عضويتها، وهي تهتم بتوحيد المواصفات و المقاييس في العالم، و يرمز الرقم 9000 لسلسلة المواصفات التي تختص بإدارة الجودة في الصناعة و الخدمات، و هي الأكثر شهرة في العالم لارتباطها بالتعامل التجاري الدولي(خضير، 2016، ص107).

يقوم نظام **الآيزو ISO** على أساس المبادئ الثمانية التالية لإدارة الجودة الشاملة، كما جاء في (دار الجودة، الوحدة الحادية عشر)

- **القيادة**: تعمل القيادة على تحديد الأهداف الإستراتيجية للمنشأة و توحيد توجه جميع العاملين نحو تحقيق الأهداف و ذلك بتكوين بيئة إيجابية.
- **التركيز على العميل:** تركز المنشأة على تفهم و تحديد متطلبات و رغبات العميل الحالية و المستقبلية، بل وتتجاوز توقعاتهم.
- **مشاركة العاملين:** أهم موارد أي منشأة هي الموارد البشرية و مشاركتهم الكاملة في إدارة و تحسين الجودة داخل المنظمة مما يؤدي إلى نجاح نظام الجودة و نجاح المنظمة في تحقيق أهدافها.
- **مدخل العمليات:** تدار جميع أنشطة المنشأة على أساس العمليات و التي قد تنظم عدة إدارات في العملية الواحدة بدلاً من تحسين العمل كإدارات منفصلة.
- **مدخل إدارة النظـم:** و ذلك عبر تحديد و التعرف على العمليات المرتبطة و إدارتها كنظام موحد يساهم في تحقيق فعالية و كفاءة المنشأة لتحقيق أهدافــها.
- **التحسين المستمر:** يجب أن يكون التحسين المستمر لجميع العمليات هدفاً دائمــاً للمنشأة عبر فرق العمل و من خلال الاستماع إلى صوت العميل و الإدارة الفعالة للشكاوى و الاقتراحات.
- **القرارات المبنية على الحقائق:** تصدر القرارات في المنشأة الناجحة بعد تحليل للمعلومات وسجلات و التعرف على مواطن الخلل و طرق الإصلاح و بتالي تكون هذه القرارات أكثر صواباً وأقل خطأً، و غير مبنية على التخمين والحدس.
- **علاقة منفعة وشراكة متبادلة مع الموردين**: لا يجب أن تكون العلاقة بين الموردين والمنشأة قائمة على السعر فقط والحصول على البضاعة بأقل سعر حتى لو أدى ذلك إلى الخسارة المورد، بل يجب تأسيس علاقة دائمة تقوم على مبدأ المشاركة والمنفعة المتبادلة.

6 - إدارة الجودة الشاملة: Total Quality Management

إنَّ مصطلح إدارة الجودة الشاملة (**TQM**) غدا في يومنا هذا من المصطلحات الشائعة ولا سيما في عالم الصناعة والتجارة، وهو مصطلح مبني على مسلمة باتت تستحوذ على أذهان المنتجين بشكل عام ومؤداها أن نجاح أيّ عمل على المدى البعيد غدا مرهونا بالجودة في الإنتاج والمنتوج والقيادة المشرفة عليهما، ولم تعد الجودة الشاملة في اقتصادنا المعاصر تعني ببساطة القدرة على إنتاج سلعة أو خدمة أفضل من نظيراتها المتاحة بالأسواق.

1-6 مفهوم إدارة الجودة الشاملة: إنَّ مفهوم إدارة الجودة الشاملة يحمل الكثير من المعاني بالنسبة للباحثين والمهتمين، كما هو الحال في جميع مفاهيم العلوم الإنسانية، وإدارة الجودة الشاملة **TQM**تسعى في جوهرها إلى تحسين الجودة وزيادة الإنتاجية وتقليل الفاقد في الإنتاج، ومن ثم تقديم الخدمات(العويسات، 2005، ص09).

وعرّف Barton الجودة الشاملة TQMعلى أنها : مقابلة توقعات الزبون وتجاوزها إلى أحسن منها.(Barton,1991)

ومن الباحثين من نظر إلى إدارة الجودة الشاملة على أنها فلسفة إدارة المنظمات والممارسات التي تهدف إلى تسخير الموارد البشرية والمادية للمنظمة في أفضل وسيلة لتحقيق الهدف) Adeoti,2003,p 80)

2-6 أهداف إدارة الجودة الشاملة: تختلف أهداف الجودة الشاملة مع اختلاف طبيعة المنظمات، فكل منظمة لها أهداف من الجودة الشاملة تسعى إلى تحقيقها، أما إدارة الجودة الشاملة في حد ذاتها فلها أهداف جمة تسعى المنظمات لتحقيقها ولهذا كان لزاما على المنظمات معرفة كيفية إدارة هذه الأهداف في الاتجاه الصحيح وتنفيذها في الوقت المناسب، وعلى إدارة الشركة الاهتمام بالموازنة بين أهداف إدارة الجودة الشاملة وفق معيار الأهمية النسبية والعمل على علاج أوجه الضعف في المنظمة.

ويمكن تحديد أهم أهداف إدارة الجودة الشاملة كالآتي:

-يجب أن تمتاز جودة المنتجات بالاستقرار، وأن تكون أفضل ما يمكن بالنسبة للشركة.
-أن تمتلك الشركة أفضل القنوات لتوزيع المنتجات، بحيث تساهم بشكل سريع في تقديم خدمات ما بعد البيع وبما يتلاءم مع احتياجات المستهلك.
-أن تمتاز الشركة بالمرونة الدائمة والتكيف مع زيادة القدرة على إجراء التعديلات التي تحصل في بيئة عمليات الإنتاج من حيث حجم ونوع المتطلبات ووفقا لاحتياجات المستهلك .
-السعي باستمرار إلى تخفيض كلفة المنتج من خلال عمليات تحسين الجودة، وتخفيض العيوب في العمليات أو المنتجات التامة الصنع(قنديل، 2008، ص27).

ثانياً: الأداء الوظيفي functionality performance

حضي الأداء الوظيفي بأهمية فائقة من طرف العديد من الباحثين والدارسين في مجالات متعددة وقد أجمع المفكرون أن الاهتمام بأداء الفرد في المنظمة وإعطائه العناية اللازمة يصل بالمؤسسة إلى أسمى أهدافها، ومن تمّ تحقيق رسالتها.

1-2 مفهوم الأداء الوظيفي: الأداء الوظيفي هو قيام الفرد بالأنشطة والمهام المختلفة التي يتكون منها عمله، ويمكن قياس أداء الفرد بثلاثة أبعاد جزئية، وهي كمية الجهد المبذول، ونوعه، ونمط الأداء(عاشور، 2005، ص25).

2-2 مكونات الأداء الوظيفي:

المعرفة بمتطلبات الوظيفة: وهي معارف عامة ومهارات وكذلك خبرات يفترض توافرها.

نوعية العمل: بتحديد ماهيته وصفته سواء كان مكتبي أو فني.

كمية العمل: أي كمية العمل المراد إنجازها في الظروف العادية.

المثابرة: وتتحقق من خلال الدافع للعمل ودرجاته، الذي هو نتيجة تفاعل ثلاثة عوامل وهي: الظروف الجسمية و الصحية، والظروف المحيطة(آل الشيخ، 1414، ص21).

2-3 العوامل المؤثرة على الأداء: من أهم العوامل المؤثرة على الأداء ما يلي:

-غياب الأهداف المحددة.

- عدم مشاركة الفرد في الإدارة.

- مشكلات الرضا الوظيفي(بن زاف، 2015، ص65).

2-4 محددات الأداء: يرى "هلال" أن السلوك الإنساني هو المحدد للأداء الوظيفي، وهو محصلة التفاعل بين طبيعة الفرد ونشأته والموقف الذي يوجد فيه، والأداء لا يظهر نتيجة لقوى أو ضغوط نابعة من داخل الفرد نفسه فقط، ولكن نتيجة لعملية التفاعل والتوافق بين القوى الداخلية للفرد والقوى الخارجية المحيطة به."

ويوضح السلمي أن المقدرة والرغبة في العمل يتفاعلان معا في تحديد مستوى الأداء، أي أن تأثير المقدرة على العمل على مستوى الأداء يتوقف على درجة رغبة الشخص في العمل، وبالعكس فإن تأثير الرغبة في العمل على مستوى الأداء يتوقف على مدى مقدرة الشخص على القيام بالعمل، ويلخص ذلك من خلال المعادلة التالية:(بن مرزوق،2012)

الرغبة في x مستوى الأداء = المقدرة على العمل

2-5 تقييم الأداء: تعتبر عملية تقييم الأداء (Performance Evaluation) من العمليات الهامة التي تمارسها إدارة الموارد البشرية، وتهدف إلى إيجاد مناخ ملائم من الثقة بين الإدارة و الموظفين لرفع مستوى أدائهم واستثمار قدراتهم بما يساعدهم على التقدم و التطور، و تسهم في جعل العامل أكثر شعوراً بالمسؤولية، و بالعدالة، و بأن جميع جهوده المبذولة تأخذ بالحسبان من قبل المنظمة، و تدفع بالموظف للعمل باجتهاد وجدية و إخلاص ليكسب تقدير رؤسائه معنويا وماديا(الشمري، 2014، ص215).

و من منظور إستراتيجي، تسمح عملية التقييم للإدارة العامة بالتحقق من ملائمة مهارات الأفراد مع تطوير المهام التي تتطلبها قرارات المنظمة، واتخاذ التدابير اللازمة للحفاظ على التكييف وتنمية رأس المال البشري(Claude,2008,p 116).

الإطار الميداني للدراسة:

منهج الدراسة: استخدم الباحث في إطار إعداده لهذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقف عند حدود وصف الظاهرة و تحليلها بغية الكشف عن حيثياتها وتأكيد درجة وجودها و مستوى الارتباط بين متغيراتها.

عينة الدراسة: كما شملت عينة الدراسة الأساسية (65)عاملاً من كلا المؤسستين، من مؤسسة (SNVI) 36 عاملاً، ومن المؤسسة الثانية (SIMAP) 29 عاملاً، تم اختيارها عن طريقة العينة العشوائية البسيطة.

أداة الدراسة: تماشياً مع طبيعة الموضوع فقد تمَّ الاعتماد في هذه الدراسة على استبيان، باعتباره أداةً رئيسية في البحث العلمي، و قد قام الباحث بتصميمه بعد الاطلاع على أدبيات الموضوع، و النظر في الدراسات السابقة، والزيارات الاستطلاعية لميدان الدراسة، و قد اشتمل الاستبيان على ثلاثة أقسام، القسم الأول تناول البيانات الديمغرافية، والقسم الثاني والثالث تناول متغيرات الدراسة.

وقد كانت الإجابة لكل فقرة من الفقرات وفق مقياس ليكرت (**likert**) الخماسي المتدرج وهو كالتالي: موافق بشدة(**5**) ،موافق(**4**) ،متردد(**3**) ،غير موافق(**2**) ،غير موافق بشدة(**1**)

الخصائص السيكومترية لأداة الدراسة:

صدق الاستبيان: (**Validity**): اعتمد الباحث على نوعين أساسين من أنواع الصدق وهما الصدق الظاهري للأداة (صدق المحكمين) للتأكد من صدق الأداة، حيث عُرضت في صورتها الأولية على مجموعة من المحكمين وهم(06) أساتذة من كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة وهران2 الجزائر، والنوع الثاني هو صدق الاتساق الداخلي(**InternalValidity**) حيث قام الباحث باستخدام معامل الارتباط (**بيرسون**) لمعرفة الصدق الداخلي للاستبيان حيث تمّ حساب معامل الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات الاستبيان بالدرجة الكلية للأبعاد التي تنتمي إليه العبارة و بالدرجة الكلية للاستبيان.

ثبات الاستبيان (Reliability) بعد انتهاء الباحث من التأكد من صدق أداة الدراسة من خلال اعتماد معامل الارتباط(بيرسون)، والاستعانة ببرنامج Spss-20 كان لابد من التأكد من ثباتها، حيث استخدم في ذلك حساب التجزئة النصفية، وحساب معامل الثبات (ألفاكرونباخ).

حيث أظهرت نتائج حساب التجزئة النصفية أن معامل الارتباط بين الجزئين مرتفع حيث بلغ نسبة 0.859 وبعد التصحيح الارتباط بمعادلة (Spearman) بلغ 0.924، وهي نسبة تدل على أن الأداة (الاستبيان) يمكن الاعتماد عليها في تطبيق الدراسة الميدانية.

أما بما يخص معامل الثبات **ألفاكرونباخ**: (Cronbach's Alpha Coefficient) فقد أظهرت النتائج أن معامل الثبات الكلي يقدر بـــ (0.956) وهي قيمة مرتفعة جداً، وهذا إن دلَّ إنما يدل على أن الأداة تتمتع بدرجة ثبات عالية ومناسبة لقياس ما صممت لقياسه، وبناء عليه فهي تفي بأغراض الدراسة.

عرض نتائج الدراسة: بعد الانتهاء من الدراسة الأساسية واستفراغ البيانات وحسابها إحصائيا، مستعيناً ببرنامج الحزمة الإحصائية **SPSS** توصل الباحث إلى البيانات التالية الواضحة في الجدول:

نتائج العلاقة الارتباطية بين إستراتيجية التحسين المستمر والأداء الوظيفي.

المتغيرات الدراسة	معامل الارتباط R	ر الجدولية	مستوى الدلالة	درجة الحرية	أفراد العينة
التحسين المستمر Continuous- imp	0.633	0.273	0.05	63	65
الأداء الوظيفي performance					

وكما هو ملاحظ من خلال الجدول يتبين لنا أنه توجد علاقة ارتباطية قوية ودالة بين إستراتيجية التحسين المستمر والأداء الوظيفي، حيث أن قيمة (ر) المحسوبة تساوي 0,633 وقيمة (ر) الجدولية تساوي 0.273عند درجة الحرية (63) وعند مستوى الدلالة 0.05، وبما أن (ر) المحسوبية أكبر من(ر) الجدولية فإننا نقبل فرضية البحث البديلة ونرفض الفرض الصفري، وعليه نقول أنه توجد علاقة ارتباطية بين إستراتيجية التحسين المستمر والأداء الوظيفي.

تفسير ومناقشة النتائج: من خلال الدراسة تبين أن التحسين المستمر له علاقة دالة وقوية بالأداء الوظيفي تقدر بـ0,633 عند مستوى الدلالة 0.05= α، فهذا إن دلّ إنما يدل على أن التحسين المستمر منهجية فعالة وفلسفة إدارية رصينة ولهذا جعلتها إدارة الجودة الشاملة ووسيلة من وسائلها ومن أهم ممارساتها بل هي على رأس مبادئ الجودة الشاملة، فهي تهدف إلى العمل على تطوير العمليات والأنشطة المتعلقة بالآلات والمواد وأداء الأفراد وطرق الإنتاج بشكل مستمر, ولا نبالغ إن قلنا أن إستراتيجية التحسين المستمر هي الأصل في تحقيق النهضة الإدارية، فالمنظمات بكافة أنواعها وعلى اختلاف أهدافها تبقى دائماً بحاجة إلى التحسين المستمر كإستراتيجية تنظيمية في تطوير أدائها الوظيفي وأدائها المؤسساتي وأدائها المالي.

وفلسفة التحسين المستمر هي إحدى ركائز منهجية إدارة الجودة الشاملة والتي تحتاج إلى دعم الإدارة العليا وتشجيعها من خلال الحوافز المادية والمعنوية المناسبة بغية إرضاء العاملين وخلق الدافعية عندهم فإذا سلمنا أن هدف التحسين المستمر هو الوصول إلى الإتقان الكامل عن طريق استمرار التحسين في العمليات الإنتاجية للمنظمة فإن العاملون في المنظمة هم من يحملون على

عاتقهم هذه المسؤولية الكبيرة فكلما كان أداؤهم مرتفع ومتميز كان التحسين المستمر سائراً في تحقيق أهداف المنظمة.

ولهذا ظهر مصطلح مشهور في إدارة الجودة الشاملة ما يسمى بالكايزن(**kaisen**) وهي في الأصل التحسين في الأداءات في كل المجالات الإنتاجية والتسويقية والتمويلية والإدارية كما مر معنا، وتعتمد هذه الفلسفة على التسليم بأهمية العملاء (الداخلين والخارجين) وضرورة إرضائهم وإشباع رغباتهم.

وفي الأخير نقول أن أبعاد إدارة الجودة الشاملة وعلى رأسها إستراتيجية التحسن المستمر هي الأداة الرئيسية التي تؤدي إلى تطوير العمل في جانبيه النظري (التخطيط) والتطبيقي(الممارسات) كما تؤدي إلى تحسين الأداء وتعزيزه بما يحقق الربحية من خلال الخدمة والجودة في المنتجات، الأمر الذي يوفر النجاح ويقود إلى التقدم المادي والتكنولوجي والحضاري، ومن أجل هذا فإن دول العالم تهتم، بل وتتسابق نحو تطبيق المستحدث في مجال الجودة.

خاتمة الدراسة وتوصياتها:

ساهمت هذه الدراسة في توضيح بعض المفاهيم الإجرائية و الميدانية عن طبيعة إستراتيجية التحسين المستمر ومناهجه وممارساته وعلاقته بالأداء الوظيفي في المؤسسات التنظيمية، في ظل نظام إدارة الجودة الشاملة، وبناءً على النتائج التي توصلت إليه الدراسة فإنه يمكن تقديم التوصيات التالية:

-ضرورة إدراك المؤسسات أن إستراتيجية التحسين المستمر بكافة ممارساتها بعدًا هامًا من أبعاد إدارة الجودة لا يمكن إغفاله كآلية لرفع مستوى الأداء.
-تحسيس الموارد البشرية بثقافة التحسين المستمر وأهميتها وانعكاساتها على الفرد والمنظمة.
-دعم نقاط قوة الموظفين بفتح وتوفير مزيد من المساحات الإبداع والابتكار تحت راية ومظلة الجودة الشاملة.
-جعل الأداء الوظيفي من أهم الغايات التي تسعى المنظمة لتحسينها وتطويرها.
-وجوب الاهتمام بعملية التحسين المستمر كونها أحد العوامل والمحددات التي تستخدم في تطوير المنظمات لاسيما إذا استخدم في دعم وتنمية الأداء الوظيفي للموظفين.
-ضرورة تعزيز الوعي والحس لدى جميع العاملين سواء كانوا إداريين أو منفذين أو مسيرين بأهمية إدارة الجودة الشاملة لاسيما عملية التحسين المستمر باعتبارها وسيلة أساسية لتحقيق متطلبات أي منظمة تسعى إلى المنافسة.
-ضرورة التزام المنظمة بتبني مبادئ التحسين المستمر التي مرت معنا في الجانب النظر، وتطبيق المنهجية اليابانية **kaisen**.

-ضرورة إعادة النظر في تصميم المناهج والبرامج والخطط والتقنيات المتعلقة بالتحسين والتطوير.
-يجب أن يكون لدى المنظمة سياسات وإجراءات واضحة ومقننة من أجل تسهيل العمليات الإدارية، وعلى رأسها عملية تقييم الأداء بشكل دوري منتظم.

قائمة المراجع:

1.اتش جاكسون براون وروتشيل.(2019). مميز بالأصفر، مقرر مختصر في العيش بحكمة: ترجمة ترجمة مكتبة جرير،السعودية، دار جرير للنشر والتوزيع.

2.ملوك منصف.(2010). أثر إشهاد الجودة على المؤسسات الجزائرية حالة المواصفة، iso9000، رسالة ماجستير، جامعة فرحة عباس سطيف.
3.وليد، حسين.(2015). اعتماد التحسين المستمر كمسار لتطوير رأس المال الاجتماعي، مجلة العلوم الاقتصادية بغداد، العدد421،46-444.
4.علاء، جاسم سليمان.(2014). استعمال تقنية التحسين المستمر في تطوير أداء المنظمة، بالتطبيق على بنك سبا الإسلامي، مجلة العلوم الاقتصادية، بغداد279،41-296.
5.جيمس ماكريث، بوب بايتس.(2015). الكتاب الصغير لنظريات الإدارة الكبيرة و كيفية استخدامها، ترجمة مكتبة جرير، السعودية: دار جرير للنشر والتوزيع.
6.سملالي، يحظية.(2003). إدارة الجودة الشاملة: مدخل لتطوير الميزة التنافسية للمؤسسة الاقتصادية، بحث مقدم للملتقى الوطني بجامعة ورقلة، حول المؤسسة الاقتصادية الجزائرية.
7.قصير بن عودة.(2020). منظومة الحوافز وعلاقتها بتعزيز عملية التحسين المستمر، مجلة جيل للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد64، 19-36.
8.مدحت محمد أبو النظر.(2015). إدارة الجودة الشاملة إستراتيجية الكايزن اليابانية في تطوير المنظمات، المجموعة العربية للتدريب، القاهرة.
9.إبراهيم، توفيق.(2010). قصتي مع الكايزن، مجلة عالم الجودة.
10.قصير، بن عودة.(2018). إستراتيجيات إدارة الموارد البشرية وعلاقتها بتعزيز إدارة الجودة الشاملة،أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بن احمد وهران2،الجزائر.
11.السلمي، علي.(2000). إدارة الجودة الشاملة ومتطلبات التأهل للآيزو، القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
12.جابر، عبد الحميد.(2003). الذكاءات المتعددة(الفهم تنمية وتعميق)، القاهرة، دار الفكر العربي.
13.عبد الرحمان، توفيق.(2011). الجودة الشاملة: الدليل المتكامل للمفاهيم والأدوات، مصر، مركز الخبرات المهنية للإدارة، إصدار بيمك.
14.جيمس ماكريث، بوب بايتس.(2015).الكتاب الصغير لنظريات الإدارة الكبيرة و كيفية استخدامها، ترجمة مكتبة جرير، السعودية.

15.محمود، عبد الفتاح رضوان.(2012). إدارة الجودة الشاملة: فكر وفلسفة قبل أن يكون تطبيق، القاهرة : الناشر المجموعة العربية للتدريب والنشر.
16.سعيد بن حمود الزهراني.(2010). سيجما ستة، مجلة عالم الجودة،العدد01.
17.خضير،كاضم محمود.(2016). إدارة الجودة الشاملة، عمان: دار المسيرة للطباعة والنشر.
18.باسل فارس، قنديل.(2008). أثر تطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة على السياسات التنافسية في المنشآت القطاع الصحي، رسالة لنيل شهادة الماجستير، كلية التجارة غزة ، فلسطين.
19.جمال الدين، لعويسات.(2005). إدارة الجودة الشاملة، بوزريعة، الجزائر العاصمة: دار هومة للنشر والتوزيع.
20.عاشور أحمد صقر.(2005).السلوك الإنساني في المنظمات، الإسكندرية، مصر، دار المعرفة الجامعية.
21.آل الشيخ عبد الملك.(1414ه). المعوقات التنظيمية والسلوكية التي تؤثر على أداء العاملين، رسالة ماجيستر، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية.
22.جميلة بن زاف.(2015). العلاقات الإنسانية وأثرها على الأداء، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد21.
23.عبد الكريم بن مرزوق.(2012). الأداء الوظيفي، وجدة، موقع العمران، الشروق، .http://www.oujdacity.net/national-article)
24.الشمري عذال بن مطر.(2014). العوامل المؤثرة في نظام تقييم أداء العاملين، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية،العدد38.
25.Christian.(2013).:LaQualité, itcic édition, Blida, Alger.
26.Barton, J. A. &Marson, D. B.(1991).:Service Quality: an Introduction Province of Pritish, Pup; Ication , Columbia,.
27.Adeoti, J. O:.(2003).The Impact of total Quality Management on Banks Performance in Nigeria:Advances in Management" Vol. 3,79-85.
28.Claude, Blanche.A.(2008).:Gestion des ressources humaines:Valeur de l’immatériel ,Bruxelles :G.De Boeck .
29.Park, Sung H.(2003).Six Sigma for Quality and Promotion, Asian Productivity Organization.

إستراتيجية التنمية المستدامة بالمجالات الهامشية الجبلية : جماعة رأس القصر بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي نموذجا

محمد حق[1]، محمد شوقي[2]

[1]باحث في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله_ فاس-المغرب

[2] أستاذ باحث بشعبة الجغرافيا كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس سايس ، مختبر التراب والتراث والتاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس-المغرب

ملخص: تهدف الإستراتيجية التنموية إلى الرفع من القدرة التنافسية لبعض المجالات التي ظلت مهمشة كالجماعة الترابية رأس القصر بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، وذلك عن طريق تنمية مواردها الترابية وتحسين ظروف العيش بها، رغبة في تقليل الفوارق بين المجالات الجغرافية داخل هذه المنطقة وفيما بين فئات المجتمع؛ شريطة أن يتماشى الرفع من المستوى الإنتاجي مع الاستدامة التي لا يمكن أن تتحقق إلا بحضور البعدين الاجتماعي والبيئي.

إن الاستدامة تشمل أبعاداً متعددة، ضمنها البعد الاقتصادي الذي يتمثل في النماء والإنتاج؛ وهو هدف صار صعب التحقيق من دون الجمع بين تشجيع هام للاستثمار الخاص،مع مراعاة استمرار حضور قوي للدولة. وضمنها أيضا يحتل البعد الاجتماعي موقعاً أساسياً، لأن التقليل من الفوارق الاجتماعية يضمن تحقيق التوافق والتعاضد. كما أن البعد الثقافي ضمان للتنوع. أما تطوير الموارد الطبيعية والحد من استهلاكها المفرط والحفاظ على الأوساط البيئية وعلى التنوع الايكولوجي فهي أبعاد أساسية لضمان النشاط البشري بشكل متوازن ومندمج على جميع المستويات في إطار منظور من العدالة بين الأجيال الحالية والمستقبلية.

الكلمات المفتاحية: الإستراتيجية التنموية، الجماعة الترابية رأس القصر، الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، الموارد الترابية- العدالة بين الأجيال.

The sustainable development strategy in marginalized mountainous areas, case of the Ras Laksar commune in the northern eastern Middle Atlas

Abstract : The Development Strategy aims to increase the competitiveness of certain still marginalized areas, such as the Territorial Commune, Ras Laksar in the Northern Eastern Middle Atlas, by

developing their territorial resources and improving the living conditions of their population, in order to reduce the disparities between the geographic areas of the region and social categories. Productivity improvement must be compatible with sustainability, which can only be achieved in the presence of social and environmental dimensions, by developing their territorial resources and improving the living conditions of their population, in order to reduce the disparities between the geographical areas of the region and the social categories. Productivity improvement must be compatible with sustainability, which can only be achieved in the presence of social and environmental dimensions.

Sustainability and continuity have several dimensions. This is essentially an economic dimension of development and production, an objective which is difficult to achieve without significant encouragement for private investment, given the strong presence of the state. the social dimension is a key element, because the reduction of social inequalities ensures compatibility and synergy, the cultural dimension guarantees diversity. the development of natural resources, the reduction of their excessive consumption and the preservation of the environment and biological diversity are essential to ensure a balanced and integrated human activity at all levels in a perspective of equity between current generations,and future.

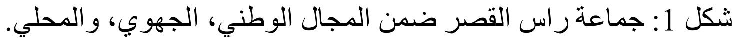
Keywords: Development strategy - territorial commune of Ras Laksar - the Northern Eastern Middle Atlas - territorial resources - intergenerational justice.

مقدمة

اعتبارا لالتزامات المغرب ومساهماته في المجهوذات المبذولة في مجال البيئة والتنمية المستدامة إلى جانب المجتمع الدولي. فقد اتخذ شعار الحفاظ على موارده الترابية بتبني التنمية المستدامة كخيار استراتيجي في إطار مقاربة ترابية شمولية. ويتجلى ذلك في التركيز على تنويع الأنشطة الاقتصادية عامة، والتكيف مع ظروف الوسط الطبيعي والمحيط الثقافي للسكان وإعطاء أهمية خاصة لمقومات الهوية المحلية من عادات وتقاليد وقيم وأعراف ومهارات وكذا للخصوصيات المحلية الفريدة من غابات ووحيش ومنتوج حرفي أصيل... لكون هذه الموارد الترابية من شأن تعبئتها بفعالية أن يسهم في تفعيل دينامية التنمية المحلية المستدامة.

تقع الجماعة الترابية رأس القصر داخل المنظومة المجالية للأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، ضمن جهة–الشرق (شكل 1). فهي تمتد على مساحة 549 كلم^2، بساكنة مهمة يطغى عليها فئة الشباب بلغت 11308 نسمة ، حسب إحصاء 2004. يتشكلون من قبيلتين هما :قبيلة أهل تايدة وقبيلة ايت جلداسن . أغلب السكان يتكلمون اللغة الأمازيغية. ويعتمد السكان على الزراعة المعاشية وتربية الماشية. رغم أن المساحة الصالحة للزراعة لا تمثل سوى 5102 هكتار أي بنسبة 9.57%، ومعظم هده المساحة بورية بحوالي 3591 هكتار أي بنسبة 70.38% من المساحة الصالحة للزراعة. بينما يصل عدد رؤوس الماشية في الجماعة إلى 27400 رأس(التصميم الجماعي للتنمية لجماعة رأس القصر، 2015).

شكل 1: جماعة راس القصر ضمن المجال الوطني، الجهوي، والمحلي.



المصدر: خريطة المغرب بتصرف

تزخر هذه الجماعة بموارد ترابية قل نظيرها، منها ما هو طبيعي ويتمظهر في البنية الجيولوجية التي أفرزت تنوعا على مستوى التضاريس، ونوعية التربة وطبيعة المناخ السائد. هذه العوامل جعلت المنطقة تتوفر على موارد مائية مهمة إما جوفية أو سطحية على شكل عيون أو وديان دائمة الجريان (واد البارد، واد زبزيط). وفرة الموارد المائية أفرز بدوره ثروة غابوية متنوعة من حيث الأصناف والتشكيلات النباتية وكذا الوحيش.

بالإضافة إلى الموارد الطبيعية السالفة الذكر، هناك موارد لا تقل أهمية عن الأولى تتجلى في التراث الثقافي والتاريخي الذي يعبر عن الذاكرة التي تشكلت لدينا عن الحقب الماضية

(ثقافية، مهارات وأساليب العيش، سكن قروي...).هذه الموارد تجعلنا نطرح مجموعة من التساؤلات حول هذا المجال الهامشي بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي.

إشكالية الدراسة

تزخر الجماعة الترابية رأس القصر المتمركزة بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي بموارد طبيعية وبشرية مهمة، إلا انها تعرف تأخرا واضحا فيما يتعلق بالتنمية المستدامة، نتيجة عدة عوامل نذكر منها : الضغط المكثف على الموارد الطبيعية (الغابة، الماء، التربة...) مما سبب تراجعا مهولا لهذه الموارد ، في ظل غياب موارد بديلة وفشل تدخل الدولة بالمنطقة. فما هي أهم الموارد الترابية بالجماعة القروية راس القصر ؟

- ما هي الإكراهات الطبيعية، البشرية والبيئية في هذا المحيط عندما تطرح مسألة الاستدامة في التنمية وتوازنها الجهوي و المحلي ؟ لأن بعض دواوير الجماعة تعيش مشكل العزلة وبدرجات متفاوتة، وهي في حاجة إلى الطرق والماء الشروب والكهرباء،كما تعرف نقصا واضحا في التجهيزات الاجتماعية.

فروض الدراسة

سننطلق في مقاربتنا لهذا الموضوع من الفرضيات الأساسية التالية :

-توفر المنطقة على رصيد غني ومتنوع من الموارد الترابية التي تشكل عنصرا إيجابيا بالنسبة للتنمية، من شأن تعبئتها بالفعالية والنجاعة في إطار أشكال جديدة من التنظيم والإنتاج، أن تساهم في النهوض بتنمية المنطقة.

-إنطلاقا من ضمان انخراط كل الفاعلين المحليين والمتدخلين المعنيين بالمسألة التنموية بالمنطقة، وذلك من خلال حسن تدبيرهم لإمكانات المجال الترابي وفق آليات ومقاربات جديدة، أساسها إدماج الساكنة المحلية في مسلسل بناء التنمية المحلية، يمكن تحقيق التنمية المستدامة بالمنطقة.

منهجية الدراسة

لقد اعتمدنا في إنجاز هذه الدراسة على مجموعة من الدراسات، و التقارير التي لها علاقة بالموضوع وكذا الإطلاع على مجموعة من الوثائق الإدارية كالتصميم المحلي للتنمية الخاص بالجماعة، بغية الإجابة على الإشكالية المطروحة وتفنيد الفروض أو تأكيدها، حيث تم تحليل المعلومات وتمثيلها بيانيا وطبوغرافيا، وإدراج مجموعة من الصور حول بعض الظواهر المجالية المتعلقة بإشكالية العمل بإتباع منهجية عمل وتصميم واضح المعالم ، معتمدين في ذلك على وسائل بحث متعددة.

وسائل الدراسة

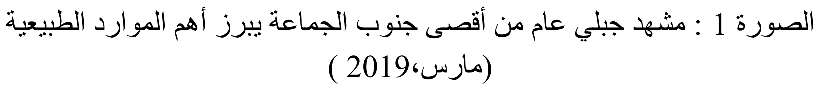
اعتمدنا في تهيئة هذه الدراسة على وسائل بحث متنوعة كالإحصائيات الرقمية والتصاميم المعتمدة من طرف الجهات الرسمية، وكذا اعتماد برامج معلوماتية لإنجاز البيانات كبرنامج EXCEL وبرنامج لإنجاز الخرائط *ArcGIS*.

1.تشخيص الموارد الترابية بجماعة رأس القصر

يقصد بالموارد الترابية **Les ressources territoriales** كل الأشياء المادية الملموسة التي توجد بمجال معين، والتي هي نتاج لتاريخ طويل وتراكمات سابقة في أساليب الاستغلال، بل ويشمل حتى الأشياء غير المادية والتي تتجلى في نوع التنظيم الاجتماعي المحلي. ومن هذا المنطلق يمكن أن نؤكد على أن الموارد الترابية هي متعددة ويمكن تقسيمها إلى موارد نوعية **Ressources génériques** وموارد خاصة **Ressources spécifiques** . كما يمكن تصنيفها حسب أصلها إلى موارد طبيعية (مورد مائي، مورد غابوي، مورد التربة، مورد معدني...) أو هي نتيجة لسلوكات ثقافية ومهارات مجتمعية (هندسة معمارية حضرية وقروية، صناعة تقليدية، ثقافة شعبية...) أو تحويل لموارد طبيعية وجعلها موارد ترابية (صناعات فلاحية ـ غذائية، صناعات خشبية، صناعة الرخام....) أو موارد تراثية (آثار، أسواق قروية أسبوعية ، مواسم دينية...) ، (الخزان بوشتى، 2011). حيث تضم جماعة رأس القصر العديد من الموارد الترابية تختلف من حيث كميتها ونوعيتها من أهمها: الموارد الطبيعية، وموارد التراث التاريخي و الثقافي.

1.1. الجماعة الترابية رأس القصر مجال هامشيي بموارد طبيعية متنوعة وجب الحفاظ عليها لضمان استمراريتها

تتوفر الجماعة على وحدات تضاريسية متميزة منها : الجبال والتي تغطي 62,94 % من مجموع مساحة الجماعة و السهول و الهضاب بنسبة 06, 37 %، إذ تعتبر الجبال من أهم التضاريس حيت يبلغ ارتفاع جبل تايدة 1500 متر، أما جبل إغفكر فيبلغ ارتفاعه 1300 متر، هذا النوع من التضاريس أفرز مناخ ذو طابع متوسطي ، مما جعل المنطقة تحظى بغابات شاسعة وتربة متنوعة ومياه وافرة عذبة منها السطحية (واد البارد، واد زبزيط) والجوفية، مما شجع على تواجد نسبة مهمة من الوحيش.



الصورة 1 : مشهد جبلي عام من أقصى جنوب الجماعة يبرز أهم الموارد الطبيعية (مارس،2019)



رغم تنوع الموارد الطبيعية، إلا أنها أصبحت في السنوات الأخيرة تعرف تدنيا خطيرا لما تتعرض له من استغلال مفرط من طرف الساكنة المحلية، من اجتثاث للغابات الذي سبب بشكل مباشر في تراجع موارد أخرى ذات ارتباط وثيق بهذا المورد الحيوي كالوحيش بكل أنواعه، وكذا انجراف التربة. كما أن الموارد المائية أصبحت مهددة بالتلوث وإن كان ضئيلا في هذه المرحلة إلا أنه يرتقب أن يتضاعف.

يعد الحفاظ على الموارد الطبيعية في صميم أولويات التنمية المستدامة؛ فأي مقاربة تنموية لا تراعي أحقية الجيل القادم في الاستفادة من الموارد الطبيعية شأنه في ذلك شأن الجيل الحاضر، تعتبر مرفوضة مهما حققت من نتائج مادامت لم تراعي البعد البيئي. لذلك يجب إدماج الجانب البيئي في المعادلة التنموية بجماعة رأس القصر خصوصا إذا ما تعلق الأمر بتنمية الموارد الطبيعية.

إن الاستنزاف القوي والتدهور البيئي الخطير الذي أصبحت تعاني منه الموارد الطبيعية بكل أصنافها على مستوى جماعة رأس القصر، يستلزم تبني برنامج للإعداد يوفق بين متطلبات التنمية من جهة، وشروط الحفاظ على التوازنات البيئية من جهة أخرى، كما يجب إشراك السكان بشكل أساسي إلى جانب المجتمع المدني والسلطات المحلية في أي مقاربة تنموية بالمنطقة. وهذا ما لن يتم إلا بتغيير سلوكيات ومواقف الأفراد تجاه هذا المحيط نحو الاتجاه الصحيح، بما يساعد على حماية الأحياء الفطرية، نباتية كانت أو حيوانية من أجل استمرارية التنوع البيولوجي الذي لا غنى عنه للحفاظ على مسيرة الحياة، بهدف تفادى الإضرار بها والعمل على حمايتها وصيانتها من خلال الحد من التلوث المائي والهوائي أو أي استغلال جائر لهذه الأحياء لتجنب تدهورها وانقراضها.

بالإضافة لهذه الموارد الطبيعية، تزخر المنطقة بموارد لا تقل أهمية عن سابقتها تتمثل في موارد التراث التاريخي-الثقافي.

2.1 موارد التراث التاريخي- الثقافي إضافة نوعية للموارد الترابية بالجماعة لابد من رد الاعتبار لها

أصبح التراث كمورد ترابي يحظى باهتمام متزايد في السنين الأخيرة نظرا للبعد التنموي الهام الذي يحمله ويتمثل داخل الجماعة في :السكن التقليدي ذو الخصوصيات المحلية، الصناعة التقليدية المتمثلة في صناعة النسيج المنزلي، ووجود أضرحة كضريح سيدي بيوسف وسيدي امبارك، وكذا الفلكلور الشعبي "أحيدوس".

الصورة 2 : نموذج للسكن القروي من دوار إيجلي بالجماعة (أبريل 2019)



إن التراث لا يختزل في بعده الجمالي أو الرمزي، وإنما له أيضا في بعده الاقتصادي. وتثمينا لما قلناه فإن مورد التراث التاريخي والثقافي بجماعة رأس القصر، لازال يعاني إجحافا كبيرا على أكثر من مستوى، فلا هو يحظى بالاهتمام اللازم على مستوى الترميم والمحافظة ولا هو يقع في صلب المخططات الاقتصادية أو التنموية، رغم كل ما تختزنه المنطقة. لذا يجب المحافظة عليه باعتباره جزءا من الهوية، وفي نفس الوقت تحقيق التنمية الاقتصادية انطلاقا منه بإدماجه في الحركية السياحية، وبالتالي توفير عائدات إضافية للمنطقة.

لقد أضحى تدبير التراث المعماري والثقافي في وقتنا المعاصر، من المواضيع المطروحة بحدة للنقاش والتداول. بحيث أننا أصبحنا في مواجهة أسئلة كبرى من قبيل هل المحافظة على النسيج التاريخي والعمراني وترميمه، يشكل عبئا على ميزانية الجماعات المحلية أو عاملا من عوامل التنمية الاقتصادية؟.

يتعلق الأمر في البداية بضرورة تجاوز ذلك التصور التقليدي الخاطئ للتراث، والمترسخ لدى المجتمع والفاعلين على حد سواء، والذي يربط التراث بمسائل ثانوية لا تتجاوز حدود الانفعال والتأثر التي لها علاقة بتزجية أوقات الفراغ، ومن ثمة الانتقال إلى مرحلة يؤمن فيها الجميع بأن التراث يمكن أن يشكل نشاطا اقتصاديا بامتياز. وقد راكمت الساكنة المحلية بالجماعة الترابية رأس القصر عبر تاريخها معارف محلية غنية أصيلة تشكل في حد ذاتها طاقات تنموية قوية يمكن تعبئتها لتفعيل دينامية التنمية المحلية. وهذا ما لن يتأتى إلا بـ:

-إدراج تراث المنطقة ضمن مسلسل التنمية وتوعية السكان بأهميته.

-تأسيس جمعيات للنهوض بالسكن التقليدي وتنميته.

-رد الاعتبار للسكن التقليدي عموما والإقامات المخزنية خصوصا تلك التي تؤرخ للفترة الاستعمارية .

-الاحتفاظ بمعاصر الزيتون التقليدية إلى جانب المعاصر العصرية.
-التدخل من طرف الجمعيات التفافية بالجماعة لرد الاعتبار للفلكلور الشعبي "أحيدوس" وخصوصا للشعراء لتشجيع هذا الموروث على البقاء والاستمرارية لكونه يمثل ثقافة الأجداد.
أصبح التراث التاريخي الثقافي في الآونة الأخيرة يلعب دورا مهما في النهوض بالقطاع السياحي على وجه الخصوص لما يمثله من جذب للزوار، غير أن الجماعة الترابية رأس لقصر تحاول جاهدة تنويع مصادر الدخل وذلك بتأهيل كل الموارد الترابية بشكل متواز لتحقيق قفزة نوعية نحو استدامة هذه الموارد.

2 . إستراتيجية تثمين وتأهيل الموارد الترابية من أجل تنمية مستدامة بالجماعة

تهدف الإستراتيجية التنموية بالجماعة الترابية رأس القصر بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي إلى الرفع من القدرة التنافسية لهذا المجال الذي ظل مهمشا، وذلك عن طريق تنمية موارده االترابية وتحسين ظروف العيش به، رغبة في تقليل الفوارق بين المجالات الجغرافية للمنطقة ومكونات المجتمع.وهذا ما لن يتأتى إلا باعتماد نظرة شمولية وإشراك السكان في التنمية.

1.2 اعتماد المقاربة التشاركية كأساس لتنمية القطاعات الاقتصادية

بدأ مفهوم التنمية التشاركية منذ الثمانينيات من القرن الماضي يحتل حيزاً هاماً في الأدبيات الدولية. وقاد نقد النماذج التنموية السائدة القائمة على برامج التقويم الهيكلي ذات البعد المالي الغالب إلى الوقوف على فشل سياسات مفروضة من أعلى، ليتبين أن الحق في التنمية يبدأ بحق كل شعب في اختيار نموذجه التنموي، مما يفرض تحديد السياسة العمومية في هذا المجال بناء على ديناميات داخلية وتعبئة شرائح المجتمع المعني. فعدم الأخذ بعين الاعتبار لأهداف الساكنة المحلية يدفع الناس للتعامل بفتور وأحياناً بتمرد على قرارات وخيارات الأجهزة المركزية، التي كثيراً ما اختارت التضحية بمصالح المنتجين من أجل مردودية حسابية مباشرة، مما عمق هوة الثقة بين الدولة والمنتجين المحليين. فلسفة المقاربة التشاركية تتمثل في تمكين المواطنين من صلاحية المبادرة والقرار في تحديد وتفعيل البرامج التي تهم مستقبلهم. هذا يعني أن تعترف الحكومات والمنظمات المعنية بالفلاحين والعمال كفاعلين في مسلسل التنمية، كشركاء وليسوا كموضوع فقط للعملية. لا تشارك إذن إلا في إطار علاقة شراكة وعلاقات تعاقدية بين الساكنة المعنية وباقي الفاعلين(مهاجر الفيلالي عزيز، 2013).
وفي ظل هذه المستجدات تم تأسيس عدة جمعيات بالجماعة القروية راس القصر للنهوض بالتنمية المحلية في جل الميادين من بينها القطاع الفلاحي.

1.1.2 دعم القطاع الفلاحي باعتباره أساسيا بالجماعة

يعتبر القطاع الفلاحي بمثابة النشاط الرئيسي لساكنة جماعة رأس القصر، لذلك يجب دعمه وتأهيله ليستجيب لحاجيات السكان لتحقيق الاكتفاء الذاتي، وذلك بالتركيز على القدرات والإمكانيات الطبيعية والبشرية مما يدعو إلى تبني سياسة تنموية قائمة على التشارك وتظافر الجهود من طرف كل المتدخلين بالقطاع وذلك بتوفير الدعم المالي للتنمية الفلاحية من خلال جلب الاستثمارات في المجال الزراعي، إرشاد الفلاحين وتوعيتهم ، تشجيع السقي وتوسيع

الأراضي المسقية ، إعادة النظر في البنية العقارية، تعزيز المنطقة بمغروسات جديدة، والعناية بقطاع الماشية.

وأمام هذا الوضع فالرفع من الإنتاج الزراعي يجب إدراجه ضمن إستراتيجية تنموية تكون غايتها قبل كل شيء الرفع من المردودية وتحسين وضعية المزارعين وذلك بتغيير سلوكهم عن طريق إدراجهم وإشراكهم في المسار التنموي، عبر إرشادهم طيلة الموسم الزراعي، وبإعداد برنامج الإرشاد والتوعية لهم، إضافة إلى ما يتوفرون عليه من خبرة نتيجة ممارستهم لهذا النشاط، ولاستغلال الأراضي الزراعية استغلالا أمثل وعقلاني، يجب إرشاد الفلاحين ودعمهم باستعمال وسائل عصرية في الاستغلال، وذلك بتقديم المعرفة الأساسية لهم بخصوص أنواع البذور المستعملة والملائمة للتربة بالمجال، وطرق الحرث وأوقاته حسب الظروف المناخية، وأنواع الأسمدة التي ينبغي استعمالها وكمياتها وأوقاتها، وكذا طرق تخزين المحاصيل الزراعية ونوعية الأدوية اللازمة لذلك، كما يجب بذل الجهود لنشر المكننة الزراعية بأسعار منخفضة. لكن هذه الإجراءات تبقى غير كافية مالم يتم توسيع الأراضي المسقية بالمنطقة. حيث تعرف هذه الأخيرة بالجماعة بضيق مجالها ومحدودية إنتشارها، بسبب ضعف تعبئة الموارد المائية. لذا قامت الدولة بشراكة مع بعض بلدان الاتحاد الأوروبي وبعض الجمعيات التنموية بالمنطقة بتشجيع السقي للرفع من الإنتاج الزراعي بالجماعة وذلك بإنجاز مجموعة من السواقي. حيث تم إنجاز 3 سواقي بكل من دواوير أولاد إدريس تغماتين، سيدي مبارك وتفراسين الغيران.كما يوضح ذلك الجدول 1.

جدول 1 : السواقي المنجزة بالجماعة

اسم الساقية	المساحة المسقية "بالهكتار"	طول الساقية "بالمتر"	تكلفة الإنجاز "بالدرهم"	تاريخ الإنجاز	التمويل
أولاد إدريس تغماتين	108	2957	2677679.90	من 2000/07/18 إلى 2003/3/28	- وزارة الفلاحة والصيد البحري 20%. - الوكالة الفرنسية للتنمية 70%. - جمعية مستعملي مياه السقي أمزاغرو 10%
سيدي مبارك	90	3000	1313246.00	من 2002/01/18 إلى 2003/10/21	- وزارة الفلاحة والصيد البحري 20% - الوكالة الفرنسية للتنمية 70%.

					- جمعية مستعملي مياه السقي 10%
تفراسين الغيران	90	2761.50	1280343.38	من 2007/11/16 إلى 2008/07/04	- وزارة الفلاحة والصيد البحري 20% - البنك الألماني للتنمية 70%. - جمعية مستعملي مياه السقي 10%

المصدر :المديرية الإقليمية للفلاحة بجرسيف، 2019

يتبين من خلال الجدول 1 أن عدد السواقي المنجزة غير كافية لعدم تغطيتها لكل الأراضي الصالحة للزراعة. كما أن تمويل هذه المشاريع السقوية غالبا ما يتم من طرف أبناك أوروبية في حين تبقى مساهمة الوزارة المعنية بالقطاع ضعيفة، لذا يجب إنجاز السواقي بشكل كامل بالمنطقة مع السدود لتجميع المياه هذا فيما يتعلق بالمناطق السقوية المتواجدة على طول وادي زبزيط ومللوا.

الصورة 3 : نموذج الساقية المنجزة بالمنطقة السقوية أمزاغرو وتغماتين (أبريل 2019).



أما في ما يخص الأراضي البورية فيجب على الجهات المعنية وضع برنامج السقي الصغير والمتوسط بجلب المياه من الوادين أو بمنح قروض على المدى البعيد للفلاحين لتشجيعهم على حفر الآبار واقتناء وسائل الري الحديثة، كما يجب إعادة النظر في البنية العقارية.إذتعتبر الملكية العقارية ركيزة تقوم عليها أغلبية المجتمعات الزراعية إلى يومنا هذا (بلفقيه محمد،

1988) ، فالزراعة تعاني بالمنطقة من صغر الملكيات وتفتتها، مما يشكل عائقا أمام تطوير التقنيات والأساليب الزراعية الحديثة، وانطلاقا من دور هذه الأخيرة في الرفع من المردودية فإنه أصبح من الضروري إعادة النظر في البنية العقارية، وذلك عن طريق ضم استغلاليات صغيرة في تعاونيات زراعية مع ضمان نصيب كل مساهم، ولتحقيق هذه الغاية لا بد من تحسيس وإقناع المزارعين بأهمية العمل الجماعي،ووضع تحفيزات مشجعة، كتسهيل المساطر الإدارية وإعادة النظر في بعض القوانين المنظمة للتعاونيات الفلاحية. وكذا التدخل الإستعجالي لإخراج الأراضي الجماعية من وضعية الجمود التي تعرفها. بالإضافة إلى الزراعة تتوفر الجماعة على ثروة حيوانية لا بأس بها، تساهم في إنعاش دخل المزارع، لكن القطاع يعاني بدوره من ضعف المردودية، مما يستدعي تدخل الجهات المسؤولة وتضافر الجهود بين كل الفاعلين، للنهوض بهذا القطاع وذلك عبر:

-هيكلة المراعي وصيانتها وتوسيع مساحتها عن طريق غرس شجيرات علفية من نوع الكروش وحمايتها من الرعي الجائر بتنظيم الرعي.

-الاعتناء بالقطعان عن طريق تحسين النسل، وإدخال أصناف جديدة ذات مردودية عالية كالنوع الهجن.

-تشجيع تربية الماشية داخل إسطبلات عصرية بالنسبة للأبقار، أو توسيع ذلك ليشمل الأغنام والماعز وتوفير الإرشادات اللازمة للمربين.

-إنشاء مراكز بيطرية بالجماعة لتقوم بدورها في العناية بالقطعان، حيث أن الجماعة لا تتوفر على أي مركز بيطري لحد الآن، مما يضطر المربين إلى التوجه إلى مدينة جرسيف. إذا سمحت لهم الظروف المادية لعلاج قطعانهم.

-تشجيع الزراعة العلفية كالفصة وغيرها لتوفير الكلأ للأبقار والأغنام ومختلف أنواع الماشية مع نهج سياسة تسمين الأبقار بتشجيع المربين على اقتناء المنتوجات العلفية المصنعة الخاصة بالتسمين، خصوصا بالنسبة للأبقار.

لن تتحقق هذه الخطوات إلا بتقديم قروض على المدى البعيد للمربين لتحفيزهم وتشجيعهم وذلك بغية الرفع من المر دودية في أفق تحقيق تنمية شاملة بالمنطقة وهذا لن يتحقق إلا بتنمية باقي القطاعات الاقتصادية الأخرى.

2.1.2 هيكلة البنيات التجارية والخدماتية

يتسم الإنتاج الفلاحي بالضعف نظرا لتأثره بالتقلبات المناخية وعدم قدرته على سد حاجيات السكان المحليين، لذلك فمن الضروري تشجيع الأنشطة الغير الفلاحية وخصوصا التي تتلاءم مع خصوصيات المنطقة كالتجارة، لسد الخصاص الناجم عن القطاع الفلاحي، والمساهمة ما أمكن في تنمية اقتصاد الجماعة. إلا أن القطاع التجاري بالمنطقة تطغى عليه سمة العشوائية في التدبير، مما يجعله غير قادر على المساهمة الفعالة في عملية التنمية المنشودة بالجماعة مما يستدعي التدخل في القطاع وذلك ب:

- توفير التجهيزات الأساسية واللائقة بمعظم الدكاكين ،كما يجب أن تخضع المواد الاستهلاكية للمراقبة سواء على مستوى الأسعار أو الجودة.

- توفير التجهيزات الضرورية من داخل السوق الأسبوعي لإثنين زبزيط وتنظيم مرافقه .
- تقليص الضرائب على التجار الصغار ومساعدتهم على تجهيز الدكاكين بالسلع والبضائع الضرورية.
- إصلاح الطرق والمسالك الرابطة بين السوق والدواوير المجاورة.

يجب تظافر جهود كل الفاعلين لتلعب التجارة دورها من داخل الجماعة وتساهم في تحقيق إقلاع إقتصادي إلى جانب باقي القطاعات. غير أن النهوض بالتنمية الشاملة يتطلب لا محالة تنمية الخدمات الاجتماعية والبنيات التحتية بالجماعة.

2.2 تنمية البنيات التحتية والخدمات الاجتماعية بالجماعة

تتسم الأرياف بتردي أوضاعها غالبا بافتقارها للبنيات التحتية الأساسية والتجهيزات السوسيو تربوية، مما يهدد مستقبل الساكنة القروية، وفي ذات الوقت الاقتصاد الوطني المرتكز أساسا على الفلاحة. كما تهدد الحواضر المغربية بالنظر إلى ما يفرزه هذا التدهور والتردي من تصاعد لوتيرة الهجرة نحوها وما يصاحب ذلك من مشاكل، الشيء الذي يلزم كل مقاربة يراد لها أن تتسم با لشمولية، بالإجابة على مجموع الإكراهات التي تفرضها ضرورة تحسين ظروف عيش ساكنة الأرياف وتوفير ماتحتاج إليه من حد أدنى من الخدمات الأساسية التي بإمكانها أن تكفل العيش الكريم وتليق بالإنسان (خلوق جمال ، 2009).

وتعد الجماعة الترابية رأس القصر من بين مناطق الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي التي تعرف تأخرا كبيرا في الخدمات الاجتماعية والبنيات التحتية. لذا يجب أن تتمحور التنمية حول الخدمات الاجتماعية والتجهيزات الأساسية كالنهوض بالتعليم ومحو الأمية، توفير الخدمات الصحية الأساسية، دعم العمل الجمعوي، فك العزلة عن المناطق النائية، توفير الماء الصالح للشرب، الكهرباء، وتحسين ظروف حياة المواطن القروي.

تعتبر الشبكة الطرقية شرطا أساسيا لتحقيق أية قفزة تنموية في كل المجالات إلا أن العزلة والتهميش تعتبر من المشاكل التي عانت منها ولا تزال معظم التجمعات السكنية بالمجال الريفي المحلي لجماعة رأس القصر، فباستثناء الطريق الإقليمية رقم 5430 الرابطة بين تادرت و راس لقصر على طول 54 كلم، فان الجماعة تعرف بعض النقص فيما يتعلق بتعبيد بعض الطرق.

و لحل هده المعضلة وتدارك هذا النقص الحاصل في الطرق المعبدة ، فإن وزارة التجهيز قامت بتهيء مجموعة من الطرق الإقليمية، كتهيء الطريق الرابطة بين تادرت و راس القصر(بلفرح)، وبناء الطريق الإقليمية الرابطة بين جماعة مغراوة و رأس القصر . إلا أن هذه المجهودات تبقى غير كافية ما لم يتم فك العزلة عن جل الدواوير خصوصا المتمركزة جنوب الجماعة وذلك ب :

- تهيئة المسلك الطرقي الرابط بين دوار تامست و دوار أيت رحمون.
- فك العزلة على دواوير الصور وسيدي امبارك ببناء منشئة فنية على واد مللو بالمقطع المسمى افران.

-فك العزلة على دواوير تغزوت تغزة و تشتوين وذلك بإتمام المسلك الطرقي الغابوي المنجز من طرف إدارة المياه و الغابات.
- إنجاز دراسة تقنية للطريق الرابطة بين اسميو الفقاني و دواوير تاغزوت تغزة و تاشتوين.
- ربط دوار مسكرات بالطريق الاقليمية مغراوة راس القصر.
يبقى الضعف الكبير في الشبكة الطرقية بمثابة حجر عثرة أمام أي مشروع تنموي بالمنطقة مما يفرض وبإلحاح التسريع بإنجاز كل الطرق بالجماعة لتفعيل باقي برامج التنمية.
أما بخصوص الخدمات الاجتماعية فالأرياف المغربية تعرف تأخرا كبيرا في المجال الصحي، فالتجهيزات الصحية لازالت ضعيفة وغير كافية فهي عاجزة عن تلبية الحاجيات الراهنة للسكان. لذا فمن الضروري إيجاد إستراتيجية تنموية تقتضي تجنيد الإمكانات المحلية وبلورتها في المجال الاجتماعي، وذلك بتوفير حد أدنى من التجهيزات الصحية عن طريق فتح المركز الصحي المغلق بدوار اسميو الفوقاني، وتجهيز المركز الصحي المفتوح حاليا والوحيد بدوار تشريفت بالتقنيات الضرورية من تجهيزات وأدوية وأطر طبية وممرضين. كما يجب تكثيف برامج التلقيح والتخطيط العائلي، ومراقبة الحمل وتحسين ظروف الولادة والقيام بحملات تحسيسية لتوعية السكان بمسببات الأمراض وأعراضها، وتوفير الأدوية اللازمة وبصفة عامة فهذه الإستراتيجية ترمي إلى استدراك التأخر المهول بجماعة رأس القصر وذلك بتوفير مؤسسة للعلاج لكل 5854 نسمة على الأقل عوض 11708 نسمة المسجلة حاليا.

أما بخصوص قطاع التعليم فلا يختلف اثنان حول أهمية التعليم و أولويته في أي نهضة حضارية ، إذ يعتبر نقطة البداية لأي مشروع مجتمعي يروم النهوض و الرقي بالأمة ، و هذا ما أثبتته التجارب البشرية على مر العصور،حيث أن الأمم التي اهتمت بالتربية و التعليم و أعطته الأولوية و الأهمية اللازمة هي التي تقود العالم وتوجه بوصلته في مختلف المجالات الحياتية السياسية و الاقتصادية و الثقافية و العلمية... (خالدي عبد الغني، 2013).
وأمام الوضعية المتدهورة التي يعيشها قطاع التعليم بجماعة رأس القصر من حيث ضعف التجهيزات والمرافق،أصبح من الواجب على المسؤولين وضع إستراتيجية متكاملة وعاجلة تهدف إلى :
- تعميم التعليم بكل دواوير المنطقة عن طريق الزيادة في عدد المدارس بمعدل مدرسة لكل دوار.
- ربط جل المدارس بالكهرباء والماء الصالح للشرب وتجهيزها بالصرف الصحي.
- دعم التلاميذ المعوزين ماديا لتشجيعهم على متابعة الدراسة بتزويدهم بالكتب والأدوات المدرسية.
- إحداث دور للسكن بالنسبة للمعلمين وتزويد المجموعات المدرسية بالكتب.
- تفعيل دور جمعيات أباء التلاميذ.
- تطبيق سياسة إجبارية التعليم بالنسبة للأطفال البالغين سن التمدرس .
- وضع برامج ومناهج المقررات الدراسية تتلاءم ومحيط عيش التلاميذ.

لا يتجادل اثنان الآن حول كون التعليم أصبح هاجس الحكومة والرأي العام على السواء وأضحى إصلاحه مطلبا وحاجة لا محيد عنها وضرورة قصوى للدفع بعجلة التنمية . وهذا ما لن يتأتى إلا بتظافر جهوذ عدة شركاء.

2. 3 تفعيل دور الجماعة والمجتمع المدني في التنمية مع مراعات توجهات النموذج التنموي الجديد

إذا كان مفهوم السياسات العامة يطلق على القرارات التي يتخذها مجموعة من الفاعلين المعروفين، بهدف تحقيق مصلحة عامة (العزاوي وصال نجيب، 2001) ، فإنه يستبعد أولئك الذين قد يعملون من أجل إخراج سياسة عامة إلى الوجود تخدم مصالحهم، من هنا تأتي أهمية التعرف على مختلف الفاعلين في التنمية المستدامة.

وقد يصبح من الطبيعي أن يختلف دور الفاعلين في التنمية من مجتمع محلي إلى آخر، وبالتالي يصعب وضع نموذج موحد يمكن تطبيقه على كل الدول **(Echakudi M, 2004)** ولعل هذا هو الدافع الأساسي الذي يفرض علينا الأخذ بذلك التقسيم الشائع والمعمول به في مجال السياسات العامة، من تقسيم مختلف المتدخلين في منظومة التنمية إلى فاعلين رسميين وآخرين غير رسميين.

ترتبط التنمية المحلية بالقوى السياسية المحلية في إطار المجال السياسي للجماعات المحلية، وينص الفصل 30 من ظهير 1976 المنظم للجماعات المحلية على أن المجلس يتداول ليضمن للجماعات كامل نموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي (الأسعد محمد، 1999).

وفي سياق اللامركزية التي نهجتها الدولة في السنوات الأخيرة تم منح بعض صلاحيات تدبير الشأن المحلي للمجالس المنتخبة، فأصبحت تتمتع بالشخصية القانونية التي تمكنها من مباشرة أوراش التنمية بما يتماشى مع التوجهات المركزية (السعيد رشيد وآخرون، 2009)، إلا أنه مع ذلك لم تتمكن هذه المجالس في كثير من الأحيان من كسب رهان التنمية المنشودة لعدد كبير من الأسباب يمكن إجمالها في وجود سلطة الرقابة وضعف المستوى التعليمي للمنتخبين، إضافة إلى تفشي بعض السلوكيات التي تحول هذه المؤسسات إلى أوكار للرشوة والاغتناء غير المشروع.

إن تحقيق أهداف وغايات التنمية لن يتم إلا بإتاحة الفرصة للمشاركة السياسية الواسعة للساكنة المحلية وخصوصا الشباب في تدبير ومراقبة الشأن المحلي بصورة تحقق التطور والانضباط الذاتي للجماعة في سيرورتها التنموية، كما يجب أن تتم تلك المشاركة في سياق ديمقراطي يرتكز على الحرية السياسية وعلى تعدد المتنافسين على المقاعد التي تؤهل الفائز بها على الإمساك بسلطة التقرير في أمور الجماعة المحلية لتدبير مرافقها بمساعدة من رجال السلطة المحلية.

كما أن الجماعة الترابية رأس القصر اليوم بحاجة إلى خلق مجتمع مدني فاعل وداعم بشكل قوي للتنمية المستدامة. وهو ما يبقى رهينا بتجاوز الاختلالات وذلك من خلال :

- وضع إطار قانوني خاص بمنظمات المجتمع المدني العاملة في حقل التنمية ينظم علاقاتها بالدولة وبالجماعات المحلية ويحدد ميادين تدخلها، ويضفي الشفافية على عملها.

- المراقبة الصارمة للمشاريع المنجزة من طرف هذه الجمعيات.
- تحفيز جمعيات المجتمع المدني على التعهد بالقضايا التي لا يمكن للمجالس القروية ولا للمصالح الإدارية مواجهتها بالنجاعة اللازمة.
- تأسيس جمعيات نسوية تهتم بقضايا المرأة وتقوم بإشراكها في التنمية.

خاتمة

إن الضامن الأساسي لنجاح خطط تنمية واستمرارية الموارد الترابية ككل، والموارد الطبيعية بشكل خاص، هو إشراك السكان المحليين باعتماد المقاربة التشاركية بشكل أساسي، حيث سيتم القطع بشكل نهائي مع السياسات الماضوية ذات التوجه العمودي، باستبدالها بسياسات تنموية ذات التوجه الأفقي تكون الكلمة الأولى فيها للسكان للتعبير عن حاجياتهم الأساسية وتطلعاتهم المستقبلية، وإبداء آرائهم واقتراحاتهم، والدفاع عن مصالحهم وحماية مكتسباتهم ومواردهم.كما أنها فرصة بالنسبة للنخب المحلية لإبراز قدراتها في تسيير الشأن المحلي، وتطوير آليات دعم الأنشطة الاقتصادية والارتقاء بها، والانخراط الإيجابي في تفعيل الحكامة الجيدة في بعدها المحلي.

فلا يجب النظر إلى المجالات الهامشية بنظرة احتقارية باعتبارها ضعيفة من حيث معدلات نموها، بل هناك مجالات تختزن ثروات هائلة ينقصها التثمين واتاحة الفرص لها للنهوض وركوب قطار التنمية الفعلية.

لذا فقد أصبح نهج إستراتيجية تنموية مستديمة بالجماعة القروية راس القصر ضرورة ملحة للرفع من الشأن المحلي وخلق ظروف ملائمة لحياة أفضل للسكان. وذلك عن طريق الاستغلال الأمثل والمعقلن لمختلف الموارد الترابية المتوفرة، خصوصا منها الموارد الطبيعية لذا يجب الحفاظ عليها وعدم استنزافها لما تلعبه من دورهام في تحقيق التوازن الإيكولوجي بالجماعة.

إن نجاح تنمية القطاعات الاقتصادية بالمنطقة رهين بالنهوض بكل القطاعات بشكل متوازي بإشراك السكان، مع الاهتمام بقطاع الفلاحة لكونه أساسيا في اقتصاد الجماعة، وإخراج قطاعات أخرى من الجمود الذي تعيش فيه.

وعموما فالوصول إلى تحقيق تنمية مستدامة بالجماعة القروية راس القصر، أمر يبدوا بعيد المنال، لكنه ليس مستحيلا إذا ما تم إنخراط الكل من الدولة بمؤسساتها، القطاع الخاص، جمعيات المجتمع المدني، بالإضافة إلى الساكنة المحلية.

قائمة المراجع:

1.الأسعد محمد (1999)، البيئة والتنمية القروية المستديمة بالمغرب : نماذج في جغرافية الأنظمة الريفية، مطبعة دار القرويين، الدار البيضاء.

2.الخزان بوشتى (2011)، التنمية الترابية بالمغرب : الرهانات، الاستراتيجيات والفاعلون، مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،عدد 13.

3.السعيد رشيد ولحرش كريم (2009)، الحكامة الجيدة بالمغرب ومتطلبات التنمية البشرية المستدامة ، عدد 6 ، طوب بريس، الرباط .

4.العزاوي وصال نجيب (2001)، السياسات العامة : حقل معرفي جديد، منشورات مركز الدراسات الدولية بجامعة بغداد، بغداد.

5.بلفقيه محمد (1988)، أوليات في الجغرافية الزراعية، منشورات الشركة المغربية للنشر والتوزيع (صومابرو)، الدار البيضاء.

6.خلوق جمال (2009)، التدبير الترابي بالمغرب : واقع الحال ومطلب التنمية. مكتبة الرشاد، سطات.

7.عبد الغني خالدي (2013)، التعليم في المغرب ... إلى أين ؟ ، 2013/01/2.

8.مهاجر الفيلالي عزيز(2013)، المقاربة التشاركية"، 2013/02/11.

9.التصميم الجماعي للتنمية لجماعة رأس القصر، 2015.

10.المديرية الإقليمية للفلاحة بجرسيف، 2019 .

11.Echakudi M(2004), De la gouvernance a la gouvernance local. Revue R.M.U.D, 19.

أطباء الجزائر يواجهون الجائحة بأيديهم

د. شايب سعاد، جامعة الجزائر 02- الجزائر

ملخص: يعرف العالم حاليا تغيرات ومشاكل كثيرة مسّت جميع الميادين الاجتماعية منها والاقتصادية والصحية نتيجة الجائحة التي تعرفها معظم الدول، والتي أجبرته على التعايش معها والتخلي عن بعض الامتيازات والحقوق والواجبات، كما أدت الى توحيد جهود علماء الطب في العالم لايجاد حل مناسب لها يقضي على الجائحة ويحسّن من المستوى الصّحي للشعوب وخاصة تلك المتضررة والتي تشهد أكبر نسبة للوفيات في العالم، ولكن بالرغم من ايجاد اللقاح المناسب من طرف بعض الدول إلا أن الوضع الصحي مازال متدهورا، ذلك لأن هذا اللقاح ليس في متناول جميع الدول والمجتمعات وأن الامكانيات تتفاوت من بلد الى آخر، وقد تتفاوت فرص الحصول عليه بين الشعوب والأفراد، وربما في المجتمع الواحد، لذلك نادت منظمة الصحة العالمية لمساعدة الدول الفقيرة للحصول عليه، اذ حاولنا في هذا المقال التعرف على نوع الفيروس وطرق تفاديه، وكذا التطرق الى بعض المشاكل التي يعاني منها الأطباء في العلاج والتعرف على القانون الجديد الذي ربما سيحميهم ضد التعنيف الذي يواجهونه يوميا، والحجر الصحي.

الكلمات المفتاحية: جائحة كورونا، المعدات والأدوات الطبية،الأطباء بالمستشفى، مواجهة الأطباء للجائحة، الحجر الصحي، اللقاح.

Algerian doctors face the Corona pandemic in their own hands

Dr. Chaib Souad, University of Algiers 02-Algeria

Abstract: The world is currently aware of many changes and problems that affected all social, economic and health fields as a result of the pandemic known to most countries, which forced it to coexist with it and give up some privileges, rights and duties, and led to the unification of the efforts of medical scientists in the world to find a solution It is suitable for it that eliminates the pandemic and improves the health level of the people, especially those affected and which witness the largest death rate in the world, but despite the finding of the appropriate vaccine by some countries, the health situation is still deteriorating, because this vaccine is not accessible to all Countries and societies and that the capabilities vary from one country to another, and the chances of obtaining it may vary

between peoples and individuals, and perhaps in one community, so the World Health Organization called for help in poor countries to obtain it, so we tried in this article to identify the type of virus and Ways of avoiding it, as well as addressing some of the problems that doctors face in treatment and getting acquainted with the new law that may protect them against the daily violence they face and quarantine.

Keywords: Corona pandemic, medical equipment and tools, hospital doctors, doctors facing the pandemic, quarantine, vaccination.

1.مقدمة:

تعد الصحة من أهم المواضيع الشائكة التي تجلب اهتمام الرأي العام في الدول المتطورة والسائرة في طريق النمو على حد سواء، كما تعد من أهم الانشغالات التي يسعى المسؤولين إلى توفيرها بشكل يتناسب ومتطلبات الأفراد، فالصحة هي حق كل الأفراد مهما اختلفت أعراقهم ووضعياتهم الاجتماعية، هي حق حرم منه العديد من الأفراد عبر العالم، أفراد تحت وطأة الحروب والجوع والمجاعات، أفراد يصارعون الموت من أجل الحياة، حياة بدون أمل ولا انصاف قد عاشوها بكرامة من قبل وفقدوها مع الوقت.

فحسب منظمة الصحة العالمية فان "الصحة هي حالة من اكتمال السلامة بدنيا و عقليا و اجتماعيا، لا مجرد انعدام المرض أو العجز"(منظمة الصحة العالمية)، وبالرغم من أن الانسان بتطوره وازدهاره توصل إلى القضاء على الكثير من الأمراض الوبائية التي كانت سائدة في المجتمعات القديمة بسبب الفقر والحرمان والجوع والجفاف، إلا أننا نلاحظ في السنوات الأخيرة عودة بعض الأمراض الوبائية في الجزائر كالكوليرا في سنة 2018 التي أدت الى وفاة شخصين وإصابة العشرات، ليظهر في أواخر سنة 2019 وباء كورونا المستجد " كوفيد -19 الذي كان مصدره الرئيسي مدينة ووهان الصينية، انتشر الوباء عبر العالم بسرعة مذهلة وأوقف العالم في بضع شهور من ظهوره وانتشاره، وأصبحت المدن تلقب بمدن الأشباح وذلك نظرا لقانون الحجر الصحي المفروض من طرف الدول التي تشهد ارتفاعا في عدد حالات الاصابة اليومية والوفاة، كايطاليا وأمريكا، الصين، فرنسا، ايران والكثير من الدول العربية والغربية، لذلك نحن نتساءل اذا كانت هذه الدول بتطورها وتمدنها وتفوقها الذي يمّس كل المجالات بما فيها الصحة قد أرهقته هذه الجائحة وجعلت منه مكتوف الأيدي أمام الضغط الذي تشهده المستشفيات من المرضى فما هو حال الجزائر الذي يشهد الكثير من المشاكل والأزمات خاصة الاقتصادية منها؟، وما هي حالة مستشفياته في ظل الازمة الصحية التي يشهدها العالم؟، وما مدى مواجهته للجائحة أمام نقص الإمكانيات والمواد الصيدلانية كالأقنعة الواقية والقفازات وآلات التنفس الاصطناعي؟

يواجه أطباء الجزائر والممرضون وكامل السلك الطبي الجائحة وكلهم رغبة وإصرار في انقاذ المصابين بأقل حالات وفاة، رغم الاكتظاظ الذي شهدته بعض الولايات في الآونة الأخيرة كولاية البليدة الجزائر وسطيف وفي المقابل النقص في مستلزمات العلاج، وكأنهم يواجهون الجائحة بأيديهم.

2.أهمية الطبيب في المجتمع:

تعتبر مهنة الطب من المهن العريقة التي يحلم بها الكبار والصغار على حد سواء، فالطبيب مكانته عالية في المجتمع وذلك نظرا لما يقدمه من خدمات للمريض فتزيد شعبيته ليس فقط بعدد الحالات التي تعافت باذن الله على يده.

ولكن كذلك بطريقة تعامله مع زبائنه المرضى وذويهم، أهميته في العادة يستوحيها من نظرة الآخرين إليه نظرة كلها احترام وتقدير وراحة، راحة يشعر بها المرضى بمجرد دخولهم الى قاعة العلاج، وشعور بالشفاء وكأنه يعالجه نفسيا، هذا يحدث معنا غالبا، فوجه الطبيب يجلب الشفاء للمرضى، وأهميته لا تنحصر فقط فيما سبق لأن الفرد المعافى صحيا وجسديا يستطيع مزاولة حياته الاجتماعية والمهنية كذلك بطريقة عادية، ولكن بمجرد حدوث خلل ولو بسيط في جسم الانسان ينعكس على حياته 180 درجة، فتتعطل دورة الحياة لذلك الفرد، وما تجلبه من انعكاسات اجتماعية واقتصادية وحتى نفسية على باقي أفراد عائلته من جهة وعلى باقي أفراد المجتمع حسب مكانته المهنية ودوره في المجتمع، وبذلك وكأن الطبيب يرجع التوازن الى الحياة الاجتماعية للأفراد وذلك بما يقدمه من علاج للمرضى.

3.المستشفيات كمكان للعلاج:

تعرّف الجمعية الأمريكية للمستشفيات المستشفى بأنه مؤسسة للرعاية الصحية تظم جهازا منضما من الأطباء والمهنيين ومرافق دائمة تشمل أسّرة للمرضى الداخليين وتقدم الخدمات الطبية والتمريضية وسائر الخدمات المتصلة بالصحة (سليم الحسنة، 1998، ص 9).

إذن فالمستشفى هو المكان الوحيد الذي يحقق الرعاية الصحية للأفراد المرضى بطريقة منتظمة ومدروسة مسبقا، وخاصة في حال انتشار الأوبئة والأمراض المعدية السائدة غالبا في البلدان النامية والفقيرة كالملاريا والجدري والكوليرا والتيفوييد وغيرها من الأمراض، وقد كانت الجزائر من بين الدول التي قضّت على مثل هذه الأمراض منذ زمن طويل، ليعود في سنة 2018 مرض الكوليرا والتي أدت الى وفاة شخصين وإصابة العشرات، ويشير تقرير منظمة الصحة العالمية في شهر فيفري 2018 الى أن " الكوليرا مازالت تشكل تهديدا عالميا للصحة العمومية ومؤشرا على انعدام المساواة وانعدام التنمية الاجتماعية"(منظمة الصحة العالمية،2021).

والواضح أن الأمراض المعدية ليست مرتبطة دائما بالمستوى الاجتماعي والمعيشي المتدني للأشخاص والدول، ففي نهاية سنة 2019 وبالتحديد شهر ديسمبر من نفس السنة ظهر بالصين

وباء شديد العدوى والخطورة، المسمى بفيروس كورونا المستجد "كوفيد 19"، وقد انتشر الفيروس عبر العالم بصفة مذهلة وحصد الملايين من الأرواح عبر العالم ومن بينهم أطباء وممرضون وعمال السلك الطبي، ولم يسلم الطبيب الصيني"لي وينليانغ" الذي اكتشف الفيروس وحذر منه، وقد أصيب به وتوفي في 7 فيفري 2020 ليلقى بعده العديد من الأطباء حذفهم جراء اصابتهم بالمرض عبر العالم.

استطاعت الصين رغم تفشي المرض بها بطريقة مذهلة ومتسارعة أن تتحكم فيه، وفي عدد الاصابات اليومية بالداء، وحدّت من سرعة انتشاره، كما قامت بمساعدة بعض الدول المحتاجة للمساعدة بفضل التجربة التي حصلت عليها كونها بؤرة الوباء في العالم، فعدد الحالات الكثيرة المكتشفة يوميا والضغط من طرف المرضى على المستشفيات من جهة وامتلاكها للإمكانيات والوسائل من جهة أخرى جعلها تبني مستشفى بكامل التجهيزات والمعدات المعقدة التي يحتاجها الأطباء لمزاولة العمل الطبي في ظرف 10 أيام فقط، ليعالج الكثير من المرضى فيه من دون تحقيق أي عجز في تلبية الطلب على العلاج من طرف المرضى، وتم التكفل بهم وتقديم الخدمة الصحية لهم بنجاح ومن دون شكاوي، إلا أن الجزائر رغم الكفاءات التي تمتلك ورغم الجهود التي مازالت لم تخرج للنور بعد لكنها مازالت بعيدة كل البعد عن مثل هذه الأعمال، وذلك ما جعلنا نتسائل عن نوع هذا الفيروس؟

4.تعريف فيروس كورونا المستجد "كوفيد 19" :

ان فيروسات كورونا هي زمرة واسعة من الفيروسات تشمل فيروسات يمكن أن تتسبب في مجموعة من الاعتلالات في النشر تتراوح ما بين نزلة البرد العادية وبين المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة، وقد تظهر علامات وأعراض "كوفيد 19" بعد يومين الى 14 يوم من التعرض له، وتسمى الفترة التالية للتعرض والسابقة لظهور الأعراض "فترة الحصانة" يمكن أن تتضمن العلامات والأعراض الشائعة ما يلي:الحمى، السعال، التعب، وقد تشمل أعراض"كوفيد 19" المبكرة فقدان حاستي الذوق والشّم (منظمة الصحة العالمية، 2020).

ان فيروسات كورونا هي سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان، ومن المعروف أن عددا من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حّدتها من نزلات البرد الشائعة الى الأمراض الأشّد وخاصة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية(ميرس) والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة(سارس) ويسبب فيروس كورونا المكتشف مؤخرا مرض "كوفيد 19" (منظمة الصحة العالمية، 2020).

ما هو مرض "كوفيد 19"؟

مرض "كوفيد 19" هو مرض معدي يسببه آخر فيروس تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا، ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس الجديد ومرضه قبل بدأ تفشيه في مدينة "ووهان" الصينية في كانون الأول /ديسمبر 2019 (منظمة الصحة العالمية، 2020).

والأمر الذي ساعد على تفشي الجائحة بطريقة متسارعة ورهيبة وحسب منظمة الصحة العالمية هو المخالطة اللصيقة لمرضى مصابين بعدوى "كوفيد 19" المؤكدة أو المشتبه فيها، و ملامسة البيئة المحيطة بهم هي الطرق الرئيسية لانتقال العدوى، مما يعني أن العاملين في مجال الرعاية الصحية هم الأكثر عرضة للإصابة بالعدوى، وذلك نظرا لاحتكاكهم الدائم بالمرضى، ويتعافى معظم الناس (نحو 80 بالمئة) من المرضى دون الحاجة الى علاج خاص، ولكن الأعراض تشتد لدى شخص واحد تقريبا من بين كل 5 أشخاص مصابين بمرض "كوفيد 19" فيعاني من صعوبة في التنفس، وتزداد مخاطر الاصابة بمضاعفات وخيمة بين المسنّين والأشخاص المصابين بمشاكل صحية أخرى مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب والرئة أو السكري أو السرطان.

و باعتبار أن الفيروس الذى يسبب "كوفيد 19" ينحدر من سلالة فيروسات تسمى الكورونا أو الفيروسات التّاجية فالمضادات الحيوية لا تأثير لها على الفيروس (منظمة الصحة العالمية، 2020)، لذلك صعب ايجاد اللقاح المناسب له الا بعد مرور تقريبا سنة من الجائحة، فأصيب ملايين الأفراد عبر العالم به وتوفي ما لا يقل عن المليون مريض، وفي انتظار ابتياع اللقاح المكتشف يبقى ضحايا الجائحة في تزايد مستمر بسرعة مذهلة، وتبقى بلدان العالم الثالث في انتظار نصيبها منه نضرا لغلاءه كون هذه البلدان تعاني من تداعيات جائحة كورونا ، وفي هذا الصدد نجد المدير العام لمنظمة الصحة العالمية "د.تيدروس أدهانوم غيبرييسوس" يقول "على الرغم من كل ما نبذله من جهود، لم ننجح بعد في حماية الفئات الأضعف" ولقد أشار أكثر من 1750 عالما وخبيرا من 128 دولة الى أهمية مضاعفة الجهود لاكتشاف وفهم المتغيرات الناشئة عن الفيروس المتسبب لمرض "كوفيد 19" وتأثيرها على التشخيص والعلاج واللقاح في وقت مبكر.

وما زاد من مخاوف الرأي العام العالمي هو تحوّر الفيروس الذي يرى الخبراء بأنه من الطبيعي أن يتحوّر لأنه كلما زاد فيروس "سارس- كوفيد- 2" بالانتقال كلما حصل على فرص أكثر للتغير، وتعني مستويات عالية من الانتقال أن علينا أن نتوقع تغيرات أكثر(منظمة الصحة العالمية، 2020)، ولقد ظهرت ثلاث سلالات متحوّرة جديدة في كل من انجلترة وجنوب افريقيا والبرازيل، والمطمئن في الأمر أنه رغم التحوّر فاللقاح يبقى فعّال.

اذن يظهر مما سبق بأن هذا الفيروس هو الأصعب على الاطلاق سواء من حيث سرعة تنقله وانتشاره أو من حيث غموضه، والجدير بالذكر أن هذا الفيروس قد سبب ارباكا كبيرا للعالم، الصغير والكبير فتوقفت الدراسة، وتوقفت الأنشطة الرياضية والثقافية والاقتصادية وتوقفت المطارات والسفر وأغلقت حدود البلدان، وفرض علينا نوع المرض عادات جديدة كعدم المصافحة والمعانقة والابتعاد الجسدي وارتداء الكمامة في الأماكن العمومية وغيرها من الأمور التي تحمينا من التقاط المرض، وبمجرد خطأ بسيط كالتهاون في الوقاية قد يصاب الأفراد بالعدوى، فالأطباء رغم الاحتياطات الشديدة التي يتخذونها في حماية أنفسهم من العدوى أثناء العمل الطبي إلا أنه يوجد عدد كبير من ضحايا العمل الطبي بالفيروس.

ان ما يعيشه العالم من ضغوطات جراء الجائحة هو الأصعب في تاريخ العالم الحديث على الاطلاق لأن أفراده اعتادوا على عيش الرفاهية، والجائحة فرضت عليهم نمط معين من المعيشة نمط مخالف لما اعتادوه، نمط حدّد من تنقلاتهم ومن عاداتهم الغذائية وطرق عملهم، أجبرهم على المكوث في البيت ومزاولة كل نشطاتهم من منازلهم عن بعد بواسطة النّت، العمل، الدراسة، العلاج، وحتى ممارسة الرياضة، وذلك ما أثر سلبيا على الأفراد نفسيا واقتصاديا واجتماعيا.

وبما أن الجزائر بلد سائر في طريق النمو نجده يعاني من مشاكل كبيرة في المجال الصحي، فنقص الامكانيات المادية والبشرية والبنى التحتية عائق كبير أمام الأطباء - الذين أصبحوا يسمون بالجيش الأبيض – لأداء عملهم، ففي ظل الظروف التي تعيشها الجزائر اقتصاديا جراء الجائحة بصفة عامة والقطاع الصحي بصفة خاصة هل يستطيع هؤلاء الاطباء الاستمرار بمزاولة عملهم والوصول الى الهدف المنشود وإنقاذ المرضى بأقل ضرر وبأقل حالات وفاة ؟.

5.أدوات عمل الطبيب:

ان مهنة الطب هي من أكثر التخصصات المعقدة والصعبة والتي تحتاج الى امكانيات مادية ومعنوية وبشرية لمزاولتها، فهي الأكثر افادة للمجتمع كونها تهتم بالبشرية، تنقذها من الموت وتساعدها لتتخطى مشاكلها الصحية، إنه الطب الذي يبقى دائما في البحث المتواصل لخدمة الإنسانية ويبقى الطب في تطور مستمر وذلك بفضل جهود الأطباء العلماء، فكلما ظهر مرض جديد إلا وتكاثفت الجهود لإيجاد الدواء المناسب، كما هو الحال في هذه الجائحة، وفي سبيل ذلك يستخدم الأطباء أدوات كثيرة ومعقدة ينبغي أن يتوافر عليها كل مستشفى، فهي أدوات تسهل عمل الطبيب وتساعد على فهم حالة المريض.

وبلدنا الجزائر نجده يعاني من ندرة في توافر الأجهزة والإمكانيات والمعدات الطبية، وقد كشفت هذه الجائحة وضعية مستشفياتنا المتدنية سواء من حيث البنى التحتية أو الإمكانيات المادية والمعنوية والأجهزة الطبية، وحتى وان توفرت فهي قديمة وبالية وكثيرة العطل، وهذا النقص في الإمكانيات ليس بسبب الجائحة وإنما كانت مستشفياتنا تعاني منه من قبل، وذلك رغم الاصلاحات التي شهدها القطاع، والتي كانت في الغالب فاشلة، فهياكل ومؤسسات المنظومة الصحية في الجزائر تعرف نوعا من لا توازن ولا استقرار، من جهة عدم تلائم القوانين الأساسية للمؤسسات الاستشفائية، هياكل تنظيمية غير ملائمة وغير موحدة، ومن جهة أخرى مستخدمون مثبطون وغير مبالون بسبب قوانين أساسية غير ملائمة، وظروف عمل نضام كفاءات متدهور، تكاليف ونفقات صحية في تزايد مستمر ومجتمع يطالب بجودة نوعية الخدمات الصحية(سعيدان رشيد بوهنة، 2014، ص 2).

وكما جاء في المادة 12: "تعمل الدولة على ضمان تجسيد الحق في الصحة كحق أساسي للانسان على كل المستويات، عبر انتشار القطاع العمومي لتغطية كامل التراب الوطني" (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2018، ص 5)، فالرعاية الصحية حق كل الأفراد

بدون تمييز لا في الأعراق ولا في المستوى الاجتماعي والاقتصادي لهم، ورغم كل ما تنفقه الدولة من أموال سنويا على القطاع الصحي إلا أنه مازال لا يلبي طلبات الأفراد ومازالت نوعية الخدمة الصحية المقدمة دون المستوى المطلوب، وخاصة فيما يخص بعض اجراءات العلاج التي يتطلبها نوع المرض مثل الأمراض السرطانية التي تحتاج الى التكفل من طرف المستشفى، فهي تشهد ضغط كبير على المصالح المخصصة لذلك، فيضطر المريض الى انتظار دوره في العلاج في الوقت الذي تزداد حالته الصحية تدهورا.

وفي ظل نقص المعدات والأدوات الطبية اللازمة لمزاولة المهنة يحاول الأطباء مزاولة مهنتهم بالمتوفر منها، فهم أطباء يواجهون المرض بأيديهم، ويزيد الخطر لديهم في الوقت الراهن مع جائحة كورونا، فلولا المساعدات الدولية والوطنية من جمعيات خيرية وأفراد لصعب الأمر أكثر على هؤلاء الأطباء فيما يخص النقص في أبسط أدوات العمل كالكمامات والقفازات التي يحمي بها أنفسهم من خطر العدوى، فكل يوم يواجه الأطباء وجميع السلك الطبي الموت والمرض، الخوف من العدوى والتعب والإرهاق بسبب الساعات الطويلة التي يقضونها مع المرضى بالمستشفى بؤرة الوباء.

فالبعض يخاف من الدخول الى منزله خشية نقل الوباء الى عائلته الصغيرة أو الكبيرة، والبعض الآخر من شدة التّعب وكثرة العمل يقضي أيامه و لياليه بالمستشفى لم يرى عائلته لعدة أيام وأسابيع، لذلك كان هناك نوع من التضامن من طرف بعض الأفراد تجاه هؤلاء الأطباء.

وقد يحّس الطبيب بنوع من العجز والانهيار ذلك لأنه لا يملك الوسائل والمعدات التي تسهل عليه العمل لمواجهة الجائحة وفي المقابل يرى المرضى أمامه يموتون وبأعداد كبيرة بدون أن يستطيع فعل شيء، هذا يؤثر على مشاعره كانسان من جهة وكطبيب من جهة أخرى، هو عاجز عن تقديم العلاج اللازم لتخفيف الألم أولا ثم علاجه لاحقا، فيرى نفسه مسؤولا عن ما يحدث للمريض، هذا الطبيب الذي يقع على عاتقه انقاذ المرضى من الموت ومداواتهم يرى نفسه يفقد المريض تلو الآخر وقد يكون هذا المريض أحد أقرباءه ما يزيد من شعوره بالانهيار والانحطاط والاحباط، وذلك ما يؤدي بنقص الأداء المهني لديه وقد يؤدي به الى الخطأ الطبي.

يعاني أطباء الجزائر من نقص في المعدات والأدوات والأجهزة الطبية التي تسهل عليهم العمل والتي تساعدهم في أثناء التكوين الطبي، وهذا النقص يؤثر كثيرا عليهم ويعرقلهم عن أداء عملهم الطبي على أحسن وجه، فيواجه كل من الطبيب والمريض مشاكل كثيرة وتعقيدات أخفها تحويل المريض الى مستشفى آخر، وبذلك يتعرضون الى الضغوطات من طرف أهل المريض وذلك ما يؤثر على أداءهم المهني، فهم يتكونون ويكسبون التجربة الطبية رغم الظروف الصعبة التي يمرون بها ابتداء من التكوين ثم فيما بعد العمل، وذلك يرجع الى كثرة المرضى الذين يعالجونهم يوميا وتنوع الحالات المرضية التي تزور المستشفى، فهي تزيد من خبرتهم المهنية بطريقة ايجابية.

ورغم هذا النقص وما ينجم عليه من مشاكل إلا أننا نجدهم يملكون الكفاءة المهنية والتأهيل المهني وينجحون في عملهم وفي علاج مرضاهم، فلماذا نجدهم ينجحون في المهجر وقد تكونوا بالمتوفر فقط من الإمكانيات، ربما ينقصهم التحفيز فقط، وقد يحققون المعجزات اذا ما توفر هذا التحفيز حتى ولم تتوفر الامكانيات.

غير أن البعض من أهل المرضى سببوا المشاكل لهؤلاء الأطباء فالخطر الذي يتعرضون اليه يوميا والتعب النفسي والجسدي والإرهاق لم يشفع لهم عند هذه الفئة من المجتمع، لأجل من يخاطر هذا الطبيب بحياته، أليس لراحة المريض وعلاجه؟ فبعدة مصالح ومستشفيات تم الاعتداء على الأطباء والسلك الطبي من قبل أهل المرضى، الأمر الذي أدى بالرئيس الى الأمر بفرض عقوبات على كل المعتدين على الأطباء و السلك الطبي بصفة عامة.

6. الاعتداءات التي يتعرض لها السلك الطبي:

ان الطبيب كغيره من العاملين من السلك الطبي يتعرض الى اعتداءات تصل أحيانا الى اعتداءات جسدية، والسبب الرئيسي لهذه الاعتداءات تكون في الغالب بسبب عدم توفر العلاج بالمؤسسة الاستشفائية العمومية، وذلك نظرا لعدم توفر الامكانيات البشرية والمادية والأدوية، وعدم الصبر على الانتظار للفحص بالدور من طرف المرضى، وكذا الجهل وعدم تفهم الأهل بأن امكانيات المؤسسة محدودة (شايب سعاد، 2017، ص 540).

وهناك اعتداءات خاصة بالإناث وأخرى خاصة بالذكور، فالإناث هن أكثر تعرضا الى الاعتداءات الشفهية كالسّب والشتم والبصق على الوجه، والذكور هم أكثر تعرضا الى الاعتداءات الجسدية كالضرب والاعتداء بالسلاح الأبيض والتعدي بالكلاب، وحتى محاولة الدهس بالسيارة، وكذا التهديد بالإيذاء وتمزيق الوصفة الطبية (شايب سعاد، 2017، ص 540).

فإذا كان الطبيب الجزائري يعاني من التعنيف من طرف البعض من أهل المرضى الى هذه الدرجة، فمن يحميه ويحمي حقوقه في ظل هذه الأوضاع ؟.

لقد تم اصدار قانون يتضمن تدابير قانونية لتوفير الحماية لجميع المستخدمين بالمؤسسات الصحية العامة والخاصة من الاعتداءات اللفضية والجسدية، وإجراءات عقابية ضد المتورطين في تخريب الاملاك العقارية والمنقولة لمؤسسات الصحة، كما يتضمن القانون عقوبات صارمة ضد المعتدين قد تصل الى السجن المؤبد في حال وفاة الضحية، بينما تتراوح عقوبة الحبس بين سنة واحدة وثلاث سنوات في حال الاعتداء اللفظي ومن ثلاث الى عشر سنوات في حال الاعتداء الجسدي، وعقوبة بالحبس من عامين الى عشرة أعوام في حال وجود تخريب للممتلكات العامة في المستشفيات(فتيحة زماموش، 2020)، فالمادة 27 تنص على أنه:"يجب على المرضى وكذا مرتفقي الصحة الالتزام بالاحترام والسلوك اللائق تجاه مهني الصحة، ولا يمكنهم في كل الظروف اللجوء الى العنف بأي شكل من الأشكال، أو ارتكاب أي فعل تخريب لأملاك هياكل ومؤسسات الصحة"، هذا القانون صدر في سنة 2018 هو ليس بالجديد ولكن لم يكن مطبق

بالرغم من الاعتداءات التي تعرضوا لها (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2018، ص 7).

وقد يحمي هذا القانون الجديد الذي أصدره السيد تبون الأطباء والسلك الطبي بما فيهم الشبه طبيين والممرضين من الاعتداءات التي كانوا يتعرضون لها من قبل الجائحة والتخريب الذي طال الممتلكات العامة في المستشفيات والمراكز الصحية، فذلك يحدث يوميا لأن غضب المرضى وذويهم يتدفق دائما على الأطباء، فلطالما عانوا من سوء المعاملة دون وجود قانون يحميهم ضد مثل هذه التصرفات.

7.المرضى المادة الخام لعمل الأطباء:

ان المرضى هم المادة الخام التي يعمل عليها الأطباء، فبفضل هؤلاء المرضى يتعلم الأطباء ويأخذون التجربة المهنية التي تزيد من مستواهم العلمي والمعرفي، وهم مصدر رزقهم، فكلما توصل الطبيب الى علاج ومداواة مريض من علة إلا وارتفعت معنوياته وبالتالي يزيد أداءه المهني، والفرد في حالة المرض يحس بضعف جسدي وآخر نفسي، الأمر الذي يحبط من عزيمته وقد يؤدي به الى اسقاط كل همّه وغضبه على الطبيب المداوي ويسبب له المشاكل، والضغط الذي يمارسه هؤلاء المرضى وذويهم ضد الأطباء والسلك الطبي يؤدي بهم الى نوع من القلق والتوتر الذي يؤدي بدوره الى الخطأ الطبي، ونوع من اليأس والاستسلام فيشعرون بالإحباط ونقص في المعنويات مما يؤثر على الأداء المهني لديهم، الأمر الذي يأزم العلاقة بينهم وبين المرضى وذويهم.

والطبيب لا يصبح طبيبا إلا اذا جمع بين التعليم الطبي النظري والملاحظة السريرية والملاحظة العلمية، وفي ذلك يقول"الفرابي" "فان الطبيب انما يصير معالجا كاملا بقوتين: احداهما القوة على الكليات والقوانين التي استفادها من كتب الطب والأخرى القوة التي تحصل له بطول المزاولة لأعمال الطب في المرضى والحركة فيها بطول التجربة والمشاهدة لأبدان الأشخاص، وبهذه القوة يمكن للطبيب أن يقدّر الأدوية والعلاج، فقراءة الكتب الطبية لا تكفي في أحكام صناعة الطب، كما يقول"الرازي" بل يحتاج مع ذلك الى مزاولة المرضى(أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان، 1993، ص 142).

ان الفرد في حالة المرض يتوقف عن أداء عمله ودوره في المجتمع، جزئيا أو كليا حسب درجة المرض ونوعه ولمدة زمنية تتفاوت هي الأخرى حسب هذا المرض، والطبيب هو الفرد الوحيد المؤهل لإعادة هذا الفرد الى حالته الصحية، وبالتالي الى عمله ودوره في الحياة، فهو اذن يرجع التوازن الى المجتمع، وعلاقتهما هي علاقة بناءة ومتكاملة لا يستطيع أحدهما الاستغناء عن الآخر، فالمريض سبيله الوحيد للشفاء هو الطبيب هذا الأخير الذي يعتبر المريض مادته الخام للتعلم والتكوين وكسب التجربة المهنية والقوت اليومي.

وفي ظل هذه الجائحة يعمل الأطباء جنبا الى جنب مع مرضى"كورونا- كوفيد-19" رغم خطورته وصعوبته، فهم مرة أخرى يعرضون أنفسهم للخطر وفي المقابل يكسبون التجربة المهنية، وإذا كان النقص في المعدات لأداء العمل في حالة الأمراض غير المعدية يعيق عن فهم المرض وعلاجه ويتعب الأطباء ويرهقهم فكيف يكون الحال بالنسبة للأمراض المعدية والتي تكون شديدة الخطورة ومميتة، وكيفية مواجهته في ظل النقص الشديد الذي تعاني منه مستشفياتنا في المعدات الطبية، وإذا كانت مستشفيات بعض الدول المتطورة تواجه صعوبة في مواجهة الجائحة وهي دول تملك كل الامكانيات المادية والبشرية والبنى التحتية وأهم شيء التكنولوجيا فكيف يكون الوضع بالنسبة للجزائر التي تعاني من أزمات متعددة ليس فقط على الصعيد الصحي؟

ان أكبر المستشفيات بالجزائر كمستشفى مصطفى باشا الجامعي يعاني من نقص ملحوظ في الآلات والمعدات الطبية اللازمة لعلاج المريض من جهة، والتي يستعملها الأطباء للتكوين والتدريب على المهنة من جهة أخرى، وان توفرت فان أغلبها معطل أو مهلهل من جراء كثرة الاستعمال، وأن هذا النقص يؤثر كثيرا على الطبيب ويعرقله عن أداء عمله الطبي على أحسن وجه، حيث يواجه كل من الطبيب والمريض مشاكل كثيرة وتعقيدات أخفها تحويل المريض الى مستشفى آخر، هذا بالنسبة للمريض أما بالنسبة للمشاكل التي تعود على الطبيب تعرضه للضغوطات من طرف أهل المريض، والسّب والشتم في حالة موت المريض أو تدهور حالته الصحية (شايب سعاد، 2007، ص 182) والمستشفى لا يعاني فقط من نقص الآلات و المعدات الطبية وانما حتى الأدوية هي الأخرى غير متوفرة بكمية كافية في النوع وأحيانا حتى العدد، وأن عند مواجهة الأطباء لمشكل نقص الأدوية أول حل يتخذونه هو تبديل الأدوية الازم توفرها بأدوية أخرى مساوية لها، تختلف فقط في درجة التركيز وأحيانا في التركيب كذلك (شايب سعاد، 2007، ص 183)، لذلك نجد أطباءنا يواجهون الجائحة بأيديهم يعملون بالمتوفر منها فقط.

ان هذه الجائحة غيّرت النمط المعيشي للأفراد، غيّرت عاداتهم وطرقهم في الحياة، فرضت عليهم وقت للدخول والخروج من منازلهم، حدّت من تحركاتهم، كما فرضت عليهم طرقا جديدة للتعلم والدراسة وحتى للعمل، فأصبحوا يزاولون معظم نشاطاتهم عن بعد، انّه الحجر الصحي لكامل الأفراد الأصحاء منهم والمرضى، هي طريقة جديدة للعيش حياة بمخاوف مستمرة من التقاط الفيروس والإصابة بالعدوى، هي مخاوف كل الأفراد ليس فقط الأطباء منهم أو السلك الطبي.

8.الحجر الصحي: ان هذا النوع من العلاج يدخل ضمن الوقاية من المرض، وهي ليست طريقة جديدة لمحاصرة الوباء، بل هي طريقة متداولة منذ القدم، حيث الرسول محمد صلى الله عليه و سلم كان يمنع الناس من الدخول الى البلدة المصابة بالطاعون، ومنع كذلك أهل تلك البلدة من الخروج منها، بل جعل الخروج منها كالفرار من الزحف، حيث قال"الفار من الطاعون كالفار من الزحف، و الصابر فيه كالصابر من الزحف"(حديث شريف)، ذلك لحماية الأفراد من العدوى، لأنه حتى الأصحاء في المدينة الموبوءة يمكن أن يكونوا حاملين للفيروس دون ظهور

عليهم أي علامات للمرض، فهم يحملون المرض دون أعراض ويمكن أن يشكل هؤلاء الأفراد خطر العدوى للأفراد الآخرين.

ونجد الحجر الصحي متداول في هذه الآونة في معظم دول العالم التي سجلت عددا كبيرا من الاصابات اليومية وكذلك ارتفاعا في عدد الموتى لأنه الحل الأسلم لتطويق الوباء والتحكم فيه ذلك لأن نوع الفيروس شديد العدوى والانتقال بين الناس، فهناك حجر منزلي جزئي وآخر كلي، فالجزئي يكون في المناطق الأكثر تضررا دون الأخرى، ونجد المادة الثالثة والتي تنص على أنه يمكن أن يكون الحجر المنزلي كليا أو جزئيا، ولفترات محددة، حسب الوضعية الوبائية للولاية أو البلدية المعنية(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2020، ص 10)، أما الكلي فهو يمسّ كامل التراب الوطني بدون استثناء، وفي هذا الصدد نجد المادة الرابعة تنص على أنه يتمثل الحجر الصحي المنزلي الكلي في الزام الأشخاص بعدم مغادرة منازلهم أو أماكن اقامتهم خلال الفترة المعنية، ويتمثل الحجر المنزلي الجزئي في الزام الأشخاص بعدم مغادرة منازلهم أو أماكن اقامتهم خلال الفترة أو الفترات الزمنية المقررة من طرف السلطات العمومية(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2020، ص 10).

ان الأفراد الأكثر تضررا من الفيروس والتي تدهورت صحتهم ولا يستطيعون المقاومة يتم ادخالهم إلى المستشفى لعزلهم من جهة عن الأفراد الأصحاء لتفادي نقل العدوى إلى غيرهم، ومن جهة أخرى لتلقيهم العلاج كون المستشفى يوّفر العلاج الأمثل لهم بفضل الدواء و المعدات و الأجهزة اللازمة لذلك.

أما الأفراد المشكوك في اصابتهم بالمرض فيتم عزلهم في منازلهم بأمر من الطبيب أو في أماكن خاصة بالعزل الصحي كالفنادق مثلا في حال كان الأفراد في خارج البلاد و عادوا إلى أرض الوطن، وذلك لمدة زمنية لا تفوق ولا تقل عن 14 يوما، وهي مدة كافية لظهور الأعراض على الأفراد.

والغرض من الحجر الصحي المنزلي هو الحّد من انتقال الأفراد إلاّ للضرورة القصوى كالمرض، وقد واجهت بعض الدول عنادا كبيرا من طرف الأفراد بعدم تقبلهم للحجر الصحي المفروض إجباريا، فأصدرت عقابا لكل مخالف ومعارض لقوانين الحجر والخروج بدون سبب، وفي الغالب تكون غرامات مالية كبيرة، ولكن في المقابل قُدمت تحفيزات للأفراد للبقاء في منازلهم كالمساعدات المالية للمتضررين .

والجدير بالذكر أن للحجر الصحي فائدة كبيرة في حصر الوباء والحّد من انتقاله، هذا من الناحية الصحية، ولكن من الناحية الاقتصادية فقد تضررت العديد من القطاعات جراء هذا الحجر، وهذا ليس فقط وطنيا بل وحتى دوليا، فقد سبب عجزا كبيرا في المجال الاقتصادي عالميا ووطنيا، وأدى الى ارتفاع نسبة البطالة بسبب غلق الكثير من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وإفلاس العديد منها الأمر الذي أدى بدوره الى ارتفاع في نسبة البطالة و التشرد للكثير من الأفراد، فهي

أزمة لم يشهدها العالم الحديث من قبل، فالمهم التحكم في الوباء والقضاء عليه تدريجيا وذلك بفضل مساعدة اللقاح المكتشف والتي سارعت معظم دول العالم لاقتناءه.

9.التلقيح:

لقد نسب أبقراط انتاج الأمراض الى البرودة أو الحرارة الى الجفاف الى الرطوبة، وهو يعني بعبارات أخرى أنه نسب ظهور الأمراض الى المؤثرات الخارجية، وهذا صحيح باعتراف الجميع، في الواقع أن الانسان لم يخلق ليكون مريض، المرض في الأصل لم يكن موجود في الجسم، وظهر للوجود لاحقا، وبإمكانه أن يصبح وراثيا، ولكن ظهر نتيجة بعض المؤثرات الخارجية، وبعض التغيرات التي طرأت على البيئة. (Claud BERNARD,1858-1877, p.156)

وهذا بالفعل فجائحة"كورونا-كوفيد 19" شديدة العدوى والانتقال بين الأفراد في الأماكن المنخفضة فيها الحرارة، وذلك ما يظهر جليا في البلدان الأوربية والأمريكية الشديدة البرودة والتي حققت أكبر نسبة للحالات المكتشفة يوميا والوفاة عبر العالم، وتقل في البلدان المرتفعة الحرارة كقارة افريقيا.

ان الدواء الوحيد للأمراض المعدية هو التلقيح، فجزائر ما قبل الاستعمار لم تكن تعرف هذا النوع من العلاج، ولم يكن للطب وجود، اذ كان العلاج والشفاء في أيدي المرابطين والسّحرة والأدوية ذات الطابع الشعبي كالتداوي بالأعشاب(أ.ف.شوبنيرغ، بدون سنة نشر، ص 47)، وحسب "ايفون توران" فان أطباء تلك الفترة الزمنية واجهوا مشاكل وصعوبات كثيرة لإدخال ثقافة التلقيح اذ حسبه أن كل محاولات التلقيح الأولى تمت في العاصمة ابتداء من سنة 1832، وقد مارسها الدكتور"شيفرو" ابتداء من سنة 1834 في القليعة تحت مراقبة الدكتور"جيسكار"(ايفون توران، بدون سنة نشر، ص 322)، فالأمراض التي كانت منتشرة آنذاك كانت أمراض معدية ومميتة كالطاعون، وبفضل ادخال التلقيح من طرف الاستعمار الفرنسي الى الجزائر تمّ القضاء على ذلك النوع من الأمراض ليصبح التلقيح في الجزائر المستقلة حق لكل الجزائريين وواجب على عاتق الدولة توفيره مجانا و بدون استثناءات، حيث نجد المادة 40 تنص على أنه يتعين على المصالح الصحية المؤهلة القيام بالتلقيح الاجباري مجانا لفائدة المواطنين المعنيين(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2018، ص 8) فالأفراد منذ ولادتهم وهم يخضعون للتلقيح وبصفة ومنتظمة، وكل فرد له دفتر صحي يحتوي على كل المعلومات الصحية الخاصة به، وبرنامج للتلقيح.

هذا بالنسبة للأمراض المعدية المعروفة ولكن يختلف الأمر بالنسبة لجائحة "كورونا- كوفيد-19"، فالفيروس جديد على البشرية، وكذلك اللقاح المكتشف حاليا، فبعد اكتشافه وتجربته واثبات نجاعته من طرف العلماء، سارعت معظم الدول لاقتناءه، وكانت الجزائر من بين هذه الدول، حيث تم شراء اللقاح وبدأ التلقيح في البداية بالنسبة للفئات المصنفة من طرف السلطات وهي تلك

الأقرب من الخطر كالسلك الطبي وكبار السن وذوي الأمراض المزمنة ولكن بصفة ارادية، ثم بعد توفر اللّقاح بأعداد كافية أصبح بإمكان كل الأفراد البالغين سن الثامن عشر وأكثر الخضوع له، وطبقا لما جاء في القانون فالمادة 41 تنص على أنه"في حالة وجود خطر انتشار وباء و/أو في حالة حماية الأشخاص المعرضين لخطر، تنظم السلطات الصحية حملات تلقيح وتتخذ كل تدبير ملائم لفائدة المواطنين أو الأشخاص المعنيين(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2018، ص 8)، ولكن هذا اللقاح الخاص بالجائحة هو غير اجباري، يخضع الأفراد لهذه العملية بصفة ارادية ولكن قد تضطر فئة معينة من المجتمع الى التلقيح وذلك في حال السفر لأنه قد تفرض الدول على كل من يدخلها اثبات خضوعه للقاح.

النتائج المتوصل اليها:

هو عام قد مضى منذ تفشي الجائحة بالجزائر، عام عشناه بطريقة مختلفة، استطعنا التأقلم مع متطلبات الجائحة، الوقاية والحذر، والمحافظة على التباعد الاجتماعي بين الأفراد، ارتداء الكمامة بانتظام والخروج إلا للضرورة، وها نحن ندخل في العام الثاني وسنعيشه بنفس الطريقة مع بصيص من الأمل اننا سوف نتقدم خطوة للأفضل، ولقد بدأت الحياة في هذه الأيام تعود تدريجيا لما كانت عليه من قبل، فتحت المطارات تدريجيا رحلاتها ولكن تحت شروط معينة لدخول البلاد وخروجها، كما تم فتح بعض النشاطات الترفيهية كالاصطياف...وباعتبار هذا الفيروس خطير ليس كباقي الفيروسات توجب علينا:

-المحاولة قدر المستطاع اتباع أساليب الوقاية لتفادي الاصابة بالمرض.

- محاولة التأقلم مع الأوضاع الراهنة قدر المستطاع للسلامة الصحية للأفراد.

-على كل الأفراد التحلي بروح المسؤولية والتعرف على أساليب الوقاية من المرض، فبإمكان أي فرد أن يكون سببا في نقل العدوى دون أن يعلم عند التهاون في الوقاية، فكلنا مسؤولون عن صحتنا وصحة من حولنا.

الخاتمة:

ان الطب من العلوم المعقدة التي تهتم بالصحة والعلاج للأفراد، ومن بين أهم العلوم التي تحظى بالاهتمام لارتباطها بالمستقبل الصحي للإنسان والجماعات، كما يعتبر ممتهن الطب الفرد الأكثر نبالة ومكانة في المجتمع، ولقد اهتمت المجتمعات والدول بتوفير الامكانيات اللازمة لتسهيل عمله وتشجيعه على المواصلة والمضي قدما، وذلك بتحفيزه ماديا ومعنويا، ماديا باعطاءه أجرا يتماشى ومكانته، ومعنويا بالعطلات السنوية المدفوعة الأجر وإشراكه في الندوات العلمية الوطنية والدولية والتكوين وغيرها من المحفزات التي تجعله يزيد من العطاء.

فالطبيب بحكم السنوات الطويلة التي أمضاها في الدراسة والتكوين يكسب الخبرة المهنية والتي بدورها سوف تأهله لتأدية عمله بنجاح، فيقع على عاتقه العلاج وتحقيق الشفاء للمرضى، ويقع على عاتق الحكومات توفير ما يتطلبه من امكانيات لتحقيق ذلك، بما فيها الراحة النفسية والجسدية والاجتماعية والأمن بمكان العمل لتفادي الاعتداءات عليهم وتعنيفهم، فهذه الفئة من المجتمع بالرغم من مكانتها الاجتماعية والمهنية إلا أنها تعاني مشاكل عدة تواجهها خاصة مع المرضى وذويهم مشاكل تصل الى التعدي عليهم جسديا وذلك ما نلاحظه في الكثير من مستشفياتنا.

قائمة المراجع:

1.أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان، تقديم محمود مرسي عبد الله(1993)، في فلسفة الطب، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

2.ايفون توران، (بدون سنة نشر) المواجهات الثقافية للجزائر المستعمرة، المدارس و الممارسات الطبية و الدين، 1830، 1880، ترجمة محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر.

3.أ.ف.شوبنيرغ، (بدون سنة نشر) الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو،وزارة الثقافة، مديرية الفنون و الآداب، الجزائر.

4.سليم الحسنة(1998)، من البيمرستان الى المستشفى، دراسة تحليلية مقارنة للنظام الاداري، دراسات اجتماعية، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السعودية، دمشق، سوريا.

5.شايب سعاد،(2017) تكوين الاطباء المقيمين بالمؤسسة الاستشفائية العمومية ، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع التنظيم، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر2.

6.شايب سعاد،(2007) الطبيب في القطاع الصحي العام بين آداء المهنة وظروف العمل، رسالة ماجستير في علم الاجتماع التنظيم، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر2

7.الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2018، العدد 46.

8.الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2020، العدد 16.

9.العربي الجديد، 24 سبتمبر 2020.

10.سعيدان رشيد، بوهنة علي(2014)، واقع الخدمات الصحية من خلال الإصلاحات، مجلة البشائر الاقتصادية، العدد 01،الجزائر.

11.المنظمة الوطنية للصحة العالمية،O.M.S، 2020.

12.Claud Bernard, Principes de la médecine expérimentales (1813-1878), écrit entre 1858 et 1877.

13.who/world health organization, 05 fev 2021.

14.www.who.int >about.

القيم التنظيمية والقيادة الفعالة: أي دور للقائد في ترسيخ القيم التنظيمية لدى الأعضاء؟

د.عبيد طاوس، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة- الجزائر

ملخص: حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على القيم التنظيمية والقيادة الفعالة، وذلك من خلال البحث والتقصي عن الكيفية التي على أساسها يقف القائد كفاعل مهم يصبو إلى ابراز جملة من القيم التنظيمية محاولا ترسخيها لدى الأعضاء، الأمر الذي قد يمكنه في النهاية من جعل الأسلوب القيادي يتميز بالفعالية.

وفي هذا المقام يتعين علينا القول بأن هذه الفعالية تبرز من خلال القدرة على التكيف مع الظروف الخارجية الطارئة، وكذا إيجاد حلول وطرح بدائل للمشكلات الداخلية التي تعاني منها المؤسسات كالصراع بين القيم التنظيمية والقيم الشخصية.

وفي هذا السياق تم تكريس الدراسة الحالية للإجابة عن التساؤل المركزي الذي تمحور حول: هل يساهم القائد في ترسيخ القيم التنظيمية لدى أعضاء مجموعته؟، حيث تم الاعتماد على منهج دراسة حالة، لدراسة المجتمع المتمثل في بعض القادة داخل مركب تمييع الغاز الطبيعي سكيكدة، أين اختيرت العينة بطريقة قصدية شملت ثمانية عشر (18) قائد، وضمنها تمكنا من جمع البيانات بالاعتماد على تقنيتي المقابلة والملاحظة كأداتين تتناسبان مع هذا النوع من الدراسات.

وبعد المناقشة والتحليل توصلت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن القائد يساهم في ترسيخ القيم التنظيمية لدى أعضاء مجموعته داخل مركب تمييع الغاز الطبيعي، وهذا من خلال مساهمة القيم التنظيمية في زيادة فعالية أعضاء المجموعة، كذلك دور القيم التنظيمية في تبني النمط القيادي ودور الصراع القيمي في الحد من فعالية القيادة.

الكلمات المفتاحية: القيم، القيم التنظيمية، القائد، القيادة، القيادة الفعالة، صراع القيم.

Organizational values and effective leadership What is the role of the leader in organizational values inculcating among the members?

Abstract: Through this paper, we have tried to shed light on organizational values and effective leadership by searching and exploring how the leader stands as an important actor who aims to highlight a set of organizational values in an attempt to establish and implant them within members, which may ultimately enable him eventually to make a

leadership style an effective character. In this regard, we must say that this effectiveness is manifested through the ability to adapt to external urgent circumstance, as well as finding solutions and proposing alternatives to internal problems affecting institutions, such as conflict between organizational and personal values. In this context, the current study was devoted to answering a key question which is: Does the leader contribute to the consolidation of organizational values along the members of his team?

A case study approach was used to study the society represented by some leaders within the Natural Gas Liquefaction Complex of SKIKDA, the sample was selected intentionally which included eighteen, within which we were able to collect data using the two techniques of observation and interview as appropriate tools to this type of study. After discussion and analysis, the study reached the conclusion that the leader contributes to the consolidation of organizational values of the members of his team within the Natural Gas Liquefaction Complex, and this is through the contribution of organizational values in increasing the effectiveness of team members, as well as the role of organizational values in adopting leadership style and also the role of the values conflict in reducing the effectiveness of leadership.

Key words: values, organizational values, leader, leadership, effective leadership, conflict of values.

مقدمة:

تطمح غالبية المؤسسات اليوم إلى تحقيق النجاح بشكل مستمر على جميع الأصعدة، إلا أن تأثير التحولات الخارجية والتغيرات المتسارعة يقف عقبة أمام هذا الطموح، وغالبا ما يحول بينها وبين تحقيق الأهداف، ولذلك تلجا المؤسسة باستمرار إلى استحداث السبل والإستراتيجيات الكفيلة في سبيل مواجهة أي ظرف قد يعرقل مسارها، كما أن هوية المؤسسات تتحدد وفق الثقافة التنظيمية التي يبرز فيها كل مكون بدرجة كبيرة من الاهتمام على غرار عنصر القيم التنظيمية الذي ينفرد كمعلم مهم، حيث يعد من أكثر العناصر المؤثرة في تحديد مدى نجاح أو فشل عملية التسيير والإدارة داخل المؤسسات، إذ أن الرؤية العلمية حول موضوع القيم تهدف إلى بناء الأنماط التي تجرى في إطار بحث وعرض السياقات التي تفسر وتوجه السلوك الإنساني، سواء كانت مكتسبة في أول حياة الفرد عن طريق التنشئة الاجتماعية والتي تمثل قيمه الشخصية التي

يؤمن بها، أو قيم تنظيمية تم إضفاؤها من طرف المؤسسة التي يعمل بها في قالب المعايير والقوانين لتشكل أهم عناصر الثقافة التنظيمية، وبالتالي فقضية القيم (الشخصية أو التنظيمية) يمكن تشكيلها من خلال الثقافة العامة والثقافة الفرعية التي ينتمي لها الأفراد أو تلك التي يتشاركون فيها ويتقاسمونها، ومن ناحية أخرى ارتبط نجاح المؤسسات بالكيفية التي يدير بها القادة المجموعات والفرق، وكذا النمط القيادي الذي يتبعه، وأيضا الصفات التي يتحلى بها والامكانيات التي يتمتع بها، ونجاح القائد يرتبط بدوره بنجاح مجموعته حيث يتطلع لخلق روح التعاون والتضامن بين الأعضاء، وهذا هدف من أهداف القيادة باعتبار أن غرس القيم التنظيمية للمؤسسة بين أعضاء المجموعة من شأنه أن يوحد طريقة التفكير ويقرب من آرائهم وتطلعاتهم، مما قد يساهم في زيادة فاعلية المجموعة وإنتاجيتها، لذلك نعتقد بأن للقائد دور كبير في زيادة فاعلية المجموعة من خلال المساهمة في ترسيخ القيم التنظيمية بين الأعضاء.

على هذا الأساس جندت هذه الدراسة لإعطاء صورة مقربة حول موضع القيم التنظيمية والقيادة الفعالة، حيث قسمت إلى أربعة محاور أساسية، اشتمل المحور الأول على الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة (الإشكالية، الفرضيات، الأهداف، المفاهيم...)، أما المحور الثاني فخص الإطار المنهجي للدراسة (حدود الدراسة، المنهج، العينة، الأدوات...)، وبالنسبة للمحور الثالث فقد خصص للحديث عن القيادة الفعالة والقيم التنظيمية، وأخيرا اهتم المحور الرابع بعرض ومناقشة النتائج التي توصلت إليها الدراسة الميدانية.

أولا: الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة

1. الاشكالية

لقد تزايد الاهتمام بالجانب الثقافي للمؤسسات خاصة القيم، لذلك فمعرفة وفهم القيم التنظيمية بالنسبة للقادة يعتبر أمر ضروري من أجل إدارة وتسيير الأفراد والمجموعات، لأن فهم القيم التنظيمية هو فهم للسلوك التنظيمي، وقد حضي موضوع القيم التنظيمية بالاهتمام الكبير من قبل العلماء والمفكرين من قبل، من خلال محاولات نظرية وأخرى إمبريقية خاصة رواد الفكر التنظيمي مثل "**فريدريك تايلور**" "**Fréderic Taylor**" صاحب نظرية (التنظيم العلمي للعمل) و"**هنري فايول**" "**Henri Fayol**" (التنظيم الإداري)، أيضا مدرسة العلاقات الإنسانية، كذلك بروز المداخل النظرية الحديثة والنماذج المختلفة للقيم من خلال الأعمال التي قدمها الباحثون حول موضوع القيم مثل "**روكتش**" "**Rokeach**"، "**شوارتز**" "**Shwartz**"وغيرهما، وعليه فتميز المؤسسات واختلافها يتجلى من خلال اختلاف ثقافتها التنظيمية، حيث تمثل المنظومة القيمية العنصر الأهم من مكوناتها، وهذا لارتباطها الواسع بمختلف الظواهر التنظيمية مما جعل العديد من المؤسسات تنتهج أسلوب الإدارة بالقيم كأسلوب جديد في الإدارة والتسيير، لما يترتب عن ذلك من نتائج جيدة تساهم في التقدم والتنمية.

في هذا الإطار لا بد أن تساهم القيم التنظيمية في التعبير والتعريف بالهوية التنظيمية للمؤسسة، وفي الوقت ذاته تتيح للفرد فرصة التعرف على نفسه ضمن المنظومة التنظيمية التي ينتمي إليها، كما تمكن المؤسسة من التعرف إليه من خلال مدي ارتباط وتوافق قيمه الشخصية مع القيم التنظيمية للمؤسسة، وقد توصلت بعض الدراسات والأبحاث إلى التأكيد على أن الأفراد يتقاسمون جملة من القيم التي تحدد سلوكياتهم، ومن هنا يبرز سلوك القائد الذي يوحي عن مدى فعالية القيادة أو من عدمها، كما استوحت واستعجلت التغيرات والتطورات التي تشهدها المؤسسات اليوم على مستوى القيادة، وكذلك التحولات التي طرأت على مستوى الهياكل التنظيمية واتسامها بدرجة من التعقيد والصرامة البحث والدراسة حول موضوع فعالية القيادة.

لذلك تعتبر المتغيرات التي تتعلق بموضوع القيادة اليوم مجالا حيا للدراسة والبحث داخل المؤسسات، وفي الوقت نفسه يمثل احدى أهم المؤشرات الذي يقيس نجاح المؤسسة أو يعبر عن فشلها، أي أن نجاحها يرتبط بنجاح القيادة وقدرة القائد على تبني وتجسيد نمط تسييري معين، يضمن له غرس وترسيخ القيم التنظيمية للمؤسسة لدى الأعضاء كالالتزام والعدالة في توزيع المهام...إلخ، إلا أن تضارب القيم يقف عقبة أمام فاعلية القيادة، ليبقى صراع القيم من أهم المشاكل التي تصادف القائد مما يعقد من دوره ويحد من فعاليته القيادية.

وفي ضوء هذه الدراسة سنسعى من خلالها التطرق إلى موضوع القيم التنظيمية بغرض البحث عن العلاقة التي تربطه بفعالية القيادة، محاولين ابراز الدور الذي يؤديه القائد في ترسيخ القيم التنظيمية لدى أعضاء مجموعته، وفي هذا الصدد ومن أجل الولوج للموضوع نطرح الإشكالية التالية: **هل يساهم القائد في ترسيخ القيم التنظيمية لدى أعضاء مجموعته؟**

ويتفرع عن التساؤل المركزي تساؤلات فرعية ثلاثة تتمثل في:

- هل تساهم القيم التنظيمية في زيادة فعالية أعضاء المجموعة؟

- هل تساهم القيم التنظيمية في تبني النمط القيادي؟
- هل يحد الصراع القيمي من فعالية القيادة؟

2. الفرضيات:

تأسيسا على إشكالية الدراسة لأجل بلوغ الغايات البحثية التي تشكل أفقا لها، فإننا سنعمل على تجنيد الفرضيات التالية:

الفرضية العامة: التي مفادها "يساهم القائد في ترسيخ القيم التنظيمية لدى الأعضاء"

وقد انبثق عن هذه الفرضية العامة فرضيات جزئية ثلاث تتمثل فيما يلي:

1. تساهم القيم التنظيمية في زيادة فعالية أعضاء المجموعة.

2. تساهم القيم التنظيمية في تبني النمط القيادي.

3. الصراع القيمي يحد من فعالية القيادة.

3. دوافع ومبررات اختيار الموضوع:

لقد طرأت تحولات كثيرة في أساليب التسيير في البلدان المتطورة، إلا أن الدول المتخلفة على غرار الجزائر لا تزال مختلف مؤسساتها تعتمد على الطرق التقليدية، ومن بين الأساليب الحديثة أسلوب الإدارة بالقيم الذي اعتمد في مؤسسات عالمية متعددة، ونأمل أن تتبنى المؤسسات الجزائرية هذا الأسلوب وتعمد إلى تطبيقه من أجل تحقيق الفعالية.

بالإضافة إلى دوافع أخرى تمثلت فيما يلي:

-امكانية البحث والتقصي حول موضوع الدراسة ميدانيا.
-قلة البحوث والدراسات التي تناولت الموضوع.
-حداثة الموضوع وأهميته بالنسبة للمؤسسات الاقتصادية خاصة.
-الموضوع يدخل ضمن تخصصنا علم اجتماع تنظيم وعمل.

4. أهداف الدراسة:

أردنا تسليط الضوء على أحد أهم المواضيع المرتبطة بالقيادة الفعالة، حيث كان هدفنا الرئيسي متمثل في الاجابة عن التساؤل المطروح حول موضوع دراستنا الراهنة، أي معرفة مساهمة القائد في ترسيخ القيم التنظيمية لدى أعضاء الفريق من خلال الدور الذي يلعبه ويؤديه، بالإضافة إلى بعض الأهداف التي لا تقل أهمية والمتعلقة بإبراز مساهمة القيم التنظيمية في زيادة الفعالية داخل الفريق، وكذا مساهمة القيم التنظيمية في تبني النمط القيادي، وأيضا التأكد من أن الصراع القيمي يعيق فعالية القيادة.

5. تحديد ومناقشة المفاهيم:

نعتقد بأن مطلب تحديد المفاهيم في إطار البحث العلمي السوسيولوجي لا يتأتى حصرا بمجرد تعريفها في نطاق عدد من الجُمل وإن طالت، بل يستدعي الأمر شرح مختلف المفاهيم، إذ لا يمكن التطرق إلى الموضوع مباشرة والشروع في سرد التفاصيل، وقد حرصت هذه الدراسة على ذكر الدلالة اللغوية للمفاهيم عند بعض العلماء والباحثين.

طبعا وتجنبا لحشو المقال بالتعاريف سنحاول عرض تعريف أو تعريفين لكل مصطلح، حتى نبقى ضمن الإطار المسموح به.

القيم: لم يتفق العلماء حول تعريف موحد للقيم، فاختلفت التعاريف باختلاف التيارات التي ينتسب إليها الباحثون، ويمكن تصنيف أغلب هذه التعاريف ضمن مجموعتين، الأولى تعبر عن

الاختيارات والتفضيلات المرغوب فيها، وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء على غرار العالم الأمريكي "**كلايد كلوكهون**" "**Clyde Klockhohn**".
حيث عرفها على أنها تصميم صريح أو ضمني يميز الفرد أو الجماعة، يعبر عما هو مرغوب فيه، كما أن لها تأثير على اختياراتنا بين مختلف النماذج المتاحة، وترتكز القيم على كل ما يقوله ويفعله الأفراد. (C.Kluckhohn, 1951, p395)

في حين أن المجموعة الثانية تربط القيم بمفاهيم أخرى كالمعايير أو المعتقدات أو الاتجاهات...إلخ.

فحسب العالم "**ملتون روكيتش** " "**Milton Rokeach**" وهو أحد أهم الباحثين الذين اهتموا بموضوع القيم قام بتعريفها على أنها مجموعة من المعتقدات التي تتميز بالثبات، وهي تعبر عن تفضيل شخصي أو اجتماعي اتجاه طريقة محددة للسلوك أو لبلوغ الهدف النهائي. (M. Rokeach, 1979, p156)

القيم التنظيمية: تمثل القيم التنظيمية أحد أهم العناصر المكونة لثقافة المؤسسة، وقد تعددت التعاريف التي أحاطت بهذا المفهوم ليبقى بعض الغموض يسوده.
تعرف القيم التنظيمية بأنها عبارة عن الخصائص الثابتة نسبيا للمحيط الداخلي للمنظمة التي يدركها أعضاؤها ويتعايشون معها ويعبرون عنها. (محمد الساسي وخديجة عبادو، 2016، ص75)

ميز الباحثان بين مصدرين للقيم التنظيمية، الأول الادارة والثاني القيم المتفق عليها من قبل الموظفين.

في حين يقر "**ماري فرانس واكسن**" "**Mari France Waxin**" و"**كريستوف بارماير**" "**Christoph Barmayer**" أنه من أجل السير الحسن لأي مؤسسة، وجب على أعضائها تقاسم مجموعة من القيم قصد الحصول على التوازن والانسجام، ولكن إلزام بعض العاملين بقيم المؤسسة قد يطرح العديد من الصعوبات على الصعيدين الثقافي والأخلاقي، نتيجة التباعد بين القيم التنظيمية للمؤسسة وقيم بعض الأفراد. (M. Waxin and C. Barmeyer, 2008, p94)

القائد: يعرف "**ويل شوتز**" "**Will Schutz**" مؤلف نظرية "**فيرو**" القائد على أنه هو الشخص الذي يكمل ويربط بين جميع العمليات التي يقوم بها أعضاء مجموعته، ويعمل على المراقبة والتأكد من أن جميع الوظائف المحددة واللازمة لتحقيق أهداف المجموعة قد نفذت على النحو الصحيح. (N. P. Jenster, 2009, p19)
وعلى هذا الأساس فالقائد هو فرد من المجموعة كغيره من الأفراد، له مهمة الربط والمراقبة واتمام مختلف العمليات والمهام التي تنفذ من قبل أعضاء المجموعة، حيث يكون أكثر الأعضاء كفاءة وحرصا على تحقيق الأهداف، كذلك يملك السلطة والصلاحيات خلافا لبقية الأعضاء.

القيادة: اختلف العلماء والباحثون في تحديد مفهوم موحد حول القيادة، حيث ارتبط ارتباطا كبيرا بالسلطة، الإدارة، التحكم وكذا الاشراف، فحسب الباحث "**فيلدر**" " **Fiedler**" تمثل القيادة علاقة بين مجموعة من الأشخاص توزع فيها السلطة والنفوذ على نحو غير متساوي، إذ يقوم شخص واحد بتوجيه سلوك الآخرين والتحكم في المجموعة ويحاول التأثير عليهم. (M. Asrar ul Haq and S. Anwar, 2018, p180)
بمعنى أن القيادة تنحصر في العمليات التي يقوم بها فرد معين للتأثير على مجموعة من الأفراد، تشمل هذه العمليات التوجيه والتنظيم، كذلك والربط والتنسيق بين أفراد المجموعة.

القيادة الفعالة: تطرق الباحث "**غاري يولك**" "**Gary Yulk**" سنة 2002 إلى أن فعالية القيادة تتعلق بمدى نجاح القائد في تأدية المهام وبلوغ الأهداف وقدرته على وضع الاستراتيجيات والتخطيط لها، حيث يقوم باختيار الأفراد والفرق ذوي المهارات والكفاءات لتكليفهم بالقيام بالمهام ولعب الأدوار بالتساوي وفي جو تعاوني، مما يشجعهم على بذل المزيد من الجهد في سبيل حل المشكلات ومواجهة العراقيل التي قد تعترض المؤسسة ،وأضاف الباحث "**غاري يولك**" بأن تشكيل فرق العمل واشراكها في عمليات اتخاذ القرار من شأنه أن يحسن الأداء، فالمؤسسات اليوم تستنجد بفرق العمل لما تحققه من الإبداع والابتكار. (G. Yukl, 2013, p-p 137-138)

بالنسبة للباحث تعد إلزامية القائد على تحقيق الأهداف عند القيام بالوظائف يدل على فعالية القيادة، ومع ذلك فهو يشير إلى مجموعة من القيم التي من شأنها أن تساهم في دعم القيادة، كالتعاون والمشاركة والابداع.

صراع القيم: عرف "**ويلر**" "**Weller**" "صراع القيم على أنه تضاد بين اتجاهين أساسيين من اتجاهات القيم، حيث قدم مثالا كالتضاد الذي يحدث بين القيم التي تنبثق عن التنظيم الاجتماعي وبين القيم التي ترتبط بمثل إنسانية، والتي أشبه ما تكون مثالية". (عبد الله عقلة مجلي الخزاعلة، 2009، ص55)
بمعنى أن صراع القيم يحدث نتيجة تعارض أو تناقض بين القيم، كالتباين الذي من شأنه أن يحدث بين القيم التنظيمية والقيم الاجتماعية.

6. الدراسات المشابهة:

نظرا لتقيدنا في هذه الدراسة بعدد محدود من الصفحات ومن باب الالتزام وجب علينا ألا نطيل الحديث عند التطرق لبعض النقاط، لذلك ارتأينا أن نستعرض دراستين فقط.

الدراسة الأولى: (زبيدة بوزياني، 2014)أطروحة مقدمة سنة 2014 من طرف الباحثة "**بوزياني زبيدة**" لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية موسومة "**القيادة والاتصال في المؤسسة الصناعية الجزائرية**"، حيث قامت الباحثة بدراسة دافع المنفعة الذي يقوم بتحديد طريقة وأسلوب ممارسة القادة الاتصال وينمي الرغبة لديهم في الاهتمام بالاتصال أو تجاهله.
فرضيات الدراسة: صيغت الفرضية الرئيسية كالتالي:

-يمارس القادة الاتصال من خلال تصورهم للمنفعة التي تعود عليهم من إتباع سلوك أو نمط قيادي، لذلك فإنهم يسعون لخلق علاقات الثقة مع من يتفقون معهم في الأهداف والمصلحة لتحقيق هذه المنفعة.
بالإضافة إلى فرضيات فرعية ثلاث تتمثل في:

-تساهم الخصائص الاجتماعية والثقافية في بناء تصورات تتعلق بتحديد المنفعة والسلوك المشكل في هذا الإطار هو سلوك يقاوم أي سلوك عقلاني رشيد يخدم أهداف المؤسسة.
-تساهم التفاعلات بين الرؤساء والمرؤوسين في تعليم منظومة القيم والمعايير التي تشكل أنماط السلوك الذي ينبغي على القائد إتباعها أو تجنبها وهذا حسب تصوره للمنفعة أو الضرر الذي يعود عليه من إتباعها.
-عدم رغبة القادة في خلق علاقات الثقة بالمرؤوسين الذين يختلفون معهم في الأهداف فيحدث تعسف في استخدام السلطة وتظهر الخلافات والانشقاقات التي تؤدي إلى صعوبات في الاتصال.
المنهج المتبع: استخدمت الباحثة في دراستها للموضوع منهج التفاعلات الرمزية، وتمت على عينة تتكون من 35 قائدا.
نتائج الدراسة: توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:
-تساهم الخلفية الثقافية والاجتماعية للأفراد في بناء آرائهم وتوجيهاتهم إلى درجة مقاومة أي تغيير حتى لو كان هذا التغيير في صالحهم وصالح المؤسسة.
-تختلف المنفعة التي يتصورها القائد على المستوى الأول عن المنفعة التي يتصورها الرؤساء على المستويات الأخرى.
-كل قائد يحاول تدارك السلبيات المترتبة عن الأسلوب القيادي المتبع بحسب تصوره للمنفعة التي سيحققها.
-يدرك القادة أن تحقيق المنفعة مرتبط بالثقة، أي على القائد أن يبحث عن أشخاص يبادلهم المنفعة من أجل ضمان ولائهم، ومنه على القائد أن يهتم بإنشاء علاقات حسنة من المرؤوسين.
-يمارس القادة الاتصال من خلال تصورهم للمنفعة التي تعود عليهم من إتباع سلوك أو نمط من أنماط القيادة، لذلك فهم يسعون إلى خلق علاقات الثقة مع من يتفق معهم في الأهداف والمصلحة لتحقيق المنفعة.

تقييم الدراسة ومجال الاستفادة منها

اتسمت هذه الدراسة على العموم بتقديمها معلومات قيمة حول موضوع القيادة الذي أصبح يجلب اهتمام الباحثين، حيث استعرضت أنماط القيادة الناجحة وكذا المشاكل التي تعيق فعالية القيادة والاتصال داخل المؤسسة على غرار المشاكل التي تتعلق باتخاذ القرار، وقامت بإسقاط ذلك على المؤسسة الجزائرية من خلال دراسة ميدانية شملت مؤسسة "**Soitex**" بتلمسان، كذلك ما يميز هذه الدراسة هو دعم الأفكار المطروحة والمضامين المقدمة بالأدلة والبراهين، من خلال الاستدلال بآراء ودراسات الباحثين الذين اهتموا بدراسة المواضيع المرتبطة بالقيادة.

بالنسبة للإشكالية لم يتم صياغتها على شكل تساؤل، كما أن تطبيق الدراسة على عينة تتألف من 35 مبحوثا هو عدد قليل بالنسبة لدراسة الدكتوراه، وأيضا اعتمدت الباحثة على عدد قليل من المراجع مما يوحي بأنها كررت استعمالها كثيرا، كذلك قسمت الباحثة دراستها إلى فصلين اثنين فقط.

وقد ساعدتنا هذه الدراسة في فهم بعض النقاط المتعلقة بموضوع القيادة كالصراع والأنماط القيادية.

الدراسة الثانية: (الصميلي أحمد بن علي، 2015)
تمثلت في أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في العلوم الأمنية موسومة "**القيم التنظيمية ودورها في احداث التغيير التنظيمي**"، قدمت سنة 2015 من اعداد الباحث **أحمد بن علي الصميلي**، حيث قام بدراسة مقارنة بين المؤسسات الأمنية والمدنية، وكان فحواها يدور حول إيجاد أوجه التشابه والاختلاف بين القيم السائدة في المؤسسات الأمنية والمدنية وكيفية قدرتها على التأثير في التغيير التنظيمي لها.

أهداف الدراسة: كانت كالتالي:
- التعرف على القيم السائدة والمتمثلة في (عدالة التوزيع، عدالة الإجراءات، عدالة التعامل، الأمانة، النزاهة، التعاون، الثقة، المشاركة والإبداع) في كلية الملك فهد الأمنية وشركة المياه الوطنية بالرياض.

- التعرف على واقع التغيير التنظيمي والمتمثل في (مجالات الاستراتيجيات والأهداف والسياسات والقواعد الحاكمة للعمل، طرق وأساليب العمل، الهيكل التنظيمي، العلاقات التنظيمية ومجال الموارد البشرية).

- التعرف على مدى اسهام القيم التنظيمية السائدة في احداث التغيير التنظيمي في المؤسستين المذكورتين.

- التعرف على ما إذا كانت هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين القيم التنظيمية السائدة وواقع التغيير التنظيمي.

المنهج المعتمد: تقيد الباحث بالمنهج الوصفي التحليلي وأسلوب المسح كمنهج يناسب دراسة الظاهرة كما تظهر على أرض الواقع، للتعرف على العلاقات المجودة بين المتغيرات وكذا التنبؤ بحدودها ونتائجها، وطبق على عينة تتكون من 180 مفردة.
نتائج الدراسة: جملة النتائج التي أسفرت عن هذه الدراسة ملخصة كالآتي:
- حلت في المرتبة الأولى مجموعة من القيم بالمؤسستين الأمنية والمدنية وهي عدالة التعامل، الأمانة، النزاهة، التعاون.

- كما توصلت الدراسة الى الإجابة عن التساؤل الثاني المتمثل في واقع التغيير التنظيمي في المؤسستين، إذ أكدت وجود تغيير تنظيمي بدرجة مرتفعة داخل المؤسستين في مجالات الاستراتيجيات والأهداف.

- ومن نتائج هذه الدراسة كذلك الوصول إلى أن قيم عدالة الإجراءات، والإبداع هي أهم القيم التي لها تأثير بدرجة عالية على احداث التغيير التنظيمي داخل المؤسستين الأمنية والمدنية، في حين

تأتي قيمتي المشاركة والتعاون في المركز الثاني من حيث تأثيرها على احداث التغيير التنظيمي في المؤسسة الأمنية.

تقييم الدراسة ومجال الاستفادة منها

يعد موضوع الدراسة من بين المواضيع المهمة بالنسبة للمؤسسات الحديثة، وقد مست جوانب متعددة سواء حول القيم التنظيمية أو البحث عن أهم السبل المؤدية إلى احداث التغيير، إلا أن ما يؤخذ على هذه الدراسة هو ادراج المتغيرين ضمن فصل واحد مما أدى إلى غياب معيار التجانس بين مختلف الفصول، أيضا من المفروض دمج الفصلين الرابع والخامس لمدى ارتباطهما ببعضهما البعض، ومن ناحية أخرى استدل الباحث بعدة آيات قرآنية ليست في محل الاستشهاد، إذ كان بإمكانه تدعيم الفكرة بآية تخدمها مثل ما جاء في الصفحة رقم(34)، حيث ذكر بأن الاسلام دين الأخلاق الفاضلة وهدفه اخراج الانسان من نفق الرذائل المظلم إلى نور الايمان والفضائل، فلو حبذ لو استدل بآيات أخرى مثل الآيات التي عبرت عن أصول الفضائل وأصول الرذائل.

أيضا عمد الباحث من خلال التساؤل الفرعي الثاني إلى البحث عن واقع التغيير التنظيمي، فباعتبار أن هذا المتغير هو التابع، بمعنى نتيجة للمتغير المستقل المتمثل في القيم التنظيمية، وجب ربطه بمؤشر من مؤشرات المتغير المستقل، بالإضافة إلى بعض الملاحظات التي تم تسجيلها كترقيم المقدمة، عدم احتواء الدراسة على خاتمة وملخص، وكذا عدم توفر الملاحق إلا الاستبانة.

رغم هذه الملاحظات إلا أن هذه الدراسة ساعدتنا في الوقوف على أهم القيم التنظيمية التي تتبناها المؤسسات كقيم العدالة، الالتزام، المشاركة، الثقة والابداع، كذلك سمحت لنا بالاطلاع على بعض المراجع.

مجالات الاختلاف بين الدراسة الحالية والدراسات المشابهة: ركزت الدراسة الراهنة على موضوع القيم التنظيمية باعتباره أحد المواضيع المهمة بالنسبة للمؤسسات، إلا أن حداثته في المؤسسة الجزائرية جعلته يشوبه نوع من الغموض بين العمال وحتى عند بعض المسؤولين، مما دفع بنا إلى محاولة ربطه بفعالية القيادة من خلال معرفة الدور الذي يؤديه القائد في سبيل ترسيخ القيم التنظيمية بين أعضاء فريقه, باعتبار أنه يمثل نمط قيادي جديد يتبناه القائد من أجل تحقيق الأهداف بكل فعالية، حيث أن لتقريب الوجهات والأفكار بين الأعضاء وإزالة الفروقات والاختلافات، والتي قد تنجم عنها توترات وصراعات تمكنه من وضع استراتيجيات ورؤى مبنية على مراعاة أسس ومعايير التي تقوم عليها المؤسسة، ومن شأنه أن يبني فريق متماسك ومتلاحم، وهذا ما تم رصده كنتيجة داخل المؤسسة محل الدراسة التي تعد الأكبر في الجزائر، وبهذا تكون هذه المؤسسة تسير نحو تبني هذا النمط القيادي الجديد والتخلي عن بقية الأنماط التقليدية، ومن جهة أخرى تدخل هذه الدراسة في إطار إعداد مقال ومن الطبيعي أن لا يتوسع فيه الباحث بالشكل الذي تمت من خلالها الدراسات المشابهة (أطروحة دكتوراه)، كما أن الدراسة الراهنة اشتملت على عينة صغيرة استعملت فيها المقابلة كأداة رئيسية لجمع البيانات.

ثانيا: الإطار المنهجي للدراسة

1. حدود الدراسة

-**الحدود المكانية:** هو المكان الذي تمت فيه هذه الدراسة بمعنى ذكر جميع الأماكن أو المؤسسات المعنية بهذه الدراسة والدراسة الراهنة تمت داخل على مركب تمييع الغاز الطبيعي بسكيكدة أحد فروع مؤسسة **سوناطراك**.

-**الحدود البشرية:** بالنظر إلى الخصوصية البيداغوجية لبحثنا وتعلقه بالقيادة، فقد شملت الدراسة قادة الفرق والمجموعات داخل المؤسسة محل البحث.

-**الحدود الزمنية:** المقصود به المدة الزمنية المستغرقة لإجراء الدراسة، وقد قمنا بزيارة المؤسسة مرات عدة على مدار خمسة عشر يوما، وكان هذا خلال شهر مارس 2021.

2. المنهج: طبيعة الموضوع تفرض على الباحث نوع المنهج المختار بغية الوصول إلى نتائج علمية موثوقة، وبالنظر إلى موضوع الدراسة والذي يهدف إلى معرفة الدور الذي يؤديه القائد من أجل ترسيخ القيم التنظيمية لدى أعضاء مجموعته، فقد تم استخدام منهج دراسة حالة، حيث يعد هذا المنهج من أكثر المناهج استعمالا في العلوم الاجتماعية، وهو طريقة مرنة لجمع معلومات حول المشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة، كما يسمح هذا المنهج بتوفير البيانات والحقائق عن المشكلة موضوع البحث.

3. العينة: تعبر عن نموذج يشمل جانبا أو جزءا من المجتمع الأصلي المعني بالبحث، تمثله وتحمل صفاته المشتركة، هذا الجانب أو الجزء يغني الباحث عن دراسة المجتمع ككل، خاصة في حالة صعوبة أو استحالة دراسة كل أفراد المجتمع، وقد كان اختيار عينة الدراسة بطريقة عشوائية لثمانية عشر (18) قائد.

4. أدوات جمع البيانات

المقابلة: تم الاستعانة بتقنية المقابلة لما تتوفر عليه من مرونة وتزيد من اهتمام وراحة لدى المستجوب، حيث بإمكانه سرد تفاصيل تجربته كقائد، والتعبير عن كل الأفكار العميقة.
اخترنا إجراء المقابلات مع أفراد العينة حتى نستطيع جمع بيانات ومعطيات ثرية، وهذا من أجل القيام بتحليل كيفي يكشف عن تفاصيل التمثلات التي يحملها القادة داخل المركب.

وكانت بطريقة مباشرة مع القادة، تضمنت أربعة محاور كما هو موضح على النسخة المرفقة آخر الدراسة، حيث كانت الأسئلة موحدة باعتبار أن العينة اشتملت على القادة الذين يعملون في قسم الصيانة، ومع ذلك كان هنالك أحيانا خروج عن الموضوع من طرف بعض المبحوثين، إلا أننا استطعنا تخطي ذلك الأمر بسهولة، خاصة وأن أغلب الأسئلة كانت موجهة ومغلقة.

- **الملاحظة:** تساعد الملاحظة على التأكد من بعض الإجابات وكذا تصحيح بعض البيانات الغامضة في أغلب الأحيان، وقد تم الاستعانة بالملاحظة البسيطة، حيث قامت الباحثة بمعاينة

بعض ورشات العمل من أجل الاستماع إلى الكلام المتبادل بين الأعضاء، ورؤية الأساليب التي يتبعونها أثناء القيام بالمهام بصورة مباشرة، كذلك تم حضور بعض الاجتماعات التي برمجت بين الأعضاء والقائد بغرض معرفة أسلوب القائد أثناء تعامله مع المجموعة، وكذلك ردة فعل الأعضاء وطريقة تصرفهم مع بعضهم البعض، وقد سهلت لنا الملاحظة تفسير وشرح بعض الإجابات المدرجة ضمن دليل المقابلة.

ثالثا: القيادة الفعالة والقيم التنظيمية

1. القيادة

1.1. لمحة تاريخية عن القيادة:

يعتبر موضوع القيادة من أبرز المواضيع التي نالت اهتمام العلماء والباحثين في شتى الميادين السياسية، العسكرية الادارية...إلخ، وهذا بالنظر إلى أهمية الموضوع بالنسبة للمؤسسات والمجتمعات ومدى ارتباطه بكل مجالات حياة البشر، وكذلك الدور التي يلعبه النمط القيادي والقائد في تحقيق التطور والتنمية على مستوى جميع الأنظمة والأنساق.

ففي القديم ضل مفهوم القيادة مرتبط بالمجالين العسكري والسياسي، فكانت صفة أو تسمية القائد مقتصرة على قادة الجيوش أو الزعماء السياسيين، خاصة عندما يحقق هذا القائد انتصارات ويبرز من الشجاعة والحنكة ما قد يكسبه ثقة أتباعه ومحبيه، فيكون له الفضل في أحداث مهمة ينسبها التاريخ إليه. (G. Yukl, 2013, p02)

ونتيجة مجموعة التغيرات والتحولات التي طرأت على المجتمعات كالنهضة الصناعية في القرن الثامن عشر وتطور المفاهيم المتعلقة بالإدارة والتسيير، حيث شملت هذه التحولات جميع المستويات من دون تمييز، أدى كل ذلك إلى مسارعة العلماء والباحثين في كل الميادين للبحث والدراسة، خاصة بعد التطور الذي عرفته المؤسسات بصفة عامة والمؤسسة الصناعية بصفة خاصة، فحاول علماء الإدارة والاقتصاد دراسة موضوع القيادة من زاوية تتحدد من خلالها امكانية ايجاد نمط قيادي فعال داخل المؤسسات من أجل التسيير الأمثل للموارد، في حين حاول علماء الاجتماع دراسة القيادة فيما يتعلق باحتياجات المجتمع والتنمية، كذلك دراسة الأنماط السلوكية والصفات لإضفاء الصبغة السوسيولوجية.

وينظر معظم الباحثين إلى الجهود البحثية من ثلاثينيات إلى خمسينيات القرن العشرين على أنها تمثل بداية الدراسة الرسمية لموضوع القيادة، وقد تركزت في البداية على البحث حول شخصية القائد وأهم الخصائص التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند محاولة اختيار الأفراد لأدوار قيادية، ثم تحول اهتمام العلماء إلى التركيز على سلوك القائد، حيث تعد دراسة "**فليشمان**" "**Fleishman**" سنة 1953 ودراسة "**هاريس وفليشمان**" "**Harris and Fleishman**"

سنة 1962، من أشهر الدراسات التي استهدفت البحث عن نموذج لأسلوب القيادة. (I. T. Robertson and all, 2002, p203)

ونظرا لأهمية موضوع القيادة فقد سارع الباحثون إلى تطوير مجموعة من النماذج وكذلك العديد من النظريات، كما قاموا بالبحث والتحري حول جوانب القوة والضعف للأنماط القيادية، وقد تم ربط موضوع القيادة بمتغيرات متعددة كالتحفيز، الفعالية التنظيمية، القيم التنظيمية، حيث تعد فترة السبعينيات وأوائل الثمانينات من القرن العشرين بمثابة نقطة تحول في تاريخ القيادة، لغزارة الأبحاث والدراسات التي قدمت للمؤسسات الكثير حول الأنماط القيادية، كدراسة **"هاوس" "House"** سنة 1971، ودراسة **"باس" "Bass"** سنة 1985، وكذلك دراسة **"كونجر" "Conger"** سنة 1989 وغيرها...إلخ.

2.1. الأنماط القيادية

لقد اختلف العلماء والباحثون في تحديد وحصر الأنماط القيادية، فلم يكن اتفاق بينهم حول تصنيف موحد، وهذا راجع لتنوع المؤسسات وتباين الشخصيات واختلاف الوظائف والمواقف، ونميز بين الأنماط التالية.

1.2.1. القيادة الكاريزمية (Charismatic leadership)

وصف "ماكس فيبر" **"Max Weber"**، الكاريزمية بأنها تتعلق بشخصية فريدة، يتم بموجبها تمييزه عن الأشخاص العاديين، يملك مواهب خارقة للطبيعة ويتحمل أكثر من طاقة البشر، أو على الأقل له قدرات وصفات استثنائية، وهذه الأمور لا يمكن الوصول إليها من قبل الشخص العادي حيث يعتبر نموذج مثالي، وجادل ويبر بأن القيادة الكاريزمية هي واحدة من عدة أنواع مثالية من السلطة. (S.P .Robbins and T. A. Judge, 2013, p379)

وهذا يعني بأن هذا النوع من القيادة لا يتعلق بسلوك القائد فحسب بل بشخصيته وكذلك المواهب الغير عادية التي يتحلى بها، حيث أنه على استعداد بتحمل المخاطر على كل المستويات في سبيل تحقيق الأهداف، إلا أن هذا النوع من القيادة لا يكون دوما فعال لأن الحل لا يتوقف دائما على القائد، فالنجاح يعتمد على تظافر جهود جميع الأفراد.

2.2.1. النمط الديمقراطي (Democratic style)

أساسها مشاركة القائد الأعضاء في تسطير الأهداف وتنفيذها، في جو مليء بالمناقشة والتعاون، وهذا بالتشجيع على التعبير عن الأفكار والمواهب مما يزيد من توسيع شبكات الاتصال وتنمية الثقة وخلق روح الاحساس بالانتماء، وتسمى كذلك القيادة الاستشارية لأنها مبنية على التشاور والمناقشة، ومع ذلك ففي الأخير ترجع الكلمة الأخيرة للقائد، وتشير الدراسات إلى أنه أفضل

الأنماط القيادية التي تسعى لتحقيق أهداف المؤسسة واشباع الرغبات والحاجات النفسية للأعضاء. (M. Chaqib Khan and Others, 2015, p88)

تعمل المجموعات الديمقراطية تحت نظام معين يضم الموارد والمهام، وقد تتخذ القيادة موقفا حازما لذلك لا يجب الخلط بين الديمقراطية وعدم وجود هيكل أو حدود، كما أنها تدعوا مشاركة الأعضاء مما يخلق لديهم روح الابداع والابتكار، وينمي الثقة ويزيد من التواصل بين الأعضاء ككل.

3.2.1. النمط الأوتوقراطي (Autocratic style)

يطلق عليه النمط التسلطي حيث يقوم هذا النوع على الدكتاتورية في اتخاذ القرارات وتحديد الأهداف من قبل القائد بشكل منفرد ومستقل، فيقدم القائد رأيه في صيغة الأمر لما يجب القيام به ومتى وكيف ينبغي فعل ذلك، وغالبا ما يتم تطبيق القيادة التسلطية في المواقف المستعجلة أو في حالة ضعف أفراد المجموعة، فهنا تقتصر مهمة الأعضاء على التطبيق وتنفيذ الأوامر، مما قد يضيق على الابداعات لدى الأعضاء. (M. Chaqib Khan and Others, 2015, p88)

4.2.1. النمط الحر (Free style)

في هذا الأسلوب القيادي تترك الحرية المطلقة للأعضاء في تحديد الأهداف واتخاذ القرارات دون أن يتدخل القائد، لذلك فتأثير القائد على سلوك الأفراد محدود، فالأعضاء متحررين من سلطة القائد. (عادل عبد الرزاق هاشم، 2019، ص41)

يسمى كذلك النمط الطليق يقوم القائد بإعطاء الحرية الكاملة للأعضاء في اتخاذ القرارات وممارسة المهام، كما أنه يقوم بتفويض السلطات إلى الأعضاء الذين يملكون المهارة والكفاءة في العمل، لذلك فالأعضاء يؤدون مهامهم بكل حرية ودون توجيه، فعمل القائد يقتصر على اعطاء التوجيهات والتعليمات تاركا للأعضاء حرية التصرف، ويطلق على هذا النمط بالقيادة الفوضوية.

كذلك توجد أنماط أخرى قد لا تكون معروفة بالنسبة للجميع، لذلك لم نشأ التطرق إليها مثل القيادة التحويلية وأسلوب المشاركة النشطة، والقيادة الداعمة...إلخ.

3.1. المؤهلات القيادية

تعبر القيادة الناجحة والفعالة عن مجموعة الأساليب التي يتبعها القائد في سبيل حل المشكلات وتحقيق الأهداف، لذلك وجب على الشخص الذي يمارس قيادة مجموعة أو فريق ما أن يملك من المؤهلات والكفاءات اللازمة ليكون متميزا عن بقية الأعضاء، وتشتمل على كل القدرات التي يملكها القائد ويستخدمها من أجل تحقيق مستويات عالية من الأداء، إذ يفترض بالشخص الذي يتولى مهمة قيادة الأفراد أن يكون متميزا في الشخصية وكذلك في طريقة تعامله ومنهجية ولديه

المقدرة في تكوين وتسيير العلاقات مع الآخرين، ويملك من المعارف والمهارات ما تؤهله لحمل شارة القائد ومن أهم هذه المؤهلات نذكر:

1.3.1. المؤهلات الشخصية: لطالما ارتبط مفهوم القائد بالقوة والشخصية المتميزة والذكاء، وهذا نظرا للمؤهلات التي تحملها شخصيته كأن يتصف بالنزاهة والصدق، الطموح والمثابرة، كذلك يملك روح المبادرة ورؤية مستقبلية ولديه ثقة بالنفس. (A. Aldawood and C. Bach, 2014, p52)

بالإضافة إلى الأخلاق الجيدة وقوة الاقناع والتأثير على الآخرين.

2.3.1. المؤهلات في التسيير: مثل أن يعرف كيفية خلق الثقة بين الأعضاء ويبرز لهم أنه ليس في السلطة، ويمتلك طريقة مميزة في المتابعة والخروج بالحلول من المشاكل ورفع العقبات، ولديه رؤية واضحة وثاقبة في تحديد الخطوات وبرمجتها، أيضا يكون واقعي وعملي من خلال تركيزه على العمل والقدرة على تقريب وجهات النظر وازاحة الفوارق من أجل توفير بيئة موحدة وموجهة لتحقيق الأهداف.

3.3.1. المؤهلات في المنهجية: على القائد أن يعرف التقنيات اللازمة للتكيف مع كل الأوضاع من خلال القدرة على التحليل والتركيب والصياغة، من أجل توفير بيئة عمل آمنة والتقليل من المخاطرة، بالإضافة إلى دعم وتشجيع أعضاء فريقه على جهودهم وتحفيزهم باستمرار باعتبار أنه حليف لهم.

4.3.1. المؤهلات العلائقية: يعد تسيير الأفراد وتوجيههم من أصعب الأعمال التي يقوم بها القائد، نظرا للاختلاف الموجود بين الأفراد على مستوى الأفكار والقيم، وعلى القائد الكفؤ أن يكون قادرا على المخاطبة والاتصال مع الأعضاء، وأن يبدي تعاطفه مع الجميع، ويوسع دائرة الاتصال معهم خارج مكان العمل كأن يشاركهم الأفراح والأحزان، ويحافظ على أسرارهم الشخصية. (R. B. Dilts, 2009, p11)

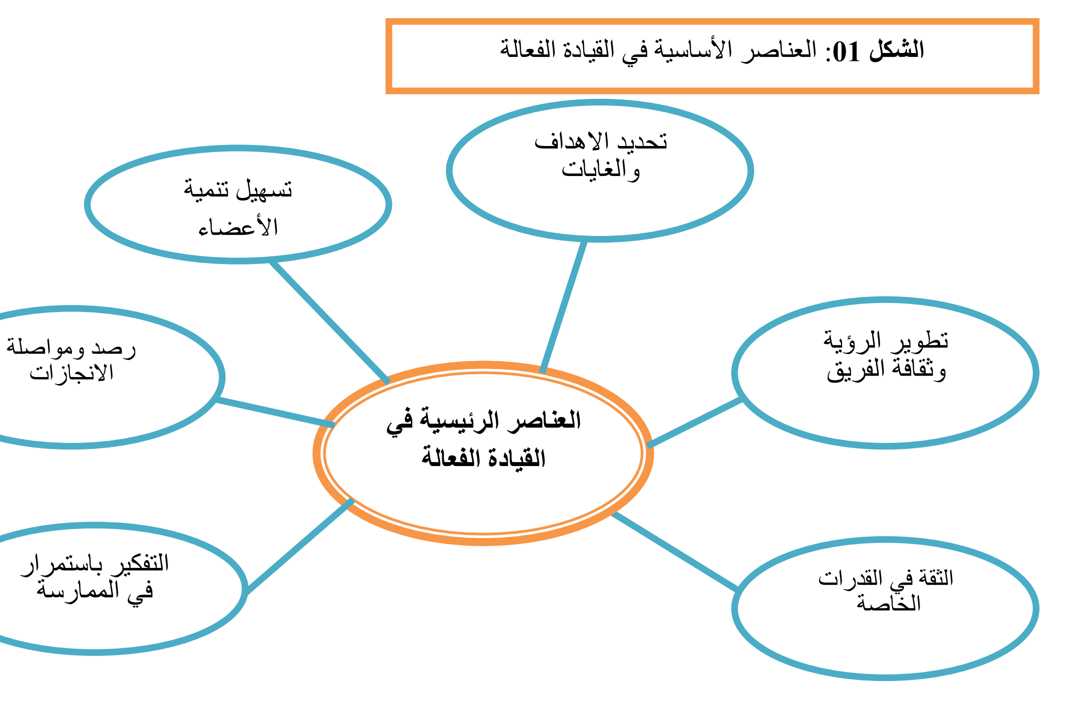
4.1. القيادة الفعالة

تختلف أوجه التصور للباحثين حول القيادة الفعالة وذلك تبعا لمجموعة من الأسباب التي جعلت من هذا الموضوع يتسم بالتعقيد والتشابك كتغليب نمط قيادي على آخر، بالإضافة إلى التغيرات التي واكبت المؤسسات في الآونة الأخيرة خاصة فيما يتعلق بأساليب الإدارة والتسيير، فقد يكون وضع الاستراتيجية وتسطير الأهداف ثم تحقيقها يعبر عن فعالية القيادة بالنسبة لبعض الباحثين، في حين يرى البعض أنها لا تتوقف عند هذا الحد بل تتعداه إلى الابداع الذي من شأنه تطوير المؤسسة.

وقد أوضح الباحث "**باس**" "**Bass**" سنة 1990 من خلال الدراسة التي قام بها لاكتشاف العلاقة بين سمات ومهارات القادة بتدابير فعالية القيادة، ليقوم بربطها مع المؤشرات التي تدل على القيادة الفعالة مثل الرضا الوظيفي والأداء، كما أجريت على مدى سنوات العديد من الدراسات لاكتشاف صفات ومهارات القائد وعلاقتها بالتقدم في المناصب العليا والنجاح الوظيفي وغيرها من المؤشرات التي تعبر عن القيادة الفعالة مثل دراسة "**كامبل**" "**Campbell**" ورفاقه سنة 1974 ودراسة الباحث "**مينر**" "**Miner**" سنة 1978، بالإضافة إلى دراسة "**هوارد وبراي**" "**Howard and Bray**" سنة 1974 ودراسات أخرى. (R. B. Dilts, 2009, p-p 136-137)

لقد قام الباحثون من خلال العديد من الدراسات التي اهتمت بموضوع القيادة بمحاولة الربط بين القيادة الفعالة وتحقيق أهداف المؤسسة، ليصبح كل مفهوم يعبر عن الآخر، ويتجلى ذلك في النجاح الذي تحققه هذه القيادة، إلا أن القائد الجدير بهذه التسمية هو الذي يصل إلى تحقيق أهداف المؤسسة، وكذلك أهداف الأعضاء المسؤول عليهم من خلال تلبية حاجياتهم واشباع رغباتهم، باعتبار أن النجاح لا يأتي دوما من عند القائد لوحده، بل هو حصيلة لتظافر الجهود، لذلك وجب على القادة الاهتمام أكثر بأعضاء فريقهم من أجل بناء علاقات جيدة يسودها الاحترام والثقة والتعاون، والشكل التالي يمثل مجموعة العناصر الأساسية التي تشرح القيادة الفعالة:

الشكل 01: العناصر الأساسية في القيادة الفعالة



المصدر: C. Ritchie, challenge and change for the early years workforce, Routledge, 2015, P 55

2. القيم التنظيمية: تلعب القيم عموما دورا مهما في التحفيز والتوجيه، وهي من العناصر الأساسية المكونة للهوية والشخصية سواء للأفراد الجماعات أو على مستو المؤسسة أيضا، وتعتبر مصدر قوي للتكامل الاجتماعي، إلا أنها قد تكون سببا في الصراع والنزاع عندما تختلف القيم وتتقاطع فيما بينها كالصراع بين القيم الشخصية والقيم التنظيمية، الذي قد يؤدي إلى نقص الانسجام بين الأفراد وكذا نقص الفعالية.

1.2. تكوين القيم التنظيمية

لا تخلو أي مؤسسة من القيم باعتبارها احدى أهم العناصر التي تشكل هويتها، كذلك المحرك الأساسي في تحديد سلوك الأفراد والجماعات، وقد أثبتت العديد من الدراسات مدى أهميتها بالنسبة للمؤسسة في تحقيق النجاح والتقدم، ولا خلاف بين العلماء حول اثبات وجودها، غير أن الخلاف قائم حول تكوينها أو مصادر تكوينها، لذلك كان التباين بين التعاريف المطروحة كما سبق الذكر، حيث انقسم الباحثون إلى فرق ثلاث حول موضوع تكوينها.

فاستنتاجا من التعريف الذي تقدم به الباحثان "**إليزابيث رفلان**" وزميلها "**بورس مقلينو**" يمكن عرض القيم التنظيمية كنتيجة لتجميع القيم الشخصية لأعضاء المؤسسة، وبالتالي يعتبرون أن القيم الوحيدة للمؤسسة هي قيم أعضائها حتى لو لم يحدث اتفاق حولها من قبل الجميع.

وفي المقابل يبرز لنا التعريف الثاني الذي عرضه الباحثان "**ماري فرانس واكسن**" و"**كريستوف بارماير**" بأن القيم التنظيمية هي القيم موضوع اتفاق بين الأعضاء أي أنها منتج جماعي، وطبعا في هذه الحالة قد يتعارض جزء منها مع القيم الشخصية لبعض الأفراد.

ومن ناحية أخرى، قد تمثل قيم المؤسسين الأوائل للمؤسسة، حيث بقيت مستمرة بالتواتر عبر الزمن تتوارثها الأجيال، وهذا كثيرا ما نجده في المؤسسات العائلية، بمعنى المؤسسة التي أغلب أفرادها تجمعهم قرابة.

2.2. خصائص وأهمية القيم التنظيمية:

على الرغم من اختلاف وتباين العلماء في تعريفهم للقيم التنظيمية إلا أن اتفاقهم كان يدور حول بعض الخصائص التي تتميز بها، إذ تعد جوهر الخطابات داخل المؤسسات ووسيلة للممارسات والقيادة الإدارية.

ومن أبرز خصائصها أنها نسبية تختلف من مؤسسة لأخرى على اختلاف ثقافتها التنظيمية وهي ذات طبيعة عامة معروفة عند جميع أفراد المؤسسة، كما أنها تؤثر على سلوكيات الأفراد وتوجههم لذلك فهي قابلة للقياس.

والقيم التنظيمية ليست على المستوى نفسه من الأهمية بالنسبة للمؤسسات، فقد تمثل قيم العدالة، التعاون والثقة أبرز القيم التنظيمية في مؤسسة ما، بخلاف مؤسسة أخرى التي قد تعتبر الالتزام والأمانة أهم القيم لديها، كما أن القيم التنظيمية تعتبر من أهم العناصر المكونة لثقافة أي مؤسسة.

وقد كان اجماع العلماء والباحثين حول أهمية القيم التنظيمية داخل المؤسسة، إلا أنهم اختلفوا حول المحاور التي تشملها هذه الأهمية، ولكن عموما تساهم القيم التنظيمية بشكل كبير في تحديد سلوك الأفراد والجماعات، وهي تمثل أحد أهم الركائز التي تعتمد عليها المؤسسة في وضع الخطط وتسطير الأهداف العامة، ولها دور مهم في التقريب بين مختلف أفكار وتصورات أفراد الجماعات والفرق ومعالجة الأفكار المنحرفة والسيئة.

وتؤكد العديد من الدراسات على الدور الكبير الذي تلعبه القيم التنظيمية بالنسبة للمؤسسة والأفراد، فحسب نتائج الدراسة التي قام بها "**بانسال**" "**Bansal**" سنة 2003، فهي تؤثر على الهيكل التنظيمي وكذا القضايا الاستراتيجية للمؤسسة ، ومن جهة الباحثين "**آشفورث ومايل**" "**Ashforth and Mael**" فإنه يتم التأكيد على أهمية القيم التنظيمية من خلال مكانتها المركزية في العديد من الظواهر التنظيمية بما في ذلك تحديد هوية المؤسسة، في حين توصلت الدراسة التي قامت بها الباحثة الأمريكية "**جيان ليدتكا**" "**Jeanne Liedtka**" سنة 1989، إلى أن القيم التنظيمية تؤثر بشكل كبير على اتخاذ القرار داخل المؤسسة. (H. Bourne, 2013, p496)

يمكن القول بأن القيم التنظيمية تندمج في شخصية المؤسسة وبالتالي فهي تلعب دورا مشابهها للقيم في حياة الأفراد، من خلال توجيه الأنماط السلوكية والتأثير على العلاقات داخل المؤسسة، وبصفة عامة فإن القيم التنظيمية تؤثر على العمليات التنظيمية التي تقوم بها المؤسسة كصنع القرار والتغيير التنظيمي ...إلخ.

وقد تتضح أهمية القيم التنظيمية عندما تكون مطابقة بشكل كبير مع القيم الشخصية فيكون الجميع على المستوى نفسه، وعندئذ يشعر الأفراد بقيمة وجودهم داخل المؤسسة.

3.2. الصراع بين القيم التنظيمية والقيم الشخصية:

الاختلاف موجود وسيظل قائم في جميع جوانب الحياة، لأنه قد يؤدي أحيانا إلى التطور والتقدم نتيجة التصحيح المستمر للأخطاء التي نرتكبها سواء داخل مكان العمل أو خارجه، والاختلاف بين القيم الشخصية للفرد والقيم التنظيمية صورة من صور الاختلافات التي لا بد منها داخل المؤسسة، ليس لأهميتها ولكن لحتميتها باعتبار أن المؤسسة تضم أفرادا يختلفون في التنشئة

الاجتماعية والطبع، كذلك الشخصية والقيم...إلخ، وباعتبار أن هذه الأخيرة عنصر مهم في تكوين الشخصية والهوية وتساهم في تحديد السلوك، فهي تختلف من فرد لآخر حسب الأهمية وأيضا من حيث ترتيبها حسب قيمتها.

وتبين "ديان جيرارد" "**Diane Gerard**" أن تضارب القيم ينشأ عندما تتعارض الإجراءات التي يمكن اتخاذها وتطبيقها في حالة الاستناد إلى القيم التي هي محل اختلاف بين الأفراد والمؤسسة، إذ يمكن أن يكون هذا التضارب في القيم مصدرا للقلق والإحباط، أو سببا في عدم رضا الأفراد، مما قد يساهم في زيادة التوتر والصراع، الأمر الذي سيؤثر سلبا على جودة العمل وعلى العلاقات بين الأفراد، وقد يخلق مشكلات نفسية. (D. Girard, 2009, p-p 134-135)

إن تجنب الصراع القيمي ليس بالأمر السهل لأنه متأصل في الحياة التنظيمية، فهو نتيجة طبيعية للتفاعل داخل المؤسسة، لذلك يستوجب التعامل معه بأسلوب ملائم للتخفيف من حدته، وهذا الدور يرجع إلى القادة بصورة كبيرة والنمط القيادي المتبع من طرفه، من خلال محاولة التقريب بين القيم حتى يتسع نطاق دائرة القيم المشتركة، لأنه كلما كان الاختلاف بين القيم كبير كلما زاد احتمال الوقوع في الصراعات.

3. دور القائد في ترسيخ القيم التنظيمية لدى الأعضاء: يصبو القائد الفعال بالدرجة الأولى إلى جذب اهتمام الأفراد إليه وتحسين العلاقات التي تربطه بهم، وذلك تبعا لما يوفره لهم من الاحتياجات التي تعبر عن أهم امتياز يسعى من خلاله هؤلاء الأفراد إلى بدل المزيد من الجهد لتأدية المهام المنوطة إليهم ،كما يستلزم عل القائد أن يبقى حريصا على تنمية وتطوير الشبكة العلائقية ما بين الأفراد بما يحدث التوافق بين رغباتهم وبين أهداف المؤسسة، الأمر الذي قد يشعرهم بالتقدير من قبل قائدهم وكذلك أهميتهم في مجال عملهم، وتعد مسألة نقل وترسيخ القيم التنظيمية لدى الأعضاء من أصعب المهام التي قد تقع على عاتق القائد قبل إدارة المؤسسة، لذلك وجب عليه البحث عن السبل والطرق الكفيلة لإتمام هذه المهمة، والتي تم تلخيصها من خلال هذه الدراسة في الاعتماد على منظومة القيم والأخلاق، محاولة كسب ثقة الأفراد، الاعتماد على الإدارة بالقيم واستخدام السلطة، وأخيرا إدارة الصراعات.

1.3. الاعتماد على منظومة القيم والأخلاق

وفي السياق ذاته باستطاعتنا فهم أن أهم مورد يمتلكه القائد ويستطيع من خلاله التأثير على الآخرين يتمثل في مورد القيم والأخلاق التي نشأ عليها في مراحله العمرية الأولى أو تلك التي فرضتها عليه المؤسسة التابع لها واكتسبها من الأدوار الوظيفية التي مارسها لتصبح جزء من قيمه العامة وهذه المنظومة القيمية يتحلى بها ويطبقها في مجاله العملي، وبهذا يكون قد حقق جزء مهما مما يريد الوصول إليه وهو الرضا عن الذات.

وقد أقر الباحثان "**ستيفن روبنز وثموثي جادج**" "**Stephen P. Robbins and Timothy A. Judge**" بأن القادة الذين يعاملون أعضاءهم بإنصاف وخاصة من خلال توفير معلومات

صادقة ودقيقة يكونون أكثر فعالية، كما أن القادة الذين يملكون أخلاقا عالية يكونون أكثر تأثير على تغيير سلوك الأفراد. (S.P.Robbins and T.A. Judge, 2013, p379)
وعلى هذا الأساس نميز بأنه هناك تقاطع بين الأخلاق والقيادة في عدد من النقاط المهمة، حيث يقوم بعض القادة بتعزيز المنظومة الأخلاقية عندما يحاولون تغيير مواقف وسلوكيات أعضاء مجموعتهم، باعتبارها أداة تستخدم في بناء العلاقات الاجتماعية وتقويتها، وتزيد من الاحترام والمودة بين القائد والأعضاء.

2.3. كسب ثقة الأعضاء

كما أنه غالبا ما تنجم مشاكل داخل المؤسسة يعود سببها إلى سلوكيات منحرفة من بعض الأفراد تنبثق عن قيمهم الشخصية، لذلك يبحث القائد عن الحلول الازمة التي من شأنها أن توحد مجموعته وتجعلها متماسكة، من خلال بعض الاجراءات مثل تعزيز العلاقات بينهم وتوسيع دائرة الاتصالات معهم، كذلك خلق جو تعاوني واشراكهم في اتخاذ القرارات، وكذا البحث عن سبل خلق وكسب ثقة الأفراد.
وقد أكد الباحث "**دافيد ديشاين**" "**David Ducheyne**" أن تنمية الثقة من شأنها أن تكون سببا قويا في كسب الأعضاء اتجاهه، وتعبر قيم النزاهة، الاحترام والالتزام، كذلك القدرة والمهارات التي يتحلى بها هذا القائد أهم العناصر التي تدفع بالأفراد إلى الثقة به، فتتشكل بذلك بيئة عمل مستقرة يكون فيها الأفراد على ثقة بأن حقوقهم محفوظة ولا يمكن الإساءة إليهم، مما يزيد من روحهم المعنوية فيسهل بهذا ترسيخ القيم التنظيمية لديهم. (D. Ducheyne, 2016, p178)

وعليه فإن الثقة قيمة أساسية ترتبط ارتباطا كبيرا بالقيادة والقائد، فلا يكفي أن يكون القائد على معرفة واسعة ويملك تفكيرا ابداعي ومهارات فنية من أجل حل المشكلات إذا كان الأعضاء لا يثقون به، لأن غياب الثقة يمكن أن يؤثر على حسن سيرورة العمل وكذلك على القرارات التي يتخذها، وهذا الأمر من شأنه أن يحول بين تحقيق أهداف المؤسسة.

3.3. القيادة بالقيم واستعمال السلطة

لعل أهم ما يميز المؤسسات في الآونة الأخيرة هو تطور أساليب الإدارة والتسيير، وكذلك الاعتماد على أنماط قيادية جديدة بغرض تحسين الأداء والرفع من مستوى الإنتاجية، حيث تعد الإدارة بالأهداف التي عبرها يتم إشراك القائد جميع أعضاء مجموعته في عملية التخطيط ووضع الأهداف، الأمر الذي يجعلهم متحمسين للعمل والبحث عن أفضل الخطط والاستراتيجيات الكفيلة لبلوغ تلك الأهداف ،كذلك الإدارة بالقيم التي اعتمدت عليها المؤسسات حديثا لتحافظ على هويتها الثقافية، فمثلا الحديث عن قيمة الالتزام قد يدفعنا لتفحص النموذج الياباني الذي يتسم بالمثالية طالما أنه يطبق هذه القيمة، ناهيك عن قيم أخرى كالإتقان للعمل، الاحترام والتعاون ...إلخ، وهذا ما جعل من المؤسسات اليابانية تشجع على تطبيق هذا الأسلوب، وتعتبره من الأساليب التي تؤدي إلى تحقيق النجاحات وتطوير المؤسسة، وكذلك قد يجد الأعضاء ذوي المواهب والقدرات الفنية طريقهم في التعبير عن أفكارهم وعرض ابداعاتهم بكل أريحية.

وقد قدمت الدراسة التي قام بها "**إسحاق بريلل ثانسكي**" "**Isaac Prilleltensky**"سنة 2000 نموذج حول القيادة القائمة على الإدارة بالقيم، حيث ركز الباحث على الصراعات الموجودة بين القيم والمصالح، فالسلطة التي يملكها القائد تزيده من القدرة على التخفيف من حدة التوترات،

وكذلك توضيح وتقريب القيم التنظيمية من الأعضاء وتعزيز الممارسة القائمة على القيم، بالإضافة إلى محاولة كسب الأفراد والعمل على تطابق الشخصيات والسلوكيات، كما أنه مستعد لمواجهة الأفراد الذين يعارضون قيم المؤسسة أو يسيئون استعمالها. (I. Prilleltensky, 2000, p139)

لقد أضافت هذه الدراسة أداة مهمة للقائد تساعده في توصيل القيم التنظيمية للمؤسسة تتمثل في السلطة التي منحت له، حيث أنه يستطيع استعمالها في حدود المعقول من دون افراط حتى لا يظلم الأفراد، خاصة في المواقف التي قد تواجهه مثل عدم امتثال أحد الأعضاء للأوامر ومعارضته لقيم المؤسسة ربما بسبب الاختلاف الكلي مع قيمه، ففي هذه الحالة الأفضل للقائد طرد هذا العضو من المجموعة خشية تأثيره على البقية أو تسببه في تأخر تأدية المهام، خاصة إذا كان هذا العضو غير فعال.

4.3. القدرة على إدارة الصراعات

بالنسبة للقادة يمثل تسيير المورد البشري أصعب المهام التي يقوم بها، وهذا نتيجة طبيعية لوجود أنواع متعددة من الشخصيات داخل المجموعة وكذا الفروقات بين قيمهم ومبادئهم التي يرتكز عليها سلوك كل واحد منهم، خاصة إذا كان هناك تفاوت بين الأجيال أو اختلاف كبير بين المستوى التعليمي، فبروز الصراعات والنزاعات بين الأعضاء أمر عادي ما لم يؤثر ذلك على حسن سير المهام، وتدخل القائد في حل الصراعات التي يعود أساسها إلى اختلاف القيم والآراء يجب أن يكون بشكل منظم ومنهجي، وبطريقة توحي بكفاءته وتمكينه حتى يتسنى له السيطرة على الوضع ويتفادى بعض السلوكيات الغير مرغوبة والتي قد تصدر من قبل بعض المشاغبين.

وقد عالجت دراسات عديدة موضوع الصراعات القائمة داخل المؤسسات بصورة عامة، وانصب تركيز أخرى على موضوع الصراع بين القيم، كالدراسة التي قام بها "**ديديي نويي**" "**Didier Noyé**" سنة حول إدارة الصراعات ومواجهتها، كذلك دراسة "**غلوندا إليوث**" "**Glenda R. Elliott**" حول صراع القيم والأخلاق القائمة بين الأعضاء، وقد اعتبرت الباحثة "**إنيكن ثيطوف**" "**Eneken Titov**" وزملائها من خلال الدراسة التي قدموها سنة 2018، أن الصراع بين القيم داخل المؤسسة إنما هو مؤشر على وجود القيم التنظيمية.

وقد أظهرت نتائج دراسة "**إنيكن ثيطوف**" ورفاقها أن الصراعات تصف القيم التنظيمية الحقيقية وبالتالي يمكن استخدامها كأداة لتقييم القيم التنظيمية، إلا أن كثرة الصراعات الغير بناءة من شأنها أن تدمر المؤسسة، لذلك نعتبر بأن القيادة الفعالة هي التي تحول الصراعات إلى صراعات بناءة ومنتجة تساهم في تطوير المؤسسة، وبهذا تخلق الظروف الملائمة للاعتراف بالقيم التنظيمية لهذه المؤسسة. (E. Titov and all, 2018, p28)

أي أن فعالية القائد تتجلى من خلال تحويل الصراع إلى خدمة مصالح المؤسسة ولكن عليه التأكد من أن مصالح واحتياجات وقيم جميع الأطراف قد أخذت في الاعتبار، وقد ينجح في منع الصراع

قبل حدوثه إذا تم تحديد القيم المشتركة، حيث يقلص من امكانية التضارب بين القيم لذلك يمكن اعتبارها استراتيجية وقائية في إدارة الصراعات.

وتضيف "**ثيطوف**" ورفاقها بأن هناك اتفاق بين الباحثين على أن القيم التنظيمية والنجاح مرتبطان ويعتمدان على بعضهما البعض في كثير من الأحيان، وأن القيم والصراعات هي مواضيع بحثية شائعة، ومع ذلك لا يزال هناك الكثير من العمل الذي يجب القيام به لربط هاتين الظاهرتين، لقلة الأدلة التي تؤكد كيفية ارتباط وتأثير مختلف الأشكال والمستويات للقيم التنظيمية أو كيفية تأثيرها على الأشكال والمستويات المختلفة من الصراعات التنظيمية. (E. Titov and all, 2018, p28)

يقر الباحثون بأن رغم توفر الدراسات التي شملت موضوعي القيم والصراع إلا أنه من المبكر التأكيد على كيفية ونوعية العلاقة التي تربطهما، كما أنهم أشاروا إلى أن القيم التنظيمية تساهم بشكل كبير في تحقيق النجاح.

رابعا: عرض وتحليل البيانات ومناقشة النتائج

1. في ضوء الخصائص الديموغرافية لعينة الدراسة:

جدول رقم 01: يوضح الخصائص الديمغرافية للعينة

الحالة العائلية	الجنس	السن	الأقدمية	المستوى التعليمي
متزوج (14)	15من أفراد العينة من جنس الذكور مقابل 3 من جنس الإناث	3 من أفراد العينة تقل أعمارهن عن 30 سنة، 10 أفراد تنحصر أعمارهن بين 30-40 سنة، و4 أفراد تنحصر بين 40-50 سنة، وأخيرا فرد واحد يفوق 50 سنة	3 أفراد لديهم أقدمية بين 05-10 سنة، و10 لديهم أقدمية بين 10-15 سنة، و5 أفراد لديهم أقدمية بين 15-20 سنة	16 فرد من أفراد العينة لديهم المستوى الجامعي، مقابل فردين فقط لديهم المستوى الثانوي
أعزب (01)				
مطلق (02)				
أرمل (01)				
المجموع (18)				

المصدر: من إعداد الباحثتين بناء على المعطيات

من خلال الجدول نلاحظ بان اغلب افراد العينة متزوجون وعددهم اربعة عشر (14) فردا، أما بالنسبة لجنس المبحوثين فأغلبهم من جنس الذكور وعددهم خمسة عشر (15) فردا مقابل ثلاثة

(03) من الإناث، وفيما يخص السن فأغلب أفراد العينة من فئة الشباب الذين تقل أعمارهم عن 40 سنة وعددهم ثلاثة عشر (13)، وعن معيار الأقدمية فقد تبين بأن عشرة (10) ممن لديهم أقدمية تنحصر بين 10-15 سنة، مقابل حمس (05) قادة لديهم أقدمية بين 15-20 سنة، أما عن القادة الذين تنحصر أقدميتهم داخل المؤسسة بين 05-10 سنوات فقد سجلنا وجود ثلاث قادة، في حين لم نسجل أي حالة تقل أقدميته عن الخمس سنوات، وهذا طبيعي بالنظر إلى المسؤولية التي تقع على عاتق القائد الذي ينبغي أن يملك من الخبرة في مجال عمله، وأخيرا أظهرت النتائج أن أغلب المبحوثين لديهم المستوى الجامعي كان عددهم ستة عشر قائد مقابل قائدين فقط لديهما المستوى الثانوي.

2. في ضوء فرضيات الدراسة:

1.2. في ضوء الفرضية الأولى: التي مفادها " تساهم القيم التنظيمية في زيادة فعالية أعضاء المجموعة "

لقد توصلنا من خلال النتائج أن أغلب المبحوثين يؤكدون على أن العلاقات التي تسود مجموعاتهم جيدة، حيث أقر خمسة عشر قائدا بذلك، وفي المقابل نجد بقية القادة يؤكدون على أن العلاقات التي تسود المجموعة أحيانا ليست جيدة، وقد أرجعوا ذلك لوجود بعض التوترات بين الأعضاء. فعموما نقر بأن العلاقات جيدة لغياب الصراعات خاصة إذا علمنا أن أغلب الأعضاء من الشباب ومن الطبقة الجامعية، مما يبين غياب صراع الأجيال على وجه الخصوص.

كما أفرزت النتائج أن بعض القادة يؤكدون على أنهم لا يؤمنون بالأهداف العامة للمؤسسة بالنظر إلى الأسس التي تعتمد عليها، وقد عبر عن ذلك نصف العينة، في حين النصف الأخر يؤمنون بالأهداف العامة للمؤسسة، يمكن أن نعتبر هذه النتائج سلبية بالنسبة للمؤسسة، وقد يرجع ذلك لعدم وجود التشجيع عن العمل بشكل كافي، كذلك ربما قد لا تتقاطع أهداف المؤسسة وأهداف القادة بشكل كبير، وعند تقصينا للأسباب وقفنا على أن بعض الأنظمة كنظام الترقية، التكوين وتوزيع المهام قد تغيرت كثيرا بشكل لا يخدم مصلحة القادة والعمال، فبعدما كانت الترقية بشكل آلي تشمل الأفراد كل خمس سنوات، وقد تكون قبل هذه المدة في حالة اقتراح المسؤول عضو من الأعضاء للترقية مع تقديم الأدلة التي تثبت جدارته، إلا أن الأمر تغير فقد تم تحويل الزيادة الموجهة للأعضاء الأكفاء إلى ترقية في الدرجة لكل فرد لم يحصل على ترقية منذ مدة ثلاث سنوات، وهذا يعد هضم لحق العامل، فبذلا أن يحصل العامل كان قائدا أو عضوا ضمن مجموعة على الامتيازين معا حصل على واحد فقط.

بالنسبة للسؤال المتعلق بمدى رضا القادة عن عمل مجموعاتهم فقد توزعت النتائج بين الرضا بدرجة كبيرة جدا (7 قادة)، الرضا بدرجة كبيرة (6 قادة) وكذا الرضا بدرجة متوسطة (4 قادة)، مقابل قائد واحد الذي عبر عن رضاه لكن بدرجة صغيرة، ومنه نستنتج أن القادة راضون على عمل فرقهم، خاصة وأن أعضاء الفريق يؤدون المهام المسندة إليهم بالطريقة السليمة وعلى

أحسن وجه، وهذا يرفع من قيمة القائد أمام الإدارة، حيث تزيد ثقة المسؤولين به وبفريقه مما يضاعف حظوظ الفريق ككل في تلقي الحوافز ويكون أعضاؤه مرشحون للترقية أيضا.

ومن ناحية أخرى أظهرت التحليلات أن أغلب القادة يقرون بأن أعضاء مجموعاتهم يقومون بالواجبات عند تأدية المهام، حيث عبر عن ذلك عشر (10) قادة، مقابل سبع (7) ممن يؤكدون على أن أعضاء مجموعاتهم يجتهدون بشكل أكثر عند القيام بالعمل، ويبقى قائد وحيد يرى أن بعض الأعضاء ضمن المجموعة لا يبالون بتأدية العمل، ومنه فإننا نستنتج أن أغلب المبحوثين يقرون بأن سيرورة العمل تأخذ منحى القيام بالواجبات.

نرجح بأن اختيار القيام بالواجبات هو الاختيار الصائب، وهذا باعتبار أن المطلوب من كل عضو داخل الفريق أو المجموعة هو تأدية دوره والقيام بالمهام الموكلة إليه دون التدخل في عمل الآخرين حتى لا يفسده بتدخله، ونعتقد بأن قلة الحوافز هي السبب في عدم بذل جهود إضافية.

ويؤكد معظم القادة على أن تطبيق القيم التنظيمية يزيد من فعالية الأعضاء داخل الفريق، حيث أكد عن ذلك سبعة عشر (17) قائدا من مجموع ثمانية عشر.

نعتقد بأن تطبيق القيم التنظيمية من شأنه أن يشعر الأعضاء بالأمان والطمأنينة اتجاه المؤسسة، مما يدفعهم إلى التركيز أكثر على تأدية المهام ولعب الأدوار بكل أريحية، وخلق جو من التضامن والتجانس من أجل العمل على تحقيق الأهداف المسطرة.

ومما سبق نستنتج بأن هناك علاقة قوية بين مؤشرات القيم التنظيمية ومؤشرات فعالية أعضاء المجموعة، ويمكن اعتبار الفرضية التي انطلقت منها هذه الدراسة على أنها صادقة ومثبتة، وعليه يمكن قبول الفرضية.

2.2. في ضوء الفرضية الثانية: التي مفادها " تساهم القيم التنظيمية في تبني النمط القيادي "

أغلب القادة وعددهم اثني عشر (12) قائدا يؤكدون على أن الكفاءة تعد بمثابة الميزان التي يعتمدون عليها في تعاملهم مع الأعضاء، يليه معيار العلاقات الشخصية حيث أقر بذلك أربع (4) قادة، وأخيرا أكد قائدين على أنهما يتعاملان مع أعضاء الفريق على أساس المساواة والإنصاف.

وعلى هذا الأساس فإن الكفاءة هي المعيار الذي يعتمد عليه القادة في تعاملهم مع الأعضاء، وهذه النتائج تعكس المبادئ التي يستند إليها أسلوب العمل الجماعي، حيث يسعى القائد دوما إلى ضم العناصر الأكثر كفاءة وفعالية إلى فريقه، من أجل القيام بالمهام بسرعة وبكل فعالية، لأن ذلك يحسن من صورته أمام الإدارة، باعتبار أن نجاح المجموعة يعني نجاح القائد، ومع هذا نجد بعض القادة يميلون إلى بعض الأعضاء دون آخرين بسبب علاقات تربطهم ببعض مثل القرابة، الصداقة...إلخ.

في حين أكدت نسبة من المبحوثين على أن أساس التعامل هو قيمة المساواة بين الأعضاء، إلا أنه ما يرونه مساواة قد يراه البعض عكس ذلك، فمعاملة القائد لشخص يقوم بالمهام بشكل جيد ومن دون أخطاء في كل مرة، هي المعاملة نفسها لعضو آخر غالبا ما يؤدي مهامه بشكل سيء، لا نعده من المساواة.

كما بينت النتائج أن اجابات القادة قد تباينت حول الأسلوب المتبع في تعاملهم مع الأعضاء، حيث أكد ثمانية (8) قادة أن التعاون هو أساس المعاملة، أما البعض فيرى بأن الصرامة وفرض القوانين هي القاعدة وعددهم خمسة (5) قادة، والعدد نفسه بالنسبة للقادة الذي يرون أن أسلوبهم يتميز بالانضباط.

وفي هذا الصدد نقول بأن القادة يؤكدون على أن التعاون هو الأسلوب الذي يتبعونه عند تعاملهم مع الأعضاء في الكثير من الأحيان، وهذا لعلمهم بأن التعاون هو أحد أهم القواعد التي تبنى عليها فعالية الفرق والمجموعات، وربما طبيعة وخطورة العمل الذي تمارسه المؤسسة يستلزم تعاون القادة مع الأعضاء في سبيل القيام بالمهام على الشكل الصحيح، باعتبار أن الخطأ أحيانا داخل مثل هذه المؤسسات قد يكلف خسائر كبيرة تتعدى إلى الخسائر البشرية، ومع ذلك قد يستوجب الأمر أن يكون القائد صارم في تطبيق القوانين، خاصة على الأعضاء الذين لا يؤدون المهام الموكلة لهم دوما على الشكل الصحيح نتيجة التهاون أو التكاسل، باعتبار أن القادة كذلك هم موضع سؤال الإدارة.

ومن جهة أخرى أظهرت النتائج أن معظم المبحوثين قد أكدوا على أنهم يحظون بالتقدير والاحترام من قبل أعضاء مجموعاتهم، وقد أجمع على ذلك خمسة عشر (15) قائدا، مقابل ثلاثة (3) قادة يعتقدون أنهم لا يحظون بتقدير واحترام أعضاء مجموعاتهم.

نعتقد بأن أغلب القادة على علم بمدى تأثير قيمة احترام الأعضاء على فعالية الأداء واتقانه، لذلك هم يقدرون الأعضاء من أجل كسب ثقتهم وتنفيذ المهام بطريقة فعالة وسليمة من خلال مبادلتهم الاحترام والتقدير، والتفسير أن جميع أعضاء الفرق تقريبا من فئة الشباب، ضف أن معظمهم من خرجي الجامعات، لذلك نستبعد وجود توترات كثيرة، مما يخلق علاقات طيبة مبنية على التفاهم والاحترام المتبادلين، ضف إلى ذلك التزام القائد اتجاه الأعضاء وممارسة مسؤوليته بكل حزم ولكن بإنصاف قد يكون أحد الأسباب التي تجعل الأعضاء يحترمونه، وفي المقابل قد يرجع عدم احترام بعض الأعضاء للقادة إما إلى الأسلوب الذي يتعامل به القائد مع أعضاء فريقه، أو إلى بعض المشاكل أو التوترات التي تحصل أحيانا بينهم، وقد نرجع السبب إلى بعض الأعضاء الذين دوما يعتقدون أن حقوقهم مهضومة وأن القائد يفضل عضو عن آخر، وما شابه من المشاكل التي تحصل باستمرار داخل المجموعات والفرق.

كذلك بينت النتائج أن أغلب القادة يلزمون الأعضاء الالتزام بمواقيت العمل واحترام أوقات الدوام، وقد أذى ذلك إلى انضباطهم والتزامهم أثناء تأدية المهام وكان عدد القادة الذين أقروا بذلك

يمثلون الأغلبية بسبعة عشر (17) قائدا، حيث يمكن تفسير هذه النتائج على أساس الفطرة البشرية، حيث أن أغلب الأشخاص يصبحون أكثر انضباطا والتزاما في حالة الزامهم احترام القوانين واللوائح، سواء كان ذلك كتابيا أو شفويا خاصة في حالة معاقبة المخالفين، ونعتقد بأنه في القانون الداخلي للمؤسسة هناك تصنيف للأخطاء والتجاوزات التي قد تقع بدرجات متفاوتة مع العقوبة التي تقابلها.

ومن جهة أخرى تبين أن الثقة التي يضعها القائد في أعضاء مجموعته تزيد من التزامهم ودافعيتهم للعمل، وقد عبر عن هذا ستة عشر (16) فردا من المبحوثين، وتفسير ذلك يرجع في اعتقادنا إلى كون أن الثقة هي نتيجة لعوامل أو قيم أخرى نلمسها من خلال سلوكيات الأفراد، حيث أن القائد بصفة عامة يبقى محتاط وحذر عند تعامله مع الأعضاء في أول الأمر، حتى يتم اثبات أنهم جديرين بثقته من خلال عدة عوامل كالالتزام التام وتطبيق الأوامر بصورة مستمرة، وهذا من شأنه أن يخلق صورة جيدة وانطباع حسن عنهم من قبل القائد، ويزيد من ارتياحه وامكانية الاعتماد على الأعضاء من دون مراقبتهم أو تتبعهم، وهذه نتيجة وثوقه بهم، لذلك يمكنه تغيير نمطه القيادي حسب الظروف.

من خلال الإجابات المتعلقة بمشاركة القادة أعضاء مجموعاتهم اتخاذ القرارات فمعظم القادة أدلو بأنهم يتقاسمون مع أعضاء المجموعة الآراء والأفكار في أغلب الأحيان من أجل اتخاذ بعض القرارات، أما بالنسبة للقرارات التي لا تخص الأعضاء أو عملهم بشكل مباشر فالقرار يعود للقائد وحده، وقد اتضح أن أحد عشر (11) فردا من المبحوثين قد صرحوا بذلك، وبالنسبة لتفسير هذه المعطيات نعتقد أن القرارات قد تتكرر باستمرار لذلك قد يرى القادة أنه ليس من الضروري إشراك الأعضاء بشكل دائم، كذلك قد يكون الأمر مستعجلا ولا يقبل التأجيل أو الانتظار فيعطي القائد التعليمات مباشرة للأعضاء من أجل التنفيذ، أو قد تكون بعض الأمور السرية التي لا تسمح الإدارة للقائد أن يخبر بها الأعضاء، في حين يتطلب القيام ببعض المهام التشاور والمناقشة بين القائد وأعضائه من أجل اتخاذ القرارات الصائبة، ونظن أيضا أن نقص الخبرة وقلة الكفاءة لدى بعض القادة يدفعهم إلى مشاركة الأعضاء في اتخاذ القرارات، ولعل مركزية القرار قد تكون له تأثيرات سلبية كما قد تكون تأثيراته ايجابية وهذا حسب نوعية القرار، وفي اعتقادنا أن هذا يرجع إلى طبيعة العمل داخل المركب، إذ لا مجال لمشاركة الأعضاء في بعض القرارات المستعجلة والتي قد ينجم عن تأجيلها حوادث خطيرة على غرار حادثة الانفجار الذي ذهب ضحيته (27) شخصا، وخسائر مادية تقدر بالملايير في 19 جانفي 2004.

مما سبق نستنتج بوجود علاقة قوية بين القيم التنظيمية وفعالية القيادة، ويمكن قبول الفرضية واعتبارها صادقة.

3.2. في ضوء الفرضية الثالثة: التي مفادها " الصراع القيمي يحد من فعالية القيادة "

أفرزت النتائج المتعلقة بوجود النزاعات داخل المجموعة من عدمها، تأكيد اثني عشر (12) قائدا على أنه لا توجد توترات ونزاعات بين الأعضاء، مقابل ستة (6) قادة ممن يؤكدون على وجود نزاعات داخل فرقهم، فبالنظر إلى أعمار الأعضاء ومستواهم التعليمي فإن ذلك من شأنه أن يمثل نقطة ايجابية بالنسبة للفرق والمجموعات، أين تتضاءل معدلات حدوث سوء الفهم وكذا غياب صراع الأجيال، ضف إلى سهولة نشأة علاقات الصداقة بينهم التي من شأنها أن تقوي علاقاتهم في العمل، إلا أن كل ذلك لا يمنع من وجود الصراعات نهائيا وهذا لوجود اختلافات في الآراء والأفكار وكذا الشخصية وتضارب القيم، ونعتقد أن معظم الصراعات إن وجدت ليست مدمرة بل قد تكون ايجابية تخدم مصلحة المجموعة.

وقد أرجع القادة الذين أقروا بوجود الصراعات داخل المجموعات أن الأسباب عديدة تختلف باختلاف نوع الصراع، إذ أن مصادر التوتر متعددة، فقد يكون سبب النزاع كلمة نطق بها عضو من الأعضاء، وقد يرجع الصراع إلى تعنت أحد الأفراد في الرأي أو الفكرة...إلخ، كما أن القادة يرون أن سوء الفهم يلعب دورا هاما في نشوب الخلافات وهذا ربما لقلة الخبرة المهنية.

كذلك يرى بعض القادة أنهم يجدون أحيانا صعوبة في التواصل مع بعض الأعضاء، قد ترجع الصعوبة في الاتصال بين الأعضاء أحيانا إلى سوء الفهم أو قلة الخبرة في التعاملات الرسمية، أو حتى نقص وسائل الاتصال، فغالبا لا يجد الأعضاء صعوبة في التواصل خاصة مع توفر وسائل الاتصال داخل المركب وحتى الهواتف النقالة الشخصية.

وقد أظهرت النتائج أن أغلب القادة أقروا بوجود تعاون بين الأعضاء، وهذه النتائج تؤكد أن التعاون بين الأعضاء يمثل أهم القيم التي تؤدي إلى نجاح الفرق والمجموعات، فلعل الأعضاء فعلا تمكنوا في حل المشاكل بواسطة تعاونهم وتضامنهم، ولم يقوموا باللجوء إلى القائد أو استشارته إلا في حالات نادرة تتطلب تدخله، في حين أكد البعض على أن عامل غياب الصراعات من شأنه أن يساهم في تحسين الأداء، باعتبار أن بعض الصراعات قد تكون مدمرة للفريق خاصة، وهؤلاء القادة حتما قد مروا بمثل هذه الصراعات فنقص أداؤهم ضمن فرقهم، ويعلمون مدى خطورة بعض الصراعات التي من شأنها أن تؤدي إلى تفكك المجموعة أو استبدال الأعضاء.

ومن جهة أخرى أدلى بعض القادة بأن وجود الصراع القيمي من شأنه أن يربك المجموعة ويفقد القائد على التحكم بزمام الأمور، وقد صرح بذلك احدى عشر (11) فردا من أفراد العينة، كما أن هؤلاء القادة أقروا بأن صراع القيم يضعف من فعالية القيادة مهما كان نوع النمط المتبع.

وفي السياق ذاته تم تأكيد بعض القادة إلى أن عامل غياب الصراعات من شأنه أن يساهم في زيادة أداء القائد وفعالية المجموعة، أين عبر على ذلك عشر(10) قادة، وهؤلاء القادة حتما قد مروا بمثل هذه الصراعات فنقص أداؤهم وأداء فرقهم، ويعلمون مدى خطورة بعض الصراعات التي من شأنها أن تؤدي إلى تفكك الفريق أو استبدال الأعضاء.

ويبقى حب المهنة بالنسبة للبعض وعددهم خمس(05) قادة هو أحد الدوافع التي تساهم في الرفع من مستوى الأداء، باعتبار أن طبيعة النشاط ومدى توافقه مع مجال تخصصه يمكن أن يمثل أحد أهم الأسس التي يستند إليها المركب في توزيع المهام ووضع العضو المناسب في مكانه المناسب، وينتج عن ذلك قدرة الفرد على التأقلم وسهولة الاندماج في العمل مع بقية الأعضاء، كما تتيح له فرصة الإبداع في مجال تخصصه، وبالنسبة للبقية فتعتقد أن الأداء يزيد بفعل الحوافز، وأدلت بعض الشواهد بأن من الحوافز خاصة المادية منها هي التي تقوي الرغبة في العمل وتزيد من الحماس لتقديم أعلى المستويات من الأداء.

أما فيما يخص الإجابة حول انعكاسات مركزية القرار، فقد تباينت الإجابات لتؤكد على وجود تأثيرات سلبية وأخرى ايجابية وهذا حسب نوعية القرار، وفي اعتقادنا أن هذا يرجع إلى طبيعة العمل داخل المركب، إذ لا مجال لمشاركة الأعضاء في بعض القرارات المستعجلة والتي تتسم بالسرية أحيانا، ويعتقد كذلك بعض القادة أن مركزية القرار يزيد من الصرامة والانضباط بين أعضاء الفريق خاصة الجدد منهم، نتيجة نقص الخبرة الميدانية، إلا أنه في المقابل يخلق مجال للتوترات وأحيانا معارضة الأوامر من قبل بعض الأعضاء.

ومما سبق نستنتج بأن هناك علاقة عكسية قوية بين الصراع القيمي وفعالية القيادة، ويمكن اعتبار الفرضية التي انطلقت منها هذه الدراسة على أنها صادقة ومثبتة، وذلك حسب الأرقام الاحصائية التي أدلت بها مفردات العينة، وعليه يمكن قبول الفرضية.

النتيجة العامة للدراسة:

بناء على عرض وتفسير البيانات ومناقشة النتائج التي تم التوصل إليها في ضوء خصائص العينة وفي ضوء الفرضيات الثلاث، حيث تم التحقق من صحة الفرضيات الفرعية لذلك يمكن اثبات الفرضية الرئيسية التي مفادها " يساهم القائد في ترسيخ القيم التنظيمية لدى الأعضاء "، وبذلك تمت الاجابة على التساؤل المركزي الذي مفاده "هل يساهم القائد في ترسيخ القيم التنظيمية لدى الأعضاء؟"، ويمكن القول بأن المؤسسة محل الدراسة تملك العديد من القيم التنظيمية التي تقوم بتطبيقها وتعمل على ترسيخها لدى أعضاء داخل الفرق والمجموعات.

خاتمة

مما سبق يمكن القول أن القيم التنظيمية تعد أحد أهم العناصر المكونة للثقافة التنظيمية، حيث يتبناها القائد ويعمل على تكريسها وترسيخها لدى الأعضاء، إما بأسلوب مباشر أو غير مباشر من جهة ، ومن جهة أخرى قد يتمكن من بلوغ جانب من القيادة الفعالة، وهذه الأخيرة تمثل بالنسبة للمؤسسة الوسيلة التي تسعى من خلالها إلى تحقيق الأهداف، لذلك يعتبر القائد الناجح هو الذي يبذل قصارى جهده في سبيل تحصيل هذه الأهداف، إلا أن المهمة لا تبدو بسيطة وسهلة خاصة مع وجود العوائق والعقبات التي قد يصعب تجاوزها من قبل القادة العاديين، وقد دفعت الظروف والتغيرات التي تعرف وتيرة متصاعدة بالمؤسسة إلى البحث عن سبل تحقيق الفعالية والتكيف مع كل التحولات التي قد تطرأ، سواء كانت من محيطها الخارجي كالمنافسة وعدم استقرار البيئة، أو من الداخل من خلال السلوكيات والتصرفات الغير متوقعة من قبل الأفراد مما

قد يؤثر سلبا على اتخاذ القرارات الصائبة، وهذا راجع أحيانا إلى الصراعات المتأصلة داخل المؤسسة نتيجة الاختلافات الموجودة بين القيم الشخصية والقيم التنظيمية، إلا أن موضوع القيم يبقى غامضا ومن الصعب أن نفهم كيف تتطور القيم داخل المؤسسة، كذلك يصعب معرفة القيم التنظيمية أو تقييمها لأنها لا تعرض على شكل قوانين أو لوائح، بل تستنتج من خلال السلوكيات والتصرفات، وقد تعرضنا في هذه الدراسة إلى إبراز الدور الذي يؤديه القائد في تجسيد وترسيخ القيم التنظيمية لدى الأعضاء، وهذا بغية توسيع نطاق القيم المشتركة داخل المؤسسة بين الأفراد.

توصيات:

بعد قيامنا بهذه الدراسة نخلص إلى عرض جملة من النتائج والتوصيات التي يمكن إدراجها كالتالي:

- نتيجة الفساد العارم الذي تشهده أغلبية المؤسسات الجزائرية نستنتج أنه من بين العوامل المساهمة في زيادة وتيرة هذا الفساد، غياب المنظومة القيمية وتدنيها بشكل كبير، إلا أننا نأمل مستقبلا أن يتم إرساء أسلوب تسييري قائم على الإدارة بالقيم، مع وجوب إدراج القيم التنظيمية ضمن القانون الداخلي للمؤسسة.

- إن كل نمط قيادي يستند على توفر مجموعة من الخصوصيات أهمها التحلي بالآداب والأخلاق العالية داخل وخارج بيئة العمل.

- تفرض المؤسسات المتقدمة على نفسها رغبة الوصول إلى إدارة مثالية أو ما يطلق عليه اليوم مصطلح الإدارة الرشيدة التي تستوجب وجود عناصر مهمة كالعدالة، الشفافية، النزاهة، ...أي أن أساس نجاح وفعالية المؤسسات، يقترن بصفة مباشرة ضرورة تفعيل المنظومة القيمية للمؤسسة.

- إن القيادة وفقا لنقل القيم التنظيمية والسهر على ترسيخها لدى الأعضاء يتيح فرصة العمل في مناخ يسوده نوع من الشفافية، الاستقرار، الثقة، الرضا عن العمل...، وهذا ما يحفز الأعضاء على بذل الجهد لتقديم الأفضل، الخضوع بسهولة إلى تنفيذ القرارات التي يتخذها القائد، وكذا السعي نحو طرح بدائل واقتراحات لحل المشكلات التي قد تعرقل مسار العملية الوظيفية.

- تؤكد بعض البحوث والدراسات المتعلقة بالقيم مدى أهميتها في فعالية القيادة ودعمها كتلك التي تم الاستدلال بها في هذه الدراسة.

قائمة المراجع :

1.زبيدة بوزياني(2014)، القيادة والاتصال في المؤسسة الصناعية الجزارية "مؤسسة SOITEX بتلمسان نموذجا/ دراسة أنثروبولوجية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإدارية، تخصص أنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

2.الصميلي أحمد بن علي(2015)، القيم التنظيمية ودورها في إحداث التغيير، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإدارية، قسم العلوم الإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

3.عادل عبد الرزاق هاشم(2019)، القيادة وعلاقتها بالرضا الوظيفي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

4.عبد الله عقلة مجلي الخزاعلة(2009)، الصراع بين القيم التنظيمية والقيم الاجتماعية في الإدارة التربوية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

5.محمد الساسي الشايب وخديجة عبادو(2016)، القيم التنظيمية لدى الأستاذ الجامعي دراسة ميدانية على عينة من الأساتذة ببعض الجامعات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

6.A. Al dawood and C. Bach(2014), major traits and qualities of leadership, international journal of innovation and scientific journal, Vol 03, N° 01.

7.C. Kluckhohn(1951), values and value orientation in theory of action, in toward a general theory of action, ED PARSONS T, SHILS E, HAVARD university press, Cambridge.

8.C. Ritchie(2015), challenge and change for the early year workforce, Routledge.

9.D. Ducheyne(2016), le leadership durable : ou comment diriger dans un monde VUCA, la Charte.

10.D. Girard(2009), conflits de valeurs et souffrance au travail, revue de l'éthique publique, Vol 11, N^{O} 02.

11.E. Titov and all(2018), conflict in organization: indicator for organizational values, IntechOpen.

12.G. Yukl(2013), leadership in organizationals, eighth edition, Pearson.

13.H. Bourne(2013), organizational values; a dynamic perspective, organization studies, Vol 34, N^{O} 04.

14.I. Prilleltensky(2000), value-based leadership in organizations: balancing values, interests, and power among Citizens, workers, and Leaders, Ethics & Behavior, Vol 10, N^{O} 02.

15.I. T. Robertson and all(2002), organizational effectiveness: the role of psychology, John Wiley & Sons, Ltd, UK.

16.M. Asrar ul Haq and S.Anwar(2018), the many faces of ledearship; proposing research agenda through a review of literature, future business journal, VOL 04.

17.M. Chaqib Khan and others(2015), the style of leadership; a critical review, public policy and administration research, Vol 05, N° 03.

18.M. Rokeach(1979), Understanding human values individual and societal, the free press library of congress cataloging, USA.
19.M. Waxin et C. Barmeyer(2008), gestion des ressources humaines internationale, Edition liaison, France.
20.N. P. Jenster(2009), Leadership Impact on Motivation, Cohesiveness and Effectiveness in Virtual Teams, A Thesis submitted of the requirements of the degree of Doctor of Business Administration, Grenoble Ecole de Management France.

R. B. Dilts, traduction par C. Carrat, leadership visionnaire ; outils et compétences pour réussir le changement par la PNL, 1ére édition, de Boeck, Belgique, 2009.
S. P. Robbins and T. A. Judge, organizational behaviour, 15th edition, Pearson, USA, 2013.

حركية الدّم بين الطب والفلسفة من خلال اختلاف العروق والسلالات

د.سليم سهلي، جامعة العربي التبسي – تبسة- الجزائر

د.فاطمة بوعشة. جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان – الجزائر

ملخص: لقد تمّ تصنيف الجماعات البشرية قديما إلى قبائل وعشائر وبطون وأفخاذ انطلاقاً من الرّابطة الدّموية. ولعلّ ما أنتجه الفلاسفة من تصوّرات وتخيّلات حول هذه المسألة تُؤكّد هذا التّصنيف، فقد أكّد أفلاطون في محاورة "المأدبة" في "الأسطورة الأندروجينية" أن الكائن البشري يجمع في أصله الخلوي ّمبدأ الذكورة والأنوثة معاً، وهذا ما أكده علم الأجنة في زماننا باعتبار النشأة الأولى للإنسان بما هو خليّة واحدة تجمع ملامح الأنوثة والذكورة، ثم في انشطارها يتحدد الجنس إمّا ذكراً أو أُنثى نهائيّا. كما أرجع البعض تصنيف هذا التمييز إلى ذاكرة جماعية مجهولة الهوية.

لكنّ ما يبعث على القلق ما حدث من محاولات كثيرة لتسخير الدّم لخدمة أغراض وأهداف أداتيّة مصلحيّة وإيديولوجية في العمق. خاصّة وأن امتزاج الدّماء البشرية مع بعضها البعض عبر آلاف السنين أكّد عجز البعض عن إثبات نقاوة دمه وبالتّالي عجزه عن تأكيد تمايزه العرقي السُّلالي بدّقة.

مما أثار حول "الدم كطوطم" إشكالية العلاقة بينه وببن الإحالة النسبيّة أو ما يُسَمّى ب"النسابة" فطُرحت قضية **ما هي أصول الإنسان الأولى وما هي طبيعة الدّم في هذا التّصوّر المزدوج بين الطبّي والفلسفي؟**

الكلمات المفتاحية: الطب، الفلسفة، الدم، العرق، السلالة.

The kinetics of blood between medicine and philosophy through the different races and strains

Abstract: Human groups have been categorized into tribes, clans, sub-families, and sub-groups, based on the blood relationship. Perhaps the perceptions and fantasies produced by philosophers about this issue confirm this classification. Plato emphasized in the banquet dialogue on the androgenic myth that the human being combines in its cellular origin the principle of masculinity and femininity together, and this was confirmed by embryology in our time considering the first formation of man as a cell that combines The features of femininity and masculinity,

then in its fission the sex is determined, either male or female at all. He also attributed this distinction to an unknown collective memory identity. But what is worrisome is what happened There is a lot to harness blood to serve the purposes and objectives of the instrumental interest and ideological in depth. Especially since the mixing of human blood with each other over thousands of years confirmed the inability of some to prove the purity of their blood and thus their inability to accurately confirm the differentiation of their ancestral race. What raised about the totem blood the problem of the relationship between it and the relative referral or the so-called genealogy, so the issue of what are the first human origins was raised? What is the nature of blood in this double perception between medical and philosophical? Human groups have been categorized into tribes, clans, sub-families, and sub-groups, based on the blood relationship. Perhaps the perceptions and fantasies produced by philosophers about this issue confirm this classification. Plato emphasized in the banquet dialogue on the androgenic myth that the human being combines in its cellular origin the principle of masculinity and femininity together, and this was confirmed by embryology in our time considering the first formation of man as a cell that combines The features of femininity and masculinity, then in its fission the sex is determined, either male or female at all. He also attributed this distinction to an unknown collective memory identity. But what is worrisome is what happened There is a lot to harness blood to serve the purposes and objectives of the instrumental interest and ideological in depth. Especially since the mixing of human blood with each other over thousands of years confirmed the inability of some to prove the purity of their blood and thus their inability to accurately confirm the differentiation of their ancestral race. What raised about the totem blood the problem of the relationship between it and the relative referral or the so-called genealogy, so the issue of what are the first human origins was raised? What is the nature of blood in this double perception between medical and philosophical?.

Keywords: medicine, philosophy, blood, race, ancestry.

مقدمة:

حين انطلق **جان جاك روسو** فيلسوف التّعاقد الفرنسي، من فرضيّة الخيريّة أو الطّيبة الطّبيعيّة الفطريّة لدى البشر فإنّه أراد من ذلك تبرير ضرورة وجود سلطة أو سلطان ينظّم علاقات الناس ويحافظ على بعدهم الخيري وعلى حريّتهم التعاقدية بتقليص أكثر ما يمكن من الوازع العدواني الذي نشأ مع وجودهم داخل حالة مدنيّة كان التعاقد فيها ضروريّا. أما فيلسوف التعاقد الإنجليزي توماس **هوبز** فقد انطلق على العكس من ذلك من فرضيّة "الإنسان ذئب لأخيه الإنسان" ولا يمكن له أن يحافظ على بقائه وينجو من حرب الكلّ ضد الكلّ إلاّ بتعاقد يمنح فيه الرعايا لهذا "التنّين الملك" كلّ ما لهم من حقوق لهذا الرّجل في مقابل أن يُقلّص بينهم التّناحر ويُنجّيهم من الفناء التّام إذا ما تواصل الصّراع والصّدام بينهم بلا هوادة. وما يمكن أن نلاحظه من هذين المثالين من تاريخ فلسفة التّعاقد أنّ الإنسان سواء أكان خيرا أو شريرا لا يمكنه العيش خارج منظومة الصّراع والتّنافس والتّفاضل والتمايز...الخ، وكأنّه منذ أن رسم بصماته الحضاريّة على الأرض وهو في صراع متواصل ضدّ القوى الطبيعيّة الغاشمة، من أجل تحقيق البقاء أولا وتوفير ضرورات العيش وكان ذلك داخل النّظام القبلي البدائي، لكن حالما توسّعت الرقعة الأرضية وتكاثر السّكان واحتوت الأرض على مجموعات كثيرة من الأسر والقبائل أُضِيف إلى هذا الصِّراع مع القوى الطبيعيّة من أجل العيش صراعا آخر تمثّل في التّناحر بين البشر داخل رقعة أرضية واحدة وضمن مجتمع سكاني واحد ليس من أجل العيش هذه المرّة، بل من أجل النفوذ وحب السيطرة فالإنسان حسب هوبز مولع بحب الهيمنة والتغلّب على الآخر.

ولعلّ هذا التواجد المجتمعي الذي ميّز بدايات تاريخ المجتمعات الإنسانيّة هي التي تناولها علماء الأنثروبولوجيا بالدرس لأنّها المؤشّر الأول لأشكال الصراعات الأخرى المتقدّمة في الزمن والمتنوعة. وأول ما لاحظوا ظهور هذا الصّراع السُّلالي العِرقي الذي كان في أصله قبليّ بامتياز، إذ ليس لهذه القبائل المتناثرة والمتنوّعة سوى عنصر الدّم الذي يحدِّد انتماء الأفراد لها ويطبع هويتهم بها، ألم تُحدَّد عند القبائل العربيّة الهويّة بالانتماء إلى هذه القبيلة أو تلك. وكأن في هذا الانتماء شروط ثابتة يتوارثها الأفراد ويتناقلونها عبر ومن خلال الشرايين الدموية وغيرها من الأعضاء، وما تُنتجه من إفرازات تُحدّد في الأخير صفات وملامح فيزيونوميّة وفيزيولوجية وطباع ...الخ تُشَكِّل الشخصيّة وتميّزها.فكان لا بد من المحافظة عليها بصرامة الانغلاق داخل منظومة تحدّد شروط التزاوج للحرص على عدم التفريط في الخصوصيّة الدموية التي تميز هذه القبيلة عن الأخرى.

لذلك سنولي اهتمامنا أولا إلى هذا النوع من التمايز العرقي أو السلالي وما تُحدثه حركيّة الدم داخل الجسم من حالات لقاح بين زوجين من قبيلة واحدة يُعتقد أنه ينتج عنها ملامح وخصوصيّات هذا النوع البشري وتميّزه عن سلالة أخرى. وسنعتمد في هذا السياق على بعض السّجلات الطبيّة المتعارف عليها وكذلك ما كان يُتَصَوّر أنها علمية مع مرتكزات ذات منحى فلسفي ميثولوجي، لكي نؤكّد في الأخير مدى محدوديّة هذا التّصور العرقي والتقليدي الذي غلبت عليه في التّحديد والتّقييم الخلفيات الدينيّة والأخلاقيّة والأيديولوجية.

وسنضع لهذا الجزء من التحليل عنوان، نُضم التصنيف العرقي السُّلالي:

لكن لا يستوفي البحث عمق إشكالية السّلالات والتمييز العرقي الدّموي داخل قطبيّ الفلسفة والطّب بين البشر إلاّ إذا ما نظرنا إلى هذه الحركيّة الدمويّة داخل حركيّة أشمل تحكمها الدّورة الدّمويّة الاقتصاديّة والاجتماعية والحضارية والسّياسيّة التي ولّدت لنا صراعات أعنف داخل منظومة أكثر تعقيدا وظّفت لها العلوم البيولوجية الطبيّة وغيرها والإيديولوجيات السياسيّة، كاشفة بذلك مظاهر ومخاطر النّزعات العنصريّة والاستعماريّة التي لا يحرّكها في الأخير إلا المصالح و السيادة والغلبة، الأمر الذي يدعونا بإلحاح إلى ضرورة مراجعة التصنيفات البشرية بالاعتماد على مقياس المفاضلة والتميّز الجنسي والتفوق الحضاري والغلبة الاقتصادية والهيمنة السياسية.

1- نظم التّصنيف العرقي السّلالي:

يُطلق لفظ الجنس على أحد شقّي الذكورة والأنوثة أو ما يرتبط بهما من معانٍ، وعلى مرتبة تصنيفية أعلى من النّوع دون الجنس بما هو هذا الكلّ الذي يضم مناطق أو مكونات...

كما ينحدر جميع البشر من فصيلة واحدة أو من نوع واحد وهو النوع الإنساني أو الكائن الإنساني الذي منذ آلاف السنين تمكَّن من أن يتميّز عن غيره من الكائنات الأخرى بما صنعه لنفسه من خلال صراعه مع محيطه، فالبشر جميعهم ينحدرون من أصل واحد لكن لا تتضارب هذه الوحدة مع ما يوجد بين الناس من تنوع واختلاف بدأً من الخصائص الجسمانيّة والفيزيولوجيّة والفيزيونوميّة "فنحن جميعاً نلتقي في أصل مشترك وهذا يعني أنّ جميع البشر المتواجدين على الأرض ينتمون إلى أصل واحد ومع ذلك فلسنا جميعاً متشابهين، فأجسامُنا مختلفة الأحجام والهيئات وجلودنا متباينة الألوان وكذلك تختلف عيوننا لوناً وشكلاً كما أنّ شفاهنا وأنوفنا ذات أشكال متنوّعة وتتباين شعورنا في لونها وملمسها" (الموسوعة العربية العالمية الأولى، د.س، ص 225).

فما هو أصل هذا التنوّع رغم وحدة الجنس البشري؟

1.يحدث الخلط أحياناً بين المفهوم الإحيائي للجنس وفكرة العرقية أو القومية (الجنسية)، فالناس يعتبرون أنفسهم أعضاء في مجموعات عرقية أو قومية معيّنة بناءًا على خصائص جغرافية أو حضارية أو دينية معينة، ومع ذلك لا تقوم هذه التعريفات على فروق جسمانية، فالناس مثلاً يتحدّثون خطأ في بعض الأحيان عن الجنس العربي أو الجنس الألماني أو الجنس الأيرلندي أو الجنس اليهودي، بيد أنّ هذه الشعارات أو هذه القوالب لا تشير إلى أوصاف عرقية أو قومية وليس لها أدنى علاقة بالمفهوم الإحيائي للجنس.
ويبدو التقييم التفاضلي بين المجموعات البشرية ثم بين المجتمعات والشعوب قديما قدم تاريخ الإنسان، فمنذ وضع الإنسان بصماته الثقافية ثمّ الحضارية لاحقا، وهو يسعى إلى التفوّق على مجموعات أخرى ولنا في ذلك أوَّلَ مثال صريح لهذا التمييز الاثني العرقي والحضاري حين اعتبر أرسطو أن مدينة أثينا التي سميت بمدينة "اللوغوس أو العقل" هي الشّمس التي تُشعّ على جميع المدن الأخرى وهي إنارة جميع الشعوب الأخرى في ذلك الوقت لما تتميّز به من رقي

فكري وفلسفي، ولرقيّ السلالة الإغريقية التي هي أرقى السُّلالات وأنقاها فكرا وروحا، وقد أكّد هذا التّمايز الفلاسفة اليونانيون خاصّة منهم أفلاطون حين ميّز بين الأسياد والعبيد على أساس العرق الدموي فجذور العبوديّة عنده طبيعيّة وراثيّة ومرتبطة بالدم، وكذلك بالنسبة لطبقة الأسياد فهي بالفطرة الطبيعيّة وبالتناسل الدمويّة تتَوارث هذه الصفة، والأدهى من ذلك أنّه برّر وجود العبوديّة لا فقط "بيولوجيّا" بل أيضا أعطاها شرعية لاهوتيّة فاعتبر العبد هبة أو بلغتنا هديّة إلهية منحها الإله للسيد لخدمته حتى يتفرّغ هذا الأخير إلى التأمل في واجب الوجود وعلّة العلل وصورة الصّور. لذلك كان الاعتقاد السائد والقناعة المطلقة أنّ العبد يولد عبدا والسيد يولد سيدا منذ بداية الخلق، ولا يخفى ما تُخفيه هذه "المعتقدات الدّمويّة العرقيّة " التي دُعّمت أيدلوجيا ودينيّا خاصّة في المناخ الفلسفي اليوناني التقليدي وكذلك في الإمبراطورية الرومانيّة من تمييز عنصريّ وثقافيّ وحضاريّ برر بوضوح ظاهرة المركزيّة الإثنيّة لهذه المجتمعات على من هم دونهم فصيلة دموية وشكل ولون وعادات...الخ في مقابل ما تتمتّع به هذه الشعوب من تمييز عرقي وإلهي وحضاري...الخ. فلا نستغرب عندها حين نجد الرومان القدامى ينظرون إلى القبائل الجرمانية على أنّهم جنس من الهمج ولا يكادون يعدون من البشر، وما عاناه السود الأفارقة من استرقاق واستعباد لا لشيء إلّ لاعتقاد البيض أن الأسود من فصيلة الدم الأزرق في مقابل دم البيض الأحمر، وأن الأسود لذلك لا عقل له ولا يقدر على التفكير بل له قدرة فائقة على العمل الجسدي لقوة وضخامة بنيته البدنيّة، وكذا ادّعى الأوربيون الذين استقرّوا في أمريكا تفوّقهم على الهنود الأمريكيين.

كما يمكن في هذا السياق تقديم مثال "هتلر"حين أجبر علماء ألمانيا في ذلك الوقت على أن يقوموا "ببحوث علميّة" بعيدة كلّ البعد عن الحقيقة الموضوعيّة وأجبرهم على أن يبَيِّنوا أن الجنس الآري هو بالوراثة الجينيّة الدمويّة الأرقى، وذلك حتى يدعّم نظريّة الإنسان الأعلى حسب الفلسفة النيتشوية في مقابل الجنس الآري "اليهودي والعربي" الذي يعطل مسيرة قافلة التطور الحضاري فدعا إلى ضرورة إزالتهم حتى يتوسع الجنس الآري الألماني ويعمّ الأرض ويسود العالم برقيّه الحضاري.فظهرت الشعارات في الثلاثينيات من القرن 20 التي تنادي بتفوّق النازيّة الألمانيّة المنتمية إلى هذا الجنس الآري الرفيع فاعتُبر اليهود وغيرهم من الأقوام غير الآريين أدنى منهم مرتبةً (الموسوعة العربية العالمية الأولى، د.س، ص 230) .

صحيح أن ظاهرة الاستعباد والعبودية والرّق والنظرة الدونيّة لبعض أصناف من البشر هي قديمة قدم البشر لكن لم يأخذ تفشّي العنصريّة مداه ولم يتخذ أشكال الاستغلال والاستعباد في أعنف حالاتها ولم تُوظف الحروب إلا بدافع الاعتقاد في تفوق حضارات شعوب على شعوب أضعف والاعتقاد في انتساب شعوب لأجناس وأعراق مختلفة فيها الأرقى والأدنى بيولوجيّا "طبيّا" وثقافيّا. لذلك كانت تُرَدّ الطبائع الاجتماعية، الإنسانية إلى سماتها البيولوجية العنصرية وتُقَسّم الأجناس بطريقة تعسّفية إلى أجناس (عليا) و(دنيا) وقد كانت العنصرية النَّظرية الرسمية في ألمانيا النازية واستخدمت لتبرير الحروب العدوانية (مصطفى أحمد حسيبة، 2008، ص 258).

2.يشير مفهوم أو مصطلح الأصالة السّلالية إلى تكوين هويّة الجماعة وإحياء أو استمرار الملامح الثّقافية لشعب يمرّ بتغيير سريع أو جذري، ويمكن أن يستخدم للإشارة إلى نظام عرقي جديد ناتج

عن امتزاج الجماعة مع جماعات أخرى. وتعتبر معايير التّسمية والمقابلة ضرورية لفهم هذه الظاهرة، ويمكن تطبيق هذا المفهوم أيضا على التغلب على بعض الحواجز السّلالية مثل تلك القائمة على أسس سياسية أو اجتماعيّة أو إيكولوجية وهو ما يؤدي إلى تأثير تميّز شعب معين حسب معايير محدّدة (شارلوت سمور سميث، 2009، ص 295).

3.لقد أعطى بعض العلماء للسُّلالات البشرية أسماء لاتينية تدلّ على الأنواع الفرعية.... وقد أعطى "ليناوس" مبتدع هذه الطّريقة في التّسمية العلمية أربع أسماء: Amiricarus أو أمريكي، Europacus أو أوروبي، Asiaticus أو آسيوي، Afer أو إفريقي، ويقصد به الزنجي كما أضاف علماء آخرون مزيداً من الأسماء اللاتينية لكنّهم لم يصنفوا إلا خلطا[1] (كالرتون ستيفن كون، 1975، ص ص 25-26).

ودأب العلماء منذ بداية تدوين التاريخ على تصنيف البشر بطرق مختلفة، وقد تباين عدد الأقسام التي يعتمدها كلّ واحد من هذه النظم، ولقد تأثّر تطوّر نظم تصنيف الأجناس بثلاث نظريات رئيسية: أوّلاً: نظرية الأجناس الثلاثة، ثانياً: نظرية التطوّر وثالثا: نظرية الجنس الجغرافي (الموسوعة العربية العالمية الأولى، د.س، ص 223).

2- **نظم التّصنيف العرقي:**

1: نظرية الأجناس الثلاثة:

كانت المعلومات المحدودة عن سكان العالم في ذلك الزمان تُوحي بوجود ثلاث أجناس من البشر: الأوروبي أو الأبيض، الإفريقي أو الأسود، الآسيوي أو الأصفر... ثم أصبحت هذه المجموعات تُعرف في النهاية بالقوقازية والزنجية والمغولية على التوالي، وقد قضّى العلماء سنين طويلة في محاولة تصنيف جميع العشائر البشرية وفقاً لهذه السّلالات الثلاث أو بعض الصور المحوّرة منها. فكانوا يعتقدون أنّ جميع الناس ينتمون إلى عدد محدود من الأجناس وأنّ خصائص كلّ جنس ثابتة لا تتغيّر، وقد أدّت الحِقبة الرئيسية للكشوف الأوروبية فيما وراء البحار والتي بدأت في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي إلى زيادة الاتصال بأقوام من حضارات شتى فانتهوا إلى حقيقة واضحة في القرن التاسع عشر الميلادي مفادها أنّه ليس من اليسير إلحاق معظم سكان العالم بنظام الأجناس الثلاثة (الموسوعة العربية العالمية الأولى، د.س، ص 273).

2- نظرية التطوّر:

حين اتجه بعض البيولوجيين (علماء الأحياء) إلى تقبّل نظرية التطوّر (النشوء والارتقاء) التي نادى بها العالم الإنجليزي "داروين"، بدأ يتشكّل رأي يقول بإمكان تصنيف البشر أجناساً على أساس خصائص جسمانية ثابتة. ولا يخفى أن نظرية داروين في التطور والنشوء والارتقاء أحدثت في حينها صدمات عظيمة لمعاصريه، لأن الناس في ذاك الوقت مازال اعتقادهم راسخا في الطّرح الدّيني الذي يقول: إنّ الله قد خلق كلّ نوع من الكائنات الحيّة بطريقة مستقلّة عن غيرها. لذلك أثار كتابه "أصل الأنواع" كثير من ردود الفعل لِما احتوى عليه من آراء تُشكك في

العقائد السّماوية، هذا من جانب، ومن جانب آخر قد تسببت هذه النظرية في إحياء حركية هامة توجهت إلى الاعتناء بعلم الأحياء ودراسة مواضيعه من الكائنات الحيّة وأنواعها وشرط تطورها أيكولوجيا وبيولوجيا ومناخيّا.فقد ذكر داروين بأنّ بعض أفراد الأنواع لها سمات طبيعية تساعدها في صراعها من أجل البقاء، وهناك أنواع أخرى تفتقر لمثل هذه الميزات، ولذلك فإنّ احتمال استمرارها في الحياة يصبح أقلّ من الأولى وفي المتوسط فإنّ الكائنات التي لها مميزات مؤهلة للتكيّف تعيش لفترة أطول كما أنها تلد أجيالاً أكثر تطورا من الأخرى إضافةً إلى أنّها تُورث أجيالها القادمة هذه المميزات المواتية. في حين يندثر في آخر المطاف من ليس قادرا على التأقلم الطبيعي من الكائنات الأخرى الأضعف. وهذا ما يجعلنا نستنتج أنّ بعض هذه الكائنات الحية حين تجد ما يُعينها على الاستمرار والتكيف تبقى، وبعضها الآخر يفنى ويزول. وبمثل هذه الكيفية فإنّ أنواعاً مختلفة من الكائنات تظهر وتصبح بالتدرج أنواعاً منفصلة عن غيرها (الموسوعة العربية العالمية العاشرة، د.س، ص 227).

وقد أدرك بعض العلماء أنّه بإمكان الأنواع الحيوانية أن تتغير وتتطور إن وجدت المناخ والشروط الملائمة لذلك وهو ما يفنّد اعتقاد معظم البيولوجيين في أواخر القرن التاسع عشر خصوصاً في المجتمعات الغربية، لأنّ جميع أنواع النبات والحيوان ظلّت ثابتة على حالها من جيل إلى جيل دون تتطور، في حين أنّ الجيولوجيين (أي علماء طبقات الأرض) نتيجة اكتشافهم لحفريات نباتات وحيوانات تختلف عن الأنواع المعاصرة، أصبح لديهم الدليل المبدئي على أنّ الأنواع تتطور ولم تكن ثابتة[2] (الموسوعة العربية العالمية الأولى، د.س، ص 223)، وبطبيعة الحال إن مبدأ الانتخاب الطبيعي الذي أسسّ التطوّر وجوهره قد أعان العلماء الغربيين على فهم كيفية تغيّر الكائنات الحية على مرّ الأجيال الكثيرة. وتزعم هذه الفكرة التي قدّمها عالم التاريخ الطبيعي "تشارلز داروين" في كتابه 'أصل الأنواع' (1852) أنّ عشائر الكائنات الحيّة يمكنها أن تتغير عبر الأجيال المتعاقبة من خلال تكيّفها مع بيئاتها الطبيعية وعندما طُبِّق هذا الفهم الجديد لعمليات التطوّر من خلال الانتخاب الطبيعي أظهر أنّ كثيراً من الخصائص التي كان يُفترض أنها ثابتة وكانت تُستخدم في تمييز الأجناس ، إنّما كانت في الواقع تكيّفات وتشكلات تطوّرت على مرّ الزمان استجابة لتحولات البيئية والمناخ والطبيعة، ولقد اتّضح لبعض العلماء أنّ الجماعات المتباعدة تباعداً واسعاً يمكنها أن تكسب خصائص متشابهة حتى وإن لم تتقاسم علاقة سلفية حديثة (الموسوعة العربية العالمية الأولى، د.س، 224).

3- نظرية الجنس الجغرافي:

ابتدع بعض علماء الإنسان في الخمسينيات من القرن العشرين نظاماً جديداً لتصنيف الأجناس وذلك في محاولتهم التوفيق بين نظرية التطوّر والتباين المشاهدة بين العشائر البشرية في العالم الحديث، حيث قسموا البشر أقساماً رئيسية، أسموها أجناساً جغرافية وكانت هذه الأجناس

[1]- السلالات البشرية الحالية، كالرتون ستيفن كون، ترجمة وتقديم: محمد السيد غلاب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1975، ص.25-26.
[2]- الموسوعة العربية العالمية الأولى، ص.223.

مجموعات من العشائر التي تسودها ميزات متشابهة، وقد اعتمد نظام شائع الاستخدام من تلك الأنظمة تسعة أجناس جغرافية: (الموسوعة العربية العالمية الأولى، د.س، ص 224).

1) الأسترالي،
2) الآسيوي؛
3) الإفريقي؛
4) الأوروبي؛
5) البولينزي؛
6) الميلانيزي؛
7) الميكرونيزي؛
8) الهندي؛
9) الهندي الأمريكي.

نجد التصوّر العلمي عن دور المورثات في تركيب الجسد والروح، أصله في الأعمال التي قام بها "غريغور مندل". فقد بيّن هذا الراهب النمساوي منذ حوالي 150 سنة أنّ "الخصائص" التي تُحدّد جسماً ما تضبطها عوامل خفيّة تحدّد إمكانية توريث هذه الخصائص للجسم من خلال قوانين توافقية.

وفي عام 1909 أدخل "ولهلم جوهانس" كلمة 'مورّثة' للإشارة إلى العوامل الموحِّدة التي تكون مسؤولة عن نقل الخصائص ويفرض علم الوراثة عندئذ نفسه كبرنامج بحث يهدف إلى إيضاح "قوانين الدّوام" والاستقرار بين الأجيال (ميشيلا مارزانو، 2012، ص 1644).

اختلف العلماء عبر السنين حول عدد الأجناس التي يُصَنَّف البشر تحتها وحول الأفراد الذين يلحقون بكلّ منها ولهذا السبب انتهى كثير من علماء الإنسان إلى الاعتقاد بأنّ إلحاق أيّة جماعة من البشر بجنس من الأجناس مسألة اعتباطية ولا أساس علميّ لها... وقد ظلّ معظم العلماء أعواماً يعتقدون في وجود أجناس نقية من البشر ظهرت في زمن ما من عصور ما قبل التاريخ وأنّ تلك الأجناس النقيّة قد تكون منعزلة انعزالاً تاماً عن بعضها وأنّ أفراد كلّ جنس منها اتصفوا بخصائص لم توجد في أفراد سائر الأجناس، بيد أنّ معظم علماء الإنسان الطبيعيين الذين اهتموا بإنسان عصور ما قبل التاريخ يشكّكون في وجود أجناس نقيّة في أيّ وقت من الأوقات بل أشاروا أنه من المحتمل أنّ الناس كانوا يتخذون دائماً أزواجهم من عشائرهم أو من خارجها وأنّه بازدياد وسائل الانتقال والتواصل سيرا ازداد اختلاط العشائر البشرية أكثر فأكثر، ولهذه الأسباب يصعب التعريف الإحيائي للجنس وصف العشائر البشرية، ويتجنب معظم علماء الإنسان الآن تصنيف الناس أجناساً(الموسوعة العربية العالمية الأولى، د.س، ص 222).

نظيف إلى كلّ ذلك أن الناس كثيراً ما يسيئون فهم فكرة الجنس (العرق) البشري بل حتّى المصطلح قد أُسِيء استخدامه في بعض الأحيان عن عمد وكثيراً ما خلط الناس أيضا بين المفهوم الإحيائي للجنس واللغة القومية أو الدين. فالفروق الجسدية قد أدّت ببعض الناس إلى الانتهاء إلى نتيجة خاطئة وهي أنّ أفراد الجماعات المختلفة يولدون ولهم تفاوت في درجة الذكاء، والمواهب

والقيم الأخلاقية، وقد اتُخذ الجسد أساساً رئيسياً للتميز في المعاملة، أي معاملة كلّ جماعة للجماعات الأخرى على أنها ذات مستوى أدنى منها.

وما يزال بعض الباحثين يؤكّدون على أنّه بوسعنا الحفاظ على مفهوم العرق بمعنى إدراكي محض لتمييز الأبيض مثلاً أو كما يقال القوقازيين، السود والآسيويين، أو أيضا بمعنى وراثي أكثر لتمييز تجمعات أو تقسيمات بشرية مقترنة بميزات بيولوجية (ميشيلا مارزانو، 2012، ص 1125).

وقد تُمَثِّل فصائل الدّم أهمية خاصّة في عالم تعيين السُّلالات والأجناس وأهمية مجموعات الدّم، وقد يرجع ذلك إلى شيوع استخدام الدّم في المصطلحات لكلّ الشّعوب كدليل على أصل ذي عراقة أو صناعة، فمثلاً كان هناك اعتقاد بأنّ النُّبلاء والملوك تجري في عروقهم الدماء الزرقاء Sangie Ozul Blue Blood، وأصل هذا الاعتقاد الخاطئ جاء نتيجة التزاوج الدَّاخلي المستمر لبعض عائلات إقليم كاستيليا في إسبانيا، فقد كانت هذه الأسر ذات بشرة بيضاء وعروقها واضحة الزرقة ممّا ميّزها عن بقية سكّان الإقليم سمر البشرة (محمد رياض، 1974، ص 82).

إنّ التمييز بين زمرة دموية وأخرى تشكل خصيصة أخلاقوية دخلت الأديان والأنظمة والقوانين، وباسم نقاوة العرق ودفاعاً عنه ولكي يبقى الدّم النقي محافظاً على نقائه تتم شَرْعَنَة ممارسات تبلغ حدّ الهمجية بل تتجاوزه أحياناً عندما يوضع قانونا معينا، أو يروّج لفكرة أو قتل الآخر سواءً كان فرداً أو جماعة محدودة أو شعباً. كذلك هو فعل أخلاقي يُثاب عليه وأن ذلك يعتبر ممارسة مشروعة هنا وهناك، كل ذلك يعكس قناعة أنّ التفاوت الدمائي موجود قيميا... وإنّ النظرة إلى الدّم كمفهوم أخلاقي، أو كعلاقة لا تقتصر على ما هو كائن ومعيش فقط وإنّما تجاوزت أنطولوجيا وتجذرت في الماورائي(إبراهيم محمود، د.س، ص 152).

وقد خطا أفلاطون خطوة عملاقة في ذاك الوقت حين عرف القلب بوضوح على أنّه النقطة البُؤرية للأوعية الدموية التي تعمل كقنوات اتصال بين المخ والقلب، ومن ثمّ مع كلّ جزء محسن وفي Timaeus70a-b فإنّه يصف القلب على أنّه عقدة الأوردة وينبوع الدّم فهو يقول: «أودعت الآلهة القلب، عقدة الأوردة وينبوع الدّم، الذي يتحرك بقوّة في كلّ أنحاء الأطراف في مكان الدّماغ حتى عندما يثار الانفعال إلى نقطة الغليان» (صلاح صرور، 2002، ص 187).

فالدّم إذن هو أحد عناصر الجسد البشري الذي يتمتع بأكثر من وظيفة، كما يعتبر المرتكز الأساسي للحضارة البشرية. وكمفهوم كيميائي هو: «سائل الحياة يمرّ عبر الجسم البشري... يقوم القلب بضخ الدّم لكلّ خلايا الجسم ويُؤمّن لها الأوكسجين والغذاء وفي نفس الوقت يعود الدم من الخلايا حاملاً ثاني أوكسيد الكربون وفضلات أخرى».

عندما تمتصّ خلايا الدّم الأحمر الأوكسجين فإنّ الدّم يأخذ اللون الأحمر الذي يُميّزه، فالدّم المتسرّب من الأوعية المهترئة خارج الجسم يبدو أحمر ناصعاً بسبب وجود الأوكسجين في الهواء والدّم الذي يحمل الأوكسجين لخلايا الجسم له نفس اللون الأحمر الناصع لكنّه يعود بلون فاتح محمر بعد تحريره من الأوكسجين(الموسوعة العربية العالمية العاشرة، د.س، ص 354).

أظهر تصنيف الفصائل الدّموية أهمية كبيرة في بعض الإجراءات الطبيّة، كذلك مكّنت المعلومات عن الفصائل الدموية المختصين من استعمالها في القانون وعلم الأجناس.

في المجال الطبي، إنّ الاستعمال الرئيسي للفصائل الدموية تحددُ نوعية دم الشخص الذي يدعى المتبرع والذي يمكن نقله للمريض بدون رفض جسمه له أو بدون تفاعلات مهمة(الموسوعة العربية العشرة، د.س، ص 360).

ويوجد ثمانية فصائل مختلفة في الدّم البشري، تتوزع على جميع سكان الكرة الأرضية، ويتم تحديد فصائل الدّم عن طريق وجود أو غياب نوع معين من المستضدّات الغشائية للرمز الدموي الموجودة في الدّم البشري، حيث تلعب هذه المستضدّات دوراً في مناعة الإنسان، ولذلك يجب أن تكون عمليات نقل الدم من شخص لآخر وفقاً لهذه الفصائل حيث في حال تمّ نقل دم من فصيلة معينة إلى شخص آخر يمتلك دماً من فصيلة أخرى فسوف تقوم المستضدات الموجودة في دم المضيف بمهاجمة الدم المنقول وتؤثر فيه تأثيرا سلبيّا. وتنقسم فصائل الدم إلى أربع فصائل رئيسية: (هديل البكري، 2019).

مجموعة A: A وA	مجموعة AB: AB وAB
مجموعة B: B وB	مجموعة O: O وO

ضمن مقاربة شديدة الصلة بموضوع البحث يسمح لنا تدفق الدّم، وهو يدخل من جسد لجسد ضمن عملية طقوسية بالغة، إذ ثمّة استعداد نفسي لكلّ ما يجري، فالذي يشرب الدّم البشري هو الذي يتعامل مع موضوع من جنسه، وثمّة إسقاط لأكثر من تصوّر، وهو رهان قيمي على ما يجري بالفعل، فالذي يشرب دم غيره، يعتقد بالفعل وفق الفعل الممارس أنّه يخدمه، إذا تعرض لحادث أودى بحياته إنّه يخلده في ذاته ويجعله محفوظاً في عروقه فدمه يجري في عروقه مختلطاً بدمه وبالمقابل إذا كان دم غريب/ مجهول فهو في الحالة هذه يحظى بالاحترام والتقدير رغم مخاصمته، فالذي يشرب دم الغريب حتى ولو كان عدواً إنّما يمنحه قيمة وجودية مساوتية لوجوده من ناحية، ومن ناحية ثانية يُلغيه حتى يقضي عليه كلياً لأنه يشرب دمه ويأكل لحمه كذلك، لذلك لم يكن هناك وجود للجنائز(إبراهيم محمود، د.س، ص- ص 41.52) .

ونتيجة للأهمية الواضحة للدّم والحياة، فإنّه قد صار مرتبطا بالثأر أو توثيق اتفاق أو أخوة، كما أنّه قبليّا هو رمز للعلاقة البيولوجية بين الفرد وأقاربه، كما أنه يرمز أحياناً إلى حل للنّزاعات بين الأقارب، ولنا في ذلك قول مأثور ومعبر وهو: «الدّم لا يتحول إلى ماء».

وكثيراً ما يرمز إلى الأشخاص المهجَّنين نتيجة زواج من سلالتين أو مجموعتين مختلفتين على أنّهم "نصف دم.... قوقازي على سبيل المثال"، هذه المعتقدات وغيرها تستخدم أيضا في "المخيال الشعبي، للتّأكيد على نقاء مجموعات معينة أو على انتماءات سلالية ضمن جماعات معينة(محمد رياض، 1974، ص 82-84) .

الخاتمة:

لئن انتهى بنا الطرح الميثولوجي والأنطولوجي وبعض من الطروحات الأنتروبولوجية والفلسفيّة إلى أن التّمييز العرقي السّلالي تحكمه عوامل ذات أساس دموي وراثي طبيعي وخاضع بالأساس إلى آليات التّناقل الجيني الذي يُحدّد قبليّا أي قبل الولادة طبيعة وشكل وخاصيّة انتماء الفرد التّابع لنوع معين من البشر وهو ما يسمح له بالإضافة إلى مميزاته الفيزيولوجيّة التي تخصه بأن يتميز أيضا بخصوصيات انتماء تاريخيّة وثقافيّة وحضاريّة، مهما كانت ركائزها وجذورها فهي تمثّل هويّته التي يعتزّ بها. لكن قد تهتز هذه الهويّة حين تتقزّم أمام مشروع المركزيّة الإثنيّة الذي تمحور في هذا البعد التّفاضلي لا فقط بين الأجناس والسّلالات وفصائل الدم بل ذهب أبعد من ذلك فحدّدَ البشر وصنّفهم حسب الانتماء الديني والجنسي والجغرافي واللّون ...إلخ وسلّط عليهم مقياس الهيمنة الاقتصادية كرهان وحيد للتمييز بين الحضارات والشعوب، ضاربا عرض الحائط بمقولة الكونيّة الإنسانية وبالقيم القّصوى والعليا التي من واجبها أن توحّد الأسرة البشريّة داخل منظومة الاختلاف والتنوع. فهل من مراجعة جدّية وجادّة لهذا الغزو الاثني الحضاري والاقتصادي بالأساس ولهذه المركزيّة العلمانيّة والتكنولوجيّة التي تعدّت البعد الثقافي والحضاري لتُحَقق سيادة اقتصاديّة وسياسيّة تقودها البلدان العُظمى باسم العولمة لكي تجعل من العالم قرية صغيرة تتبخّر داخلها ما للشعوب من خصوصيات؟.

قائمة المراجع:

1.أحمد حسيبة مصطفى(2008)، أول معجم شامل للمصطلحات الفلسفية المتداولة في العالم وتعريفاتها، دار أسامة للنشر، عمان.
2.رياض محمد(1974)، الإنسان، دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2.
3.ستيفن كون كالرتون(1975)، السلالات البشرية الحالية ، ترجمة وتقديم: محمد السيد غلاب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة.
4.سميث شارلوت سمور(2009)، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، المركز القومي للترجمة، ط2.
5.صرور صلاح(2002)، الطب في مصادر الإغريق القديمة، مذكرة ماجستير في الدراسات اليونانية والرومانية، الإسكندرية.
6.مارزانو ميشيلا(2012)، معجم الجسد، ترجمة: حبيب نصر الله، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1.
7.محمود إبراهيم(دس)، أقنعة المجتمع الدمائية، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا.
8.الموسوعة العربية العالمية الأولى(دس)، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، المملكة العربية السعودية.
9.الموسوعة العربية العالمية العاشرة(دس)، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط10.

10.هديل البكري، فصائل الدم البشري، على الموقع:http://moodoo3.com/

بنية القصيدة التقليدية في الشعر السوداني الحديث(محمد سعيد العباسي أنموذجاً)

أ. سالم بلكة كرو، وزارة التربية والتعليم – ولاية غرب كردفان- السودان.
د. أبو هداية محمد إسماعيل، جامعة كردفان- السودان.

ملخص: هذه الدراسة تناولت بنية القصيدة التقليدية في الشعر السوداني الحديث متخذةً من الشاعر محمد سعيد العباسي أنموذجاً بوصفه أحد أعمدتها وأشهر روادها. هدفت الدراسة إلى الوقوف على مصطلح الشعر التقليدي وما تميز به ورواده في السودان، والتعريف بلفظة بنية قصيدة وأهم مظاهرها في شعر محمد سعيد العباسي. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. حيث خلصت إلى عدة نتائج منها: سار الشعراء المقلدون على خطى الشعر التقليدي المأثور بمميزاته الموروثة من حيث بناء القصيدة وتأليف عناصرها. وأن العباسي أجاد في مطالعه، وحسن تخلصه، وخواتيم أكثر قصائده. وأن العباسي زاوج في صوره بين التقليدية والوجدانية مع احتفاظه بالجزالة والرصانة في جميع نتاجه الشعري.
توصي الدراسة بالعودة مراراً إلى شعر العباسي لفك طلاسم شاعريته، وكشف أغوار مظاهر إبداعها.

الكلمات المفتاحية: بنية، القصيدة، التقليدية، الشعر، السوداني، العباسي.

The structure of the traditional poem in modern sudanese poetry, Mohammad Saeed Al-Absi as a model

Researcher . Saalem Balaka Karo
Dr. Abuhedaia Mohammed Ismael

Abstract: This study dealt with the structure of the traditional poem in modern Sudanese poetry, taking Muhammad Saeed Al-Absi as a model; Ashe one of its pillars and its most famous pioneer. The study aimed to identify the term of traditional poetry and its features, to know its pioneers in Sudan and to define the term poem structureand its most important manifestations in the poetry of Muhammad Saeed al-Absi.The study followed the descriptive analytical method. The study reached several results: The imitated poets followed in the footsteps of traditional poetry with its inherited characteristics in terms of building the poem and composing its elements.Al-Abbasi excelled in the opening verse, his good summarize, and the epilogue of most of his poems.Al-Abbasid paired his images between traditional and sentimental, while retaining resentment and sobriety in all his poetic works.The study recommends returning

frequently to Abbasid poetry to decipher its poetics and uncover the depths of its creativity.

KeyWords: Structure Traditional Poem Sudanese Poetry Al-Absi

مقدمة:

الحمد الله خير ما بُدئ به الكلام وخُتم، وصلى الله على النبي المصطفى وآله وسلم. الأدب السوداني في العصر الحديث كغيره من الآداب العالمية تأثر بتقلبات الأحوال وتغيرات الظروف السياسية الاجتماعية والثقافية؛ قوةً وضعفاً، وشرقاً وغربا، فاحتدم الصراع بين دعاة القديم والجديد. وصارت هنالك مدرستان شعريتان إحداهما تقليدية تدعو إلى السير على خطى القصيدة القديمة شكلاً ومضموناً والأخرى تجديدية احتذت قوالب الآداب الغربية. فانقسم الشعراء ما بين مقلدٍ لطرائق القدامى من شعراء العربية الفحول في عصور القوة الأدبية، وبين مجددٍ يطبق أساليب ومناهج الغربيين في القصيدة العربية الحديثة. انتقل الصراع بين المقلدين والمجددين إلى شعراء السودان حيث عاد ذاك على الأدب السوداني بالخير كل الخير؛ فوجد الظروف السياسية والثقافية مهيئة له، وفتح بذلك الباب على مصرعيه أمام الشعراء للتعبير عن أحلامهم وآمالهم وتجاربهم الوجدانية الصادقة؛ فامتزج الأدب بأواصر البيئة العربية والأفريقية والسودانية، مما جعل الأديب السوداني يستوعب التجارب الإنسانية في أسمى معانيها، وينشد الأوطان في أروع حلقاتها، داعياً إلي التحرر، وتحطيم القيود المكبلة للانطلاق، لكي يصل إلى رحاب المجد، والحرية، والتقدم.

المحور الأول: المدرسة التقليدية:

ظهرت طلائع النهضة في الشعر السوداني الحديث عقب الحرب العالمية الأولى التي تخطى فيها المرحلة الأولى التي وصفت بالتقليد المحكم، التي لم تقف عند حد معين؛ بل استمرت حتى بعد الابتكار الناشئ من الشعور بالحرية، الشعر التقليدي في السودان من الوجهة الفنية، سار في طريق مضاد لاتجاه الشعر التقليدي في الأدب العربي عامة، ثم أخذ يرتقي ويتطلع إلى النماذج القديمة كلما تقدم نحو القرن العشرين، حتى بلغ أوجه على يد محمد سعيد العباسي بوجه خاص(عبد المجيد عابدين، 1953، ص218).

الشعر العربي بصفة عامة بدأ ينطلق من إيثار الجمود الذي عاشه فترة الركود في عهدي المماليك والأتراك، حيث اقتفى الشعراء على خطى الشعر الكلاسيكي المأثور الذي ورثناه عن العرب بمميزاته(محمد النويهي، 1957، ص8)، فالشاعر التزم نهج القصيدة القديمة التي لا يكاد يتخطاها إلا في حدود ضيقة؛ فقد وقف على الأطلال وبكاها في غزله ثم تخلص في استطراد لغرض آخر قبل البدء في الحديث عن غرضه الذي نظم القصيدة من أجله؛ مع طول في القصيدة، والإتيان بها على بحر من بحور الخليل، وقافية متحدة في جميع الأبيات.

اهتم الشعراء المقلدون ببناء البيت المفرد غير آبهين بالوحدة العضوية للقصيدة التي سادت روح العصر، مع اختيار الألفاظ ذات الجرس القوي الرنان الشديد الأسر، وجاءت صورهم تحمل ملامح الأساليب البلاغية المألوفة بلا ابتكار ولا تجديد، ومعبرة في أغلبها عن روح البداوة، وطبيعة الصحراء.

من الناحية الموضوعية ظل الشعراء التقليديون في السودان غير منفعلين ولا متفاعلين مع أحداث الحياة من حولهم، ولا مشاركين بشعرهم في الحركة الوطنية إلا بنصيب قليل، حيث حصروا أنفسهم في الموضوعات القديمة من رثاء، ومدح، ووصف خمر، وغزل.

حينما شارف القرن التاسع عشر على الانتهاء كان السودانيون إبان الحكم التركي المصري(1880/1820) وكذلك تحت الدولة المهدية(1899/1881)، كانوا على دراية كبيرة بالشعر العربي القديم(أحمد عكاشة، 2014، المحاضرة: 3).

بحلول القرن العشرين والذي شكل النصف الأول منه وقوع البلاد تحت نير الحكم البريطاني(1899/ 1955) تغيرت الأحوال الاجتماعية في البلاد وتعاظم أثر الفكر الإنساني المعاصر عليها وحدثت قطاعات إنتاجية وثقافية متعددة، نتيجة كل هذه العوامل برزت المطالب الثقافية بمواكبة المجتمع والاقتصاد والثقافة لروح العصر؛ ومن بينها الشعر في السودان حيث كانت هناك ضرورات ملحة منها:

السمو بالشعر السوداني. وزيادة المعرفة بلغة الشعر المعاصر وأشكال النظم المستحدثة. وإيجاد الأفكار التي يجب أن يستند عليها الشاعر السوداني في القرن العشرين وما يليه؟.

برز عدد من الشعراء المقلديين منهم: حسين الزهراء، ومحمد عمر البنا، وعبد الله محمد عمر البنا، وعبد الله عبد الرحمن، ومحمد سعيد العباسي، وأحمد محمد صالح، وصالح عبد القادر، وحسيب علي حسيب، وعبد الرحمن شوقي، ومدثر البوشي؛ حيث شكل محمد عمر البنا(1919/1948) وأحمد محمد صالح(1973/1889) وتوفيق صالح جبريل(1966/1887) المدرسة الكلاسيكية الباكرة في الشعر السوداني الحديث. وفي حالتهم عنت الكلاسيكية:

إخضاع أساليب الشعر المعاصر لأوزان وبحور الشعر القديم. نظم شعر مقفى. إلى جانب الإتيان بكل ما هو قيم من مكونات الشعر العربي القديم.

لقد انصبّ جهد محمد عمر البنا، وأحمد محمد صالح، وتوفيق صالح جبريل على خلق كلاسيكية شعرية سودانية في القرن العشرين تقوم على: اتباع نهج الشعراء القدامى النوابغ. ومعالجة مشكلات الشكل الشعري والعروضي التي طرحها الفكر والثقافة المعاصرين. وتطوير لغة الشعر على ضوء توفر مفردات علمية و الملاءمة بين اللغة المتحدث بها ولغة الشعر العربي (عبر تاريخه).

لقد أدى الارتقاء بالأشكال الشعرية والأوزان وإدخال الألفاظ والموضوعات العلمية المعاصرة؛ إلى تحرير الشعر من المحدودية الثقافية التي سبق أن فرضها عليه الواقع السوداني وهي المحدودية التي فرضها أيضاً هيمنة القوى التقليدية على المجتمع والثقافة.

في السابق كان الشعراء التقليديون يركزون على البدواة والحياة الريفية وعزلة المجتمعات والثاقفات المكونة للسودان. وكذلك كانت هذه القوى عالية التدين وكان لديها التوجس من التقدم أو التجديد الفكري والثقافي.

– تميزت كلاسيكية البنا وأحمد محمد صالح في تبنيها الشعر العربي القديم إلى جانب قيامهم بتقييم موضوعي وتعدي لزمانهم عبر معالجة المفاهيم والموضوعات الحقيقية التي كان لها آثارها المباشرة والعميقة على المجتمع السوداني في بدايات القرن العشرين.

المحور الثاني: مصطلح بنية القصيدة:

المتتبع لمصطلح (البِنْيَة) يجده لصيقاً بالنقد، فهو عند صاحب اللسان(جمال الدين بن منظور، 1999، مادة: ب ن ي)؛ وعند صاحب تاج العروس (البُنْيِ ِة) محمد مرتضى الزبيدي، مادة: ب ن ي)، وردت اللفظة بنفس المعنى: (الهيئة التي بُني عليها). وهي عندهما تشمل كلا من الشكل والمضمون؛ كقوليهما: فلان صحيح البنية أي الفطرة. وقد ذكرها من النقاد القدامى قدامة بن جعفر في أكثر من موضع، وتطرق لها ابن طباطبا بقوله: فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعرعليه في فكره نثراً؛ وأعدّ له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه(محمد بن طباطبا، 2005، ص11).

يقصد ببنية القصيدة دراسة شعر الشاعر من حيث البنية التركيبة الخارجية لجميع مظاهر شعره(صلاح مهدي الزبيدي، 2004، ص1)، إذ يشكل العمل الأدبي جسداً واحداً متكوناً من أجزاء عدة، وهي أشبه بالسلسة ذات الحلقات، وإن دراسة آليات اشتغاله، ومعرفة كيفية بنائه، تُوجُب تفكيكه والوقوف على تلك الحلقات: " المطلع، والمقدمة، والتخلّص، والخاتمة"(يوسف بكار، 1982، ص203). وإن القصيدة في النهاية هي حاصل انسجام وتلاؤم هذه الحلقات جميعاً، ولا ريب في أنّ الهيكل هو: أهمّ عناصر القصيدة وأكثرها تأثيراً فيها، ووظيفته الكبرى أن يوحدها ويمنعها من الانتشار والانفلات ويلمّها داخل حاشية متميزة(نازك الملائكة، 2007، ص235).

راج هذا المصطلح في العصر الحديث، وأُلفت فيه عدد من الكتب بوصفه منهجا قائماً بذاته. وأصبح أكثر وضوحاً مما كان في السابق.

إنّ هيكل القصيدة في الأدب العربي، قد وجد اهتماماً كبيراً من الأدباء والنقاد، الذين وقفوا عند مطالع القصائد، وجودة الاستهلال، وكما وقفوا عند الانتقال وحسن التخلص إلى الغرض المعني الذي يريده الشاعر، وكذلك عُنوا بخواتيمها. فالاهتمام بمطلع أيّ عمل أدبي من الأمور التي حُظيت بعناية القدماء. ولقد تحدّث بن رشيق عن جودة المطلع بقوله: "حسن الافتتاح داعية الانشراح، مطية النجاح، ولطافة الخروج إلى المديح، بسبب ارتياح الممدوح، وخاتمة أبقى في السمع، والصدق بالنفس لقرب العهد بها"(ابن رشيق القيرواني، د.ت، ص 217). هذا ولم يغفل المعاصرون الحديث عن البناء الفني للقصيدة في تجاربهم الشعرية، خاصة مطلع القصيدة. وهكذا سار الشعراء المعاصرون على هذا المنهج القديم أمثال البارودي، أحمد شوقي، حافظ إبراهيم. وأما بناء القصيدة العربية في الأدب السوداني الحديث، فقد سارالشعراء المحافظون في الطريق نفسه الذي سار فيه الشعراء الأقدمون، من حيث بناء القصيدة، وتأليف عناصرها. فهم مثلاً يبدأون القصيدة بالغزل التقليدي كما بدأ سابقوهم.

إنّ الحديث عن البناء الفني للقصيدة، يفرض علينا أن نتطرّق لأهم العناصر والقضايا التي تشكّل الأهمية الكبرى في بناء القصيدة، ومنهجها الفني، وأهم القضايا هي:

المحور الثالث: قضايا بنية القصيدة:

أولاً : المطلع:

هو من المواضع التي يجب أن يقف الشاعر متأنّقاً، حتى يكون الاستهلال لفظاً عذباً، ومعنً صحيحاً، ومدخلاً رقيقاً، أرقى من النسيم إذا سرى، إلى وجدان المتلّقين ونفوسهم. وانصرفت عناية الشعراء منذ العصر الجاهلي إلى الاهتمام بمطالع القصائد، لأنهم كانوا يعدّونه أحسن شيء في صناعة الشعر على حسب قول حازم القرطاجني. وذلك مراعاة لمعايير واعتبارات أهمها(ابن رشيق القيرواني، د.ت، ص94):

1- المطلع أول ما يقرع السمع في القصيدة، وينزل بمنزلة الوجه الحسن، وغرة الخد الناضر في جسم المليح، فيكون بارعاً وحسناً، ورشيقاً ومليحاً، لتنبيه الوجدان، وإيقاظ نفس السامع.

2- المطلع يثير انفعالاً وشعوراً وحالاً من التعجب والتهويل والتشويق والتطريب، ممّا يدعى الى الإصغاء والاستماع لما بعده. ولأهمية المطلع فقد يعده ابن رشيق" قفل أوّله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجوّد ابتداء شعره، فإنّه أوّل ما يقرع السمع، وبه يستدلّ على ما عنده من أوّل وهلة".

النقد القديم ركز على الشعر دون ربطه بنفسية الشاعر، والاتجاه السائد هو أن المطلع مع أهميته في القصيدة لا يخرج عن نطاق غرض القصيدة ومضمونها، ليس من ناحية الموضوع، إنما من ناحية الدلالة النفسية للمتلقي، كأن الشاعر يهدف به إلى فتح شهية المخاطب لسماع قصيدته والانفعال بها، لكن المعني بدراستنا هذه ليس المخاطب ونفسيته وشهيته وانفعاله؛ وإنْ كان له دوره ومكانته في إنشاء القصيدة، بل المقصود بها الشاعر في ذاتيته ونفسيته، أي ربط الشعر بنفسية الشاعر، وليس بنفسية المخاطب بالشعر والمتلقي. "فأصبح النقد النفسي يربط بين مطلع القصيدة ومدى علاقته بنفسية الشاعر وتعبيره عنها، من يأسٍ وحيرة وقلقٍ. فهذا الاتجاه يرى أن مقدمة القصيدة تقوم على أساس أنها تعبير عن ذات الشاعر وأفكاره وواقعه"(عبد الحليم حنفي، 1987، ص63).

وبعد هذا إذا عدنا إلى شاعرنا محمد سعيد العباسي، فنجده يفتتح جل قصائده بمطالع ومقدمات في الغزل والنسيب. والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو، لماذا كان العباسي يبدأ قصائده بمقدمات غزلية في هذا العصر الحديث الذي يدعو إلى التجديد لا التقليد؟ يعلّل الدكتور مجدي المقدمات الغزلية عند العباسي إلى الآتي(مجدي عبد المعروف، 2009، ص151):

أولاً : تأثر العباسي بالشعر القديم، لأنّه اطلع عليه كثيراً. فأراد جيل العباسي أن يرجّع الشعر على ما كان عليه من القوة، والأبّهة، ويضع العباسي بصمته الخاصة في الشعر السوداني.

ثانياً : البيئة التي عاش فيها العباسي، تشبه إلى حد كبير البيئة الجاهلية في العصر القديم، بكل تفاصيلها من صور البيئة، ومظاهر الطبيعة الصامتة منها والصائتة، والظواهر الإجتماعية.

ثالثاً : أراد العباسي بمقدماته الغزلية التي ابتدر بها قصائده، أن يجعل حلقة وصل بين مقدمته وغرض القصيدة.

الشاعر محمد سعيد العباسي كان موفّقاً كل التوفيق في حسن المطالع لمعظم قصائده، ويرجع هذه القدرة الشعرية إلى مزاجه وتكوينه الثقافي والأدبي، وذوقه السليم الممزوج بالبيئة التي عاشها بكل أحاسيسه. فانظر واستمع إلى حسن المطلع في قصيدة (النهود)، والتي ابتدرها بمقدمة غزلية رقيقة، يستعذب فيها ذكريات وعهود الصبا والشباب، وكيف أنه ترك اليوم حب سعدى وحبها

الآسر، وأنّه استبدل عوضاً عنها بحب السرى، وحب المهرية القود التي يجوب بها الفلوات نحو الأحباب، وهو يقول(محمد سعيد العباسي، 1999، ص98):

باتت تبالغ في عذلي وتفنيدي** وتقتضيني عهود الخرد الغيد

وقد نضوت الصبا عني فما أنا في** إسار سعدى ولا أجفانها السود

سئمت من شرعة الحب اثنتين هما** هجر الدلال وإخلاف المواعيد

وأما المليحة الحسناء التي شغلت وجدان الشعراء، وفؤاد المحبيين لها، ألا وهي(مصر)، التي وقع العباسي أسير حبها، ولم يشفع للعباسي من حبها، والتعلق بها إلاّ أن يجعلها محبوبة قلبه، يتغزّل بها ويبتدر قصيدته(ذكريات) بهذا الغزل والعتاب، وأجاد حسن المطلع بعاطفة حب وشوق لم ينفرد بها العباسي لوحده، وبل جعل بعض الشعراء لهجوا بذكر مصر في أشعارهم، فمنهم الشاعر التيجاني يوسف بشير، الذي شهد لمصر بالثقافة والعلم، وتغنى بفضلها حيث يقول(التجاني يوسف بشير، 1972، ص62):

وأرى مصر والشباب حليفي ** مجد فرعون أو ضجيعي يفاع

مصر دين الشباب في الحضر**الراحة والبدو من قرى وبقاع

ويقول العباسي في مطلع قصيدة(ذكريات) (محمد سعيد العباسي، 1999، ص27):

مصر وما مصر سوى الشمس التي**بهرت بثاقب نورها كل الورى

ولقد سعيتُ لها فكنتُ كأنّما ** أسعى لطيبة أو إلى أمّ القرى

هناك مطلع أخر من حسن مطالع قصائد العباسي، وما أكثرها، يتمثّل في قصيدة(يوم التعليم). حيث بدأ العباسي بمطلع نستشفّ فيه رفضه الشديد لنزوات الصبا والهوى، والخمر وكؤوسها. ولم يصرح العباسي بهذا الرفض، ولكن إيحاء الكلمات، ودلالات الألفاظ تدلّ على ذلك الرفض، والدليل هو استخدامه حرفي الصاد والقاف اللتين تمتاز بالشدة والقوة. حيث يقول(محمد سعيد العباسي، 1999، ص87):

ما لي وللخمر رقّ الكأس أو راقا ** وللصبابة تصلي القلب إحراقا

ومن أروع مطالع قصائد العباسي، ذلك المطلع الذي إبتدر به قصيدة(وادي الربدة)، بغزل رقيق أخّاذ، ونداء محبب للحبيب الذي يكنّيه(يا حلو اللمى)، وهو يستنكر على الحبيب جفاءه وصدوده عنه، بلغ ستة عشر بيتاً، حيث استهل مطلع القصيدة بقوله(محمد سعيد العباسي، 2010، ص93):

بالله يا حلو اللمى ** ما لك تجفو مغرما

صددت عني ظالماً ** أفديك يا من ظلما

وأيضاً من القصائد التي امتازت بحسن المطلع، وبراعة الإستهلال، تلك القصيدة التي أسماها(من معاقدي)، والتي تتكون من ستة عشر بيتاً من النسيب، والتحسّر على أيّام الصبا التي ولّت، ورُبى المغاني التي ذهبت، ولكن تعاوده هوى الليالي، وطيف الحبيب المباعد، حيث يقول العباسي(محمد سعيد العباسي، 2010، ص43):

ضلال لمستجدي الغيوث الرواعد ** ومستوقف بين الربا والمعاهد

نضو هـوىً يعتاده كلّ ليلة ** نزوع لطيف من حبيب مباعد

فهذه نماذج من المطالع الجيدة عند العباسي، وغير هذه كثيرة ومبثوثة في ديوان العباسي. وهناك مطالع واستهلالات يلج فيها العباسي إلى الغرض مباشرة دون الإتيان بالمقدمات الغزلية. وهذا الهجوم المباشر والمفاجئ يرجعها مجدي عبد المعروف إلى دوافع نفسية حيث يقول: "يهجم العباسي على الغرض الشعري مباشرة، ولعلّ السبب يكون ضخامة الموقف، أو عظم الفاجعة، وهذا ما لاحظته في جميع القصائد التي بدأها بغرضه الشعري الذي أراده مباشرة دون التمهيد بالمقدمات الغزلية"(مجدي عبد المعروف، 2009، ص153).

من الاستهلالات التي يدخل فيها العباسي إلى الغرض المعني مباشرة دون مقدمة غزلية، تلك القصيدة التي أُلقيت في حضرة تكريم أمير الشعراء(أحمد شوقي)، والذي يقول فيها(محمد سعيد العباسي، 2010، ص123):

يا شاعر الضاد يا صناجة العرب ** أسلم لدولة أهل العلم والأدب

استقبل العمر لا تعدوك جدّته ** تبلى بها جّدة الأيّام والحقب

وكذلك ما جاء في مرثية فقيد الإسلام الشيخ محمد البدوي، وشيخ علماء السودان، وهذا الدخول المباشر إلى الغرض المعني، ربما بسبب فجعته في صديقه وأستاذه هذا، حيث يقول(محمد سعيد العباسي، 2010، ص159):

فقد الكرام أمة أحمد ** خطب يهدّ عزيمة المتجلّد

قف بي على طلولهم ولو ** مقدار وقفة ناشد أو منشد

والجدير بالملاحظة في هذه الاستهلالات المباشرة في تلك القصائد، أنّ جلّ مطالعها مصرّعة، ممّا جعلها تقوم مقام المقدمة الغزلية، ومن كمال جمال المطلع أن يكون تام الموسيقى بالتصريع. ومن تصريع العباسي في قصائده، كقوله في قصيدته(دارة الحمرا)، (محمد سعيد العباسي، 2010، ص82):

قل للغمام الأربد ** لا تعد غور السند

أو التصريع في قوله(محمد سعيد العباسي، 2010، ص199):

خل التصابي وادكار الأربع ** واسكب على ماضيك حمر الأدمع

فشاعرنا افتتن بالتصريع، وأولاه عنايته الخاصة في جلّ قصائده المصرّعة.

ثانياً: حسن التخلص:

يعرفه الحموي تعريفاً جامعاً بقوله: "حسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكّن من معنىً إلى معنىً آخر يتعلق بممدوحه، بتخلّص سهل يختلسه أختلاساً رشيقاً رقيق المعني، بحيث لا يشعر

السامع بالانتقال من المعنى الأوّل إلّا وقد وقع في الثاني، لشدّة الممازحة والالتئام والانسجام قيما بينهما، حتى كأنهما أُفرغا في قالب واحد، فإنّ الشاعر قد يتخلّص من نسيب، أوغزل، أوفخر، أو وصف روض. أو معنىً من المعاني يؤدي إلى مدح أو هجو... ولكن الأحسن أن يتخلص الشاعر من الغزل إلى المدح"(يوسف بكار، 1982، ص221). وإلا أنّ ابن رشيق له تعريف خاص للتخلص، فيقول: "وأولى الشعر بأن يسمى تخّلصاً، ما يخلص فيه الشاعر من معنىً إلى معنىً، ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره، ثم رجع إلى ما كان فيه"(ابن رشيق القيرواني، دون تاريخ، ص237)' ويستشهد ابن رشيق على قوله هذا بإحدى اعتذاريات النابغة الذبياني للنعمان والذي يقول فيها(يوسف بكار، 1982، ص222):

كفكفتُ مني عبرةً فرددتها ** إلى النحر مستهلّ ودامع

ثم تخلّص إلى الاعتذار فقال:

ولكن همّاً دون ذلك شاغل ** مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

وعيد أبي قابوس في غير كنهه ** أتاني ودوني راكس فالضواجع

لقد توسّع حازم القرطاجني في موضوع التخلّص، فبيّن أنّ التخلص، أمّا أن يكون في شطر بيت، أو في بيت بجملته، أو في بيتين، وكلما قرب السبيل في ذلك أبلغ، ثم بعد ذلك ذكر القرطاجني أموراً ومعايير يجب الاعتماد عليها عند التخلّص، فيضيق صدري بإيرادها في هذا البحث لقلة أهميتها هنا. فلنعد بهذه التعريفات لحسن التخلص إلى شعر شاعرنا محمد سعيد العباسي، لنعرف مدى التزام العباسي بهذه المعايير في مجريات شعره. ولقد ذكر الدكتور مجدي عبد المعروف: "بأنّ العواطف حينما تتداخل في نفس الشاعر، وتتزاحم في البروز والظهور، وذلك للحالة النفسية التي تسيطر على الشاعر حين إنشائه للقصيدة. ومن هنا تتعدد الأغراض في القصيدة الواحدة، والقصيدة في إطارها العام تخضع لانفعالات الشاعر... وأن العباسي أجاد حسن التخلص مثلما أجاد مواضع المطلع"(مجدي عبد المعروف،2009، ص152). ومن مواضع حسن التخلص عند العباسي، تلك القصيدة التي أسماها(يوم التعليم)، حيث يقول العباسي(محمد سعيد العباسي، 2010، ص68):

إنا محيوك يا أيّام ذي سلم ** وإن جنى القلب ذكراك أعـلاقا

اليوم قصر بي عما أحاوله ** وعاقني عن لحاق الركب ما عاقا

وأنكر القلب لذات الصـبا وسلا ** حتى النديميين: أقداحاً وأحداقا

أحبو إلى الخمس والستين من عمري ** حبواً وأحمل أقلاماً وأوراقا

من العجب أن ترى الشيب لا يقعد الطالبين عن العلم، ولكن عامل الزمن والسن يُقصيان الشيخ الهرم عن الُحبّ والهوى، وإلّا أن يكون شيخاً سفيهاً كما قال الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى(زهير بن أبي سلمى، د.ت، ص195):

فإنّ سفاه الشيخ لا حلم بعده**إنّ الفتى من بعد السفاهة يحلم

ويطيب لي أن أضيف نماذج أخرى إلى مواضع حسن التخلص عند العباسي، إذ جاء ذكره في قصيدة(وادي الربدة) ابتدرها العباسي بمطلع عن الغزل بقوله(محمد سعيد العباسي، 1999، ص123):

بالله يا حلو اللمى ** ما لك تجفو مغرما

إلى قوله:

تصرم الوصل وكيف ** ردّ ما تصرما؟

أحبتي هذى الدموع ** بعدكم غيث همى

ثم أحسن التخلص من الغزل إلى الوصف والمدح فقال:

صيّرتُ عن كره ** قرى السودان لي مخيّما

ولي بمصر شجن ** أجرى الدموع عندما

فارقتُ مصر ذاكراً ** أرجاءها والهرما

فنرى العباسي أحسن التخلص من الغزل إلى الوصف المقترن بالحنين، بنقلة لطيفة خفيفة الظلّ على السامع، حينما يربط الشاعر اجترار ذكريات أيّام الوصل والأنس بالمحبوب، ولكنها تصرمت تلك الأيّام، فجرى دموع الشاعر كأنّه غيث كثر نزوله، ولم يجف هذا الدموع وبل زاد انهماله كالعندم حينما اجترى ذكريات أيام ريعان شبابه بمصر، وذكرى فراق أرجائها. وهنا نشعر بربط رفيع بين ذكريات الحب والهوى مع ذكريات شبابه بمصر، وتتوالى دموع إثر دموع. و في قصيدة (أحمد الصاوي) وهي عبارة عن مراسلة بين العباسي والأستاذ أحمد الصاوي، وهذا اللون من الرسائل كانت تسمى بالبرقيات الأدبية أو الرسائل الأدبية. فيقول العباسي(محمد سعيد العباسي، 1999، ص173):

يا ساجعاً فوق البشامة ** هيّجت من صبّ غرامه

رفقاً فقد ذكرتني ** يا مشبهي طللاً برامه

فهذه مطلع طويل في الغزل واللوم والعتاب، ابتدر بها هذه القصيدة، ثم أجاد التخلص إلى صديقه في نقلة لطيفة وخفيفة لاتشعرك بخدش الشكل العام للقصيدة، هو ذلك الصديق الذي انبرى لمؤزرته بقوله(محمد سعيد العباسي، 1999، ص174):

حتى انبرى المولى الهمام ** الشيخ أحمد ذو الشهامه

فأزان جيد مطـالبي ** وأعار حاجاتي اهتمامه

وأيضاً من نماذج حسن التخلص عند العباسي، وشعره يزيدنا شوقاً للتخلص من نموذج إلى آخر، كشوق تخلصه من غرض إلى آخر. هي تلك القصيدة التي أسماها(بنو أبي) استهلها العباسي بالوقوف على الطلال التي تنزل بها سلمى، في مقدمة غزلية طويلة بدأها بقوله:

قفوا في ربا كانت تحل به سلمى** فإني أرى نسيان تلك الربا ظلما

أسائل رسم الدار أين ترحلوا ** وهل أفصحت يوما لسائلها المعجما

وثم أجاد حسن التخلص من تلك المقدمة الغزلية إلى الشكو والفخرعليهم قائلاً(محمد سعيد العباسي، 1999، ص155):

نعمتُ بها دهراً فحوّل حالها ** نوى قذف قد أعقبت صرما

وللدهر حكمُ لا يردّ قضاؤه ** فمن الذي إن شاء ردّ له حكما

فقد شاء أن أبقى بقوم أفيدهم ** ودادي وأجزيهم على جهلهم حلما

وهنا نرى العباسي أحسن التخلص، حينما جعل الدهر حلقة وصل بين فراق الشاعر لحبيب القلب، وبين قذف الدهر للشاعر، وتحوّله من حال الوصل إلى حال الصرم. وللدهر حكم ومشيئة لا يرد له أمر إذا قضى. فمشيئة الدهر هنا يقصد بها(مشيئة الله تعالى) التي حكمت على الشاعر بالقذف والنوى عن الأحبة، وأبقته وأقعدته عند قومه وعشيرته، يفيدهم ويجزيهم وبالوداد والحلم، على الرغم من نكران القوم عن جميله، وعدم الاعتراف بمكانته. وهنا أستطيع القول أن الشاعر أحسن التخلص في شطر بيت في قوله(نعمت بها دهراً فحوّل حالها)، فانتبه الي كلمة (فحوّل) التي تفصل بين حالتين في الواقع، وتربط بينهما في العرض الفني(مجدي عبد المعروف، 2009، ص155).

فنماذج حسن التخلص في شعر العباسي أجاد فيها العباسي أيّ تجويد، دون أن يخدش جلد القصيدة في شكلها العام، ودون أن يقطع روح الانسجام والالتحام بين أبياتها.

ثالثاً: خاتمة القصيدة:

عني النقاد بخاتمة القصيدة مثلما اهتموا بالمطلع والتخلص. ويقول الدكتور مجدي عبدالمعروف: "وعناية النقاد بالخاتمة، ترجع الى أهميتها، لأنها آخر ما يطرق الآذان، فيظلّ صداها عالقاً بالنفس، وهي آخر ما يعيه السمع، ويرتسم في النفس... والخاتمة هي العمل الأدبي الذي بذل فيه الشاعر شعوره وأحاسيسه، ولابد أن يتوخّى له خاتمة تليق بمنزلة المتلقي" ومعنى ذلك أن تكون النهاية والخاتمة هي القاعدة التي تتكئ عليها القصيدة. ولذا يجب أن تكون الخاتمة محكمة وحسنة دون زيادة ولا نقصان.

ويضيف ابن رشيق على ذلك بقوله: "إذا كان أول الشعر مفتاحاً له، وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه"(ابن رشيق القيرواني، د.ت، ص239). فشاعرنا محمد سعيد العباسي استعذب في تحميل البيت الأخير من القصيدة بالدعاء والحمد لله تعالى والإيمان العميق بقيم الدين السمحة. أو اعتاد على تحميل الخاتمة بالحكمة والموعظة الحسنة، وخلاصة التجربة الأنسانية في معترك الحياة0 ومن نماذج حسن الخواتم عند العباسي، خاتمة قصيدة(ذكريات)، التي تشتمل على الحكمة وعلى الحمد لله تعالى. حيث يقول(محمد سعيد العباسي، 1999، ص31):

والجمر إن أخفي الرماد أواره ** شقيت به كفّ الصبيّ وما درى

والله أحمد حين أُبرز للورى ** من غيبه ما كان سراً أضمرا

وأيضاً من نماذج الخاتمة عند العباسي، والتي تحتوي دعاءً صريحاً لله تعالى، طالباً من الله النصرة والغوث على صروف الزمان ونوائبه، أو صلاح حال العباد بفرج من عندالله، أوبطائف بطش تطهّر الأرض من فساد البرايا. حيث يقول:

فامتن علي وحبني منك عارفة ** وحط مولاي عني ثقل أوزاري

أو يقول في قصيدة(سنار) (محمد سعيد العباسي، 1999، ص40):

لا تكلنا إلى سواك وكن ** رب معينا وأبدل النحس سعدا

أو فعجل ومر بطائف بطش ** للبرايا وضع لذا الحال حدا

أو يقول في قصيدة(وادي هور) (محمد سعيد العباسي، 1999، ص46):

هذا الدجى فتنظروا ** إشراق صُبح منتظر

فهناك تلقون الجزاء ** لدي مليك مقتدر

أو يقول في قصيدة(رثاء عبدالقادر عبدالباسط) (محمد سعيد العباسي، 1999، ص183) :

واحبُهُ من رضاك برداً وسلاماً ** بدار الرضوان أسمى محلّ

إذن هذه الأبيات أعلاها، كلها خواتيم لقصائد العباسي، كما نرى مدى إيمان الرجل بالله سبحانه تعالى، وتوكّله عليه في الدعاء والرجاء بالفرج من كشف البلوي، ولقاء الجزاء عند الله . وأما الأبيات التي ختم العباسي بها قصائده بالحكمة والموعظة فهي علي النحو التالي(محمد سعيد العباسي، 1999، ص183): يقول في قصيدته (ذكرى أيام الشباب) (محمد سعيد العباسي، 1999، ص51):

غاب حيناً فعاد غير ذميم ** واكتسى في تخطاره ثوب بدر

ويقول في قصيدته(من معاقدي) (محمد سعيد العباسي، 1999، ص56):

وهل نحن إلا مجدبون تطلعوا ** وقد عضّهم محلّ أوبة رائد

ويقول في قصيدته(وا آه على يوسف) (محمد سعيد العباسي، 1999، ص214):

لست عن البكاء بمستفيق ** وما أنا عنك طول الدهر سالي

ويقول في قصيدة(خواطر) (محمد سعيد العباسي، 1999، ص147):

أجوب بالعيس سهلاً ** وسبسباً بعد سبسب

هـذا فعال زماني ** والدهر قد قيل قُلب

قد وُفّق في خواتيم قصائده أيّ توفيق. ولم يكد يخرج العباسي عن معايير الجودة التي حددها النقاد في تجويد الخاتمة. فتضمّنت قصائد ديوان العباسي على الحكم والإيمان بالله وخلاصة تجاربه الشخصية التي عرّكته في هذه الدنيا،فترنّ في آذان السامعين، وستخلد في وجدان المعتبرين.

رابعاً: وحدة البيت عند العباسي:

يرى معظم النقاد قديماً وحديثاً في أن البيت في القصيدة ينبغي أن يستغل بمعناه ولا يحتاج إلى غيره ليتمّ معناه، فمحمد بن سلام الجمحي يعتبر أوّل القدماء اذين أكدوا هذا المعني بقوله: " هو البيت المستغنى بنفسه، المشهور الذي يضرب به المثل"(محمد بن سلام الجمحي، د.ت، ص305) ؛ فاختار ابن سلام الجمحي ستة عشر بيتاً من شعر الفرزدق، وواحداً وثلاثين بيتاً من شعر جرير على اعتبار أنها أبيات مستقلة ومشهورة.

ومن أبيات العباسي التي تمثل أبياتاً مستقلة ومشهورة نجد(محمد سعيد العباسي، 1999، ص42):

لو استطعتُ لأهديتُ الخلود لها ** لو كان شيءُ على الدنيا لإخلاد

وقوله(محمد سعيد العباسي، 1999، ص89):

فعلّموا النشء علماً يستبين به ** سبل الحياة وقبل العلم أخلاقا

ويكاد معظم النقّاد العرب يتفقون على تفضيل استقلال البيت الواحد بمعناه، وفيه استجابة للطبيعة العربية التي تؤثر الإيجاز، وترى أنّ البيت الواحد أسير على الألسنة. وتقريباً هذا القول ينطبق تماماً على وحدة البيت في أبيات مشهورة عند العباسي0 فوحدة البيت في قصيدة العباسي منسجمة وملتحمة، مع نفس الشاعر، يتموج بموجات قلبه المرهف، وتجتذب مع عواطفه، وأحاسيسه في إيفاء المعاني حقها. فمثلاً يقول(محمد سعيد العباسي، 1999،ص27):

ولقد سعيتُ لها فكنتُ كأنّما ** أسعى لطيبة أو إلى أم القرى

هذا السعي الحثيث لمصر بحسب قول مجدي عبد المعروف: أراد العباسي أن يجسّده من خلال هذا البيت، بالأشواق التي في نفس الزائر لمكة أو المدينة المنورة. فحاله أشبه بحال هذا الزائر الذي يكرّس كلّ إمكاناته المادية والمعنوية والنفسية، لزيارة البلاد المقدسة، فهذا قمة الأشواق التي جسّدها العباسي في بيته السابق"(مجدي عبد المعروف، 2009، ص156).

وفي نموذج آخر لوحدة البيت عند العباسي، حيث يقول(محمد سعيد العباسي، 1999، ص56):

وأحبو إلى الخمس والستين من عمري ** حبواً وأحمل أقلاماً وأوراقا

وهنا في هذا البيت كما نرى أن عمر الستين يغري بالعجز والكسل عن طلب العلم وزيادة المعرفة، ولكن حينما نقرأ هذا البيت، ونتلمس معناه، نتحسس السعي والجدية في استقصاء مناهل العلم ولو حبواً. فأراد العباسي أن يحثّ فينا حبّ طلب العلم منذ الصغر حتي حدّ الكبر. ولقد أحببتُ أن أورد لكم أبيات أخرى للعباسي تجسد معاني البيت الواحد، لولا ضيق المقام بالبحث. سأكتب أبياتاً مشهورة عند العباسي وأترك الفرصة للقارئ أن يجيل بنظره، وثاقب فكره، في إجلاء المعاني السامية. حيث يقول العباسي:

مِصْر وما مِصْر سوى الشمس التي ** بهرتْ بثاقب نورها كل الورى

ويقول أيضاً:

كرامُ الناس للدنيا جمالٌ ** وما حظ الفتاة بلا جمال

خامساً: وحدة القصيدة:

لقد كثرت محاولات القدماء في تعريفها، وتحديد مفهومها الحديث. يقول ابن سنان الخفاجي: "هي صحة النسق والنظم... وثم يزيدها تفسيراً بقوله: أن يستمر الشاعر في المعني الواحد، وإذا أراد أن يستأنف معنىً آخر أحسن التخلص إليه، حتى يكون متعلقاً بالأوّل، وغير منقطع عنه"(ابن سنان الخفاجي، 1982، ص315). ويقيني أنّ هذا القول ينطبق على معظم شعر العباسي، في

حسن تخلصه من الغزل إلى المدح ملتصقاً أشدّ ما يكون الالتصاق والتعلق. وهذا لا ينفي التنقلات الفجائية المنقطعة أحياناً.

يقول ابن طباطبا عن وحدة القصيدة بأنها: "اتساق النظم بمعنى - ينبغي للشاعر أن يتأمّل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحها فيلائم بينها لتنتظم معانيها"(محمد بن طباطبا، 2005، ص 124). وأمّا الشعراء فكانوا يحرصون كل الحرص على توافر التناسق، والارتباط بين أبيات القصيدة بحيث تكون متناسقة ومنتظمة، ولا تشعرك بالفجوات بين الأبيات، وكانوا يجيدون التخلص من معنىً إلى معنىً آخر، حتى لا تحسّ بأنّ هناك انقطاعاً بين معاني القصيدة. وفي إطار هذا المعني يقول ابن رشيق: "فإنّ القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان، في اتصال بعض أوصاله ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، وباينه في صحّة التركيب غادرت بالجسم عاهة تتخوّن محاسنه، وتعفي معالم جماله(ابن رشيق القيرواني، د.ت، ص38). ولقد تحدّث النقاد العرب في العصر الحديث عن وحدة القصيدة، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر، الدكتور طه حسين الذي عرف وحدة البيت بقوله: إنها وحدة متقنة اتقانا لا شك فيها، ولا غبار عليه، وأنّ أجزاء القصيدة جاءت ملتئمة، وقد نسقت أحسن تنسيق(طه حسين، 2010، ص39). وحسبنا بعد هذا التبسيط في مفهوم وحدة القصيدة، أن نعود إلى شاعرنا محمد سعيد العباسي، لننظر ماذا أفاد شعره عن وحدة القصيدة. فمثلاً يقول العباسي في قصيدة (من معاقدي) (محمد سعيد العباسي، 1999، ص52):

ضلال لمستجدي الغيوث الرواعد ** ومستوقف بين الربا والمعاهد

ونضو هوى يعتاده كلّ ليلة ** نزوع لطيف من حبيب مباعد

ولله قلب قد سلا نشوة الصبا ** وقد في ريعانه جد جاهد

وهتل أبقت ألأيّام شيئاً ألذه ** وقد أسلمتني للردئ والشدائد

إلى كم أُمنّي النفس ما لا تناله ** بجوب الفيافي وإدراع الفدافد

وقد رقد السمّار دوني فهل فتىً ** يعير أخا البأساء أجفان راقد

فيا نفس إن رمت الوصول إلى العلا ** ردي قسطل الهيجاء غمرتها ردي

ويا ليل قد طال الكرى من مقاسمي ** سهادي ويا يوم الردى من معاقدي

هكذا نستطيع أن نقرأ النص كما اختلج في صدر الشاعر، ونبض به قلبه بعيداً عن التعقيد والتصنّع، وإنّما هو التماس كامل الإبداع، متجذّر الموهبة. وليست من مهمة الشاعر اليوم أن يستوقف الركب ويبكي على الطلل كما كان يفعل القدماء في سالف الدهر، ولكن الشاعر في

العصر الحديث أصبحت له وظيفة اجتماعية أوسع رحابة، حيث تتأثر بالحديث والجديد، ونطلب من الشعراء روح الأصالة، وبداوة الألفاظ القوية الآسرة التي تأخذنا إلى الجزالة وشرف المعاني، والوفاء وإباء الضيم، وشرف الأسلوب وقوة الرنين، وجرس الموسيقى الغنائية. وكل هذا موجود في شعر العباسي(محمد سعيد العباسي، 1999، ص158).

فاستمع إلى العباسي في قصيدة أخرى أسماها(سيدي الشيخ عبدالمحمود)، وهو يقول(محمد سعيد العباسي، 1999، ص188) :

حادي العيس يا سمير البيد ** ياأنيس السارين وقت الهجود

جد بألحانك العذاب وجئهم ** يشجي الترتيل والتمديد

مثل ما جئت بالهُـدى وكتاب** جاء يقفو آي الكتاب المجيد

وهو سفرُ مناقب شيخ الـ ** عصر غيث الحادي غياث الطريد

آيةُ الله أحمدُ الطيبٌ القطـ** ـبُ الذي فاض سره في الوجود

فقل الفصل سيدي ثم لا تحـ ** ـفل بلوم من ناقد أو حسود

أنا من قبلها مناقبُ كبرى ** جمعت كل مطلب منشود

رضي الله عن مساعيك يا محـ**ـمود فابشر بسعيك المحمود

وخلاصة القول عن وحدة البيت، ووحدة القصيدة عند العباسي نجده قد سار فيهما مسير الأقدمين، وجاء على طريق الفحول من شعراء القدامى من الجزالة والرصانة والسلاسة والمتانة والجهارة مع احتفاظه لنفسه بميزاتها الخاصة، حيث برزت شخصيته واضحة من خلال نصوصه التي مثلت واقع حياته الحاضرة، فالعباسي عاش واقع الحياة البادية بتفاصيلها الدقيقة، فهو عندما يصف فإنه يصف عالمه الحقيقي الذي شكل وجدانه وامتزجت به روحه وكون شخصيته فهو ليس عالما مختيلا يستمده من الذاكرة الجمعية بل هي تجربته الخاصة التي صبغت روحه ولونت نفسه الممتزج بتكوينه الفني الذي عبر عنه بصدق. فنلحظ في تلك النصوص الترابط العميق بين أوصال القصيدة، في وحدة متناهية مستمدة من لغة متينة غذتها مشاهد البادية، بمضاربها ورمالها ونيرانها، وانتقال الشاعر فيها من ماء إلى ماء، انتجع فيها وتتبعه مساقط القطر حيث كان الأولون ينزلون على الأواجن الطوامي.

خاتمة:

نخلص من ذلك كله إلى عدة نتائج منها:

-سار الشعراء السودانيون المقلدون على خطى الشعر التقليدي المأثور بمميزاته الموروثة من حيث بناء القصيدة وتأليف عناصرها.

-اهتم الشعراء التقليديون ببناء البيت المفرد غير آبهين بالوحدة العضوية للقصيدة.

-اخضع الشعراء التقليديون السودانيون الشعر المعاصر لأوزان وبحور الشعر القديم في قصائد مقفاة، ومتعددة الأغراض.

-زاوج العباسي في صوره بين التقليدية والوجدانية مع احتفاظه بالجزالة والرصانة في جميع نتاجه الشعري.

-أجاد العباسي في مطالعه، وحسن تخلصه، وخواتيم أكثر قصائده.

-التزم العباسي في تجربته الشعرية مظاهر البداوة أساساً ورفيقاً في رحلته الشعرية.

قائمة المراجع:

1.ابن رشيق القيرواني(د.ت)، العمدة في محاسن الشعر، تح: محمد محي الدين، دار الجيل، بيروت.

2.أحمد أبوسعد(د.ت)، الشعر والشعراء في السودان(1958-1900)، دار المعارف، بيروت.

3.أحمد عكاشة أحمد(2014)، الكلاسيكية في الشعر السوداني المعاصر، المركز الثقافي التنموي الهولندي، المحاضرة الثالثة: 23 /يناير/ جريدة الراكوبة .

4.التجاني يوسف بشير(1972)، ديوان إشراقة، ط6، دار الثقافة، بيروت.

5.رفيعة حامد أحمد(2018)، الاتجاهات الشعرية في الشعر الحديث في السودان(رسالة ماجستير) جامعة القرآن الكريم، الخرطوم.

6.زهير بن أبي سلمى(د.ت)، ديوان، تقديم د. محمد حمود:ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت.

7.ابن سنان الخفاجي(1982)، سر الفصاحة، ط1، دار بيروت.

8.صلاح مهدي الزبيدي(2004)، بنية القصيدة العربية البحتري أنموذجاً، ط1، دار الجوهرة، الأردن.

9.عبد الحليم حنفي(1987)، مطلع القصيد العربية ودلالته النفسية، الهيئة العربية للكتاب.

10.عبد المجيد عابدين (1953)، تاريخ الثقافة في السودان، القاهرة.

11.مجدي عبدالمعروف حسين أحمد(2009)، بناء القصيدة عند العباسي(ورقة علمية)، مجلة(العلوم والتقانة)، جامعة سنار.

12.محمد أحمد ابن طباطبا(2005)، عيار الشعر، تح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت.

13.محمد النويهي(1957)، الاتجاهات الشعرية في السودان، معهد الدراسات العربية، القاهرة.

14.محمد بن سلام الجمحي(1974)، طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود شاكر، ط أولى، مطبعة المدني، القاهرة، ج1.

15.محمد بن منظور(1999)، لسان العرب، ط2، دار بيروت.

16.محمد سعيد العباسي(1999)، ديوان العباسي، ط2، دار البلد، الخرطوم.

17.محمد سعيد العباسي(2010)، ديوان العباسي، ط1، دار السودانية للكتب، الخرطوم.

18.محمد مرتضى الحسيني(د.ت)، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، مادة:(ب ن ى)
19.نازك الملائكة(2007)، قضايا الشعر المعاصر، ط14، دار العلم للملايين، بيروت.
20.يوسف بكار(1982)، بنية القصيدة في النقد العربي القديم في ضو النقد الحديث، ط2، دار الأندلس، بيروت.

أثر التضخم على العجز في ميزان المدفوعات السوداني
(للفترة من 2019-2000)

د. أحمد ضوالبيت أحمد ضوالبيت، جامعة الإمام المهدي – السودان

ملخص: هدفت الدراسة إلى قياس أثر التضخم على العجز في ميزان المدفوعات السوداني خلال فترة الدراسة، افترضت الدراسة وجود علاقة طردية موجبة بين زيادة معدلات التضخم وزيادة العجز في ميزان المدفوعات السودانى، كذلك وجود علاقة عكسية بين زيادة الصادرات من السلع والخدمات السودانية والعجز في ميزان المدفوعات. إنتهجت الدراسة الأسلوب القياسي باستخدام طريقة المربعات الصغرى OLSبإستخدام برنامج Eviews في تحليل بيانات الدراسة، توصلت الدراسة إلى وجود علاقة طردية بين زيادة معدلات التضخم وزيادة العجز في ميزان المدفوعات السوداني، كذلك وجود علاقة عكسية بين زيادة الصادرات السودانية والعجز في ميزان المدفوعات السوداني. أوصت الدراسة بالاهتمام بالإنتاج لأنه يمثل الداعم الأساسي لميزان المدفوعات، ومن خلاله تتم عمليات التنمية في السودان، الانفتاح على العالم الخارجي من خلال الصادرات السودانية وتطويرها، مما يعمل على انخفاض العجز في ميزان المدفوعات السوداني.
الكلمات المفتاحية: التضخم، ميزان المدفوعات، العجز، الصادرات، إنتاج.

The impact of Inflation on thedeficit in the sudanese balance of payment

Abstract: The study aimed to measure the impact of inflation on the balance of payment deficit in the sudan, the study assumid that inflation has apositive effect on the balance of payment, as well as the existence of an inverse relationship between the export increseof the sudan and blance of payment,The study followed the standard approachusing the EVEOWS program and the OLS method to analyse the data during the study period (2000-2019). The study concloded that inflation has apositive impact on balance of payment in sudan,and the exitance of increseimpotof negtiverelationshep between theincrese export and the balance of payment, the study recommendedthat it is importance to productions becuas it isabasic support the balance of payment in sudan, throgh that the compleetdevelopmentinsudan, using extarnalpolocyti other contiry to increse export and develptheirto decrese the balance of payment in sudan.
KeyWords: Inflation, Blance of payment Exports, produce.

الدراسات السابقة:

1. دراسة حاتم (2006م)**:**

جاءت الدراسة بعنوان:نموذج قياسي لميزان المدفوعات في السودان للفترة (1980-2005)، هدفت الدراسة الى الوصول إلى نموذج قياسي مقترح يحدد العلاقة بين متغيرات الدوال ومعرفة أهميتها ومدى تأثيرها. انتهجت الدرسةالمنهج الاستنباطي وذلك من خلال الاسلوب الكمي لدراسة النموذج والذي اعتمد على الاساليب الاحصائية في بناء النموذج القياسي.افترضت الدراسة عدد من الفرضيات منها أن المتغيرات المستقلة المضمنة في النموذج هي أكثر تفسيرا لنموذج ميزان المدفوعات من المتغيرات المستقلة غير المضمنة في النموذج.توصلتالدراسة الى النتائج ان ميزان المدفوعات في السودان يمكن ان يمثل بمعادلة خطية مع قيمة الناتج المحلي الإجمالي وقيمة الميزان التجاري وان هذه المتغيرات مجتمعه في بناء النموذج.أوصت الدراسة على العمل على دعم الانتاج والقطاعات المنتجة حتى يتسنى تحقيق فائض في ميزان المدفوعات وذلك من خلال تأثيره الكبير للناتج المحلي في ميزان المدفوعات(حاتم سعيد احمد سعيد، 2006م، ص45/5).

2. دراسة عمر (2009):

جاءت الدراسة بعنوان: العوامل المؤثرة في ميزان المدفوعات واليات التعديل للفترة (2007-1978)، هدفت الدراسة الىقياس العوامل المؤثرة في ميزان المدفوعات وآليات التكييف خلال الفترة (1978-2007) واسباب فشل السياسات التي تم إنتهاجها في سبل إعادة التوازن كما أوضحت الدراسة أهم العوامل التي أثرت على ميزان المدفوعات خلال تلك الفترة.إنتهجتالدرسة المنهج الوصفي والاسلوب الاحصائي لإتباع تلك العلاقات من خلال النموذج المقترح للدراسة.إفترضتالدراسة وجود علاقة خطية بين كل من الصادرات والواردات والتضخم والديون الخارجية والبترول واتباع الحكومة سياسة التحرير الاقتصادي.توصلت الدراسة إلى عديد من النتائج كان أهمها توضيح الأثر السلبي الذي نتج عن إتباع سياسة التحرير الاقتصادي على ميزان المدفوعات وايجابية اكتشاف البترول وتصديره.أوصت الدراسة باللجوء إلى سياسة تغيير الانفاق الحكومي من خلال سياسة مالية ونقدية المباشرة التي تتألف من التعريفات الجمركية ونظام الحصص والقيود الأخرى على حركة السلع ورؤوس الاموال وتقليل الاستيراد وتصحيح الاختلال في ميزان المدفوعات.(عمر عبد الرحمن احمد، 2009، ص140/6).

3. دراسة جلال الدين (2013م)**:**

جاءت الدراسة بعنوان: أثر النفط على ميزان المدفوعات في السودان خلال الفترة من (2000 - 2011)، هدفتالدراسة إلى بيان أثر النفط على ميزان المدفوعات في السودان، معرفة مدى تأثير النفط السوداني على الميزان التجاري وكذلك مدى تأثير النفط على الحساب الرأسمالي والمالي.

انتهجت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والإحصائي واعتمد الدارس على مصادر ثانوية متمثلة في الكتب والرسائل العلمية والمجلات.افترضت الدراسة الى تأثير الإيرادات النفطية على حجم الواردات طرديا.توصلت الدراسة الى اكتشاف النفط وتصديره في تخفيف العجز في ميزان

المدفوعات. كما أدى إلى تحقيق الفوائض في الميزان التجاري في بعض السنوات (2003-2000).
أوصت الدراسة الى ضرورة تنوع الصادرات وزيادة السلع المصنعة بدلا من الاعتماد على تصدير المواد الخام وخاصة خام النفط(جلال الدين الجاك محمد، 2013م، ص100/6).
4. دراسة شيهان (2018):
جاءت الدراسة بعنوان: أثر الديون الخارجية على ميزان المدفوعات، هدفت الدراسة إلى التعرف على الأسباب التي أدت الى انفجار أزمة المديونية الخارجيةوتحليل الأثر على ميزان المدفوعات الناتج عن انعكاسات الديون الخارجية.انتهجت الدراسة المنهج التاريخيوالتحليلي الوصفي.افترضت الدراسة تزايد الاهتمام العالمي بالديون الخارجيةوأصبحت من الموضوعات الملحة التي تتطلب حلاً سريعاً.توصلت الدراسة الى ان الديون الخارجية تؤثر سلباً على ميزان المدفوعات في المدى القصير والطويل ويعود السبب في ذلك الى انتهاج الدول النامية لسياسة خاطئة في استعمال القروض. أوصت الدراسة الى أن تقضي الدولة على العجز المزمن في ميزان المدفوعات لا بد أن تطبق سياسات مالية ونقدية ملائمة تعمل على زيادة معدل نمو الصادرات بدرجة اكبر من الواردات ومعالجة الاختلالات الاقتصادية التي أدت الى زيادة الاعتماد على القروض الخارجية وتراكمها(شيهان ابراهيم النور التوم، 2018، ص281/7).
5. دراسة عبادة (2019):
أتت الدراسة بعنوان: غسل الأموال وأثره على ميزان المدفوعات في السودان، هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم وطرق ومراحل غسل الاموال، وبيان الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لجريمة غسل الاموال.انتهجت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي.
افترضت الدراسة ان هنالك علاقة طردية بين جريمة غسل الاموال واختلال ميزان المدفوعات، وغسل الاموال له أثر سلبي على الاقتصاد القومي في السودان، غسل الاموال له أثر سلبي على السياسة المالية والنقدية، له أثر سلبي بين عمليات غسل الاموال وسعر الصرف.توصلت الدراسة أن الأموال المتولدة عن الجريمة في دولة معينة والتي يجري غسلها في دولة أخرى الى حرمان الدولة المحول منها من امكانية الاستفادة من هذه في تحويل عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها.
أوصت الدراسة الى ضرورة التحديث المستمر لآليات الدولة واجهزتها الأمنية(عبادة السماني محمد، 2019، ص134/7).

الاطار النظري للدراسة:

التضخم:

أوجد العديد من الاقتصاديين تعاريف كثيرة للتضخم كل حسب وجهة نظره، فمنهم من كان ينظر إلى التضخم على أنه (إرتفاع في دخل النقدية للأفراد إرتفاعاً غير عادل).
ومنهم من عرفه على أساس أن التضخم في التكاليف والذي يعني زيادة أسعار عناصر الإنتاج في السوق ولكن المعنى السائد والمتعارف عليه في الاقتصاد هو التضخم في الأسعار والذي يقصد به الارتفاع المستمر للمستوى العام للأسعار.

ولقد أثبتت الدراسات التي على الشركات المساهمة العامة أن ارتفاع الأسعار يستخدم كمؤشر عام لظاهرة التضخم(إيمان عطيه ناصف، 2007، ص3).ويعرف التضخم بأنه الزيادة المستمرة في المستوى العام للأسعار ويوضح ان مشكلة التضخم تظهر إذا عانت الدولة من الآتي:

أ. الإرتفاع المستمر في الأسعار**:**إن خطورة مشكلة التضخم تأتي من ارتفاع الأسعار ويكون مستمراً على فترة زمنية، فالارتفاع المؤقت في الأسعار بسبب أي ظروف طارئة أو عارضة قد لا يسبب مشكلة للدولة ولذلك لا يمكن إعتباره نوعاً من التضخم فالتضخم يعني أن إرتفاع الأسعار يكون مستمراً.

ب. ارتفاع المستوى العام للأسعار**:** يعني أن المتوسط العام للأسعار داخل الدولة يتعرض للارتفاع، لذلك فحدوث إرتفاع في أسعار بعض السلع وانخفاض أسعار سلع أخرى قد لا يقضي إلي ارتفاع المستوى العام للأسعار ولذلك لا يعتبر تضخما، ولكن التضخم يشير إلى حدوث ارتفاع في المتوسط العام لأسعار السلع المختلفة.

1- أسباب حدوث التضخم:

هنالك نظريتان رئيسيتان تفسران حـــدوث التضخم وهما: التضخم يـجذب الطلب والتضخم يدفع النفقة.

أ. النظرية الأولى: التضخم يجذب الطلب**:**

في ظل هذه النظرية فأن زيادة الطلب الكلي تؤدي إلي ارتفاع مـــستويات الأسعار ويـحدث التضخم عـندما يـزيد الطلب الكلي مـفيد بـعوامل الإنتاج مـثل مـعدلات التراكم الرأسمالي والتقدم التكنولوجي فأن زيادة الطلب الكلي قد تسبب في زياده في المستوي العام للأسعار .هنالك أسباب عديدة تفق وراء زيادة الطلب الكلي منها تزايد العرض الكلي للنقود ارتفاع مـعدل الارتفاع الحكومي للتخفيضات الضريبية المتعافية.

ب. النظرية الثانية: التضخم بدفع النفقة:

وطبقاً لهذه النظرية فالتضخم يحدث نتيجة ضغوط النفقات العمالية لزيادة الأجور النقدية بسرعة أكبر من الزيادة التي تحدث في الأحوال العادية ويسمى عندها بالتضخم الناشئ عن ارتفاع الأجو. كما ينشأ عن الممارسات الاحتكارية للمديرين الذين يرفعون الأسعار في غياب الزيادة في الطلب أو ارتفاع ويطلق عليه اسم التضخم الناشئ عن الزيادة الأرباح أن نجاح نقابات العمال في فرض زيادة الأجور بمعدل يزيد عن الزيادة التي تقررها قوى السوق بما يمهد زيادة متوسط الأجور النقدية في الاقتصاد القومي فإن النتيجة ستكون زيادة في المستوى العام.

نظرية تضخم الكلفة الدافعة**:**

تهتم هذه النظرية بتحليل جانب العرض أكثر من جانب الطلب في تفسير التضخم وخاصة في البلدان الصناعة الرأسمالية المتقدمة، حيث أن معظم النظريات السابقة لها والتابعة للمدرستين الكلاسيكية والكنزية تؤكد تحليل جانب الطلب مـثل تحليل المدرسة الكنزيه بما يعرف (بالطلب الجاذب) لعمليه التضخم، وإلا أن أصحاب نظرية الكلفة الدافعة(ناظم محمود نوري الشمري، 2008م، ص 7) لم يستبعدوا تماماً التأثيرات الناجمة عن الإنفاق إلا أن اهتمام الأسعار إنصب

على تحليل جانب العرض من خلال تأثير الأجور المستحقة في تحديد الأرباح أو كذلك تأثير نقابات العمال في تحديد الأجور في ظل سوق تسوده حالة (الاحتكار) أو (احتكار القلة).
إذ تستطيع نقابات العمال بحكم قوتها التساومية في الضغط على المنتجين برفع الأجور مما يؤدي إلي زيادة كلفة الإنتاج من جهة نظر المنتجين مما يدفعهم ذلك بحكم قوتهم الاحتكارية أو شبه الإحتكارية من زيادة الأسعار لتلافي زيادة كلفة الأجور فيقابل زيادة الأسعار زيادة في الأجور ثم زيادة الأسعار، وهكذا تستمر الضغط التضحية الرأسمالية المتقدمة بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد أن شهدت هذه البلدان ارتفاعات متزايدة مستمرة في المستوى العام للأسعار.
وهنالك من الاقتصاديين من لا يبرر زيادة الأسعار بحجة الأجور من قبل المؤسسات الاحتكارية التي تعرف باحتكار القلة على أساس أن السبب الحقيقي لزيادة الأسعار يعزى إلي حالة المؤسسات في هذه الصناعات المحافظة على أقصى الأرباح الممكنة بحكم سوق الاحتكار أو شبة الاحتكار لدى ينتج لها ذلك وبمعنى آخر قد لا تسبب زيادة الأجور سوى تغيرات حدية في التكاليف وبالتالي لا يؤثر كثيراً في ربحية المؤسسات، ويعتمد الاقتصاديون آخرون بأنه لما كانت الزيادة في الأجور غير قابلة للتخفيض فقد تفضل بعض المؤسسات تحدد أسعار منتجاتها إلى دون المستويات التي تحقق لها أقصى الأرباح خلال فترة الانتعاش أو الرواج الاقتصادي بهدف تجنب تحقيق أقصى الأرباح خلال فترة الركود الاقتصادي المسماة بانخفاض الطلب.
هذا وقد قسم بعض الاقتصاديين تضخم الكلفة الدافعة إلى مجموعة من النظريات الفرعية التي تفسر التضخم مثل (تضخم الأجور) الناشئ عن إرتفاع المستوى العام للأجور الذي يترتب عليه إرتفاع مستوى التكاليف الصناعية والخدمية ويحدث ما يعرف بالتضخم (اللولبي) أو (الحلزوني) بحيث يكون الارتفاع في الأجور أو لا يتبعه إرتفاع في الأسعار وتتعاقب الزيادة في كل من الأجور والأسعار.
كذلك من النظريات الفرعية لتضخم التكلفة الدافعة نظرية تضخم الأرباح حيث تلجأ المؤسسات والمنشآت الصناعية الكبيرة التي يسودها حالة الإحتكار أو شبة إحتكار إلى رفع الأسعار والتحكم في كميات الإنتاج بهدف تعظيم الأرباح مما يترتب عليه إرتفاع المستوى العام للأسعار وإرتفاع تكاليف الإنتاج أيضاً حتى يبلغ التضخم مستويات مرتفعة.

ب. نظرية ضغط الطلب:

تفسر هذه النظرية التضخم على أساس التغيرات الحاصلة في مكونات الطلب وليس في الزيادة الحاصلة في إجمالي الطلب الكلي كما هو الحال في النظرية السابقة (نظرية جذب الطلب).
إذ أن التضخم (بحسب نظرية هيكل أو تغير الطلب) ينجم عن التغيرات الداخلية في تركيب الطلب حتى لو لم يكن إجمالي الطلب مفرطاً في الزيادة ولم يكن هناك تجمع إحتكاري في تركيز السلطة الاقتصادية على أساس وجود مناطق معينة في الاقتصاد تكون فيها الأجور والأسعار مرنة ومستجيبة لزيادات في الطلب وغير مرنة في إنخفاضه بمعنى آخر أن الزيادات الحاصلة في المستوى العام للأسعار تعود إلى التغيرات الحاصلة في تركيب أو مكونات الطلب الكلي بقدر أكبر من التغيرات الحاصلة في مكونات العرض الكلي ولهذا يمكن لمثل هذا النوع من التضخم يعير تخصيص الموارد الاقتصادية المتاحة في المجتمع بحيث يتكيف العرض مع التغيرات في

الطلب الكلي علماً بأن مثل هذا النوع من التضخم ليس حاداً ويمكن إن يلاحظ في الفترات التي تعقب الحروب إذ يتم تغيير مجالات الإنفاق والتمويل الحربي العسكري مما يؤدي إلى هبوط مستوى الإنتاج في صناعات عديدة مقابل زيادة حجم الإنفاق الاستهلاكي مما يترتب على ذلك زيادة أسعار السلع الاستهلاكية التي تتعرض لزيادة الطلب عليها مما يدفع المستثمرين إلىالتوجه نحو الاستثمار في هذه الصناعات الاستهلاكية ثم زيادة حجم العرض من السلع الاستهلاكية اللازم لمواجهة الطلب المتنامي عليها.

ونستنتج من تلك النظريات الأسباب التالية:

-زيادة الطلب عن العرض: (والذي يعنى قلة الإنتاج مع زيادة الإنفاق) حيث إنه عند وجود إنتاج قليل مع تزايد الطلب على السلع والخدمات هذا يؤدي إلىارتفاع تلك السلع والخدمات.

-إرتفاع تكلفة الإنتاج: وهو الذي يسبب بما يعرف التضخم في التكاليف (سواء كان على شكل زيادة في الأجور أو في الأرباح أو كليهما).

-زيادة عرض النقد: قد تلجأ الدولة في بعض الأحيان إلي زيادة إصدار النقد لتحقيق مديونيتها الداخلية وهذا بالتالي يودي إلى التضخم (أي أن العجوزات في الموازنات الحكومية قد تؤدي إلي السيولة الفائضة ومن ثم إلي التضخم).

-الأحداث الغير اعتيادية: هنالك العديد من الأحداث والتطورات المختلفة التي تؤدي إلي حدوث التضخم كالأحداث السياسية والتي تؤدي إلي شكل كبير على ارتفاع المستوى العام للأسعار وظهر لدى الدراسة أن الشركات الصناعية تعاني من مظاهر التضخم(كامل علاوي كاظم الفتلاوي، حسن لطيف كاظم الزبيدي، 2009، ص 20)

2- أنواع التضخم:

إن تعدد المفاهيم الخاصة بكلمة التضخم، أدت إلى وجود أنواع متعددة منها:

أ.تضخم جذب الطلب**:** ويقصد بها زيادة الأسعار الناجمة عن زيادة الطلب مع قلة الإنتاج، (إن زيادة الإنفاق في الاقتصاد القومي لا تمثل زيادة في الإنتاج الحقيقي بقدر ما تكون نتيجة زيادة الأسعار) أي إنه لو تم ارتفاع سعر سلعة بـ 2ج فإن زيادة الإنفاق ستصل إلي 15ج بالتالي تترتب عليها زيادة في الإنتاج بمقدار5 وحدات.

ب. التضخم الزاحف**:** ويقصد به إرتفاع المستوى العام للأسعار بشكل تدريجي وبنسب بسيطة (الارتفاع بمقدار 1 أو 2 أو 3% سنوياً في المستوى العام للأسعار) ويمكن إغلاق نتيجة في النوع من التضخم على النسب البسيطة التي تحدث للمستوى العام للأسعار ويؤدي إلي الارتفاع والتي تعد من مظاهر نمو الاقتصاد لا يؤثر بشكل سلبي.

ج. التضخم الجامح**:** يعتبر هذا النوع من التضخم أشد الأنواع تأثيراً على الاقتصاد أو ضرراً به، حيث تتوالى الزيادة في الأسعار، بشكل مرتفع دون إنقطاع (وبالتالي تفقد النقود قيمتها كوسيط للتداول).

د. التضخم في التكاليف**:** وهو التضخم الذي ينتج عن إرتفاع أسعار أحد عناصر الإنتاج.

ه. التضخم الركودي: هو التضخم الذي فيه يجتمع الركود الاقتصادي مع التضخم العالي، (وهي حالة يجتمع فيها الركود والجمود الاقتصادي أو التباطؤ الشديد في النمو الاقتصادي من ناحية مع التضخم العالي من ناحية ثانية).

و.التضخم الأصيل أو الصريح أو الصحيح: يحدث عندما لا تقابل الزيادة في الطلب الكلي زيادة الإنتاج مما ينعكس في صورة زيادة في الأسعار.

ر. التضخم المكبوت: في هذا النوع لا يظهر التضخم في صورة إرتفاع في الأسعار بوسائل إدارية خاصة بالنسبة للسلع الأساسية أو عن طريق تسببت منح إعانات للمنتجين لتعويضهم عن أرباحهم ومنع الارتفاع في الأسعار في الظهور وعلى الرقم من عدم ظهور ارتفاع الأسعار في هذا النوع من التضخم إلا إنه يكون واضحاً في عدة مظاهر أخرى من أهمها:

أ- إختفاء السلع ذات الأسعار الثابتة من الأسواق الرسمية وظهور السوق السوداء.

ب - ظهور طوابير المستهلكين أمام منافذ التوزيع الرسمية التي تعرض السلع بسعر المثبت.

آثار التضخم:

1 - انخفاض القدرة التنافسية للصادرات:

سيؤدي ارتفاع الأسعار للسلع المحلية إلي انخفاض الصادرات والفوائد التصديرية من جهة، وزيادة الطلب المحلي علي الاستيرادات من جهة أخرى. وستؤدي التأثيرات السلبية بهذه التحويلات إلي حدوث عجز في الميزان التجاري، والي احتمال انخفاض سعر صرف العملة المحلية، وبالتالي استنزاف القطر المهني لاحتياطياته من العملات الأجنبية مما يعني ضرورة اتخاذ الإجراءات الفاعلة للحد من التأثيرات السلبية للتضخم علي الاقتصاد القومي(مصطفييوسفكافي، 2015 م، ص 368).

2 - التضخم وتوزيع الدخل:

أحد الأسباب الرئيسية السلبية المثيرة للاهتمام بظاهرة التضخم هو اثار القوم علي توزيع الدخل في المجتمع ولفهم آثار التضخم علي إعادة توزيع الدخل، ومن الضروري التمييز بين هو الدخل في الحقيقي والنقدي فالدخل مقومّاً بالنقود، أما الدخل الحقيقي فهو قدرة الدخل النقدي علي شراء السلع وخدمات.

3 - اثر التضخم علي أسعار الفائدة:

تتفادى خسارة الدائنين أو المقرضين وتشجيعهم علي تقديم الأموال أو مدخراتهم إلي المؤسسات المالية فإن آلية تحديد سعر الفائدة يجب أن تأخذ في اعتبارها معدل التضخم المتوقع من عام إلى آخر، الأمر الذي يعني ضرورة إضافة علاوة تضخم إلى العائد علي أموال المقترضين، ومن ثم هنا يجري للتفريق بين الفائدة الإسمي وسعر الفائدة الحقيقي.

والأخير هو معدل العائد الذي يحصل علية المقرض بعد الأخذ في الاعتبار توقعات معدل التضخم ويحسب معدل العائد الحقيقي وفقاً لمعادله فيشر علي النحو التالي:

$$R = I - F$$

(F) هي معدل العائد الاسمي أو المعني منه، و(I) هي معدل الفائدة الحقيقي، و(R) حيث معدل التضخم. فإعطاء سعر الفائدة (10%) علي قرض لمده عام في الدولة يتوقع أن يصل فيها (6%)

بمعني أن % التضخم إلي (6%) مثلا، يعني أن معدل العائد الحقيقي هو (4%) فقط (10%) سعر الفائدة المعلن عنه (المعروض) ينقسم إلى (6%) مقابل إخطار التضخم المتوقع وعائد حقيقي علي أموال المقترضة. (مايكل إيدحمان، 1988، ص374).

4 ـ أثر التضخم علي النمو الاقتصادي:

اختلفت آراء الاقتصاديين بالنسبة لتأثير التضخم علي النمو الاقتصادي. فهناك فريق يري بأن التضخم له تأثير سلبي علي نمو الاقتصادي، حيث تنشا في المجتمع حالة تتسم بعدم التأكد من الأوضاع الاقتصادي في المستقبل فيؤثر ذلك علي قرارات الاستثمار ومن ثم يقل حجم الاستثمار كما تتأثر أيضاً قرارات المدخرين الخاصة عندما يتوقعون استمرار الزيادة في الأسعار نظراً لانخفاض القيمة الحقيقية للمدخرات. ويري أنصار هذا الرأي أيضا أن أصحاب الدخول التي تتمثل في الأجور أي العمال يقل حماسهم للعمل بسبب انخفاض دخولهم الحقيقي مع ارتفاع الأسعار.

أما الفريق الآخر فيري بأن الشواهد التاريخية لا تدلل علي وجود انخفاض في حجم المدخرات أو أن الميل للعمل يقل بل بالعكس يرون بأن التضخم ربما يكون دافعا العملية النمو الاقتصادي فتختلف معدل الأجور لفترة معينه عن ملاحقه الزيادة في الأسعار سيعمل علي زيادة الأرباح مما يشجع علي زيادة الاستثمار وهذا بدوره يؤدي إلي خلق فرص عمل جديدة فينخفض معدل البطالة ويرتفع حجم الناتج القومي خاصة عندما يكون الاقتصاد عند مستوي اقل التوظيف الكامل لعناصر الإنتاج.

يري الباحث أن كل فريق يسوق من المبررات التي تؤيد وجهه نظره الا أن صحة اي منهما يعتمد علي كثير من العوامل المترابطة التي من أهمها طبيعة التضخم وهل هو من النوع المتزايد بسرعة أم إنه من النوع الذي يتزايد ببطء؟ فالنوع الأول ضار لعملية النمو الاقتصادي نظراً لما يحدثه من اضطرابات سياسية واجتماعيه ويخلق حالة من عدم الثقة في الأحوال الاقتصادية للمجتمع بينما في حالة النوع الثاني فمع سياسات اقتصاديه حكيمة تتمثل في إجراءات علاجيه للاستثمار والادخار وغيرها من تكاليف الإنتاج بصفه عامة أظهرت قوة التأثير السلبي للتضخم على النمو أن السلطات النقدية يجب أن تعتمد علي نموذج هيكلي واضح من الاقتصاد لتوجيه قرارات سياساتهم نحو معالجة التضخم، إن التضخم يعمل على تشويه مسار التنمية الاقتصادية لأنه يسبق الميل لشراء الأصول المالية أو الاحتفاظ بحسابات ادخارية مقابل تشجيع عملية تعبئة الادخار للاستثمار الخاص(مايكل، 1988ص385) ، بينما يحقق لأصحاب رؤوس الأموال أرباحاً متزايدة باستمرار، لذلك فإن التضخم يؤدي إلى النمو غير المتكافئ للقطاعات الاقتصادية ويرفع في اتجاه سوء تخصيص الموارد المالية. ويؤدي ذلك إلى التخلص من العملة الوطنية التي تنخفض قيمتها الشرائية في الداخل والخارج علي السواء، والعبرة هنا ليست بالأسعار الرسمية وإنما بأسعارها في السوق الحرة والسوداء، وبناء على ما تقدم تفقد العملة المحلية أحياناً وظيفتها كمخزون ومستودع للقيمة أو تعهد بهذه الوظيفة إلى عملة أجنبية مع الدولار ويؤكد على ذلك أحد الكتاب بأنه يؤثر التضخم على اتجاهات الاستثمار القومي من حيث توزيعه بين القطاعات المختلفة السواء الإنتاجية أو الخدمية من ناحية والقطاع العام أو القطاع الخاص من ناحية أخرى

بالإضافة إلى الأثر الذي يلعبه التضخم بالنسبة لتدفق أو انسحاب رؤوس الأموال الأجنبية أو المحلية.

5. مسار التنمية الاجتماعية:

يعمل التضخم على تشويه التنمية الاجتماعية فالتضخم وسيلة ملتوية لإعادة توزيع الدخل القومي لصالح أصحاب الدخول المتغيرة كأرباح رجال الأعمال وعلى حساب أصحاب الدخول المحدودة أو الثابتة، ومن ثم يدب الخلل في الهياكل الاجتماعية.

يمكن تلخيص أثر التضخم على النشاط الاقتصادي والسياسي لإعادة توزيع ضعف القوة الشرائية للنقود، مما يقلل من رغبة أفراد المجتمع في الادخار يؤدي التضخم إلي دفع رؤوس الأموال للهجرة إلى الخارج، حيث يتم تحويل رؤوس الأموال إلي عملات أجنبية حماية لها يشجع التضخم علي الاستهلاك حيث تفقد العملة قيمتها ويفقد المستهلك ثقته بها فيفضل استبدالها بسلع ظهور المسار في السوق سواء تخفيض جوده بعض السلع بسبب سهوله تسويق سلع رديئة في ظل ارتفاع الأسعار يحدث تضخم أجواء تشاؤمية تجعل المستثمرين يقلعون عن المشاريع الإنتاجية في المستقبل التي لا يبدأ إنتاجها الا بعد فترة من الزمن مما يؤدي إلى البطالة بسبب تراجع الإنتاج يعمل التضخم على زيادة العرض من السلع الكلمات على حساب السلع الضرورية لأن الطبقات الفنية هي القادرة علي الاستهلاك أكثر من أصحاب الدخول الثابتة مما يؤدي إلى توجيه الموارد الإنتاجية الى إنتاج سلعكمالية علي حساب السلع الضرورية يعمل تضخم على التأثير السلبي على الأوضاع السياسية لأننا لا نستطيع أن نفصل بين الاقتصادي وأثره الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية والآثار السياسية(حلمي محمود، 1991م، ص 41)

6 ـ أثر التضخم علي القرارات المتعلقة بالمستقبل:

يشوه التضخم القرارات المتعلقة بالنفقات المستقبلية والقرارات المتعلقة بمستويات الإنتاج المناسبة مثال: 10% تضخم أدت في بريطانيا إلى نقص في ناتج المحلي الإجمالي بحوالي 2% نتيجة حالة عدم اليقين التي خلقتها ارتفاع الأسعار.

يحسب ما سمي بمعدل التضخم وفقاً للمعادلة التالية:

معدل التضخم: المستوي العام للأسعار في سنة ما ـ المستوي السنوي العام للأسعار في السنة السابقة / المستوى العام للأسعار للسنة السابقة *100 .

تقوم عملية حساب مستوى عام للأسعار بإعطاء وزن ترجيحي لكل سلعة حسب أهميتها بالنسبة لميزانية الأسرة بما يسمى بمسح إنفاق الأسرة وفي العادة يتم إعداد ما يسمى قياس موحد المتوسط أسعار سلع والخدمات في بلد ما، وذلك وفقاً لأسعار المستهلكين أو لأسعار المنتجين.

التضخم في السودان:

إنخفضت معدلات التضخم الى (4.9%) في عام 2001 الى عام (8.0%) في عام 2000 وارتفعت مرة أخرى في عام 2002 الى (8.3%) ثم انخفضت في عام 2003 الى (7.3%) وثم ارتفعت معدلات التضخم في عام 2004 الى (8.5%) وكذلك في عام 2005.

كما سجلت معدلات التضخم مستويات منخفضة نسبياً عام 2007 في مستوى الخانة الواحدة منذ شهر فبراير وحتى شهر سبتمبر، وارتفع في شهر أكتوبر الى معدل ذو خانتين حيث انخفض

مرة أخرى الى خانة واحدة، وعلى الرغم من ذلك ارتفع المتوسط السنوي لمعدل التضخم من (7.2%) عام 2006 الى (8.1%) عام 2007 ثم ارتفع متوسط معدل التضخم خلال الفترة من (2009 - 2013) من (11.2%) في عام 2009 الى (37.1%) في عام 2013 ويعزى ذلك لتطبيق حزمة من الاجراءات الاقتصادية، وأهمها تطبيق سعر الصرف في المعاملات الحكومية ورفع الدعم جزئياً عن المحروقات. وبلغ متوسطها خلال (2009 - 2013) حوالي (22.9%) ويلاحظ ارتفاعه خلال العامين الآخرين عن المتوسط حيث بلغ (35.1%) و(37.1%) على التوالي.

إرتفع التضخم الكلي من (16.9%) بنهاية عام 2015م إلى (17.8%) بنهاية عام 2016م، كذلك إرتفع معدل التضخم بنهاية العام من (12.6%) بنهاية ديسمبر 2015م إلى (30.5%) بنهاية ديسمبر 2016م نتيجة للتوسع النقدي وتعديل سعر الصرف وزيادة الانفاق العام ورفع الدعم التاريخي عن السلع الاساسية. إرتفع التضخم الكلي من (17.8%) بنهاية عام 2016م إلى (32.4%) بنهاية عام 2017م، بينما إنخفض معدل التضخم بنهاية العام من (30.5 %) بنهاية ديسمبر 2016م الى 25.3% بنهاية ديسمبر 2017م، أما متوسط معدل التضخم فقد إرتفع من (17.8%) عام 2016م إلى (32.6%) عام 2017م.

إنخفض التضخم الكلي من 63.3% في عام 2018 إلى 51% عام 2019، كما إنخفض معدل التضخم بنهاية العام من 72.9% بنهاية ديسمبر 2018 إلى 57% بنهاية ديسمبر 2019.

وبالرغم من أن التضخم قد يحدث نتيجة لعدد من العوامل مجتمعة أو منفردة إلى أن انطلاق التضخم نتيجة لزيادة انفاق الدولة الاستهلاكي والاستثماري هو من أهمها في وقتنا الحاضر.

كما أن حدوث التضخم بسبب تمويل عجز الميزانية والاستدانة من النظام المصرفي نتيجة للزيادات المستمرة في انفاق الحكومة الاستهلاكي وذلك لعدم مساهمة هذا النوع من الانفاق الحكومي في زيادة انتاج السلع والخدمات وزيادة عرضها. (تقارير بنك السودان المركزي في الفترة من2000-2019).

ميزان المدفوعات:

يعرف ميزان المدفوعات لدولة ما بأنه سجل منظم أو بيان حسابي شامل لكل المعاملات الاقتصادية التي تتم بين المقيمين في الدولة والمقيمين في الدول الأخرى خلال فترة زمنية عادة ما تكون سنة(محمود يونس، عبد النعيم محمد، 2000، ص380).

وينبغي أن يكون واضحاً من هذا التعريف ما يلي:

أ. ينصب إهتمام ميزان المدفوعات فقط على المعاملات الاقتصادية الخارجية سواء تولد عنها حقوقا للمقيمين لدى غير المقيمين، أو نتج عنها حقوقاً لغير المقيمين يتعين على المقيمين أداؤها, أما المعاملات الاقتصادية الداخلية بين المقيمين على إقليم نفس الدولة فلا شان لميزان المدفوعات بها.

ب. يعتبر الوطنيون هم المقيمون عادة على إقليم الدولة.فالأشخاص الذين يقيمون بصفة عرضية على ارض الدولة لا يعتبرون من الوطنيين, كالأجانب الوافدين بغرض السياحة.

ج. يشمل مفهوم المقيمين كل الأشخاص الطبيعيين والأعتباريين(بنوك، شركات، مؤسسات) الذين يزاولون نشاطهم داخل إقليم الدولة بما في ذلك مياهها الإقليمية ومجالها الجوي. يضاف إلى ذلك السفن والطائرات التي تحمل علم الدولة وأساطيل الصيد في المياه الدولية التي تدار عن طريق رعاياها.

د.لاتوجد قاعدة محددة في تحديد بداية الفترة الزمنية التي يغطيها الميزان. فعلى حين تبدأ بعض الدول فترة السنة في أول يوليو وتنهيها في أخر ديسمبر، فإن دولة مثل اليابان تبدأ هذه الفترة مع بداية شهر أبريل من كل سنة لتنتهي في أخر شهر مارس من العام التالي.

بالإضافة إلي ذلك فإن بعض الدول تعد تقديرات لموازين مدفوعاتها لفترة تقل عن السنة (كل ثلاثة أشهر)، مثل الولايات المتحدة الأمريكية ومعظم الدول المتقدمة إقتصاديا. وذلك لمساعدة السلطات المختصة علي معرفة حقيقة الوضع الإقتصادي الخارجي ومن ثم العمل علي إتخاذ الإجراءات المناسبة لتدارك الوضع بدلا من الانتظار حتى نهاية العام.(زينب حسين عوض الله، 1999، ص100)

ويقوم إعداد ميزان المدفوعات علي مبدأ القيد المزدوج مما يجعله بالضرورة متوازنا دائما، بمعني أن تكون المديونية والدائنية متساوية في جميع الأحوال. وتوازن ميزان المدفوعات من الناحية المحاسبية لا يحول دون وجود إختلالات من الناحية الواقعية، إذ قد ينطوي توازنه الحسابي الكلي علي إختلالات في بنوده المختلفة.

ومن الجدير بالذكر، أن موازين المدفوعات في الدول المختلفة تخدم العديد من الأغراض، أهمها:

أ - تتبع التغيرات في مركز الدولة، بالنسبة للتجارة العالمية من خلال مقارنة سلسلة موازين مدفوعاتها عبر سنوات متتالية، وتساهم هذه المعلومات في تحديد السياسات التجارية الملائمة في ضوء نقاط الضعف والقوة في الموقف الخارجي للاقتصاد الوطني.

ب- تعتبر الصادرات والواردات من مكونات الدخل الوطني، ولذلك لابد من الأخذ بعين الاعتبار التغيرات في أحجامها النسبية عند وضع السياسات التي تؤثر على الدخل والتوظيف.

ج- تؤثر التغيرات في المدفوعات والمتحصلات من العملات الأجنبية على العرض المحلي للنقود ومن ثم على السياسات المالية والنقدية الواجب إتباعها.

د-إن عدم التوازن أو الاختلال المستمر في ميزان المدفوعات يكون مؤشرا لاتخاذ وسائل تصحيحية لإعادة التوازن.(أحمد مندور، 1999، ص159).

أهمية ميزان المدفوعات:

إن لبيانات ميزان المدفوعات دلالاتها الخاصة التي تعبر عن الأحوال الاقتصادية للبلد بغض النظر عن الفترة الزمنية التي تغطيها دراسة هذه البيانات لذلك فإن تسجيل هذه المعاملات الاقتصادية الدولية في حد ذاتها مسألة حيوية لأي اقتصاد وطني وذلك للأسباب التالية:(عرفان تقي الحسيني، 2002، ص115). إن هيكل هذه المعاملات الاقتصادية يعكس قوة الاقتصاد الوطني وقابليته ودرجة تكييفه مع المتغيرات الحاصلة في الاقتصاد الدولي لأنه يعكس حجم

وهيكل كل من الصادرات والمنتجات، بما فيه العوامل المؤثرة عليه كحجم الاستثمارات ودرجة التوظيف، ومستوى الأسعار والتكاليف ....إلخ

- إن ميزان المدفوعات يظهر القوة المحددة لسعر الصرف من خلال ظروف الطلب وعرض العملات الأجنبية ويبين أثر السياسات الاقتصادية على هيكل التجارة الخارجية من حيث حجم المبادلات ونوع سلع التبادل، الشيء الذي يؤدي إلى متابعة ومعرفة مدى تطور البنيان الاقتصادي للدولة ونتائج سياساتها الاقتصادية.

- يشكل ميزان المدفوعات أداة هامة تساعد السلطات العامة على تخطيط وتوجيه العلاقات الاقتصادية الخارجية للبلد بسبب هيكله الجامع، كتخطيط التجارة الخارجية من الجانب السلعي والجغرافي أو عند وضع السياسات المالية والنقدية، ولذلك تعد المعلومات المدونة فيه ضرورية للبنوك والمؤسسات والأشخاص ضمن مجالات التمويل والتجارة الخارجية.

- إن المعاملات الاقتصادية التي تربط البلد مع العالم الخارجي هي نتيجة اندماجه في الاقتصاد الدولي وبدلك فهي تقيس الموقف الدولي للقطر.

عناصر ميزان المدفوعات:

نظراً لطبيعة المعاملات الاقتصادية المتشعبة والمتشابكة لأي بلد مع بقية العالم الخارجي ، فإنه من الصعوبة حصرها وتدوينها بصورة منفردة في ميزان المدفوعات ولذلك يمكنه إعطاء بيان موجز لهذا الحكم من المعاملات وتدوينها في فترات وأقسام مستقلة يضم كل منها نوعا متميزا من المعاملات ذات الطبيعة المتشابهة والمتقاربة الأهداف، لذلك فإن ميزان المدفوعات يتركب من خمسة حسابات هي:

1-الحساب الجاري:

يشمل هذا الحساب على جميع المبادلات من السلع والخدمات والذي يتألف من عنصرين:

أ. الميزان التجاري: يتعلق بتجارة السلع أي صادرات السلع ووارداتها خلال الفترة محل الحساب وهو الفرق بين قيمة الصادرات وقيمة الواردات، وسمي أيضا ميزان التجارة المنظورة.

ب. ميزان الخدمات: تسجل فيه جميع المعاملات الخدمية مثل خدمات النقل والتأمين والسياحة والملاحة والخدمات المالية، ويسمى بميزان التجارة غير منظورة (تجدر الملاحظة أن 70% من التجارة الدولية هي تجارة خدمات).

2- حساب التحويلات من طرف واحد:

يتعلق هذا الحساب بمبادلات تمت بين الدولة والخارج بدون مقابل أي أنها عمليات غير تبادلية، أي من جانب واحد وتشمل الهبات والمنح والهدايا والمساعدات وأية تحويلات أخرى لا ترد سواء كانت رسمية أو خاصة.

3- حساب رأس المال:(العمليات الرأسمالية)

تدخل في هذا الحساب جميع العمليات التي تمثل تغيرا في مراكز الدائنية و المديونية للدولة لأن معاملات الدولة مع الخارج لا تقتصر على تجارة السلع والخدمات فقط ، بل هناك حركات رؤوس الأموال التي تنتقل من بلد إلى آخر، والتي تنقسم إلى نوعين:

أ/رؤوس الأموال الطويلة الأجل: وهي التي تتجاوز السنة كالقروض الطويلة الأجل،والاستثمارات المباشرة، والأوراق المالية (أسهم و سندات) أي بيعها وشرائها من وإلى الخارج.

ب/ رؤوس الأموال القصيرة الأجل: والتي لا تتجاوز السنة مثل الودائع المصرفية والعملات الأجنبية والأوراق المالية القصيرة الأجل، والقروض القصيرة الأجل.

وتتم حركة رؤوس الأموال القصيرة الأجل لتسوية ما يحصل بين المقيمين من عمليات في حساب العمليات الجارية وحساب رأس المال الطويل الأجل.

وتعد هذه الأشكال من التحويلات الرأسمالية بالنتيجة حقا أو دينا للقطر على الخارج أو العكس، أي أنها قد تضيق أو تنقص تلك الحقوق أو الديون للبلد على العالم الخارجي .

كما تجدر الإشارة إلى أنه عادة ما يطلق على ميزان العمليات الجارية وميزان التحويلات من طرف واحد وحركة رؤوس الأموال الطويلة الأجل مجتمعة لميزان المدفوعات الأساسي ولقد أخذنا بالتقييم السابق فقط من أجل التوضيح والتبسيط.(أحمد مندور، 1999، ص214).

3- ميزان حركة الذهب والنقد الأجنبي:

تقيم تسوية المدفوعات عن طريق التعاملات الأجنبية أو الذهب، والذي كان من وسائل الدفع الأكثر قبولا في الوفاء بالالتزامات الدولية، فتسوي الدولة عجز ميزان مدفوعاتها بتصدير الذهب إلى الخارج، كما يمكنها في حالة وجود فائض بشراء كمية من الذهب من الخارج وفقا لقيمة هذا الفائض.

والذهب الذي يسوي العجز والفائض هو الذي يحتفظ به البنك المركزي أو السلطات النقدية كغطاء أو احتياطي، وهذا الميزان لديه جانب دائن وجانب مدين تقيد فيهما حركة الذهب والنقد الأجنبي.

4- فترة السهو والخطأ:

تستعمل هذه الفقرة من أجل موازنة ميزان المدفوعات من الناحية المحاسبية (أي تساوي جانب المدين مع جانب الدائن)، لأن تسهيل العمليات يكون تبعا لطريقة القيد المزدوج ، وتستخدم هذه الفقرة أيضا في الحالات التالية:

- الخطأ في تقسيم السلع والخدمات محل التبادل نتيجة اختلاف أسعار صرف العملات.
- قد تؤدي ضرورات الأمن القومي للبلد إلى عدم الإفصاح عن مشترياته العسكرية من أسلحة وعتاد لذلك تم إدراجها بفقرة السهو والخطأ.

5-طريقة التسجيل:

كما قلنا سابقا أن تسجيل العمليات في ميزان المدفوعات يكون طبقا لطريقة القيد المزدوج أي تسجل مرتين في الجانب الدائن وفي الجانب المدين.

بالنسبة للجانب المدين: يأخذ الإشارة السالبة (-) و يشمل:

1- الاستيرادات من السلع والخدمات
2- الهدايا والمنح والمساعدات المقدمة للأجانب (التحويلات من طرف واحد)
3- رؤوس الأموال الطويلة والقصيرة الأجل المتجهة نحو الخارج

فهذا الجانب يأخذ إما زيادة الأصول الوطنية في الخارج أو تقليل الأصول الأجنبية في الداخل.
أما الجانب الدائن: يأخذ إشارة موجبة (+) و يشمل:
1- الصادرات من السلع والخدمات
2- الهدايا والمنح والمساعدات المقدمة من الخارج (التحويلات من طرف واحد)
3- رؤوس الأموال القادمة من الخرج

3. أسباب الاختلالات في ميزان المدفوعات**:**

أن ميزان المدفوعات يكون متوازناً محاسبياً نظراً لإتباع طريقة القيد المزدوج . إذن كيف يحدث الخلل في الوقت الذي بكون فبه الميزان متوازناً؟

إن الخلل يكون في أقسام معينة من الميزان وعادة ما يكون العجز في الحساب الجاري باعتباره من أكبر الحسابات والذي يؤدي عجزه إلى إضرار في الاقتصاد الوطني، مما سيؤدي سلبا على قيمة العملة المحلية في سوق الصرف الأجنبي نتيجة لعرض العملة المحلية أكثر من طلب الأجانب عليها لذلك تستخدم السلطات في هذه الحالة السياسات النقدية والمالية لمعالجة الخلل.

وتوجد أسباب عديدة تؤدي إلى حدوث هذا الخلل و لعل أهمها:

أ. التقييم الخاطىء لسعر صرف العملة المحلية:

توجد علاقة وثيقة بين ميزان المدفوعات وسعر صرف العملة للبلد فإذا كان سعر الصرف لعملة بلد ما أكبر من قيمتها الحقيقية، سيؤدي ذلك إلى ارتفاع أسعار سلع البلد ذاته من وجهة نظر الأجانب مما يؤدي إلى انخفاض الطلب الخارجي عليها وبالتالي سيؤدي دلك إلى حدوث اختلال في ميزان المدفوعات.

إما إذا تم تحديد سعر صرف العملة بأقل مما يجب أن تكون عليه سيؤدي ذلك إلى توسع الصادرات مقابل تقلص الواردات مما يؤدي أيضا إلى حدوث اختلال في الميزان، لذلك هذه الإختلالات غالبا ما ينتج عنها ضغوط تضخمية والتي تساهم في استمرارية الاختلال في الميزان. (احمد مندور، 1999، ص161).

ب.أسباب هيكلية:

وهي الأسباب المتعلقة بالمؤشرات الهيكلية للاقتصاد الوطني وخاصة هيكل التجارة الخارجية (سواء الصادرات أو الواردات)، إضافة إلى قدرتها الإنتاجية و بأساليب فنية متقدمة ، وهذا ما ينطبق تماما على حالة الدول النامية التي يتسم هيكل صادراتها بالتركيز السلعي أي اعتمادها على سلعة أو سلعتين أساسيتين (زراعية أو معدنية أو بترولية)حيث عادة ما تتأثر هذه الصادرات بالعوامل الخارجية المتجسدة في مرونة الطلب الخارجي عليها في الأسواق العالمية كتغير أذواق المستهلكين وانصرافهم عن هذه السلع أو عند حدوث تقدم فني في الخارج يؤدي إلى خفض أثمان السلع المماثلة لصادرات هذه الدول في الخارج.

ج. أسباب دورية:

وهي أسباب تتعلق بالتقلبات الاقتصادية التي تصيب النظام الاقتصادي الرأسمالي، ففي فترات الانكماش ينخفض الإنتاج والدخول والأثمان وتزداد معدلات البطالة، فتنكمش الواردات مما قد يؤدي إلى حدوث فائض، وفي فترات التضخم يزيد الإنتاج وترتفع الأثمان والأجور والدخول

فتقل قدرة البلد على التصدير وتزيد وارداته مما قد يؤدي إلى عجز في ميزان المدفوعات ويلاحظ أن التقلبات لا تبدأ في نفس الوقت في كافة الدول، كما تتفاوت حدتها من دولة إلى أخرى وتنتقل هذه التقلبات الدورية عن الدول ذات الوزن في الاقتصاد العالمي إلى الدول الأخرى (الشركاء التجاريين) عن طريق مضاعف التجارة الخارجية، وتتأثر بالتالي موازين مدفوعات هده الدول عن طريق ما يصيب مستويات الأسعار والدخول فيها.(بسام الحجاز، 2003، ص142)

د. الظروف الطارئة:

قد تحصل أسباب عرضية لا يمكن التنبؤ بها وقد تؤدي إلى حدوث اختلال في ميزان مدفوعات القطر كما في حالة الكوارث الطبيعية واندلاع الحروب والتغير المفاجىء في أذواق المستهلكين محلياً ودولياً فهذه الحالات ستؤثر في صادرات القطر المعني، الشيء الذي ينجم عنه انخفاض في حصيلة هذه الصادرات المقدرة بالنقد الأجنبي خصوصاً قد يصاحب ذلك تحويلات رأسمالية إلى خارج القطر مما يؤدي إلى حدوث عجز في ميزان المدفوعات.

أ. التصحيح عن طريق سعر الصرف:

وهي الآلية المتبعة في حالة التخلي عن قاعدة الذهب الدولية (سيادة نظام العملات الورقية خلال الفترة الممتدة ما بين الحربين العالميتين)، واتخاذ نظام سعر صرف حر(سامي عفيفي حاتم، 1994، ص102.)، وعدم تقيده من قبل السلطات النقدية. وتتلخص هذه الآلية في أن القطر الذي يعاني من حالة عجز في ميزان مدفوعاته عادة ما يحتاج إلى العملات الأجنبية وبالتالي سوف يضطر إلى عرض عملته المحلية في أسواق الصرف الأجنبية، بيد أن زيادة عرض العملة المحلية سيؤدي إلى انخفاض سعرها في الأسواق المذكورة وعندها ستغدو أسعار السلع والخدمات المنتجة في ذلك القطر منخفضة مقارنة بالسلع والخدمات الأجنبية فيزداد الطلب على منتجات القطر، وهكذا تزداد صادراته مقابل انخفاض استيراداته نظراً لارتفاع أسعار المنتجات الأجنبية في هذه الحالة وتستمر هذه العملية حتى يعود التوازن إلى ميزان المدفوعات، أما في حالة وجود فائض في الميزان فإنه يحدث العكس تماما.(عرفان تقي، 2002، ص85).

ب. التصحيح عن طريق الدخول:

تعتمد هذه الطريقة على النظرية الكينزية التي تهتم بالتغيرات الحاصلة في الدخول وآثارها على الصرف الأجنبي وبالتالي على وضع ميزان المدفوعات وأهم شروط النظرية هي:

-ثبات أسعار الصرف.

-جمود الأسعار (ثباتها).

-الاعتماد على السياسة المالية وخاصة الإنفاق العام للتأثير على الدخل تحت تأثير مضاعف الإنفاق.

وتتلخص هذه النظرية في أن الاختلال الحاصل في ميزان المدفوعات سيؤدي إلى إحداث تغير في مستوى الاستخدام والإنتاج للبلد وبالتالي في مستوى الدخل المحقق وذلك تحث تأثير مضاعف التجارة الخارجي، فحينما يسجل ميزان المدفوعات لبلد ما فائضاً جراء التزايد في صادراته ومنه سوف يرتفع مستوى الاستخدام في تلك الصناعات التصديرية فتواكبها زيادة في معدل الأجور

ومن ثم الدخول الموزعة وسيترتب على زيادة الدخول تنامي في الطلب على السلع والخدمات بنسبة أكبر نتيجة لعمل المضاعف فترتفع الاستيرادات مما يؤدي إلى عودة التوازن إلى الميزان. ويحدث العكس في حالة وجود عجز في الميزان، غير أن العديد من الاقتصاديين الكنزيين لا يرون ضماناً لمعالجة الخلل في ميزان المدفوعات بهذه الطريقة ذلك لأنه في حالة العجز فإن انخفاض الدخل قد لا يكون بنفس مقدار الانخفاض الحاصل في الإنفاق وما يجر بدوره إلى انخفاض في الطلب على الصرف الأجنبي ولهذا السبب وحده يمكن أن تتدخل السلطات العامة من أجل إجراء تغييرات مناسبة (مقصودة) في الدخل بالقدر الذي يؤدي إلى إعادة التوازن في ميزان المدفوعات وطبقاً للنظرية الكينزية يمكن أن تقوم السياسة المالية بدور هام في هذا المجال وذلك من خلال التغيرات في الإنفاق كاستخدام الضرائب مثلا، ففي حالة وجود عجز في الميزان يمكن إجراء تخفيض في الإنفاق العام بفرض ضرائب على الدخول مثلاً وتحت تأثير المضاعف سيؤدي ذلك إلى انخفاض أكبر في الدخل وبالتالي في الطلب الكلي بمافيذلك الطلب على الاستيرادات، وهذا يعني انخفاض الطلب على الصرف الأجنبي، وعندها سيعود التوازن إلى الميزان وينطبق ذلك أيضا في حالة وجود فائض في الميزان ولكن بصورة متعاكسة علاوة على ذلك تستطيع السلطات المالية استخدام السياسة النقدية لمعالجة الخلل في ميزان المدفوعات، غير أن الكينزيين لا يعتدوا عليها مقارنة بالسياسة المالية ومن أهم أدوات السياسة النقدية هي سعر الفائدة حيث يتم خفض عرض النقد في التداول الذي يؤدي بدوره إلى رفع سعر الفائدة مما سيؤثر على حجم الإنفاق الكلي نظراً لانخفاض الإنفاق الاستثماري في هذه الحالة، وهو ما يشجع على تدفق رؤوس الأموال للداخل وعندها سيتحسن موقف ميزان المدفوعات.

نستنتج من المعطيات السابقة أن بمقدور السلطات العامة التدخل في إعادة التوازن لميزان المدفوعات باستخدام السياسة المالية أو النقدية لمعالجة حالة عدم التوازن في الاقتصاد سواء عند حدوث تضخم (بسبب العجز في الميزان) أو كساد اقتصادي (بسبب الفائض في الميزان) ويطلق على هذه المعالجات بسياسات الاستقرار. (زينب حسين، (1999)، ص105).

د. طريقة المرونات (أو التجارة):

أظهرت النظريتان الكلاسيكية والكينزية بعض العيوب في تفسير التصحيحات الممكنة للاختلال الحاصل في ميزان المدفوعات، حيث اعتمدت كلتاهما على ثبات أسعار الصرف التي قلما توجد في الوقت الحاضر بعد انهيار نظام القيمة المعادلة في عام 1971 وانتشار نظم الصرف القائمة على التعويم، فقد استندت النظرية الكلاسيكية على مجموعة من الفروض الغير واقعية في حين أكدت النظرية الكينزية على أهمية السياسة المالية في معالجة الخلل في ميزان المدفوعات والتي أدت إلى نتائج اقتصادية واجتماعية غير مرغوب فيها.

جاءت طريقة المرونات لتعتمد على التغيرات المترتبة على تغيير سعر صرف العملة (خصوصا ًمن خلال إجراء تخفيض قيمة العملة) والتي ستؤثر على الموقف التجاري للبلد المعني حيث ستزداد الصادرات وبالتالي ستؤثر على عرض الصرف الأجنبي أو الطلب عليه، ومن ثم سيتأثر وضع ميزان المدفوعات، فتخفيض قيمة العملة المحلية حسب هذه الطريقة قد لا تؤدي إلى الهدف المرجو منها وذلك للأسباب التالية:

1. أن نجاح تخفيض قيمة العملة المحلية (أي زيادة سعر الصرف الأجنبي) سيتوقف في المقام الأول على مرونة الطلب لى الصادرات للبلد واستيراداته.
2. آثار عملية تخفيض قيمة العملة تعتمد على معطيات مهمة للاقتصاد المعني وخاصة مدى القدرة الاستيعابية (الامتصاص) له، أي على درجة التوظف السائد في الاقتصاد (إن كان في حالة توظف كامل أو قريب منها أو دونها) حيث أن لكل من هذه الأوضاع آثارها المختلفة على حالة التكييف لميزان المدفوعات.(زينب حسين، 1999، ص111).

ميزان المدفوعات في السودان:

سجل الحساب الجاري عجزاً مستمراً خلال الاعوام السابقة وصل في عام 2001 الى 1216,79 مليون دولار. ثم بدأ العجز في الانخفاض عام 2002 و2003 حيث بلغ 973,56 و522,35 مليون دولار على التوالي. كذلك شهد الحساب المالي والرأسمالي تحسناً مستمر، حيث ارتفع من 534,47 مليون دولار في عام 2001 الى 841,45 مليون دولار في عام 2002 و1389,93 مليون دولار في عام 2003، مما أدى الى تحسن الموقف الكلي وزيادة الارصدة من العملات القابلة للتحويل من 127,6 ميون دولار في عام 2001 الى 300,3 ميون دولار في عام 2002 والى 422,56 مليون دولار في عام 2003.

استمر الموقف الموقف الكلي لميزان المدفوعات مسجلاً فائضاً هذا العام بزيادة قدرها 97,30 مليون دولار مقارنة بالعام 2004، حيث حقق في العام 2004 فائض قدره 730.18 مليون دولار مقارنة بفائض قدره 422.56 مليون دولار في عام 2003، أما في عام 2005 فقد حقق الموقف الكلي لميزان المدفوعات فائض قدره 827.48 مليون دولار والذي نتج عن زيادة الحساب الرأسمالي والمالي من 1353.88 مليون دولار عام 2004 مما نتج عنه انخفاض نمو الموقف الكلي لميزان المدفوعات لعام 2005.

ارتفع العجز في الموقف الكلي لميزان المدفوعات الى 208.6 مليون دولار عام 2006 الى 282.6 مليون دولار عام 2007 نتيجة لانخفاض الحساب الرأسمالي والمالي من4,611.0 مليون دولار عام 2006 الى 2,945 مليون دولار في عام 2007 بمعدل 36.1%.

كما انخفض العجز في الحساب الجاري من 9,914 مليون دولار في عام 2006 الى 2.3,268 مليون دولار في عام 2007 بمعدل 33.6% وذلك لتحول الميزان التجاري من عجز قدره 1,448.1 مليون دولار في عام 2006 الى فائض قدره 1,156 مليون دولار في عام 2007.

تحول الموقف الكلي لميزان المدفوعات من عجز بمبلغ 282.0 مليون دولار في عام 2007 الى فائض بمبلغ 21.1 مليون دولار في عام 2008 نتيجة لزيادة الفائض في الميزان التجاري من 1,156.8 مليون دولار في عام 2007 الى 3,441.1 مليون دولار في عام 2008 بمعدل 197.5%. وبالرغم من الانخفاض في الحساب المالي والرأسمالي من 2,925.0 مليون دولار في عام 2007 الى مبلغ 1,465.9 مليون دولار.

انخفض العجز في ميزان المدفوعات من 502.0 مليون دولار في عام 2009 الى 54.2 مليون دولار في عام 2010. وذلك للتحول الكبير في الحساب الجاري من عجز بمبلغ 2,177.4 مليون دولار في عام 2009 الى فائض بمبلغ 256.8 مليون دولار في عام 2010 بمعدل 111.7%

نتيجة لتحول الميزان التجاري من عجز بمبلغ 270.9 مليون دولار في عام 2009 الى فائض بمبلغ 2,564.9 مليون دولار في عام 2010 بمعدل 1046.8% على الرغم من ارتفاع العجز في حساب الخدمات والدخل والتحويلات بمعدل 21.1% وانخفاض التدفقات في الحساب المالي والرأسمالي بمعدل 80.4%.

يشير الموقف الكلي لميزان المدفوعات الى ارتفاع العجز من 54.2 مليون دولار عام 2010 مقابل عجز 835.4 مليون دولار عام 2011 على الرغم من تحسن فائض الحساب المالي والرأسمالي من 661.1 مليون دولار عام 2010 الى 1,882.8 مليون دولار في العام 2011م بمعدل 184.8%، ويعزى ارتفاع العجز في الميزان الكلي الى تراجع الفائض في الحساب الجاري من 157.2 مليون دولار في عام 2010 الى 863.1 مليون دولار في عام 2011م نتيجة لانخفاض الفائض في الميزان التجاري من 2,564.9 مليون دولار في عام 2010 الى 1,470.9 مليون دولار في عام 2011 بمعدل 42.6%، وارتفاع بند الأخطاء والمحذوفات لمدفوعات غير مبوبة، من 872.5 مليون دولار في عام 2010 الى 2,804.2 مليون دولار عام 2011م.

يشير الموقف الكلي لميزان المدفوعات الى انخفاض العجز من 24.1 مليون دولار عام 2012 الى 17.6 مليون دولار في العام 2013 ويعزى ذلك لتحسين العجز في الحساب الجاري.

تحول الموقف الكلي في ميزان المدفوعات من عجز بمبلغ 3.3 مليون دولار عام 2014 الى فائض بمبلغ 18.4 مليون دولار عام 2016.

تحسن الموقف الكلي لميزان المدفوعات من عجز قدره 18.7 مليون دولار في عام 2016 الى عجز بمبلغ 12.8 مليون دولار في عام 2017. ويلاحظ أهم التطورات التي حدثت بين عام 2016 وعام 2017.

سجل الموقف الكلي لميزان المدفوعات فائض بمبلغ 12.4 مليون دولار عام 2019 مقابل عجز بمبلغ 25.2 مليون دولار عام 2018(تقارير بنك السودان المركزي للفترة من 2000-2019).

تحليل بيانات الدراسة

النموذج القياسي

إعتمدت الدراسة على نموذج الانحدار الخطي المتعدد بمعادلة واحدة تتناول أثر التضخم على الميزان التجاري في السودان ومتغيرات أخرى مستغلة أخرى أدخلت في النموذج كالآتي:

$$BP = B_0+B_1INF + B_2X_2 + B_3M + B_4RE + U_4$$

حيث أن:

BP = المتغير التابع وهو ميزان المدفوعات ونرمز له بالرمز

B_0 = ثابت وهو عبارة عن قيمة ميزان المدفوعات اذا لم يكن هنالك أثر للمتغيرات المستغلة

B_1 = وهي مقدار التغير الذي يحدث نتيجة لتأثير التضخم.

INF = معدل التضخم في السودان خلال فترة الدراسة

X = الصادرات الكلية:هي جميع السلع والبضائع والخدمات التي ترسلها الدولة إلى الأسواق الدولية الخارجية

M= الواردات الكلية: كل ما تم توريده للسوق المحلي من سلع وخدمات مستوردة، أو قادمة من الخارج لتغطية حاجة السوق

RE= سعر الصرف الفعلي: هو النسبة التي يحدث على أساسها مبادلة النقد الأجنبي بالنقد الوطني

U = المتغيرات العشوائية الغير مضمنة في النموذج

الشواهد التطبيقية

بتطبيق طريقة المربعات الصغرى العادية(OLS) على النموذج القياسي أعلاه خلال فترة الدراسة توصلت الدراسة الى النتائج التالية:

$$BP = 2972+94.69\ INF+ 9.20X + 0.000164M+ 44.4\ RE + U_4$$

3.18)(5.54) (2.25)(2.965) (3.21)(

$R^2 = 69F = 5.31DW = 2.1$

تشير نتيجة تقدير المعادلة إلى أن جميع إشارات المعلمات المقدرة موافقة للنظرية الاقتصادية.كما يلاحظ أن إحصائية F المحسوبة (3.31) أكبر من الجدولية (3.06) وذلك عند درجات حرية (15,3) مما يشير إلى جودة توفيق خط العلاقة.

ويوضح معامل التحديد R^2 أن (69%) من ميزان الدفوعات تفسر بواسطة المتغيرات المستقلة التي تم ادراجها في النموذج، بينما (31%) تعذى إلى عوامل أخرى غير مضمنة في النموذج.

العلاقة الطردية الموجبة بين زيادة معدلات التضخم تعمل على زيادة العجز في ميزان المدفوعات وهذا موافق للنظرية الاقتصادية.

ان العلاقة السالبة بين الصادرات الكلية مع الميزان التجاري هذه العلاقة منطقية وموافقة لنظرية الاقتصاد.

تشير إحصائية معامل التحديد R^2 إلى أن (69%) من العوامل المؤثرة على ميزان المدفوعات يمكن أن تتمثل في التضخم والمتغيرات المفسرة الأخرى.

كما تشيرf المحسوبة الى 3.31 الى يمكن مقارنتها f الجدولية (3.06)حيث أن المحسوبة أكبر من الجدولية وبالتالي يمكن قبول الفرض البديل ونرفض فرض العدم وتوجد العلاقة بين ميزان المدفوعات والمتغير المستقل ومعدل التضخم والمتغيرات المفسرة الأخرى.

كما توضح احصائية المقدرات t المحسوبة 3.21 والجدولية 2.35 مما يوضح أن المحسوبة أكبر من الجدولية وبالتالي نقبل الفرض البديل ونرفض فرض العدم ويعني ذلك وجود علاقة طردية موجبة بين العجز في ميزان المدفوعات ومعدلات التضخم.

التفسير الاقتصادي:

اتضح من نتيجة التحليل الاحصائي ان العلاقة الموجبة بين الصادرات والعجز في ميزان المدفوعات تأتي وفق النظرية الاقتصادية، وتجسد الحالة المنطقية والواقعية، كذلك يلاحظ العلاقة السالبة بين الواردات مع العجز في ميزان المدفوعات وهي تعبر عن العلاقة العكسية مما يعني أنه كلما زادت الواردات تعمل على زيادة العجز في ميزان المدفوعات وذلك لأنها تثقل الميزان التجاري بدفع كميات كبيرة من النقد الأجنبي لمقابلة السلع والخدمات التي تستورد من

العالم الخارجي.أما فيما يخص سعر الصرف نجد أن هذه العلاقة منطقية وموافقة للنظرية الاقتصادية وذلك لأن كلما كانت قيمة العملة المحلية مقابل الدولار مرتفعة فان ذلك يوثر إيجاباً على ميزان المدفوعات، ولكن عندما تنخفض قيمة العملة المحلية مقابل الدولار فإن ذلك يؤثر سلباً على ميزان المدفوعات وهذا ما حدث في الاقتصاد السوداني خلال فترة الدراسة .

النتائج

1-يؤثر التضخم في زيادة العجز في ميزان المدفوعات السوداني.

2- تعملزيادة الصادرات من السلع والخدمات السودانية في استقرار الميزان التجاري.

3- زيادة الواردات كانت نتيجة حتمية للحظر الاقتصادي خلال فترة الدراسة الذي يحد من مدخلات الانتاج.

4- إنخفاض الانتاج عمل على تدهور الوضع الاقتصادي في السودان مما انعكس سلباً على ميزان المدفوعات.

5- تأثر السودان من عدم الاهتمام بالبنية التحتية وهذا نتيجة للجظر الاقتصادي المفروض على الدولة من قبل مؤسسات التمويل الدولية.

التوصيات:

1- يجب الاهتمام بتنمية بالمشاريع الزراعيةلانها تشكل الداعم الحقيقي للانتاج في السودان.

2- تشجيع الانتاج وتسهيل إجراءات توريد الآلات والمعدات الانتاجية.

3-الانفتاح على العالم الخارجي من خلال الصادرات السودانية وتطويرها.

4- المشاركة الفاعلة في التكتلات الاقتصادية الاقليمية لمل لها من أهمية قصوى في دعم التبادل التجاري الدولي.

5-الاهتمام بالبحث العلمي في في مجال إدخال التقنية الحديثة في الإنتاج.

6- تطبيق السياسات المالية المناسبة للحد من تدهور العملة المحلية.

قائمة المراجع:

1.أحمد مندور(1999)، مقدمة في الاقتصاد الدولي، الدار الجامعية للنشر، مصر

2.إيمان عطيه ناصف(2007)، مبادئ الاقتصاد الكلي، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية.

3.بسام الحجاز(2003)، (العلاقات الاقتصادية الدولية) المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، بيروت، لبنان.

4.جلال الدين الجاك محمد(2013)، أثر النفط على ميزان المدفوعات في السودان خلال الفترة من (2000 - 2011)، رسالة ماجستير غير منشوره جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان للعلوم والتكنولوجيا.

5.حاتم سعيد احمد سعيد(2006)، نموذج قياسي لميزان المدفوعات في السودان للفترة (2005-1980)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

6.حلمي محمود(1991)، بحوث في نظرية المحاسبة، القاهرة: دار نهضه العربية.

7.زينب حسين عوض الله(1999)، الاقتصاد الدولي، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، مصر.

8.سامي عفيفي حاتم(1994)، التجارة الخارجية بين التنظير والتنظيم، الدار المصرية اللبنانية.
9.شيهان ابراهيم النور التوم، (2018)، أثر الديون الخارجية على ميزان المدفوعات، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد، جامعة افريقيا العالمية، عمادة الدراسات العليا، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.
10.عبادة السماني محمد، (2019) غسل الأموال وأثره على ميزان المدفوعات في السودان، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد، جامعة افريقيا العالمية، عمادة الدراسات العليا، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.
11.عرفان تقي الحسيني، (2002)، "التمويل الدولي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن.
12.عمر عبد الرحمن احمد(2009)، العوامل المؤثرة في ميزان المدفوعات واليات التعديل للفترة (1978-2007)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.
13.غازي حسين عنابة، (1992م)، التضخم المالي، دارالجبل، بيروت.
14.كامل علاوي كاظم الفتلاوي، حسن لطيف كاظم الزبيدي، (2009) مبادئ علم الاقتصاد، دار صفاء – عمان
15.مايكل إيدحمان، (1988)، الاقتصاد الكلي النظرية السياسية، ترجمة محمد إبراهيم منصور، الرياض: دار النشر المريخ.
16.محمود يونس، عبد النعيم محمد، (2000)، أساسيات علم الاقتصاد، الدار الجامعية، مصر
17.مصطفى رشدي(1985)، الاقتصاد النقدي والمصرفي, الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
18.مصطفى وسفكافي(2015)، مبادئ العلوم الاقتصادية، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1, الاردن، عمان
19.ناظم محمود نوري الشمري(2008)، النقود والمصارف والنظرية النقدية، دار زهران للنشر.

الملاحق

جدول رقم (1) تحليل البيانات باستخدام ols

Dependent Variable: TB
Method: Least Squares
Date: 09/18/21Time: 13:23
Sample(adjusted): 2001 2018
Included observations: 18 after adjusting endpoints
Convergence achieved after 9 iterations

Prob.	t-Statistic	Std. Error	Coefficient	Variable
0.0118	2.965873	1002.118	2972.155	C
0.0074	3.219082	29.41559	94.69120	INF
0.0436	-2.254530	4.08E-05	-9.20E-05	X

M	0.000164	2.96E-05	5.542648	0.0001
REER	-44.41727	13.95404	-3.183112	0.0079
AR(1)	-0.388819	0.277633	-1.400477	0.1867
R-squared	0.688808	Mean dependent var		2360.714
Adjusted R-squared	0.559145	S.D. dependent var		2213.268
S.E. of regression	1469.541	Akaike info criterion		17.68449
Sum squared resid	25914602	Schwarz criterion		17.98128
Log likelihood	-153.1604	F-statistic		5.312292
Durbin-Watson stat	2.135231	Prob(F-statistic)		0.008370
Inverted AR Roots	-.39			

جدول(2) التضخم في السودان خلال الفترة من 2000 – 2019

السنة	معدل التضخم %
2000	8.0
2001	4.9
2002	8.3
2003	7.7
2004	8.5
2005	8.5
2006	7.2
2007	8.1
2008	14.3
2009	4.2
2010	13.1
2011	18.0
2012	35.1
2013	37.1
2014	36.9
2015	17.3
2016	17.6
2017	32.6
2018	72.9
2019	57.0

جدول رقم (3) ميزان المدفوعات في السودان خلال الفترة من 2000 – 2019

السنة	معدلات ميزان المدفوعات
2000	666.9
2001	127,6
2002	300.3-
2003	422.6-
2004	730.18
2005	48.827

2006	4,919.4
2007	3,268.2
2008	21.1
2009	502.0
2010	54.2
2011	835.4
2012	6,241.8
2013	4,481.3
2014	3,545.5
2015	5,460.7
2016	4,127.4
2017	5,101.9
2018	377.4
2019	503.0

إشكاليات تأريخ الوجود الروماني بالمغرب: السور الخارجي لوليلي أنموذجا

أ. يوسف المساتي، باحث بمركز مراجعات للدراسات والأبحاث بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني – المغرب

ملخص: يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على بعض إشكاليات تأريخ الوجود الروماني بموريتانيا الطنجية، عبر نموذج السور الخارجي لوليلي، المؤرخ بين 167 و168م. واختبار الصرامة العلمية والمنهجية لهذا التأريخ، من خلال النقد التاريخي، والدراسة المعمارية المقارنة للسور الخارجي لوليلي مع أسوار أخرى تعتبر رومانية، وأسوار مورية أو بونية، للوقوف على عناصر التشابه والاختلاف؛ ثم دراسة النقيشة المؤرخة للسور على المستوى الخارجي والداخلي، سواء بالشكل أو بالمتن، والوقوف على الأخطاء المنهجية التي اعترت عمليات جمعها وتأويلها.

الكلمات المفتاحية: وليلي، تأريخ، علم الآثار، الرومان، المغرب، النقائش.

The issues of historicizing the Roman presence in Morocco: the outer wall of Volubilis as a case study

M. Youssef El Moussati

Abstract: This research shed light on some of the problems to the history of the Roman presence in Mauretania Tingitana, through the model of the outer wall of Volubilis, was dated between 167 and 168 AD. and to test the extent of the scientific and methodological rigor of this history, through historical criticism, and comparative architectural study by comparing the outer wall of Volubilis with other walls considered Roman, and walls considered Moorish or Punic, to find out the elements of similarity and difference; Then study the dated inscription of the wall on the external and internal levels, whether related to the form or the text, and to identify the methodological errors that occurred in the processes of collecting, interpreting and restoring them.

Keywords: volubilis, history, archeology, Romans, Morocco, inscriptions.

مقدمة

يعتبر السور الخارجي لموقع وليلي الأثري واحدا من أهم معالمه، إذ يحيط به كاملا (42 هكتارا)، ويتراوح سمكه ما بين 1.40م و 1.50م. تتخلله سبعة أبواب، بعضها له فتحة واحدة، والبعض فتحتين والآخر ثلاث فتحات. ويحيط به واحد وعشرون برجا، تبلغ المسافة بين كل واحد منها من 34.5 مترا إلى 81.5 مترا. وتمتد على طوله شبكة مائية ترتبط بالمدينة لتوزيع المياه العذبة، وتصريف العادمة.

تتكون مواد بناء هذا السور من قطع حجرية مختلفة الحجم (صغيرة ومتوسطة وكبيرة)، قطعت وصقلت بدقة، وتم تركيبها دون حاجة لمادة لاصقة، عدا بعض الثقوب التي سدت خلال عمليات الترميم التي تعرض لها.



صورة لأحد الأبواب والأبراج غرب قوس النصر

مصدر الصورة: تصوير الباحث

أشير إلى هذا السور في عدد من المصادر، منها عند ابن أبي زرع: "...وكانت وليلي متوسطة خصبة كثيرة المياه والغروس والزيتون، وكان لها سور عظيم من بنيان الأوائل" (ابن أبي زرع، 1972، ص 19). وقال عنه الحسن الوزان: "وليلي مدينة أسسها الرومان على قمة هذا الجبل عندما كانوا يحكمون بلاد الأندلس، وهي كلها محاطة بسور من حجر كبير منحوت، تخترقه أبواب عالية عريضة. ويحيط بنحو ستة أميال من الأرض" (الحسن الوزان الفاسي، 1983، ص 295).

كما أشار له جون ويندوس (John Windows) بقوله: "يمكن رؤية السور من التل، الذي يحيط بميلين، ويضم المباني التي توجد بها العديد من الأحجار ذات نفس الحجم تقريبا، والتي بني منها القوس.... على بعد نصف ميل من القوس يوجد قوس آخر يبدو وكأنه بوابة مرتفعة لحد يسمح لرجل على حصان بالمرور" (John Windows, 1725, p88-89). وقال شارل تيسو (Charles-Joseph Tissot): "بني السور من حجارة ضخمة، وأحيط بأبراج دائرية، على مسافة تقدر ب 4580 خطوة أو 3664 مترا... لازالت ثلاث أبواب من أصل أربعة واضحة المعالم، تفضي إلى داخل المدينة..." (Charles-Joseph Tissot, 1878, p149).

لا تقدم المصادر النصية أي إشارات يمكن أن تسهم في تأريخ السور، وتأريخ "الوجود الروماني" ووتيرة التطور الحضري بالمغرب عموما وبوليلي خصوصا. لتظل بذلك حسب عدد من الباحثين "بداية الاستعمار الروماني والقرن الثاني الميلادي غير موثقة بشكل كبير، باستثناء عدد قليل من المآثر النادرة، التي كانت موضوع إشارات موجزة. تعزى إلى النصف الثاني من القرن الأول؛ في حين لا يوجد ما ينسب للقرن الثاني الميلادي إلا السور الخارجي، المؤرخ إيبيغرافيا بالفترة الأنطوانية" (Akerraz Aomar & Lenoir Eliane. 1990. P214-216).

حسب هذا الكلام، فإن الوثائق الايبيغرافية –النقائش بالخصوص- هي المؤرخة للبنيات الأثرية بالموقع، والسور الخارجي لا يشذ عن هذه القاعدة، إذ كان لويس شاتلان (Louis Chatelain) أول من أرخ السور "اعتمادا على مجموعة من "شظايا نقيشة من الرخام الأبيض، وجدت في أزمنة مختلفة، في المنطقة المجاورة للباب الشمالي الغربي أو "الباب ذي الثلاث فتحات": تم العثور على خمس منها سنة 1923 عندما تم الكشف عن الباب؛ بينما تم العثور على الشظية السادسة سنة 1957 من قبل ايدموند فريزولس (Edmond Frézouls)، أثناء التنقيب في السور شرق الباب. وشظيتين تم جمعهما سنة 1961 في نفس المكان بواسطة أ.تشرنيا (André Tchernia)، ... يمكن أن تنتميا إلى نفس النقيشة" (Maurice.Euzinat, 1982, p265).

مشكلة البحث

تم الاعتماد في تأريخ البنيات "المؤكدة للوجود الروماني" بالمغرب (موريتانيا الطنجية) على الخصائص الهندسية (أو المعمارية) أو النقائش، بيد أن هذا الأمر يطرح عددا من الأسئلة الإشكالية، منها ما يرتبط بالتاريخ، ومنها ما يرتبط بالتقنية، والبعض الآخر بالمنهج، وهو ما يضع السردية ككل أمام المحك. وبالاشتغال على السور الخارجي للموقع الأثري لوليلي، والذي يعتبر أحد مظاهر الحضور الروماني بالموقع، يواجهنا عدد من الأسئلة، منها:

ماهي أدلة بناء السور الخارجي لوليلي سنة 168م؟ وماهي أسباب تأخر بناء السور أكثر من قرن من الزمن؟

وما مدى انسجام الأمر مع خصائص الهندسة الرومانية؟ وما هي العلاقة المعمارية بين سور وليلي والأسوار الرومانية والبونية؟

وإلى أي حد يمكن الاعتماد على النقائش في التأريخ؟ وهل خضع التأريخ الإيبيغرافي للسور لمنهجية علمية صارمة؟ أم كان محكوما بالتأويل والتخمين؟

منهجية البحث

من أجل الإجابة على إشكالية البحث، تم الاشتغال وفق مقاربة متعددة التخصصات، ركزت بالأساس على المنهج التاريخي، والمعماري المقارن، والإيبيغرافي الوصفي والإيبيغرافي النقدي.

أولا: ماهي أدلة بناء السور الخارجي لوليلي سنة 168م؟

حسب السردية الرسمية تم تأريخ الدخول الروماني لموريطانيا الطنجية ب 40م، واكتسبت وليلي صفة بلدية رومانية سنة 44، بينما أرخ لويس شاتلان تشييد السور بين سنتي 168-169م في عهد الامبراطور ماركوس أوريليوس (Aurelius Marcus)، إذ جرى تشييد نظام دفاعي بالمدينة "انطلق سنة 166م و167م على أبعد تقدير وأن نهاية الأشغال كانت خريف 168م" (العيوض محمد، 2007، ص 171)، وقد ارتقت هذه الفرضية إلى حقيقة تحظى بالإجماع، حتى أن موريس أوزينا (Maurice Euzennat) قال "وبعد ثلاثين عامًا، لا يوجد سبب للشك في استنتاجاته –يقصد استنتاجات شاتلان- سوى بعض التأجيلات للتأريخ إلى المرحلة السبطيمية" (Maurice Euzennat, 1989, p 236).

كانت وليلي خلال هذه المرحلة نقطة ارتكاز بالنسبة للقوات العسكرية الرومانية، "فخوف "الوليليين" على مدينتهم وممتلكاتهم جعلهم ينحازون للقوات الرومانية. إذن فقد كان على أيديمون أن يواجه القوات الرومانية والساكنة المرومنة في المدينة. وكانت الحرب بالنسبة لقسم من ساكنة وليلي مناسبة لإظهار ولائهم وتبعيتهم لروما".(العيوض محمد، 2015، ص 64-65)

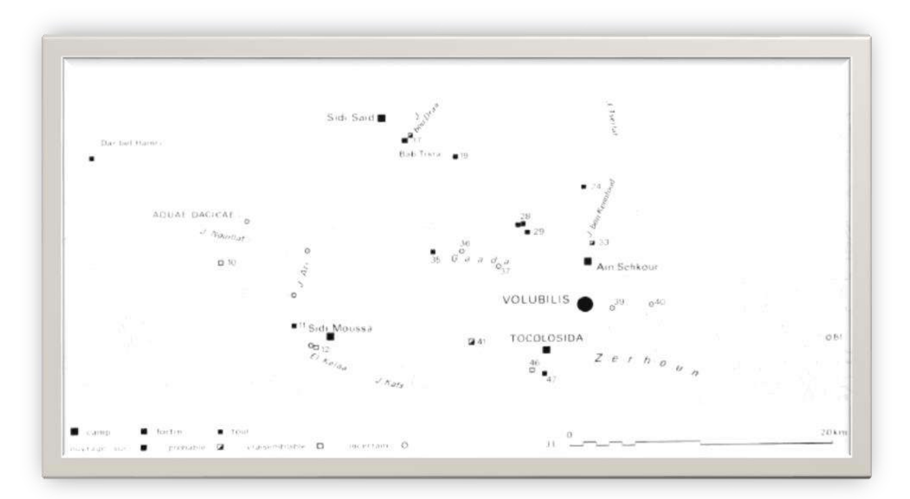
حسب هذا الكلام، فإن وليلي كانت في موقع محدق بالمخاطر، ازدادت بوقوف الوليليين لجانب روما، في مواجهة الثوار المحليين، وأيضا القبائل المحيطة التي كانت ترفض أي شكل من أشكال الهيمنة الخارجية، وفي مقدمتها قبائل البكاوات والماكينيت والأطولول. وتتحدث المصادر الرومانية عن تحركات هذه القبائل، كما حدث سنة 122 ميلادية، على عهد الامبراطور هادريان (Hadrian)، عندما تحرك الباكوات من موريطانيا الطنجية إلى موريطانيا القيصرية، ويعضد أوزينا فرضية الأخطار المحدقة بوليلي كدافع لبناء السور الخارجي.

باعتبار "الوضعية المميزة" لوليلي خلال هذه الفترة، و"ولائها لروما"، فإن الأمر كان يقتضي تدخل روما لحمايتها، لكن لماذا لم يتم تشييد سور يحمي وليلي منذ الدخول الروماني لها؟ وتم الانتظار أكثر من 120 سنة لبنائه؟ أيعقل أن تظل المدينة (وهي أحد مرتكزات الوجود الروماني في المغرب) بلا مسورة تحميها طيلة هذه المدة؟

يرجع البعض السبب "إلى كون روما لم تكن منشغلة بذلك، سيما وأن الاحتلال كان لا يزال في بدايته، فإقليم موريطانية الطنجية وقع إلحاقه بالإمبراطورية سنة 40م، ووليلي أصبحت بلدية سنة 44م، كما أن الحركة العمرانية التي شهدتها المدينة قد انطلقت خلال هذه الفترة". (العيوض محمد، 2007، ص 166،167).

لا يستقيم هذا، مع ما ورد سابقا من أن وليلي كانت نقطة ارتكاز القوات الرومانية، فكيف يعقل ألا تنشغل بتأمين الساكنة والمدينة ككل، خاصة في فترة التمهيد لوجودها؟ وباستحضار أن أول ما كان يقوم به الرومان هو تأمين المناطق التي دخلوا إليها، فبأي منطق يتم التبرير أنهم لم ينشغلوا بتأمين وليلي؟ خاصة أنها حسب السردية السائدة تعرضت لاستهداف واضح من إيديمون؟ وأن وليلي كانت تسعى بشكل متواصل لإظهار ولائها لروما؟ إضافة لما ورد عن تدمير معسكر عين الشكور الذي كان مكلفا بحماية وليلي من طرف القبائل المجاورة له. إضافة لذلك، فإن "غياب التنمية العمرانية قبل هذه الفترة" لا ينفي ولا يبرر عدم التسوير، بل العكس من ذلك تماما. فالأكيد أن الأسوار والتحصينات الدفاعية، كانت من أوائل نقاط اهتمام الرومان في المدن والمعسكرات التي يقيمون بها، وبالتالي، فانطلاق حركة عمرانية جديدة، يفترض التسوير كخطوة أولى لتأمينها أولا، فهل يعقل إذا ألا تنشغل روما بتسوير موقع بمثل هذه الأهمية !؟

في تبرير هذا الأمر اعتبر أن "توفير الأمن للمدينة كان قد أوكل للحاميات العسكرية التي كانت تجوب المنطقة وإلى الأبراج والمعسكرات، خاصة معسكري توكولوسيدة وعين الشكور المجاورين للمدينة. جعل وجود هذه المعسكرات المدينة غير محتاجة آنذاك لإقامة سور ... كما أن مؤسسات المدينة لم تكن لها من الإمكانيات ما يجعلها تفكر في إقامة مثل هذا الصرح والذي سيصبح حيويا بعد تشكل المظاهر العمرانية للمدينة. وبذلك فإن فرضية ر.روبيفا التي ترى بأن السور هو عربون عن التقدم الاقتصادي والتطور العمراني تبقى واردة، هذا إضافة إلى اعتبار الجانب الأمني." (العيوض محمد، 2007، ص 166،167).



المعسكرات التي يفترض أنها تحمي وليلي

S.I : M.Euzennat, (1989), P277.

تصطدم فرضية روبيفا ومن سار على دربه، بعدة معطيات أبرزها:

المعطى الأول: تأكيد المعطيات الأركيولوجية والنصية، على الافتقار إلى أي بنيات أثرية "رومانية" يمكن أن تؤرخ بالقرن الثاني الميلادي ككل، وأن أغلب البنيات الأثرية التي عرفتها وليلي، تؤرخ بالقرن الثالث الميلادي وما تبعه (Akerraz Aomar & Lenoir Eliane. 1990. P214-216).

المعطى الثاني: أن المدينة بلغت خلال الفترة المورية (أي قبل الاحتلال الروماني) شأوا بعيدا، وكانت لها مؤسساتها وسورها أيضا، فعن أي تطور عمراني أو اقتصادي، يتحدث روبيفا ومن يتبنى رأيه؟

إن غياب نهضة عمرانية في وليلي خلال القرنين الأول والثاني الميلادي، والتهديدات المحدقة بالموقع من طرف القبائل المجاورة والثوار المحليين، وغياب الإشارات النصية إلى أي نهضة ميزت وليلي خلال هذه الفترة، لا تعضد فرضية أن سور المدينة أقيم تعبيرا عن رخاء اقتصادي.

إضافة لهذا، فإن الأمر يتناقض مع أساسيات الهندسة الرومانية في الشق المتعلق بالأسوار.

ثانيا: الأسوار في هندسة المدينة الرومانية؟

يعتبر كتاب "الهندسة" (De architectura) للمهندس اللاتيني "فيتروف" (Vitruve)، المصدر الوحيد في الهندسة المعمارية وتخطيط المدن الذي بقي منذ التاريخ القديم (قبيل القرن الرابع ميلادي)، وامتد أثره إلى ما يعرف بالعصور الوسطى. (Fleury Philippe, (2012), pp211-212)

خصص فيتروف الفصل الخامس من كتابه الأول لهندسة الأسوار، حيث اعتبرها ثاني مرحلة بعد تحديد موقع المدينة، إذ أورد: "بعد تأكدنا من صحة المكان الذي يجب أن نؤسس فيه مدينة ... سيكون من الضروري العمل على الأساسيات من الأبراج والأسوار وفق الطريقة التالية: .... يجب أن تتقدم الأبراج خارج الأسوار ... ومن الضروري جعل الاقتراب من الأسوار أمرًا صعبًا، من خلال تطويقها بالخنادق؛ وألا تكون المداخل المؤدية إلى الأبواب مستقيمة، ولكن متعرجة إلى يسار الباب" (Vitruvius Pollio, Marcus, (1837), p25-28.)

يدل هذا الكلام على أن تشييد الأسوار سابق على تأسيس المباني. وهو الذي يؤكده أيضا القاموس المنهجي للعمارة اليونانية والرومانية (Ginouvès René, 1992, pp.8-58). ولكن الرومان استوطنوا وليلي وتركوها دون أسوار، مخالفين بذلك أساسيات هندسة مدنهم، وبالأخص مدينة

اعتبرت حسب السردية الكولونيالية نموذجا للحضور الروماني في المغرب؟ فهل هناك ما يبرر هذا "الاستثناء" الهندسي والأمني في حالة وليلي؟

حتى إذا حاولنا غض الطرف عن هذا، رغم الإشكاليات الكثيرة المقترنة به، فإن السؤال يطرح مرة أخرى على الخنادق، إذ جرت عادة الرومان على تشييد خندق يحيط بمسورة مدينتهم ليجعلها معزولة، على غرار أسوار روما وغيرها من المستوطنات والمستعمرات والمدن "الرومانية" (M. PELADE, 1894, p191-194) و(Ginouvès René, 1992, pp.8-58)، وهو ما يغيب في سور وليلي، الذي توجد به قنوات لجلب المياه العذبة، وأخرى لتصريف المياه العادمة، ولكن لا يوجد ما يفصله عن محيطه الطبيعي.

قد يبرر هذا بأن الخندق لم يكن ضمن التقاليد الهندسية المغربية، وأن الرومان قد راعوا الخصوصيات المغربية في هذا الأمر، لكن سور ثاموسيدا المؤرخ بمنتصف القرن الأول قبل الميلاد (الفترة المورية) يتضمن خندقا متقدما على السور، ما يعني أن التحصينات الدفاعية كانت تتضمن الخنادق كبنيات أساسية وجدت قبل الفترة الرومانية، فلماذا جرى تجاهلها إذا عند بناء السور الخارجي لوليلي؟

يبدو واضحا أن اعتبار السور لاحقا على تشييد المدينة أو "الحي الروماني على الأقل" وغياب الخنادق، واختلافه عن التقاليد الهندسية الرومانية، يفتح المجال للتشكيك في رومانية السور.

ثالثا: سور روماني مختلف عن بقية الأسوار الرومانية؟

تفضي مقارنة سور وليلي مع عدد من الأسوار الرومانية التي شيدت في نفس الفترة إلى ملاحظة عدد من الاختلافات. فبمقارنته مع سور مدينة رابيدوم Rapidum (مدينة جواب بالجزائر حاليا) بموريطانيا القيصرية الذي اكتمل بناؤه بين سنتي 167-169، أي نفس التاريخ المقترح لبناء سور وليلي، لا نجد أي تشابه بينهما عدا الحجارة المصقولة، المكونة للجدار، أما سمك سور رابيدوم فيصل إلى 2,50م.

أما سور مستوطنة تيبازة الذي اكتمل تشييده سنة 147، فيبدو مختلفا بشكل كلي، فهو وإن شيد بحجارة شبيهة من حيث الحجم لما هو موجود بسور وليلي، فإن أبراجه تختلف من حيث تصميمها، إضافة لتعرج مداخله وأبوابه، على عكس وليلي. يظهر التباين بشكل واضح أيضا بين سمك سور وليلي وسور مدينة لوخو (Lugo)، إذ يبلغ سمك الأخير من 4.5 إلى 7 أمتار في بعض المواضع، في حين لا يتجاوز سمك سور وليلي 1.6 مترا في أحسن الأحوال. والأمر نفسه ينطبق على سور هادريان الذي بني سنة 122 ميلادية والذي يصل سمكه لثلاثة أمتار.

أشار بعض الباحثين إلى أنه "من باب المقارنة نشير إلى أن أوزينا قد وقف على التشابه الحاصل بين باب طنجة في وليلي، وباب أغسطس في نيم (nimes)، وبين الباب ذي الثلاث فتحات،

والباب الجنوبي في فيرالانيوم (Veralanium) ببروطانيا المؤرخ بالقرن الميلادي الثاني". (العيوض محمد، 2007، ص 170)

وإذا اعتبر هذا الكلام أحد أدلة رومانية السور الخارجي لوليلي، فإنه يصطدم بثلاثة اعتراضات:

الاعتراض الأول: أن أوزينا نفسه، قلل من أهمية هذه التشابهات، واعتبرها بدون أهمية (Maurice Euzennat, 1989, p237)، وبالتالي لا يمكن جعلها قاعدة للمقارنة أو التأريخ أو التبرير.

الاعتراض الثاني: بمقارنة سور وليلي وأبوابه مع باب أغسطس بنيم، وبالباب الجنوبي في فيرالانيوم، لا يوجد ما يؤشر على هذا التشابه، سواء من حيث تقنيات البناء أو مواده، أو سمكه، أو أبراجه أو أبوابه، أو حتى التاريخ المفترض لتشييده.

الاعتراض الثالث: أن باب أغسطس عرف عملية إعادة بناء سنة 1390، وبالتالي فهو لا يخلو من مؤثرات وسيطية، عدا اختلاف عدد الفتحات وسمك السور، وغيرها من العناصر، التي لا يمكن أن تقيم الدليل على وجود أدنى تشابه بينه وبين سور وليلي.

وبالتالي يجوز التساؤل: ما العناصر التي دفعت من تبنوا رأي أوزينا للقول بوجود تشابه بين هذه الأبواب، لاعتباره سورا رومانيا وتبرير تأريخ السور بالقرن الثاني الميلادي؟ في حين تم تجاهل التشابه مع التقاليد الهندسية البونية والمورية؟

رابعا: سور روماني بتقاليد هندسية بونية ومورية؟

في مقابل اختلاف السور الخارجي لوليلي مع الأسوار الرومانية، يوجد تشابه مع الأسوار البونية والمورية، أو التي شيدت في مواقع بونية، من ذلك مثلا التشابه بين سور وليلي وسور موقع ثاينة بتونس، على مستوى التصميم وموقع الأبراج وشكلها، ومواد البناء، رغم ما تعرض له السور من ترميمات شوهت شكله، ورغم أنه يؤرخ بأواخر القرن الثالث أو بدايات القرن الرابع الميلادي، إلا أن الموقع ذو أصول بونية، ما يؤشر بالتالي على أن السور ينتمي لتقاليد هندسية بونية.

يؤكد هذا المعطى، التشابه الكبير جدا، بين أسوار وليلي وأسوار ثاموسيدا (Thamusida) وتوكولوسيدة (tocolosida)، خاصة ما يتعلق بوضعية الأبراج ومكونات الأبواب، ما دفع هاليي (Gilbert Hallier) إلى "القول بوجود تقارب كرونولوجي"(العيوض محمد، 2007، ص 170، 171).

يطرح التقارب الكرونولوجي بين هذه الأسوار إشكالية حقيقية مرتبطة بتأريخ السور، إذ أن سور ثاموسيدا يؤرخ بمنتصف القرن الأول قبل الميلاد، أي قبل الدخول الروماني للمغرب بقرن من الزمان على الأقل، كما أن هذا السور شيد من الحجارة والطوب والآجر، بسمك 1.8 متر،

وارتفاع 1.5 مترا، يحيط به خندق، ويمتد على مسافة 9 أمتار، مع ترجيح الباحثين أن يكون محيطا بالموقع كله (15 هكتارا) (Akerraz Aomar, 2010 p541-542).

نفس تقنيات البناء ومواده، نجدها في سور إيمسا (Emsa) الذي اكتشف وجوده طراديل (Taradel) والذي يبلغ سمكه مترا واحدا وارتفاعه 0.5م، ويعود للقرن الثالث قبل الميلاد (Akerraz Aomar, 2010, p541-542).

كما تم اكتشاف سور واق بموقع سيدي ادريس القريب من مدينة الناظور، عند مصب نهر أمقران، والذي عرف تعميرا يرجع إلى ما قبل القرن السابع قبل الميلاد، في حين يؤرخ سوره بحوالي القرن الخامس قبل الميلاد، وهو عبارة عن "كومة من الحصى وحجارة الأرض، محددة بقطعتي حجر مصقول ومشذب ومواد لاصقة. سمك السور حوالي 2.10 م، وطوله 31 م، وارتفاعه يصل إلى 0.50م" (Akerraz Aomar, 2010 p540).

رغم اختلاف السمك بين سوري سيدي ادريس ووليلي، إلا أن التشابه كبير بينهما في تقنية البناء، خاصة على مستوى حجم الأحجار، إذ تم استعمال الحجارة الكبيرة والصغيرة ووضعت بنفس الطريقة.

يؤكد هذا الأمر إشارة الباحثين إلى أن وليلي كانت "خلال الفترة السابقة عن الوجود الروماني محاطة بسور لم يحدد منه بصفة دقيقة سوى جزء واحد هو الذي يمر تحت المعبد س، ومع التطور العمراني الذي عرفته المدينة خلال القرن الميلادي الأول، وخاصة بعد سنة 40م، توسعت المدينة شمال السور الأول ومع ذلك لم يسجل ما يفيد حرص السلطات على تسوير الموقع الذي بقي مفتوحا خلال مدة تزيد عن قرن من الزمن" (العيوض محمد، 2007، ص 162).

حسب هذا الكلام فرغم وجود السور الموري، إلا أن امتداد المدينة في الفترة الرومانية تم بعيدا عنه، وبالتالي، بقي الموقع بلا سور إلى منتصف القرن الثاني الميلادي، وهو ما يقتضي التوقف عنده لمناقشته من أوجه عدة:

الوجه الأول: أكدت الإستبارات التي أجريت على السور الموري أن مواد بنائه، وتقنياته، وسمكه، قريب لسمك ومواد وتقنيات السور "الروماني". وهذا التشابه بين السورين وبين أسوار أخرى ترجع إلى الفترتين البونية والمورية، يطرح عددا من علامات الاستفهام. إذ كيف لم تعرف المدينة خلال ثلاثة قرون أي تطور على مستوى مواد البناء وتقنياته؟ خاصة على المستوى الدفاعي؟ ولماذا لم يقدم الرومان أي جديد على مستوى هذه التقنيات؟

الوجه الثاني: القول بأن الرومان توسعوا خلال الفترة الرومانية شمال السور الموري، يعتبر متجاوزا أثريا، إذ أكدت الحفريات والإستبارات أن ما يعرف بالحي الروماني في وليلي يعرف طبقات ما قبل رومانية تحته، بل أنه أحيانا ما يوجد في نفس مستويات "البناء الروماني"،

كالضريح الموري الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، والموجود في نفس مستوى منزل الفتى الجميل الذي يؤرخ بالفترة الرومانية (ما بعد القرن الأول الميلادي)، الأمر الذي يطرح إشكاليات عدة.

الوجه الثالث: أن ما يعرف بالسور الموري أحاط "بالمدينة ما قبل الرومانية في الحي الجنوبي الشرقي، واعتبره أ.جودن (André Jodin) سورا "هلنستيا"، وجد على "بعد أكثر من 500 متر من الحدود الشمالية والشرقية للمدينة. ثم امتد إلى الجنوب الغربي ثم إلى الشمال...ويبدو أن الأقسام الأخرى، التي تقع تحت "التل" (tumulus)، تنتمي إلى المرحلة قبل الرومانية. وهي تتألف من أساسات حجرية وارتفاعات طينية" (Virginie Bridoux, 2008, p387) والتل منطقة يفترض أنها ضمن المدينة الرومانية، لكننا نجد أثرا للسور الموري وبنيات أخرى داخلها، ما يطرح مزيدا من الإشكالات.

الوجه الرابع: استعمل الرومان في "تشييد مبانيهم" -حسب الرواية الرسمية دائما- مواد بناء مجلوبة من مقالع في الضواحي (فرطاسة وغيرها)، ولكن السور المحيط بالمدينة، تم تشييده بمواد بناء محلية، فهل شيد الرومان مبانيهم بما فيها الإدارية والدينية والجنائزية والمدنية، بمواد مجلوبة من بعيد؟ وشيدوا السور بمواد محلية؟ ألا يفترض أن يكون ثمة نوع من التجانس بين مواد بناء السور ومواد بناء باقي البنايات؟

الوجه الخامس: يتعلق بحدود المنطقة التي يغطيها السور الخارجي لوليلي، حيث يشمل أيضا جزءا مما يعرف بالمدينة الإسلامية، ما يطرح كثيرا من الأسئلة حول الترتيب الكرونولوجي للموقع، وسبب اشتماله على الجزء الإسلامي؟

يحق التساؤل: إذا كان الرومان يكتفون بالمساحة التي يسكنونها، فلماذا قاموا باتخاذ سور محيط بثلاثة أضعاف لما اتخذوه سكنا لهم؟ وإذا كانوا يسورون مساحات أكثر من المساحات التي يسكنون بها؟ فلماذا إذا عاد السكان لبناء سور حول الحي الغربي، بعد تراجع المدينة كما تقول السردية الرسمية؟ ولماذا شمل السور المنطقة البونية؟ وكيف سكن المسلمون داخل جزء من السور وامتدوا خارجه؟ وكيف يمكن تفسير العثور على بنيات إسلامية منها مقبرتان اسلاميتان في اتجاه باب طنجة داخل ما يعرف بالحي الروماني؟

يبدو من خلال ما سبق، أن المقارنة المعمارية والهندسية لسور وليلي مع الأسوار الرومانية لا تسعف في القول برومانيته، بل تنحو صوب اعتباره مشيدا وفق تقاليد محلية أصيلة، تتعارض مع اعتبار وليلي نقطة مركزية في الوجود الروماني.

خامسا: التأريخ بالنقائش .. نسبية أصبحت حقيقة مطلقة

في ظل غياب المعطيات النصية التي يمكن أن تؤرخ للسور، وما تطرحه محاولة التأريخ بناء على مواد البناء وتقنياته من إشكاليات، تم اللجوء إلى التأريخ من خلال النقائش، إذ اعتمد في

تأريخ السور على شظايا نقيشة وجدت فوق الباب ذي الثلاث فتحات، ما اعتبر دليلا على رومانية السور وانتمائه للنصف الثاني من القرن الثاني الميلادي.

لابد من الإشارة في هذا السياق إلى أن التأريخ بالنقائش لا يخلو من محاذير منهجية، سبق للباحثة البولونية "أنا سادورسكا" (Anna SADURSKA) أن أشارت إلى "أن واحدة من المشاكل الحالية هي تأريخ النقوش، إذ أنه من النادر أن تتضمن النقوش اللاتينية في متنها تاريخا واضحا" (Anna SADURSKA, 1959, p71).

أشار أحد واضعي قواعد دراسة النقائش اللاتينية "جيمس إيغبرت" (John Egbert)، إلى صعوبة تصنيف النقائش (اهداءات، تكريمات، جنائزية، عسكرية ...)، والعمل على تأريخها من خلال مواضيعها، فاختلاف أشكالها وأنواعها يجعل من الصعب تصنيفها، فهي وإن كانت في بعض الأحيان "مشتركة في طبيعتها إلا أنها متنوعة في حروفها وأهدافها" (John Egbert, 1896, p397).

ينبه هذا الكلام إلى الصعوبات المتعلقة بجمع وتصنيف وقراءة متون النقائش، واعتمادها في التأريخ، لنسبية نتائجها، ومن ذلك مثلا تأكيد آخر التحليلات المعمارية لنقائش سور "نيم" –الذي قارنه بعض الباحثين بسور وليلي- على نسبية تأريخه وعدم دقتها (Jean-Luc Fiches et Alain Veyrac,1996). مع مراعاة أن نقائش سور نيم أكثر وضوحا ومباشرة من شظايا نقيشة وليلي المعتمد عليها لتأريخ السور، ووجود أكثر من نقيشة كاملة فوق أبواب سور نيم، وليس شظايا وجدت قرب السور في أزمنة مختلفة كما في حالة وليلي.

سادسا: شظايا نقيشة السور الخارجي لوليلي

اعتمد في تأريخ السور على "سلسلة من شظايا نقيشة من الرخام الأبيض، وجدت في أزمنة مختلفة، في المنطقة المجاورة للباب الشمالي الغربي أو "الباب ذي ثلاث فتحات": تم العثور على خمس منها سنة 1923 عندما تم الكشف عن الباب؛ بينما تم العثور على الشظية السادسة سنة 1957 من قبل ايدموند فريزولس، أثناء التنقيب في السور شرق البوابة، على الجسر. وتم جمع الشظايا الأخرى سنة 1961 في نفس المكان بواسطة أ.تشرنيا ... التي يمكن أن تنتمي إلى نفس النقيشة (Maurice.Euzinat, 1982, p265)..

تشكلت النقيشة المؤرخة للسور الخارجي لوليلي من تسعة شظايا جمعت على الشكل التالي:
الشظية 1: الارتفاع 33، العرض 40، السمك 8، الأسطر من 1-4: 3.5سم، السطر الخامس 3.7.

_____MAIOR FACTUS MAXIMO
_____AD PATRONOS DEOS

____DIO. ___TEMVIRVM___ ___S PRINC____ _____I_____

الشظية 2: الارتفاع 14، العرض 21، السمك 9. الأسطر 3.5.

CONDOTOR______ MAXIMV______

الشظية 3: الارتفاع 19، العرض 18، السمك 8.5. الأسطر 3.5.

_____S M____ _____T IPSE_____ _____DEIND______

الشظية 4: الارتفاع 22، العرض 24، السمك 8.5، الأسطر 3.5.

_______ACAESORI______ _______NCTATOR MA _____CVRSANDOIAS _____CORONA M _____ITRAT

الشظية 5: الارتفاع 18، العرض 24، السمك 9. الأسطر 3.5

_____IVSTV___ ____DE TITO COII_____ _____MOSENTII _____X D.C_______

الشظية 6: الارتفاع 29، العرض 8، السمك غير محدد. الأسطر 3.5.

________NNIVS P______ _______MAVRVSC______

________MAVRVSCA_______ __________E CANTAV________ _________DECANT________ ____________NA________

إضافة لهذا فقد عثر تشرينا على شظيتين من الكلس الصلب سنة 1961، قرب الباب ذي ثلاث فتحات، واعتبرتا مكملتين لشظايا نقيشة السور:

الشظية 7: الجزء العلوي من النقيشة مكسور من الأطراف الأخرى، الارتفاع 22 – العرض 32 – السمك 8.5، الأسطر 3.5.

VVS MAXIMVS Q MAXIM A

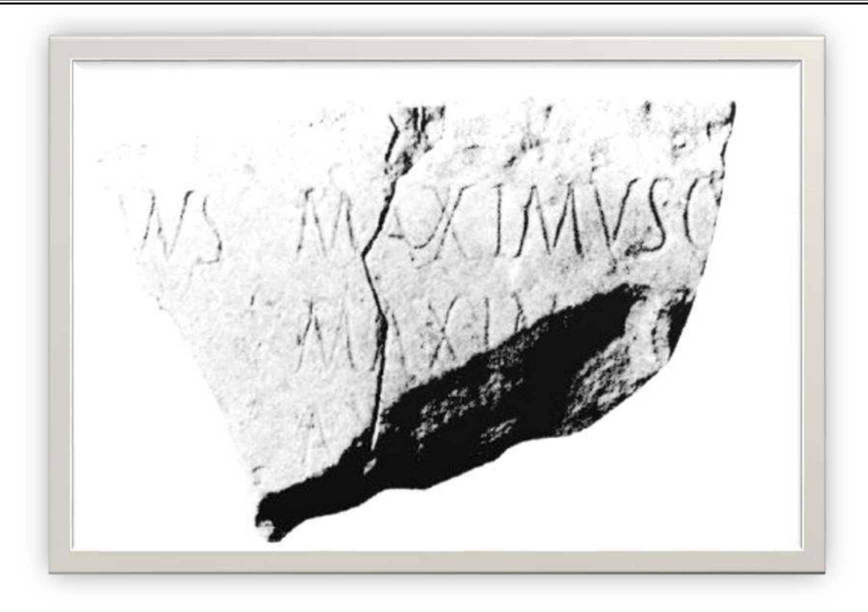
الشظية 8: شظية غير مكتملة من جميع الجوانب، الارتفاع 13.5، العرض 9.5، الاسطر 3.5."

_XIM XIM

كما عثر تشرينا على شظية تاسعة اعتبرها تنتمي لذات النقيشة سنة 1961 قرب الباب ذا الثلاث فتحات:

الشظية 9: الارتفاع 9.5، العرض 1.5، الأسطر 3.5.

_________ORMN______



صورة لإحدى الشظايا مما افترض أنه نقيشة مؤرخة للسور

S.I : Euzennat Maurice & autres, (1982), p267.

رغم عدم وجود النقيشة حاليا رهن إشارة الباحثين من أجل دراستها، وغياب صور مؤرشفة لها، باستثناء ما ورد في مجلد النقائش القديمة في المغرب، فإن هذه الشظايا تطرح على المستوى الخارجي إشكاليتين أساسيتين:

تباين السمك: من خلال الوصف المقدم للشظايا، نجد أن سمكها قد تراوح ما بين 1,5 سم و9سم، إضافة لشظية غير محددة السمك، ويحق التساؤل عن سبب هذا الاختلاف، فإذا كان من الممكن تبرير الاختلاف في الارتفاع أو العرض باعتبار أنها مجرد شظايا، فإن اختلاف السمك يظل إشكالا عالقا.

اختلاف مواد الصنع: تختلف مواد صنع الشظايا المكونة للنقيشة المؤرخة للسور فيما بينها، إذ أن ستة منها مصنوعة من رخام أبيض، في حين أن شظيتين مكونتين من كلس أبيض. كما تختلف كل الشظايا عن مواد بناء السور المشيد بحجارة كلسية رمادية.

إذا كان يمكن تبرير اختلاف مواد صنع النقيشة عن مواد بناء السور، بالرغبة في تمييزها، فلا يمكن تبرير اختلاف مواد صنع نقيشة واحدة، إذ كيف يعقل أن تتشكل من حجر رخامي أبيض وحجر كلسي رمادي؟ وبسمك مختلف؟

يقود هذا إلى التساؤل عن كيفية جمع هذه الشظايا، وبالبحث في هذا، نجدها وجدت جميعا قرب الباب الشمالي الغربي، أو الباب ذي الثلاث فتحات. كما تم العثور في نفس المكان على عدة شظايا، منها أربع من الرخام الأبيض، وجدت في نفس الوقت الذي وجدت فيه "الشظايا المؤرخة للسور"، كما عثر على واحدة إضافية سنة 1961 (Maurice Euzennat, 1982, p219)، ووجدت شظايا أخرى من مواد صنع مختلفة في نفس المكان، كما وجدت نقائش وشظايا مصنوعة بنفس مواد بناء السور في نفس المكان.

وبالتالي يجوز التساؤل، وفق أي معيار تم التأكد من انتماء الشظايا المعثور عليها للسور؟ رغم اختلاف مواد صنعها عن مواد بنائه؟ كيف تم التأكد من انتماء الشظايا لنقيشة واحدة؟ ولماذا استبعدت الأخرى؟ وبأي معيار جرى الفصل والوصل بين الشظايا رغم تشابه مواد البناء والتقنيات؟ كيف حددت الشظية الأولى من الثانية من الثالثة...الخ؟ كيف أمكن دمج بعض الشظايا مع بعضها رغم اختلاف مواد صنعها؟ وكيف أمكن اعتبارها جزءا من السور؟

لا يقدم جامعو النقائش أي أجوبة على هذه الأسئلة، ولا يوجد ما يؤشر على المنهج الذي تمت وفقه عملية الجمع والتركيب، ما يدفع للقول أنها كانت مؤطرة بالتخمين والظن والتكهن، وذاتية الباحث، وليس الاستناد إلى منهجية عملية واضحة.

سابعا: تاريخ بني على تأويل

لا تتوقف الإشكاليات عند عملية الجمع، بل تتعداها لعملية القراءة والتأويل لمتنها، فبناء على عمليات الجمع والتأويل التي قام بها شاتلان، و"فريزول" من بعده تم استنتاج أن الشظايا تنتمي لنقيشة واحدة وتؤرخ لبناء "الباب بدقة إلى حد ما، وبالتالي تأريخ السور كاملا...تضمنت الشظايا التي نشرها لويس شاتلان للباب الغربي تحية إمبراطورية ([i] mp v pp) ... إن الفترة الممكنة الوحيدة هي مشاركة ماركوس أوريليوس ولوسيوس فيروس في الحكم، وقد وردت التحية الشائعة بينهما في النقيشة، وذلك قبل منتصف عام 168 بفترة وجيزة، ووفاة لوسيوس فيروس، في الأشهر الأولى من عام 169" (Frezouls Edmond. 1952. p400-401)

لكن هذا الكلام مردود عليه من وجهين:

الوجه الأول: أن هذه الشظايا لم تتضمن ما يمكن أن يفيد بوجود تحية امبراطورية فيها، بل هي مجرد افتراض من شاتلان، لا تسنده أي كلمات أو حروف من الشظايا المركبة، ولم يقدم أي تفسير لها.

الوجه الثاني: أن صيغة التحية الإمبراطورية للفترة الزمنية التي نسب إليها السور كان يجب أن ترد على الشكل التالي:

IMP CAES LVERVS AVG ARM PARTH MAX

TR PUT IMP V COS III (John Edwin Sandys, (1919), p230)

لكن لا نجد أي إشارة لهذه الصيغة في التأويل الذي اقترحه شاتلان، بل يبدو واضحا أن كل النقيشة ليست إهداء للامبراطور الروماني.

بحسب مجلد النقائش القديمة في المغرب، فقد ارتكب شاتلان عددا من الأخطاء، إذ أدت قراءته الخاطئة للشظايا إلى إيراد لفظة MAXIMVS (ماكسيموس) والتي جعلته يؤرخ النقيشة بمنتصف القرن الثاني الميلادي، عوضا عن MAVRVS (موروس) المقترحة في الترميم الجديد وهو ما يغير بشكل جذري معنى النص المقترح. وجمعه للشظيتين 2و3 خاطيء، حيث كان يفترض أن يرمم الشظية الثالثة مع السادسة وليس الثانية.

كما سجلوا عددا من الملاحظات منها:

الشظية 1: في السطر الأول: O الأخيرة كانت صغيرة؛ السطر الثاني: لويس شاتلان قرأ حرف C قبل AD، السطر الثالث: النقطة هي القلب أو ورقة اللبلاب؛ السطر الخامس: لويس شاتلان لم يقرأ شيئا قبل PRINC؛ السطر السادس: قبل I هناك حرف B أو P أو R
الشظية 2: السطر الثاني: قرأه شاتلان MAXIMVS، السطر الثالث: قرأ شاتلان سطرا إضافيا آخر به ET
الشظية 3: السطر الأول: قرأ شاتلان حرف M؛ السطر الثاني: قرأه شاتلان IPSI
الشظية 4: السطر الثاني: الرمح يوجد في أسفل الشظية بعد MA. السطر الخامس: فقط الحرفين A و T في نهاية السطر هما المؤكدين، الحرف السابق يمكن ان يكون P أو R مقدمة الشظية حربة والثانية يفصلها خط أفقي. شاتلان قرأ حرف C قبل IT و I بعد T النهائية.
الشظية الخامسة: السطر الأول: قرأها AVSTV بعد IVSTV يبدو أن هناك انحرافا عن M؛ السطر الثاني: الحرفين الأخيرين يمكن ان قرأ حسب شاتلان L؛ السطر الرابع: قرأه لويس شاتلان EX DECR
الشظية 6: السطر 6: الحرف النهائي قد يكون A او N أو M".
الشظية 7: بعد الحرف A بالسطر الثالث نجد حرفا مائلا يمكن أن يقرأ V او X.

جعلت كل هذه الأخطاء قراءة النص صعبة، فبالأحرى تأويله. ويعترف محررو مجلد النقائش القديمة في المغرب، بصعوبة ترميم النص المجمع، نظرا للحالة المزرية للشظايا "وكل ما نستطيع اقتراحه أن النقيشة تكريم لشخصية مهمة، يمكن أن يكون الحاكم على الأرجح عقب انتصار عسكري: وهذا ما تخوله لنا الكلمات أو مجموعة الكلمات: maior factus… maximo… , …[cu]nctator… ; …[c]orona m[urali] من الواضح أن هذا مجرد تخمين حول الترميم المفترض Coii[edio ?] (e, L.2) (M.Euzinat, 1982, p265-267)

ونقف هنا على ملاحظتين أساسيتين:

الأولى: رغم الاعتراف باستحالة الترميم، لكن محرري مجلد النقائش القديمة قاموا به، وفي نفس الآن قاموا بالتأويل والقراءة والتفسير، بناء على "الترميم" الذي قاموا به، وتحول هذا التأويل إلى حقيقة تاريخية.

الثانية: رغم الانتقادات التي وجهوها لما قام به شاتلان، سواء على مستوى جمع الشظايا أو ترتيبها أو تأويل بعض كلماتها، إلا أنهم أقروا التأريخ الذي اقترحه للسور، رغم أن التعديلات والتصحيحات التي تم القيام بها، كان يفترض أن تغير النتائج، لكنهم انتقدوا الجمع والترميم والتأويل، وفي الآن نفسه أقروا النتائج.

وهنا يجوز التساؤل، ما هو المنطق الذي أطر تأويل هذه النقيشة؟ وكيف يعقل أن يتم الاختلاف في الجمع والترتيب والقراءة والتأويل، ويتم الاتفاق في النتيجة؟ هل خضعت عملية ترميم الشظايا لمنهجية واضحة؟ أم حكمها التكهن والتخمين؟ وإذا كان التكهن والتخمين فما هي المنطلقات التي أطرته؟ وإلى أي حد يمكن الركون إلى تأريخ حكمه التخمين والتكهن؟

إضافة لهذا، فإن بعض البقايا الأثرية تطرح علامات استفهام حول مصداقية النقيشة المؤرخة للسور، حيث سبق للويس شاتلان أن عثر على ثلاث شظايا لنقائش سنة 1919 خلال أشغاله بالجزء المركزي للباب ذي الثلاث فتحات، وهي عبارة عن إهداءات فخرية تم تأريخها ما بين 165/163م أي قبل بناء السور بقليل، ما دفع البعض إلى الاستنتاج أن الأشغال قد بدأت قبل التاريخ المقترح للسور على اعتبار ورود اسم كلوديوس ماكسيموس (Claudius Maximus) القنصل على موريطانيا الطنجية، والذي ورد اسمه في نقيشة قرب بوابة الثلاث فتحات، وتكرر اسمه في بعض الشظايا (Maurice Euzennat, 1989, p 236)

كما عثر على قطعة نقدية "في أحد أبراج باب طنجة تؤرخ بالربع الأخير لسنة 147 م". (Maurice Euzennat, 1989, p 236)

هذا ما يطرح أسئلة كثيرة حول مصداقية تأريخ السور، إذ ما معنى وجود قطعة نقدية داخل برج من أبراج السور؟ ألا يفترض هذا أن بناء البرج كان قائما آنذاك، وهو لا ينفصل عن السور؟ قد يتم الاعتراض بكون القطعة المنقولة لا تؤرخ إلا لنفسها، ولكن ألا تدخل شظايا النقائش ضمن القطع المنقولة؟ وبالتالي ألا يفترض أنها تؤرخ نفسها فقط وليس موقعها؟ ولماذا استبعدت القطعة النقدية من التأريخ في سور وليلي في الوقت ذاته جرى تأريخ سور ثاموسيدا بناء على قطعة نقدية وجدت تحت أحد أبراج السور، والمؤرخة بما بعد 166. (Rebuffat René. 1974, p 506) ما هي المعايير التي تم الاستناد عليها لتأريخ بناء السور بين سنتي 168 م-169م؟ واعتباره تاريخا مؤكدا لا يرقى إليه أي شك؟ ووفق أي منهج وبحث تم التأكد من أن هذه النقيشة وما تلاها كانت فوق بوابات السور؟ وإذا ما افترضنا أنها كانت كذلك ألا يمكن أن تكون النقيشة مؤرخة لفتح الباب في مرحلة لاحقة لبناء السور؟ ألا يمكن أن تكون النقيشة وضعت في مرحلة

لاحقة تكريما لأحد الشخصيات المهمة؟ وما هي المعايير التي يمكن أن تجعلنا نطمئن لتأويلات شاتلان ومن تبعه؟

إن ما ذكرناه آنفا، يؤكد أن التأويل بالنقائش لا يمكن أن يؤخذ دليلا علميا صارما، لأنه لا يقدم ما يكفي من المعطيات التاريخية، كما أنه لا يخضع لأي معيار أو منهج عدا تأويل الباحث واستنباطه وتصوره؟ ما يجعل عملية التأريخ بواسطة النقائش ككل عملية غير علمية وغير موثوقة لا تتجاوز الظن والتخمين.

خاتمة:

بناء على ما سبق، يمكن تسجيل عدة ثغرات في سردية رومانية السور الخارجي لوليلي، لم ينجح المنطق التبريري في حجبها، ولا التمويه عنها، إذ لا يوجد ما يبرر تأخر الرومان في بناء سور يحيط بموقع اعتبر مركزا أساسيا في الوجود الروماني بالمنطقة.

أما الربط بين بناء السور والنهضة العمرانية والاقتصادية، لا يستقيم أثريا، فالمدينة لم تعرف آنذاك أي نهضة عمرانية، وكان السور هو الوحيد المؤرخ بالقرن الثاني الميلادي؛ ولا يستقيم هندسيا مع قواعد الهندسة الرومانية التي تفرض أن تكون المسورة سابقة على تشييد المباني.

أما المقارنة الهندسية والتقنية بين سور وليلي ومجموعة من الأسوار، فتؤكد انتماء السور لتقاليد معمارية بونية ومورية أصيلة، وعدم ارتباطه بالتقاليد المعمارية الرومانية، ويؤكد على أصالة السور وتقنية البناء ككل.

وعلى المستوى الايبيغرافي، يظهر جليا أنها تفتقد إلى منهج علمي واضح، إذ تظل محكومة بالظن والتخمين، مطبوعة بتأويل الباحث، ولا يمكن اعتبارها دليلا علميا. فكيف يتحول الظن والتخمين إلى حقيقة تاريخية لا يرقى إليها الشك؟

يمكن القول أن الإشكاليات المنهجية والتاريخية والأثرية والايبيغرافية، المتعلقة بتأريخ السور الخارجي لوليلي ليست متعلقة بالسور وحده، بل هو منطق عام جرى وفقه تأريخ وجود الرومان في موريتانيا الطنجية، ولذلك فإن هذه الأسئلة لا تسائل تأريخ سور، أو معسكر، أو حتى موقع، بل تأريخ الوجود الروماني ككل في موريتانيا الطنجية؛ وتشرع الباب أمام مراجعة نقدية شاملة للأسس والمرتكزات التي تم على أساسها تأريخ الوجود الروماني بالمغرب.

قائمة المراجع:

1. ابن أبي زرع(1972)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط.

2. العيوض محمد(2007)، الجهاز الدفاعي في وليلي وجهتها الخلفية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، العدد السابع والعشرون.

3. العيوض محمد(2015)، موريطانية الغربية (المغرب القديم) من المملكة المستقلة إلى الولاية الرومانية (القرن الثالث قبل الميلاد-القرن الميلادي الأول)، مجلة أسيناك، العدد العاشر.

4. الوزان الحسن الفاسي(1983)، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية.

5. Akerraz aomar & Lenoir Eliane,(1990), Volubilis et son territoire au Ier siècle de notre ère. In: L'Afrique dans l'Occident romain (Ier siècle av. J.-C. - IVe siècle ap. J.-C.), Actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987), Rome, École Française de Rome, pp. 213-229.

6. Akerraz aomar, (2010), Les fortifications de la Mauritanie Tingitane. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 154e année, N.1, 539-561.

7. BRIDOUX Virginie, (2008), Les établissements de Maurétanie et de Numidie entre 201 et 33 av. J.-C: Synthèse des connaissances, MEFRA – 120/2 - p. 369-426.

8. Egbert John, (1896), "Introduction to the study of latin inscriptions", AMERICAN BOOK COMPANY, new york.

9. El Bouzidi Said & Ouahidi Ali, (2014), "La frontière méridionale de la Maurétanie Tingitane : contribution à la carte archéologique de la région de Volubilis", In: Dialogues d'histoire ancienne, vol. 40, n°1, pp. 97-108.

10. Euzennat Maurice & autres, (1982), Inscriptions antiques du Maroc, 2. Inscriptions latines. Paris : Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique.

11. Euzennat Maurice, (1989), "Le limes de Tingitane. La frontière méridionale". Paris : Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, pp. 5-339.

12. Fiches Jean-Luc et Alain Veyrac,1996 http://www.nemausensis.com/Nimes/remparts/FouillesRemparts.html

13. Fleury Philippe.(2012) "La ville romaine selon Vitruve. Expériences et représentations de l'espace", Ellipses, pp.210-230.

14. Frezouls Edmond, (1952), "Nouvelles inscriptions de Volubilis", In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 96e année, N. 3, pp. 395-402.

15. Ginouvès René & autres…, (1998), "Dictionnaire méthodique de l'architecture grecque et romaine. Tome III. Espaces architecturaux, bâtiments et ensembles". Rome : École Française de Rome, pp. 7-357.

16. Gwladys Bernard, (2018), L'extrême occident méditerranéen dans l'espace politique Romain (218 av.J-c. – 305 apr. J-c), casa de velazqvez, MADRID.

17. PELADE M, (1894), ROME: histoire de ses monuments anciens et modernes, DELHOMME ET BRIGUET, ÉDITEURS, paris.

18. Rebuffat René, (1974) Enceintes urbaines et insécurité en Maurétanie Tingitane, In: Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité, tome 86, n°1. pp. 501-522.

19. Rebuffat René, (1998), "L'armée de Maurétanie Tingitane", In: Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité, tome 110, n°1. pp. 193-242.

20. Rhorfi Abdellatif, (2020), la pax Romana en Tingitane et les conditions de sa permanence aux trois premiers siècles ap. J-C, L'Africa romana atti del convegno di studio Tozeur, 11-15, volume primo, p547-566.

21. Sadurska Anna, (1959), Quelques remarques sur la datation des épitaphes romaines fondée sur la décortion en relief, Originalveröffentlichung in: Atti del terzo Congresso Internazionale di Epigrafia Greca e Latina. Rom, S. 71-76.

22. Sandys John Edwin, (1919), Latin Epigraphy : an introduction to the study of Latin Inscriptions, Cambridge University press.

23.Tissot Charles-Joseph, (1878), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, Extrait des mémoires présentes par divers savants, l'académie des inscriptions et belles-lettres, paris.

24.Vitruvius Pollio, Marcus, (1837), les dix livres d'architecture de VITRUVE, ed Tardieu Eugène & Coussin Ambroise paris.

25. Windows John, (1721), A journey to Mequinez, the residence of the present emperor of Fez and Morocco, London.

سوسيولوجيا الثقة ـــ مقاربة على ضوء تحليل نظام تدبير الرعاية المجتمعية في المملكة المتحدة ـــ

الكاتب: البروفيسور جايسون باول
كلية الصحة وعلوم الحياة
جامعة كوفنتري، المملكة المتحدة

تعريب: إلياس المرابط
دكتوراه في علم الاجتماع
جامعة محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

ملخص: يعد المقال بين أيدينا مراجعة نقدية لإشكاليات وانعكاسات الثقة وكذا لتدبير التنوع المتعلق بنظام الرعاية داخل المجتمع البريطاني. لقد بات هذا النظام في ظل انكماش الاقتصاد العالمي خلال السنوات الأخيرة بحاجة إلى تدبير محكم للتنوع. حيث أنه بالرغم من كثافة السياسات الإدارية المتعلقة بالرعاية الاجتماعية في المملكة المتحدة، يبقى من الصعب، في مستويات معينة من التحليل، إدراك القضايا البنيوية التي تفسر سبب عدم تلبية احتياجات المجموعات المتنوعة. ولعل الإشكالية المحورية هنا تتمثل في فقدان "الثقة". وفي هذا السياق، تتناول هذه الورقة تشريح انعكاسات أشكال الثقة المختلفة بُغية فهم علاقات الرعاية.

الكلمات المفتاحية: الثقة، علم الاجتماع، الإدارة، الرعاية والبنيوية.

A sociology of trust

By: Powell Jason
PhD in Sociology,
Coventry University, U.K

Translated by: Ilyass El Morabit
Faculty of Health & Life Sciences
Med Ibn Abdellah University Fes, Morocco

Abstract: The paper is a critical review of the problems and implications of trust and in managing diversity in the British community care system. It is a system in need of strong diversity management in the light of the world economic downturn in recent years. Despite raft of policies on leadership in social care in the UK, the structural issues for why the needs of diverse groups are not met are difficult to understand at particular levels of analysis. The central problem has been lack of ‘trust’. The paper

detangles the implications of different forms of trust in order to understand care relations.

Keywords: Trust, Sociology, Leadership, Care and Structuralism.

تـــــقــــديـــم

ليس التدبير الديمقراطي للشأن العمومي عملية آلية وخطية يفرزها التصويت الحر والنزيه بشكل طبيعي؛ بهذا الوصف البسيط الساذج. بل إن هناك حيثيات اجتماعية وأخلاقية جد معقدة تقف خلف صناعة هذا الفعل السياسي. ولعل "الثقة" هي حجر الرحى الذي يمنح السياسات الحكومية حيويتها وطابعها العملي؛ ومنه بُعدها الحكامي. ولما كانت الثقة بهذه الأهمية الكبيرة فيما يتعلق بحسن تدبير المصالح العمومية من جهة، مضافا إليها من جهة أخرى أنها ليست مسألة اجتماعية عفوية ترتبط فقط بالحس المشترك، كان لابد للمقاربة السوسيولوجية أن تأخذ على عاتقها تحليل الوقائع العملية السياسية لسياقات الثقة والتصدي لمهمة بناء تجريد مفاهيمي لها.

في هذا السياق، يضطلع جايسون باول في هذا المقال بمهمة تحليل نظام تدبير الرعاية المجتمعية في المملكة المتحدة انطلاقا من افتراضه أن المشكلات التي يعاني منها هذا النظام تنجم عن "فقدان الثقة" الذي يعتري علاقة موظفي الرعاية بالأشخاص المستفيدين، وهو ما يرجع إلى خلل في سيرورة بناء الثقة بين الدولة والمواطنين المنخرطين في هذا النظام المجتمعي. يستلزم فهم هذا التفاعل الاجتماعي النظر إليه بشكل تجريدي ونقدي من خلال اعتباره تجربة تاريخية ذات معنى هوياتي مشترك، وذلك بفحص التمثّلات والممارسات الأخلاقية والاجتماعية التي تؤطره، والتي تعبر عن المستويات الممكنة للثقة في العلاقات الاجتماعية، سواء كانت شخصية أو تنظيمية أو بنيوية، حسب تصنيف النظرية السوسيولوجية التي يعتمدها الكاتب.

كان تفويت الرعاية المجتمعية إلى القطاع الخاص من قبل حكومة المحافظين في المملكة المتحدة، إيمانا منها بنجاعة الانفتاح على سوق الاقتصاد التنافسي في ما يخص تقديم هذه الخدمة للمواطنين، بدون أخذ مسألة تنوع مستويات الثقة التي يفرضها تدبير تنوع الشرائح الاجتماعية المختلفة ـ كما تم تناولها في مستهل النقطة الثالثة من المقال بين أيدينا- انعكاسا سلبيا على سيرورة بناء الثقة بين الإدارة والمنتفع. أخذا بعين الاعتبار الخلط الموجود بين أسس الثقة ووظائفها، ومنه السجال الحاصل بين من يدافع عن كون الثقة مسألة معرفية تقوم على اعتبارات عقلانية بحتة وبين من يرى أنها مسألة علائقية تنتج عن التزامات عاطفية بين الأشخاص، يستعين الكاتب بأطروحة فوكو حول الحكمانية[1] من أجل مراجعة تحليلية نقدية لسياسة الحكومة

[1] الحُكمانية [Governmentality]: إزاء السلطة التقليدية التي تستند إلى السيادة المطلقة للقانون، تأتي الحكمانية باعتبارها شكلا مميزا لممارسة السلطة، بحيث تنتصر لتدبير أفعال الناس بطرق إيجابية تفاعلية ومقبولة من قبلهم. وقد تبلور مفهوم الحكمانية مع ميشيل فوكو، حيث يمزج فيه بين مصطلحي الحكومة والعقلانية. الأمر الذي يقضي بأن تعريف وتصنيف المواطنين الفاعلين من جهة، وكذا المؤسسات الإدارية والإجراءات والقواعد العملية من جهة أخرى، هو الفعل العقلاني الأولي الذي يجب أن يسبق ويؤسس ضبط وتوجيه سلوك الأفراد والمجموعات بشكل

بشأن الرعاية المجتمعية المنفتحة على القطاع الخاص وكذا لمراجعة دور الخبرة المهنية لموظفي الرعاية في تعزيز ثقة الأشخاص المنتفعين.

يكشف التحليل المعتمد عن أن دور الدولة، في إطار النظام النيوليبرالي، يقتصر على التنسيق بين القطاعين العام والخاص والإشراف على توزيع الأدوار بينهما في ما يتعلق بتدبير المشكلات الاجتماعية وتوفير الرفاهية، وذلك ضمانا لحسن إدارة الملفات الاجتماعية وتفاديا في الآن ذاته لهيمنة القطاع الخاص عليها. وتُعدّ المبادرات السياسية المجتمعية للحكومة من أهم تقنيات الحكمانية المستخدَمة في تعزيز الثقة والموثوقية عند الفاعلين الاجتماعين خلال تفعيل السياسات المستهدفة للمجموعات الاجتماعية المتنوعة. كما تعتبر مأسسة الخبرة المهنية أيضا، عبر عقلانيات سياسية محددة، أساسا قويا لممارسة السلطة، الأمر الذي يساهم بفعالية في إنتاج فاعلين أخلاقيين، سواء خبراء مهنيين أو مواطنين، ذوي قدرة ذاتية على الإدارة وتحمل المسئولية، يستندون في محاكماتهم العملية إلى التوافق بين الرغبة الخاصة والالتزام العام.

عودا على بدء، تؤكد مقاربة باول التحليلية على أن الثقة باتت هي الأخرى رافعة حيوية لا مندوحة عنها لنجاعة تدبير الشأن العام من جهة، تجربة الرعاية المجتمعية في هذا السياق، ولتعزيز تفاعل المواطنين مع سياسات الحكومة من جهة أخرى؛ إلى جانب وجوب توفر القيادة السياسية على الشرعية الديمقراطية اللازمة. يمكن القول إجمالا بأن الثقة لم تعد في إطار الحكم النيوليبرالي، وفي كل مستوياتها، غاية سياسية للدولة بقدر ما غدت آلية سياسية لتدبير تدخلاتها.

المترجم: إلياس المرابط

01- مقدمة

ترتبط الثقة في المملكة المتحدة بإشكاليات متعددة. فعلى سبيل المثال، حظيت قوانين الرعاية المجتمعية بإطراء سوسيولوجي غير نقدي إلى حد ما خلال العقد المنصرم، كما تم تعزيز سياسة الرعاية المجتمعية التي تبلورت على أساس ثلاثية " الاستقلالية"، " التمكين " و"الاختيار" من قبل جملة من المتابعين باعتبارها الحل السياسي والفلسفي الناجع للتّخفيف من وطأة الإشكاليات المتأصلة والهدّامة التي تواجه نظام الرعاية المجتمعية في المملكة المتحدة (باول، 2009). تعمل هذه المقالة على تفكيك النظرة المقدسة التي تحيط بسياسة الرعاية المجتمعية. حيث يتم تهدئة الوضع المتدهور بين الموظفين والأشخاص المسنين بسبب انعدام الثقة. إن استقصاء دقيقا ومتماسكا حول نشوء سياسة الرعاية المجتمعية في المملكة المتحدة كفيل بإثارة تساؤلات مهمة حول مقاصدها الجوهرية. يكمن الرهان المرفوع هنا في بلورة وتنفيذ سياسة رعاية مجتمعية برؤية هرمية، وذلك أن الحقيقة التي يراها الأشخاص المسنين تبقى ثانوية بالنسبة للحقيقة المصاغة من لدن خبراء / موظفو الدولة؛ كالمستشارين السياسيين. الأمر الذي يعني، بعبارة أخرى، أن هذه "خبرة" تُجرى بمعزل عن فهم تنوع المنتفعين وتجاربهم.

إرادي مقبول. في الواقع، يسمح مفهوم الحكمانية للمحلل الاجتماعي والسياسي بتحليل علاقات السلطة باستحضار البعدين السياسي والأخلاقي معا.

قد يكون من غير المناسب طرح النقاشات الإبستيمولوجية والأنطولوجية المتعلقة بتعريف واقع الجيرونتولوجيا[2] الاجتماعية خلال السنوات الأخيرة (بيجس وباول 2000). ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن سياسة الرعاية المجتمعية قد أخفقت في تقديم تعريفات بديلة أو رؤى مختلفة، بشكل متماسك، حول حقيقة الرعاية على أساس التجارب الذاتية للأشخاص المسنين (بيجس وباول 2000). ومع ذلك وبشكل متجاهل، تواصل سياسة الرعاية المجتمعية نظرتها التميزية نحو المسنين، مما يعزز "انطباعا عاما حول الحاجة إلى إجراء بحث بشأن هؤلاء الأشخاص، على اعتبار أنهم لا يتوافقون مع 'المعايير الاجتماعية' أو يتسببون في إثارة المشاكل" (سمارت 1984: 150-1). في المقابل، من النادر أن تحاول سياسة الرعاية المجتمعية مشاهدة "ذوي النفوذ المحليين" (سمارت 1984) المكلفين بتدبير الرعاية بالنسبة للأشخاص المسنين. يشكل إذن غياب تحليل نقدي لدور المكلفين بتدبير الرعاية ولممارساتهم اليومية ضعفا كبيرا في السيرورة التنفيذية للعملية السياسية داخل المملكة المتحدة من حيث المحاسبة والتحسيس بمسألة التنوع في ما يخص فلسفة وممارسة التدبير .

يبين الالتباس الكائن لدى مختلف موظفي الدولة وكذا الصراع الموجود بينهم بشكل صريح خلال السنوات العشرين الأخيرة الشرخ الحاصل داخل الدولة فيما يتعلق بسياسة الرعاية المجتمعية والقضايا المشوشة المرتبطة بمسألة تدبير التنوع. وهو ما يوجه أيضا المجال التفاعلي للمكلفين بتدبير الرعاية والأشخاص المسنين، سواء بشكل تخيلي أو تجريبي. إن فهم مسألة "الثقة" بشكل معين في هذا المجال هو عنصر ضروري من أجل ربط العلاقات القائمة على تدبير التنوع. تعتبر "الثقة" بحد ذاتها مفهوم متنازع عليه بشكل أساسي، حيث يمكن للناس أن يدركوا الثقة بمعنى معين للهوية المشتركة (جيلسون 2003، تالوك ولبتون 2003). ينتج الأفراد الثقة من خلال التجربة ومع مرور الزمن، حيث أنها لا يمكن أن تكون نتاجا مباشرا وذو غاية محددة للمنظمات أو الحكومات من دون تفاعل حواري مع الناس حول القضايا التي تمس أنماط وفرص حياتهم كالرعاية، والمعاشات، والتشغيل والتمثيل السياسي (وولكر ونايغالي، 1999).

تصدّى مولرينغ (2001) لموضوع العلائقية من خلال التمييز بين الثقة في تعاقد الأفراد والدولة في مجالات معينة كتوفير المعاش؛ وبين الثقة في الصداقات عبر الأجيال؛ والثقة في الحب والعلاقات العاطفية، والثقة في القضايا الخارجية المرتبطة بالهوية الوطنية. يحصل أن هناك طرقا متعددة لتحديد الثقة، غير أن المفارقة تكمن في كيفية خلق شروط لشروط بناء الثقة من خلال مستويات شخصية – تنظيمية – بنيوية في عالم يزداد اضطربا. تعمل المادة بين أيدينا على استكشاف سياسة الرعاية المجتمعية ومقاربة الأساليب التي يمكن أن تستحوذ بها علاقات الثقة على الروابط القوية والعلاقات بين المكلفين بتدبير الرعاية ومجموعات المنتفعين، كالأشخاص المسنين، في المملكة المتحدة.

02- الرعاية المجتمعية في المملكة المتحدة: الخلفية والسياق

---

[2] الجيرونتولوجيا: أو (علم الشيخوخة)، وتعني دراسة الجوانب الجسدية والعقلية والاجتماعية للأشخاص المسنين الذين يعيشون وضعية الشيخوخة. وعلى المستوى العملي، يقدم هذا العلم للمختصين فيه مجموعة من آليات ومهارات

يرجع انبثاق سياسة الرعاية المجتمعية في المملكة المتحدة حاليا إلى ثلاث عوامل مهمة، والتي برزت خلال هيمنة إدارة المحافظين ابتداء من سنة 1979، وتجددت سنة 2010 مع تزايد "الإصلاحات المالية" في ظل كساد الاقتصاد العالمي. لقد كان إخضاع القطاع العمومي لمنطق التسويق في المقام الأول، واحدا من الركائز المحورية للسياسة الحكومية للمملكة المتحدة طوال سنوات 1980. على سبيل المثال، أنشأت الإصلاحات الحكومية المتعلقة بالتعليم وبالخدمات الصحية سوقا مماثلا ذو تفويض داخلي وأدوار مانحة من أجل تحفيز "شراء" و"بيع" الخدمات الداخلية (مينز وسميث 1997). في الوقت ذاته، ألزم التشريع الجديد للحكومة المركزية السلطات المحلية بالشروع في برنامج مرحلي يقضي بإخضاع كثير من خدماتها لمناقصة تنافسية إجبارية، وذلك مع إستراتيجية تحجيم دور السلطات المحلية و تحفيز القطاع الخاص بدلا من ذلك.

إن الإيمان بإمكانية توفير سوق التنافس و"اقتصاد الرفاهية المختلط" لخدمات أكثر جودة وأقل تكلفة مقارنة بالخدمات التي يوفرها القطاع العمومي المحمي والبيروقراطي، هي القيمة التي تدعم كل هذه المبادرات السياسية (مينز وسميث 1997). تقتضي هذه السياسة توجيه الاعتمادات المالية العمومية بشكل أساسي نحو القطاع المؤسساتي الخاص، مع التخلي عن قطاع الرعاية المنزلية[3] [Domiciliary sector] الذي يعاني دائما من قلة الموارد ويؤدي إلى ظهور "حافز مضاد"[4] [Perverse incentive] يقوض الالتزام بالرعاية المجتمعية. وفي ظل غياب الخدمات المجتمعية، ومع تزايد المنازل السكنية الخاصة، لم يغدو أمام الأشخاص المسنين، باعتبارهم "مستهلكين"، "خيارا" سوى اتخاذ القرار بشأن مؤسسة "القطاع السكني الخاص" التي يمكن أن يلجأوا إليها.

تم استخدام الرعاية المجتمعية كآلية لسوقنة [Marketisation] القطاع العمومي، مما استلزم تطبيق "ثقافة التعاقد" من أجل توفير الخدمات الاجتماعية الشخصية، وقد احتاجت الإدارات المسئولة عن هذه الخدمات إلى تطوير الإجراءات المتعلقة بتحديد الخدمات الموكول تقديمها لوكالات أخرى وتلك المتعلقة بتفويض ومراقبة هذه الأخيرة. وذلك باعتماد نظام خدمات يقوم على التقييم وتدبير الرعاية بما في ذلك الميزانيات المفوضة واللامركزية. (باول 2010).

بالرغم من الدور المركزي للمكلفين بتدبير الرعاية، لم تكن مسألة تنوع مجموعات المنتفعين ضمن القضايا السياسية التي ركّزوا عليها في إطار تنفيذ سياسة الرعاية المجتمعية. والأسوأ من ذلك هو سيرورة الثقة التي انتهكت بشكل فظيع في النموذج النظري للممارسة السياسية، مما يستلزم أسلوب جديدا لفهم الثقة من أجل المساهمة في توثيق الصلة بين المهنيين والمنتفعين بغية دعم ازدهار القيادة والتواصل، وإلا فإن نظام الرعاية المجتمعية المشتّت سوف يُمعِن في تقسيم

النهوض بصحة المسنين البيولوجية والسيكولوجية.

[3] وهي جميع أنواع الخدمات التي يحتاجها الزبون المنتفع من خدمة الرعاية داخل منزله، كالاغتسال، ارتداء الملابس، مواعيد الأدوية، الغسيل، التنظيف والتسوق.

[4] الحافز المضاد، أو الضار، هو الدافع الذي لديه تأثير معاكس للتأثير المتوقع. إنه نتيجة سلبية غير مقصودة.

العلاقات المبتورة بين المكلفين بالتدبير والمنتفعين في المملكة المتحدة. إن تدبير التنوع يستلزم فهما متنوعا للمستويات المختلفة للثقة.

03- الثقة في تدبير الرعاية: مقاربة من خلال الأشخاص المنتفعين

03-1- الأفراد، المنظمات، المجتمع والأنظمة

اهتمت نظريات الثقة بشكل رئيسي بخصائص التفاعل مع الآخر لدى الأفراد المشاركين. يعترض ستومكا (1999) على أصحاب النظريات الذين يرون أن أشكال الثقة المتبادلة بين الأشخاص تستند أساسا إلى المواجهات المباشرة، في حين أنهم يضعون جميع أشكال الثقة الأخرى في مرتبة ثانوية، والتي يتم وصفها مجتمعة بالثقة الاجتماعية. وبرفضه لأي تمايز بين الثقة التفاعلية والأشكال الاجتماعية للثقة، يرى أن التزايد المستمر للطبيعة التفاعلية للعلاقات داخل الأنظمة مُستمد من تجاربنا المتعلقة بالثقة في العلاقات المباشرة بين المكلفين بالرعاية والأشخاص المنتفعين. هناك ثغرات مشابهة لمسألة الاطمئنان للجانب التفاعلي للثقة عند جيدنز (1990) الذي يستخدم مفهوم "الأمن الأنطولوجي"، والذي يُعَدّ نتاجا لخبرات الطفولة المبكرة، وشرطا مسبقا لقدرة الأفراد على صياغة علاقات موثوقة. يترك هذا العنصر المحافظ أولئك الذين تعوزهم تجارب طفولة إيجابية عالقين في مستنقع التحليل النفسي من دون أي قدرة على بناء الثقة، أو جدارة الحصول عليها ضمنيا، كما أنه يفشل في توفير أي وسيلة للانتعاش أيضا. يلاحظ عدد من أصحاب النظريات(ديفيس 1999، جيدنز 1991، ميكانك 1998) الأشياء التي يتوقعها الناس من الخبراء أو المهنيين، رغم أن هذا المستوى التفاعلي يمنح المظهر الإنساني، أو "إعمال الوجه"،[5] لمزيد من أشكال الثقة غير الشخصية في نفس الوقت. وتشمل هذه التوقعات ما يلي: كفاءات خاصة، مجالات متخصصة من المعارف والمهارات، التجرد والنزاهة والوضوح. تحظى مهارات الاتصال والقدرة على تقديم المعلومات المعقدة بأهمية خاصة، بالإضافة إلى مسار توقعات الدور الذي يتطلب من الخبراء العمل بنزاهة وبشكل أخلاقي كوكلاء حقيقيون لزبنائهم، الأمر الذي يستلزم منهم وضع المعتقدات والمصالح الشخصية جانبا والعمل على تحقيق أقصى فائدة ممكنة من دون أي ضرر، مع خلق فضاءات متخصصة مدعومة بقواعد ائتمانية ناشئة عن: الوصاية والسلطة التقديرية على الممتلكات، إتاحة الفرصة وامتلاك الخبرة والولوج إلى المعلومات؛ يسمح هذا الأمر بتنظيم علاقة القوة - المعرفة بين الخبراء والأشخاص غير المتخصصين (شابيرو 1987، جيدنز 1991).

يتعلق المستوى الثاني للثقة بالبعد المجتمعي. هناك دليل على وجود ترابط إيجابي بين مستويات الثقة القائمة على التفاعل الشخصي وبين مستويات الرأسمال الاجتماعي (روثشتاين 2000، بوتنام 1993)، مما يؤدي جزئيا إلى المطالبة بالرفع من مستويات الحس المدني والمسئولية المجتمعية في الحياة اليومية. ومع ذلك، وبالرغم من أن أصحاب النظريات (ميستل 1996، بوتنام 1993، تايلور جوباي 1999، 2000، ,ستومكا 1999، روثشتاين 2000، دين 2003)

يساندون فكرة هيمنة المعايير والقيم الاجتماعية على النماذج العقلانية للسلوك الإنساني، فإنهم لا يقولون الكثير حول كيفية تأسيس هذه المعاير والقيم. يدعي روثشتاين ضعف الصلة بين الثقة القائمة على التفاعل الشخصي و بين الرأسمال الاجتماعي، وعلى غرار المقترحات المتعلقة باتجاه العلاقات المجتمعية المرتبطة بإدارة التنوع - يرتبط المكلفون بتدبير الرعاية بهذه العملية. ورفضا للتفسيرات الوظيفية التي تربط المعايير بالأشكال الراسخة للسلطة، يقترح روثشتاين نظرية "الذكريات الجماعية" التي تقيم المعايير الاجتماعية بوصفها عملية سياسية إستراتيجية داخل المجتمعات. يعتبر خلق شروط العلاقات المجتمعية المبنية على القيم والأهداف المشتركة العنصر الجوهري لكل من الكلفين بتدبير الرعاية والأشخاص المنتفعين داخل المجتمعات.

تتفصل المسألة الرئيسة الثالثة في علاقة الثقة بالسياق التنظيمي. يمكن أن يكون للتحديات التي تواجهها "مصداقية" تنظيمات معينة، بغض النظر عن كونها عمومية أو تنتمي إلى القطاع الثالث، آثارا وخيمة على مسألة الثقة داخل النظام. يعني التوالد المتزايد لمطالب التنظيم، والحصول على المعلومة والشفافية، تزايدا لمطالب الريبة [اللا يقين]. وتجسيدا لهذا الوضع، تحتل منظمات الرعاية المجتمعية مكانة مركزية، إذ تحتاج إلى تيسير الثقة من أجل أن تكون تفاعلاتها شفافة مع الأشخاص المنتفعين وتكون الثقة متاحة.

ركز المجال الرابع الكبير المهتم بنظريات الثقة على تراجع منسوب الثقة داخل نظامي الرعاية الاجتماعية والصحية اللذين تديرهما الدولة وكذا على المهن التي يتضمنانها (ديفيس 1999، فيليبسون 1998، ويلش وبرنغل 2001). وباعتبارها ثقة غير شخصية أو ثقة تنظيمية [ثقة في التنظيم] (جيدنز 1990، 1991، لوهمان 1979)، تمت صياغة وصيانة هذا الشكل من الثقة من خلال دمج الخبرة في الأنظمة التي لا تتطلب معرفة شخصية لأي فرد من قبل فرد آخر. تستخدم هذه الأنظمة مجموعة من تقنيات الشك، كعمليات التدقيق، وتحديد الهدف وعمليات التفتيش الخارجية (جلبرت 1998, 2005) التي يمكن أن تعزل الموظفين والأشخاص المنتفعين.

03- 2- انعكاسات الثقة على الرعاية المجتمعية

حسب مولرينغ (2001)، يعود جزء من تخبط مستويات الثقة المختلفة المرتبطة بالرعاية المجتمعية إلى الإخفاق الحاصل على مستوى التمييز بين الخصائص الوظيفية للثقة وبين دعائم بناءها. تتمثل الخصائص الوظيفية للثقة في مُخرجات، أي توقعات، قضايا مثل: النظام، التعاون، تقليص الالتباس والرأسمال الاجتماعي. بينما تتعلق دعائم بناء الثقة بطبيعتها أو أسسها، والتي تصبح ضائعة، وبالتالي غامضة، إذا افتُرض أنها دعائم عقلانية. إضافة إلى ذلك، يتخذ الأفراد قراراتهم بشأن تبعات فعل معين بناء على معرفة جزئية، أي مزيج من المعرفة الاستقرائية والإيمان. ويشير مولرينغ إلى أن عملية صنع القرار في بعض الظروف قد تدعمها الجوانب العلائقية التي تنتج عنها الثقة أو المعاملة بالمثل. ومع ذلك تجعلنا هذه المعرفة نقف على مقربة من الثقة، الأمر الذي يعتبر بمثابة ميزة مختلفة وفقا لسليجمان (1997). إلا أنه عطفا على نظرية

[5] "إعمال الوجه" هو التعريب المتداول لكلمة (Facework)، ويعني نسق السلوكات المنمطة ثقافيا واجتماعيا التي يستخدمها الفرد خلال تفاعله مع الآخرين من أجل الحفاظ على احترامه أمامهم وكذا من أجل حفظ احترامهم هم

مولرينغ، فإن الثقة هي مسألة علائقية ولا يمكن إدراكها بشكل معزول بالنسبة لـبراونلي وهاوسن (2005). تحصل الثقة عندما يقوم الأفراد باستخلاص العوامل المعلومة ورد العوامل المجهولة، أو تعليقها، تجنبا لتلبس قراراتهم باللا يقين.

تزعم جلسون (2003) من خلال تناولها الجانب العلائقي للثقة أن حيثيات العلاقة هي التي تخلق التحديات الرئيسية أمام ممارسات وخدمات الرعاية المجتمعية. كما أنها تقوم بمقارنة نظامي الرعاية الصحية بين كلّ من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة عبر ربطها بين الأنظمة والرأسمال الاجتماعي. وتخلُص جلسون إلى أن الثقة تتضمن كلّا من عنصري المعرفة والعاطفة، وذلك بناء على استنتاجها بأن القبول العام لعنصر الإيثار عند سكّان المملكة المتحدة في النظام الصحي للمملكة يتناقض بشكل صارخ مع اللا يقين [انعدام الثقة]، وهو ما يميز الرعاية الصحية في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يسود الاعتقاد بأن النظام مؤسس من أجل تحقيق أقصى استفادة ممكنة لصالح الوظائف الطبية.

يتعلق العنصر المعرفي بحسابات المخاطر، حيث تُحسب مغارم الفعل ومغانمه إلى جانب درجة الغموض المنبثقة من الاعتماد على أفعال الآخر ونواياه، بينما يرتبط العنصر العاطفي بتوليد الروابط والالتزامات العاطفية. يوفر الإيثار حالة خاصة من الثقة، إذ أن الوثوق والمصداقية يعززان الوضع الاجتماعي لأولئك الذين يشاركون في خلق وتعزيز علاقات الثقة بين المكلفين بتدبير الرعاية والأشخاص المنتفعين.

يُميز باحثون آخرون في مناقشاتهم بين الثقة والرجاء ستومكا (1990) وجلبرت (1985، 2005). يمثل الرجاء حالة عجز نسبية، وهي حالة يجسدها جلبرت عبر خلاصته بأن الثقة عبارة عن خطاب المهنيين والخبراء، في حين أن الرجاء هو خطاب المنتفع. ومن جانبه، يؤكد سليجمان على أن الثقة، كما هي في هذا النقاش، تقتصر على الحداثة. تقوم الثقة في المجتمعات التقليدية على أسس مختلفة تماما. والأكثر من ذلك، ومع اضمحلال المؤسسات التقليدية وتطور المعرفة العلمية، تفترض النظريات سوسيولوجية التي ترى في الحداثة تغيرا شاملا (راجع بيك 1992، جيدنز 1994) أن الثقة التي يصنعها الأفراد غدت، في كثير من الأحيان، أكثر فاعلية من تلك التي تصنعها الضمانات المؤسساتية. من أجل معالجة هذه التوترات، فإننا نقترح أطروحة الحكمانية لفوكو كوسيلة لتحديد كل من دور الثقة، وآليات استخدام الثقة ودور الخبرة المهنية. تنشر المؤسسات الاجتماعية، كمؤسسة الرعاية المجتمعية، أخلاقا معينة حول الذات بشأن الجوانب المميزة لحياة النزلاء اليومية. تعمل هذه الأخلاق ذات التطلعات مستقبلية، على تعزيز القدرات والقيم التي تحافظ على العلاقات القائمة على الثقة وأشكال الفعل، وذلك بدعم من الإطار الاستطرادي المعزز للعلاقات التعاونية بين الناس والمجتمعات والمنظمات. وخلال عملية بناء العلاقات التعاونية، يتم تأسيس دور المهنيين والسلطة المهنية. يعالج المحور الموالي الإمكانيات المفاهيمية للتعبير عن الثقة والحكمانية.

3-03- ارتباط تدبير الرعاية بالثقة والحكمانية

أيضا، بعبارة أخرى، هي عملية حفظ ماء الوجه.

هناك توترات مفاهيمية بين التصورات الحديثة المتأخرة [العليا] والتصورات ما بعد بنيوية حول المجتمع، بل حتى أن هناك أيضا فرضيات نظرية مثيرة للاهتمام. يبين كل من هذين التصوريين تفكك الأشكال التقليدية للسلطة والخبرة، ويُقران بتزايد الالتباس الناتج عن ذلك عبر تعدد مصادر المعلومة وخيارات نمط الحياة المختلفة. ترى التصورات الحديثة المتأخرة [العليا]، المشار إليها حول الثقة، أن الغموض والخطر هما بمثابة أساسين مستلزمين للثقة، كما تشير إلى دلالة فشل نظريات الخيار العقلاني على وجود ثقة اجتماعية. على غرار ذلك يناقش أصحاب نظريات الحكمانية الخطر والغموض بشكل مستفيض (روز 1996، 1999، أزبرن 1997، بترسن 1997)، غير أنهم يتركون مناقشة مسألة [اجتماعية] "الثقة" لرؤية مفادها أن المحاسبة قد استُبدلت بالثقة الموضوعة بشكل تقليدي في رموز السُّلطة (روز 1999). في الواقع، بقيت مسألة خلق علاقات تعاونية بين الأفراد أو داخل المجموعات والمجتمعات، سواء في الحاضر أو في المستقبل، معضلة من دون حل. ومنه، يمنحنا ملخص عمل فوكو حول الدولة انطلاقة مفيدة لهذه المناقشة:

> "إنها المناورات الحكومية التي تتيح تعريف وإعادة تعريف ما يندرج وما لا يندرج ضمن صلاحية الدولة بشكل مستمر، القطاع العمومي مقابل القطاع الخاص، وهكذا؛ فبناء على المناورات العامة للحكمانية فقط، يمكن أن تُفهم الدولة في استمرارها وحدودها". (فوكو 1979: 21)

نزعم أن لـ"أطروحة الحكمانية" قدرة على تجاوز كثير من الإشكاليات التي تعاني منها نظرية الثقة؛ وفق بعض المؤلفين مثل: روز وميلر (1992)، برشيل (1991)، روز (1996، 1999)، أزبرن (1997)، بترسن (1997). حيث أنها توفر وسائلا لتبسيط النقاش النقدي حول الثقة. إنها تربط المناقشات المتعلقة بأسس الثقة: أي الشروط التي يعتبرها مولريغ (2001) ضرورية لتحقيق الثقة، مع النقاشات التي تركز على نتائج الثقة، كالرأسمال الاجتماعي، والأنظمة أو الثقة غير الشخصية والثقة التفاعلية (بوتنام 1993، سليجمان 1997، لوهمان 1979، جيدنز 1990، ستومكا 1999، روثشتاين 2000).

بالإضافة إلى ذلك، توفر الحكمانية وسائل تحديد الآليات المرتبطة بنشر عقلانيات خاصة عبر النسيج الاجتماعي. لاسيما التفاعل الحاصل بين الدولة والسكان الذي يمأسس الخبرة باعتبارها قناة لممارسة السلطة في المجتمعات المعاصرة (جونسون 2001). تعمل مأسسة الخبرة على تثبيت مجموعة من المجالات المتخصصة، سواء المخفية أو المرئية، التي تمنح فرصا عبر المشهد الاجتماعي لثلة من المكلفين بتدبير الرعاية. يحث الخبراء المهتمون بالأفراد على التكوين الذاتي والوكالة الفردية[6] [Individual agency]، فينتجون ذاك المواطن- ذاتي التدبير الذي يعد عنصرا مركزيا بالنسبة لأنماط الحكم النيوليبرالية، أي "فاعلين ذوي جرأة" أو ما يسميه برشيل (1991: 276) "التّمسؤل [أو سيرورة التقيُّد بالمسئولية][Responsibilisation]". نحصل

[6] يوصف بها الأفراد حينما يعملون كأعضاء فرادى في المجتمع، أي عندما يتصرفون أصالة عن أنفسهم، وليس نيابة عن شخص آخر (مسئول) أو عن حركة اجتماعية.

بهذا على تفسير للثقة لا يستند إلى حجة وظيفية أو مقاربة حتمية متشددة تقتصر على الفعل الطبقي أو الفاعل المانح للمعنى. أضف إلى ذلك أن الحكمانية يمكنها أن تستظهر على شرط ستومكا (1999) القاضي بعدم قدرة الثقة على الصمود أمام ظروف التغير المتقطع. في الواقع، وفي سياق التغير المتقطع، تكتسي بعض العقلانيات المعينة والتقنيات المرتبطة طابعا سياسيا، مما يؤدي إلى تزايد الصراع في العلاقة بين الدولة والخبرة، وهو ما يجعل من الثقة سلعة ثمينة أكثر من أي وقت مضى.

يرى كل من روز وميلر(1992: 175) أنه يجب علينا فحص "العقلانيات السياسية" للحكومة وكذا تقنياتها عند تحليل أنشطتها - " تسعى السلطات إلى تجسيد وتفعيل الطموحات الحكومية عبر توسط مجموعة مركبة من البرامج الاعتيادية، والحسابات، والتقنيات، والأجهزة، والوثائق والإجراءات". وفي هذا الإطار، تشتغل هذه العقلانيات كخطابات وممارسات اجتماعية مجسدة لأخلاق عملية محددة، حيث تعمل على إنتاج المعايير، والقيم والالتزامات المرتبطة بالثقة. كما أنها تعمل على إنتاج موقف موضوعي يثمّن المصداقية باعتبار أنها خاصية شخصية وخاصية يسعى الآخرون إليها في الآن ذاته. يبرز كل من خبراء/مهنيي الخدمات الصحية والمنتفع بها/المستهلك لها في إطار الحكم النيوليبرالي، كفاعلين أخلاقيين ذاتيي التدبير (ميلر 1993، ديفيدسن 1994، روز 1999).

يُظهر أحد تحليلات مُنظِّري الحكمانية المهتمة بالأنظمة النيوليبرالية تشبّع الأفراد بالقيم والأهداف، وكذا تَوجُّههم نحو إدراج الناس كلاعبين وشركاء في الأنظمة المسوَّقة [الخاضعة لنظام التسويق النيوليبرالي] بما في ذلك نظامي الرعاية الصحية والاجتماعية. تتضافر المشاركة في الأسواق بجانب القدرة على الاختيار اللامحدود بشكل وثيق مع توتر خلّاق، نقص أخلاقي، حيث تنتج الرغبة الخاصة [الأنانية] والالتزام العام [الإيثار] الفاعل العقلاني ذاتي التدبير الخاص بالحكم النيوليبرالي. وذلك في إطار علاقة جدلية تعمل على تشكيل هوية فردية من خلال ممارسة مواطنة استهلاكية حديثة (ميلر 1993). تعمل مثل هذه الأنظمة على حثّ الأفراد؛ حيث تتوقع منهم طبعا أن يصبحوا مقاولين في جميع المجالات، وأن يتحملوا مسؤولية تدبير "الخطر". تهتم الحكومة بتدبير سلوك السلوك، وكذا بالعمليات التي "يحكم" الناس أنفسهم من خلالها، والتي تتضمن التزاما بتدبير صحة المرء (بترسن 1997).

يُرجع أصحاب نظريات الحداثة مثل بوتنام (1993)، ستومكا (1999) روثشتاين (2000) نشأة الثقة بشكل طبيعي إلى تفاعلات الأفراد داخل المجموعات والمجتمعات. صحيح أن تزايد مستويات التفاعل الاجتماعي من أجل تحقيق نتيجة إيجابية على المستويين الاجتماعي والفردي للثقة فكرة ذات جاذبية محمودة، إلا أنها لا تخبرنا الكثير حول كيفية أو سبب ارتباط هذه المعايير والقيم والالتزامات بالثقة الموجودة في المقام الأول. في المقابل، ترى تحليلات الحكمانية أن هذه الخطابات والممارسات الاجتماعية هي نتيجة لشيء أكثر تنظيما. لا يعني التنظيم هنا التصميم والتدبير، ولكنه يعني أنها نتيجة لما يصفه فوكو بالإستراتيجية: مجموعات من الخطابات والممارسات المترابطة بشكل رخو، والتي تتبع مسارا فضفاضا من دون توافق ضروري بين العناصر المختلفة (دريفوس ورابيناو 1982).

يعد تعزيز العلاقات التعاونية بين مختلف البرامج والتكنولوجيات واحدا من الأساليب التي تعتمدها إستراتيجية الحكومة بشكل مطرد حينما تواجه تحدي تدبير المجموعات البشرية خلال السياقات الاجتماعية المعقدة بشكل زائد. يعمل هذا الأمر على تعزيز وتأسيس وكذا صيانة أخلاق التعاون والمصداقية التي تنتج موضوع الثقة باعتبارها نسخة من موضوع منضبط، مرن ومقدر اجتماعيا. يمكن إيجاد حجة ذلك في مجموعة من المبادرات السياسية المستندة إلى الخطابات المجتمعاتية التي تعمّمها الحكومة الوطنية والمحلية، والتي تتضمن مصفوفة لا نهائية من آليات تعزيز الشراكات والمواطنة النشطة. مثال ذلك مبادرة الاهتمام بمقدمي الرعاية (وزارة الصحة 1999)، ومبادرة اختيار الصحة (وزارة الصحة 2004)، ومبادرة الاستقلال والرفاهية والاختيار (وزارة الصحة 2005). تركز الوسائل المستهدِفة للمجتمعات والأحياء، عبر المبادرات المُعزِّزة للأنشطة المجتمعية، غالبا على المجموعات المحلية المتنوعة المستقلة والتي تتمتع بالحكم الذاتي. في حين أنه في المناطق التي فشلت فيها العلاقات التعاونية، والتي تستدعي إصلاحا، يكون استخدام الخطابات التحررية أمرا جليا فيها، مما يحرض "الأشخاص المتضررين" على اعتماد التدبير الذاتي (روز 1996). تشمل مبادرات مثل: مناطق العمل الصحي، مشاريع تنمية المجتمع وأنشطة الصحة العمومية، مجموعة من الخبراء والمتطوعين غير الرسميين الذين يشجعون الأفراد على تحمل المسؤولية من أجل صحتهم وكذا على المشاركة في أنشطة التكوين الذاتي، والرعاية الذاتية والمساعدة الذاتية (روز 1999).

إلى جانب تطوير العلاقات التعاونية، يعيد الحكم النيوليبرالي تدريجيا مَوقَعة الدولة باعتبارها الجهة المتعهدة بالتنسيق بين الفعاليات أكثر من كونها جهة مانحة [راجع تحديث مبادرة الخدمات الاجتماعية (وزارة الصحة 1998)، مبادرة كل طفل لديه أهمية (وزارة الصحة 2003)، مبادرة اختيار الصحة (وزارة الصحة 2004) ومبادرة الاستقلال والرفاهية والاختيار (وزارة الصحة 2005)]، كما أنه يدفع المجتمعات شيئا فشيئا إلى توفير الرفاهية وتدبير المشكلات الاجتماعية (كلارك ونيومان 1997، روز 1996، 1999). تحل العقلانيات الجديدة للمنافسة والتعاون، عقلانيات المشاركة وذات النزعة الاستهلاكية، المتناقضة غالبا، محل الأشكال السابقة للتوفير العمومي. ومع ذلك، فإن هذه العقلانيات المتناقضة تضمن عبر النشاط المهني أو غير الرسمي قدرا من التماسك الكافي المتعلق بتوفير أساس لتدخل الدولة.

تعتبر العلاقة المُعاد هيكلتها بين القطاع الصحي الخاص ومصلحة الصحة الوطنية البريطانية [NHS] (وزارة الصحة 2002، لويس وجيلام 2003) مثالا على ذلك. حيث أنه إلى عهد قريب، نأى القطاع الصحي الخاص بنفسه جانبا عن مصلحة الصحة الوطنية بحجة الجودة والاختيار، في الوقت الذي رفض فيه أولئك المتمسكون بخدمة الصحة العمومية قيم القطاع الخاص. أما حاليا، فقد طمست مجموعة من المبادرات السياسية من قبيل: استخدام المرافق الجراحية للقطاع الخاص، إمكانية الحصول على علاجات معينة في المرفق المختار من قبل المريض (وزارة الصحة 2003) وكذا مبادرات التمويل الخاصة [PFIs] الحدود بين قطاعي الصحة العام والخاص. يتم تخصيص أقسام كبيرة من القطاع الخاص كقدرات احتياطية لمصلحة الصحة الوطنية من أجل التوسع والتعاقد إذا اقتضى الأمر تفاديا لعواقب إغلاق المستشفيات

العمومية السياسية. فضلا عن ذلك، يُحوِّل استخدام الرأسمال الخاص الالتزامات المالية من الحاضر إلى المستقبل، بينما يرفع في نفس الوقت مسؤولية الدولة عن صيانة وتجديد المستشفيات وغيرها من المرافق والمعدات الصحية.

تشير مثل هذه التطورات إلى إعادة صياغة البنية الاستطرادية لمنظمات القطاع الخاص، والتطوعي والنظامي المرتبطة بعمليات الاستعمار والإيواء حسب وصف كلارك ونيومان (1997). حيث تدلّ مثل هذه الحركات، الموازية لتدخلات الدولة المستهدفة لإثارة العلاقات التعاونية الموثوقة، على الطريقة التي يمكن أن تجعل المؤسسات الكبرى في المجتمع بمثابة مستودعات للثقة، الأمر الذي يقدم نموذج وتجربة الوثوق ويبني أيضا قدرة العلاقات الموثوقة عبر النسيج الاجتماعي. ومع ذلك، فإننا نحتاج إلى تحديد التفاعل الديناميكي بين الدولة ووسائل التدخل المتاحة لها، خلافا للتصورات الوظيفية التي تعتبر المؤسسات الاجتماعية كمستودعات للثقة (ميتسل 1996).

اقترنت التحديات التي واجهتها الدولة على مدار الخمسة وعشرين سنة المنصرمة أو أزيد، كارتفاع التكاليف الصحية للأشخاص المسنين (روز 1999، وزارة الصحة 2005)، بتغير اجتماعي سريع. كان انقسام تدبير منظمة الرعاية، بعد أن كانت منظمة حكومية موحدة، بين الدولة في ما يتعلق بالتنسيق والتمويل وبين آليات السوق كالتفويض والمناقصات التنافسية، واحدا من الانعكاسات الناجمة عن ذلك (كلارك ونيومان 1997، لويس وجيلام 2003). أضف إلى ذلك تسييس ما هو تقني، أي الخبرة المهنية (جونسون 2001)، حيث تتنافس أشكال الخبرة المتنوعة على الهيمنة. في ظل هذه الظروف، تصطبغ الثقة بالسياسة أيضا (جلبرت 1998)، فتصبح بذلك سلعة أساسية للتبادل (داسجوبتا 1988). وفي إطار الترافع عن أشكال جديدة من الحكامة وصنع المفارقة، يقابل استقلالية المنظمات والمهنيين المنبثقة عن التدبير المباشر للدولة أشكالا جد معقدة من المراقبة والتحكم (روز 1999، جلبرت 2001).

رافقت هذه السيرورة مزاعم حول تراجع سلطة المجالات المهنية منذ سنوات الثمانينات. حيث تظهر الانطباعات العمومية حول إخفاقات التنظيم المهني الذاتي على أنها مصلحة مؤسساتية ذاتية (ديفيس 2000)، وذلك بالتوازي مع القوة المتزايدة، أو مقاومة، للأشخاص المنتفعين من الخدمات الصحية وكذا مستهلكي الرعاية من أجل ضبط النشاط المهني. تعمل أساليب تدبيرانية، كالعقود والمطالبات بشفافية التبادلات، على توحيد الخطابات التدبيرية القائمة على اعتبارات المنتفع بشكل غير منسجم (روز 1999، شو 2001، ستيورت وويسنيافسكي 2004، مكايفور وآخرون 2002)، مما يحبط الصوت الراديكالي لحركات الأشخاص المنتفعين (كلارك ونيومن 1997). إلى جانب ذلك، يزيد الولوج الهائل إلى المعلومة الوضع تعقيدا، لاسيما عبر الإنترنت. في الواقع، أدت وفرة المعلومات المتخصصة إلى تغير العلاقة بين المهنيين والعموم، وإلى تحدي السلطة المهنية من جديد، بعد أن كانت المعلومات في السابق الامتياز الوحيد للمجالات المهنية (هاردي 2005).

بالنسبة لــروز وميلر: "هناك ارتباط جوهري بين الحكمانية وأنشطة الخبرة، فهي لا تأخذ مسألة "الرقابة الاجتماعية" على عاتقها، بل تعمل على شرعنة مساعي متنوعة لتوجيه مختلف حيثيات

السلوك بشكل مدروس من خلال مناورات تعليمية داخلية متعددة ومتعارضة في الغالب، وكذا من خلال الإقناع، والحث، والتدبير، والتحريض، والتحفيز والتشجيع" (روز وميلر 1992: 175). تعمل كل من شبكة النشاط والمجالات المتخصصة المتعلقة بالخبرة على تشييد السلطة المهنية، وعلى اختزال مختلف مستويات الثقة - التفاعل بين الأشخاص، الأنظمة والرأسمال الاجتماعي- في عمل الخبراء. انتشرت الخبرة بشكل واسع داخل القطاع الثالث، وذلك بمجرد اعتماد تجزيء الخبرة داخل المؤسسات الواقعة تحت التدبير المباشر للدولة، مما أدى إلى إعادة بلورة الخطابات التي تدعم النشاط المهني والوثوق في الخبرة.

يلاحظ أن المهن التدبيرية للرعاية قد حافظت نسبيا على سلامتها رغم الصراعات التي شهدتها فترة الثمانينات، مما يقضي بأن مسألة تراجع سلطة وقوة وشعبية هذه المهن هي استنتاج مبالغ فيه. يرجع أحد العوامل الرئيسية لذلك إلى أن بعض المهام والأنشطة تستلزم كفاءة مهنية، خاصة في الظروف التي لا يمكن أن تُحدّد فيها النتيجة بشكل مسبق (كلارك ونيومن 1997). تطفو على السطح مجددا المفارقة بين الاستقلالية وتزايد القواعد التنظيمية في ما يخص علاقة الدولة بالنشاط المهني. عودا إلى اقتباس فوكو المورود سابقا، يتمثل ما حدث في هذه الفترة في إعادة صياغة أهداف الحكومة وكذا إعادة هيكلة مجال الصلاحيات المهنية ومجال السلطة (جونسون 2001). يعد تنظيم الخبرات وضبطها عبر عمليات التدقيق والتعاقدات من أساليب الانضباط التي أدت إلى تحديث الصعوبات المتعلقة بإدارة النشاط المهني. وذلك اقترانا بإعادة صياغة الخطاب المهني الذي يجسد نشاط الخبرة، ويجعلها قابلة للتدبير (روز 1999) وقادرة على مراقبة النشاط المهني عبر بيئة أصبحت تتجاوز مؤسسات ومباني قانون الفقراء. في الوقت ذاته، تعتبر السياسيات العمومية، مثل مبادرة اختيار الصحة (وزارة الصحة 2004) ومبادرة الاستقلال والرفاهية والاختيار (وزارة الصحة 2005)، استهلاكية على نحو فاحش، وهو ما يجسّد التحولات التي عرفتها طريقة تدبير الرعاية المجتمعية.

تتجلى المفارقة الجوهرية لهذه السيرورة في أن الثقة في الاستقلالية المهنية أصبحت مرتبطة بشكل شبه حصري بتدبير الخطر، وهو ما أملته الحاجة إلى خبراء تدبير الوضعيات المعقدة وغير القابلة للتوقع (روز 1996، 1999، كيمشال 2002). وهكذا تغدو كفاءة تدبير المخاطر هي الأساس المركزي الذي يحافظ على الوضع المهني لموظفي الرعاية الصحية والاجتماعية. قد يؤدي الفشل في هذا الصدد إلى إجراء اختبارات كفاءة علنية للأفراد المهنيين، خاصة حينما يكون هناك تهديد بحدوث أزمة على مستوى الشرعية. على الرغم من ثبوت فشل هذا النظام، تشمل قائمة المهنيين الذين يواجهون شكلا من أشكال التضحية الرمزية والإذلال العلني أمثلة حديثة مثل الدكتورة ماريبتا هيجس [تحقيق في إساءة معاملة الأطفال في كليفلاند]، ليزا ارثروراي [الأخصائية الاجتماعية في فيكتوريا كليمبي] (جيمس 2005) والبروفيسور السير روي ميدوز [خبير شاهد على حالات وفاة الأطفال (لافيل 2005)].

تكشف كذلك الصعوبات التي تفرضها أشكال الخبرة الجديدة، أو اللا عرفية، على الخبرة التقليدية والمؤسساتية عن هذه السيرورة المتعلقة بإعادة هيكلة أهداف الحكومة وصلاحية المهنيين. أدت بعض المشكلات على نحو دائم إلى إحباط أشكال الخبرة التقليدية في مجالي الرعاية الصحية

والاجتماعية، في الوقت الذي يمكن فيه الاستعانة بأساليب بديلة عن طريق أنشطة التعاقد الواسعة الانتشار. تُظهر جودة الحكمانية الديناميكية مرة أخرى سيرورات الاستعمار والإيواء. يستكشف لي- تريويك (2002) هذه السيرورة في سياق العلاج التكميلي، وعلاج عظام القحفية، عبر وصف الكيفية التي يستجيب بها الطب التقليدي لعناصر الممارسة التكميلية شريطة قبول الأسلوب البديل لمجموعة من الطقوس خاصة وكذا لأولوية التراتبية الطبية الحالية. استلزمت الحاجة إلى تدبير الحالات المزمنة، كآلام الهيكل العظمي والعضلي، وهي المجالات التي لم ينجح الطب التقليدي في توفير علاج موثوق لها، شكلا جديدا من الخبرة من أجل مأسسة نفسها في إطار الدولة. في هذا الفضاء المتخصص، تُؤمِّن الثقة التنافس من أجل السيطرة على الخطر بالنسبة لهذا النوع من الخبرة وجعل ذلك في صالحها.

04- خـــلاصـــة

استعرض المقال بين أيدينا بروز سياسة الرعاية المجتمعية وإدماجها في المملكة المتحدة، إضافة إلى التأثير الذي أحدثته على مستوى العلاقات بين المكلفين بتدبير الرعاية ومجموعات المنتفعين. كانت "الثقة" إحدى المشكلات الرئيسية التي صعّبت على المكلفين بتدبير الرعاية مهامهم الإدارية وعلاقاتهم مع الأشخاص المسنين في المملكة المتحدة. رأينا سابقا أن هناك طرقا متعددة لتعريف الثقة، غير أن المفارقة الرئيسية تكمن في كيفية خلق شروط بناء شروط الثقة عبر المستويات البنيوية ـــــ التنظيمية والشخصية في عالم يزداد التباسا. قدّمت هذه الورقة تقييما لسياسة الرعاية المجتمعية، كما أنها قاربت الأساليب التي يمكن أن تسعف الثقة في صناعة روابط وعلاقات أكثر قوة بين المكلفين بتدبير الرعاية ومجموعات المنتفعين من قبيل الأشخاص المسنين في المملكة المتحدة. ولعل هذا الأمر بمثابة تحدّ مفاهيمي وتجريبي هائل. إن ما يترتب عن هذا هو اندماج الخطابات الاستهلاكية، والتقليدية، البديلة والتكميلية المتسقة مع خطابات التعاون، والشراكة والثقة في الرعاية الصحية والاجتماعية، مما يوفر جدولا من الفضاءات الخاصة بإدماج خبرات متنوعة ومتعددة بشكل غير مسبوق. يحدد الخبراء الخطر بموازاة مع وضع السكان تحت مراقبة عامة في مستوى أول، كما أنهم يعملون في إطار أنظمة مشروعة من خلال عدد هائل من آليات اللا يقين في مستوى ثان، بينما يعملون بتزامن مع ذلك على تعزيز أخلاقيات عامة حول الثقة عند الأفراد في مستوى آخر. وهكذا، تُنشأ آليات تشييد سلطة الخبرة المعاصرة. يرتبط تدبير التنوع ارتباطا وثيقا بالثقة، حيث يغدو المنتفعون من الرعاية الصحية والاجتماعية في سياق ديناميكي بسبب كثافة الثقة المميّزة لعمل المكلفين بتدبير الرعاية. إن سياسة الرعاية المجتمعية تعيد باستمرار تحديد الأنماط السابقة للعلاقات الاجتماعية بين وكالات الصحة ووكالات الرعاية الاجتماعية من جهة، وبين هذه الوكالات وعملائها من جهة أخرى. قام جلبرت وآخرون (2003) بتحدد المهنيين الذين يستجيبون للضغوطات السياسية داخل وكالات الرعاية الصحية والاجتماعية من خلال تدبير توقعات [ثقة] مختلف الأفراد والمجموعات الذين قد تتضارب مصالحهم، مثل المنتفعين الأفراد والآباء- مقدمو الرعاية والمجتمع المحلي. انخرط هؤلاء الخبراء في عملية تغيير وتوحيد تدبير الصراع مع تعزيز الأهداف التنظيمية والسياسية المتعلقة بالرعاية المجتمعية. ومن هنا تعتبر هذه السيرورة ضرورية من أجل مزيد من

المحاولات المتواصلة لإدراك الطرق التي يمكن أن يقع عبرها التفاهم والإنصات والاحترام بين المنتفعين والمكلفين بتدبير الرعاية.

قائمة المراجع:

1. Age Concern England (1997). Age Matters: report on a national Gallup survey, ACE, London.
2. Allen C. (et al.) (1994). Social Care in a Mixed Economy, Open University Press, Milton Keynes.
3. Allen I. (et al.) (1992). Elderly People: Choice, Participation and Satisfaction, Policy Studies Institute, (PSI).
4. Audit Commission (1986). Making a Reality of Community Care, PSI, London.
5. Audit Commission (1996). Balancing the Care Equation: Progress with Community Care, HMSO, London.
6. Biggs S. (1993). Understanding Ageing, OUP, Milton Keynes.
7. Biggs S., Powell J., Journal of Contemporary Health 4(1) (2000) 41-49.
8. Bond J., Coleman P. (1990). Ageing in Society, Sage, London.
9. Bone M. (1996). Trends in Dependency Among Older People in England, OPCS, London.
10. Bornat J. (Eds.) (et al.) (1993). Community Care: A Reader, OUP, Milton Keynes.
11. Bornat J. (Ed.) (1994). Reminiscence Reviewed, OUP, Milton Keynes.
12. Bowl R. (1986). 'Social work with old people' in Phillipson, C and Walker, A (1986) Ageing and Social Policy, Gower, London.
13. Chau W. F., Accounting Organisations and Society 20(2) (1995) 111-145.
14. Clarke J. (1994). 'Capturing the Customer: Consumerism and Social Welfare', paper to ESRC seminar Conceptualising Consumption Issues, Dec.1994, University of Lancaster.
15. Deakin N., Social Policy and Administration 30(1) (1996) 20-38.

16. Department of Health (1989). Caring for People: Community Care in the Next Decade and Beyond, Cm849, HMSO, London.

17. DoH (1991). Caring for People: Implementation Documents, Draft Guidance: Assessment and Care Management, HMSO, London.

18. DoH (1994). Community Care Packages for Older People, HMSO, London.

19. Du Gay P. (1996). Consumption and Identity, Sage, London.

20. Fennell G. (et al.) (1988). Sociology of Age, OUP, Buckingham.

21. Finch J. (1986). 'Age' in Burgess, R (Ed.) Key Variables in Social Investigation, RKP, London.

22. Flynn R. (1992). Structures of Control in Health Management, Routledge, London.

23. Fowler N. (1984). 'Speech to Joint Social Services Annual Conference', 27/9/84, DHSS, London.

24. Gabe J. (1991). The Sociology of the Health Service, Routledge, London.

25. Griffiths Sir R. (1988). Community Care: Agenda for Action, HMSO, London.

26. Henwood M. (1990). Community Care and Elderly People, Policy, Practice and Research Review, Family Policy Studies Centre.

27. Henwood M. (1995). Making a Difference?, Nuffield Institute for Health/Kings Fund Centre, London.

28. Hills J. (1993). The Future of Welfare: a guide to the debate, Joseph Rowntree Foundation, York.

29. Hockey J., James A. (1993). Growing Up and Growing Old: Ageing and Dependency in the Life Course, Sage, London.

30. Hospital Advisory Service (1982). The Rising Tide: Developing Services for Mental Illness and Old Age, HMSO, London.

31. Hughes B. (1995). Older People and Community Care: Critical Theory and Practice, OUP, Milton Keynes.

32. Kiernan K., Wicks M. (1990). Family Change and Future Policy, Joseph Rowntree Memorial Trust, York.

33. Levick P., Critical Social Policy 34 (1992) 76-81.

34. Lewis J., Glennerster H. (1996). Implementing The New Community Care, OUP, Milton Keynes.

35. Meredith B. (1994). The Next Steps: Lessons for the future of community care, ACE, London.

36. Phillipson C. (1982). Capitalism and the Construction of Old Age, Macmillan, London.

37. Phillipson C. (1988). 'Challenging Dependency: Towards a new Social Work with Older People' in Langan, M and Lee, P (Eds.) (1988). Radical Social Work Today, Unwin Hyman.

38. Phillipson C., Walker A. (Eds.) (1986). Ageing and Social Policy: A Critical Assessment, Gower, Aldershot.

39. Qureshi H., Walker A. (1989). The Caring Relationship, Macmillan, London.

40. Seebohm Committee (1968). Report of the Committee on Local Authority and Allied Personal Social Services, Cmnd 3703, HMSO, London.

41. Smart B. (1985). Michel Foucault, Routledge, London.

42. Vincent J. (1996). Inequality and Old Age, University College London Press, London.

43. Walker A. (1985). The Care Gap, Local Government Information Service, London.

44. Walker A. (1993). 'Community Care Policy: From Consensus to Conflict' in Bornat, J (et al.) (Eds.) Community Care: A Reader, O.U.P.

45. Walsh K. (1995). Public Services and Market Mechanisms, Macmillan, London.

46. Wardhaugh J. ,Wilding P., Critical Social Policy 37 (1993) 4-31.

47. Arnes A. (Ed.) (1996). Human Ageing and Later Life, Edward Arnold, London.

48. Webb A., Wistow G. (1987). Social Work, Social Care and Social planning: The Personal Social Services Since Seebohm, Longman, London.

49. Williams F. (1994). Social Policy: A Critical Introduction, 2nd Edition, Blackwell, Oxford.

مــلحــقـــات

صورة للرسالة الإلكترونية المبعوثة إلى البروفيسور Powell Jason بخصوص طلب الإذن لترجمة ونشر مقاله

Request permission to translate an article Inbox



ilyass elmorabit 13 Jan
to jasonpwll3

From ilyass elmorabit • ilyass.elmorabit@gmail.com
To jasonpwll3@gmail.com
Date 13 Jan 2021, 12:44
See security details

I am Ilyass El Morabit, from Morocco, and I am a PhD research student in the sociology department. I am so interested in "trust" as a sociological topic.

Related to that, I have seen your article abstract on the net, Mr. Powell, titled "A sociology of trust" (International Letters of Social and Humanistic Sciences, 27, 144-155. http://hdl.handle.net/10034/552914). I believe that this work could help me with my research. For this purpose, I would like you to grant me permission to translate your aforementioned joint article into Arabic. In accordance with applicable laws.

N.B: I currently have a digital copy of your article that I downloaded from the Internet.

Yours sincerely

صورة لرسالة الرد الإلكترونية من قبل البروفيسور Powell Jason والتي جاء فيها قبوله بترخيص ترجمة ونشر مقاله



Jason Powell 16 Jan
to me

From Jason Powell • jasonpwll3@gmail.com
To ilyass elmorabit • ilyass.elmorabit@gmail.com
Date 16 Jan 2021, 20:05
Standard encryption (TLS).
See security details

Dear Ilyass,

Good to hear from you.

Yes, feel free to translate into Arabic for your use. More than happy to help.

Kindest regards,

Jason

Intelligence territoriale de la ville : Conceptions, mouvements, performances et initiatives

Prof. Dr. OUAZIZ ALI*

Institut Universitaire des Etudes Africaines, Euro-Méditerranéennes et Ibéro Américaines de Rabat, Université Mohammed V de Rabat, Maroc

Membre du Laboratoire d'Analyse des Systèmes, Traitement de l'Information et du Management Industriel (LASTIMI), Université Mohammed V de Rabat, Maroc

Résumé : Notre recherche a été établie dans l'objectif est d'apprécier l'aspect sélectionné des concepts des villes intelligentes qui sont devenues un besoin de la société moderne. Alors que l'expression "ville intelligente" est de plus en plus répandue, il existe toujours une confusion sur ce qu'est une ville intelligente, d'autant que plusieurs termes similaires sont souvent utilisés interchangeables.La ville intelligente est apparue comme une solution pour relever les défis liés à la croissance exponentielle de l'urbanisation et de la population. Cet article vise à clarifier la signification du mot "intelligent" dans le contexte des villes par le biais d'une approche basée sur une étude de cas. Dans le contexte des villes par une approche basée sur une revue approfondie de la littérature études pertinente ainsi que des documents officiaux d'institutions internationales. Nos propres expériences et la communication avec les élus et les cadres responsables du développement de la ville marocaine ont abouti à des définitions, décrivant à la fois les concepts et chacune des couches du système, qui sont présentées, il identifie également les principaux dimensions et éléments caractérisant une ville intelligente. Les différentes métriques de l'intelligence urbaine sont passées en revue pour montrer la nécessité d'une définition partagée

de ce qui constitue une ville intelligente, quelles sont ses caractéristiques, et comment elle se comporte par rapport aux villes traditionnelles.

Mots-clés : Intelligence territoriale, Ville intelligente, mouvements, performance, pratiques

الذكاء الترابي للمدينة: المفاهيم والحركية والأداء والمبادرات

أ.د.وعزيزعالي*

المعهد الجامعي للدراسات الإفريقية والأورو متوسطية والإيبيرو أمريكية بالرباط، جامعة محمد الخامس بالرباط-المغرب

ملخص: تأسس بحثنا بهدف تقدير الجانب المختار من مفاهيم المدن الذكية التي أصبحت حاجة للمجتمع الحديث. مع ازدياد شعبية مصطلح 'المدينة الذكية'، لا يزال هناك ارتباك حول ماهية المدينة الذكية، خاصة وأن العديد من المصطلحات المماثلة تُستخدم غالبًا بالتبادل. برزت المدينة الذكية كحل لمواجهة التحديات المرتبطة بالنمو المتسارع للتوسع الحضري والسكان. تهدف هذه المقالة إلى توضيح معنى كلمة 'ذكي' في سياق المدن من خلال نهج دراسة الحالة وفي سياق المدن من خلال نهج قائم على مراجعة متعمقة للدراسات الأدبية ذات الصلة وكذلك الوثائق الرسمية للمؤسسات الدولية. أسفرت خبراتنا وتواصلنا مع المسؤولين المنتخبين والمسؤولين التنفيذيين المسؤولين عن تطوير المدينة المغربية عن تعريفات تصف المفاهيم وكل طبقات النظام التي يتم تقديمها، كما تحدد الأبعاد والعناصر الرئيسية التي تميز مدينة ذكية. تتم مراجعة المقاييس المختلفة للذكاء الحضري لإظهار الحاجة إلى تعريف مشترك لما يشكل مدينة ذكية، وما هي خصائصها، وكيف تتصرف فيما يتعلق بالمدن التقليدية.

الكلمات المفتاحية: ذكاء ترابي، مدينة ذكية، حركية، أداء، مبادرات.

Territorial intelligence of the city: Conceptions, movements, performances and initiatives

Prof. Dr. OUAZIZ ALI*

University Institute of African, Euro-Mediterranean and Ibero-American Studies in Rabat, Mohammed V University in Rabat, Morocco

Member of the Laboratory of Systems Analysis, Information Processing and Industrial Management, Mohammed V University in Rabat, Morocco

Abstract: Our research was established with the aim of assessing the selected concepts of smart cities that have become a need of modern society. While the term 'smart city' is becoming more and more widespread, there is still confusion about what a smart city is, especially as several similar terms are often used interchangeably. This article aims to clarify the meaning of the word 'smart' in the context of cities through a case study approach. In the context of cities by means of a case study approach based on a thorough review of the relevant literature as well as official documents of international institutions. Our own experiences and communication with elected officials and executives responsible for the development of the Moroccan city have resulted in definitions, describing both the concepts and each of the layers of the system, which are presented, it also identifies the main dimensions and elements characterizing a smart city. The different metrics of urban intelligence are reviewed to show the need for a shared definition of what constitutes a smart city, what its characteristics are, and how it behaves in comparison to traditional cities.

Keywords: Territorial intelligence, Smart city, movements, performance, practices

1. Introduction

La communauté territoriale ou un territoire doit bâtir et mettre en œuvre une stratégie d’être intelligent à moyen et/ou à long terme, en traduisantun plan d'action global et cohérent, reposant sur des diagnostics partagés, allant au-delà de l'inventaire des forces et faiblesses d'activités économiques et sociales, tout en associant le savoir-faire traditionnel et technologies avancées. En adoptant une démarche qui repose sur la mise en œuvre et l'articulation d'une politique d'intelligence territoriale

intégrant particulièrement la compétitivité-attractivité, l'influence, la sécurité et la formation[1].

L'objet de cet article est de rechercher à concevoir les dynamiques du développement et de la ville intelligente, suite aux enjeux prospectifs de l'intelligence territoriale, nous cherchons à identifier la démonstration et à valoriser le mouvement vers la durabilité et les initiatives, dans une lecture positive du développement réalisable par la compréhension spatiale visible et mesurable, qui se traduisent par des politiques et des outils d'aménagement, devenant par ailleurs un nouveau modèle de l'action publique territoriale intelligente.

Cet article vise à faire progresser les connaissances de pointe sur ce qu'est une ville intelligente, sur ses mouvements clés, sur la façon dont elle est conçue et sur les moyens de la mettre en œuvre. Quels sont ses mouvements clés et comment ses performances peuvent être évaluées ? Il s'appuie sur une analyse de la littérature, notamment des articles évalués par des pairs et publiés. En particulier, il est structuré comme suit. Tout d'abord, les principales définitions de de l'intelligence territoriale et de la " ville intelligente " sont passées en revue, mettant en évidence les différentes significations données à ces concepts et les différentes perspectives à travers lesquelles ilsont été étudié. Ensuite, il analyse les mouvements clés d'une ville intelligente, puis il se concentre sur les mesures de la performance d'une ville intelligente, rend compte des expériences des villes dites intelligentes et se termine par une discussion des principaux résultats de l'étude et perspectives.

La problématique générale et questions de recherche de cet article se pose sur :

Les concepts clés de l'intelligence territoriale, et plus particulièrement les mouvements, les modérations et les pratiques liées à la gouvernance intelligente de la ville ; sont-ils en mesurede

[1] Concept défini dans le communiqué de presse des Premières Assises Nationales de l'Intelligence Territoriale du 24 novembre 2003 au Casino de Deauville, Basse-Normandie-Casino Lucien Barrière, France.

construire un nouveau processus ? Et, sont-ils convenablement organisés pour en assurer des initiatives performantes en vue de la gouvernance et gestion quotidienne ?

2. Démarche empirique

Le terme d'intelligence territoriale apparait pour la première fois en 1998 dans la thèse de son auteur Raison défendue à Marseille, mais l'auteur avait laisséce concept dans le doute de sadestination. M. Bertacchini, dans le même laboratoire dirigé par le professeur Dou, sepenchait alors sur ces problématiques pour en proposer une thèse dès l'année 2000 : Information et Veille territoriale : représentation du complexe local et émergence d'un projet d'intelligence territoriale (Bertacchini Y. , 2000). L'évolution de l'intelligence territoriale ne s'arrête pas, mais il s'intègre chaque fois dans une culture territoriale particulière en termes de gouvernance et nécessite une volonté collective souple ainsi que des ressources significatives pour pouvoir émerger le territoire vers une autonomie croissante.

L'étude empirique, nous oblige à faire, en premier lieu,un appel à l'interdisciplinarité, pour décrire le déroulement de la mise en placed'un dispositif d'intelligence territoriale nécessitant la compréhension des mécanismes institutionnels, pour la construction d'un système d'intelligence territoriale stratégique, qui analyse les dynamiqueslocales au sien de la ville de Salé (Le Moigne Jean-Louis, 2003).

Notre prospection fait la description de construction d'un système d'intelligence territoriale, avec un certain nombre de processusessentiels à sa mise en œuvre, qui relèvent de l'observation managériale. Dans cette vision, le management des projets de la ville est nécessaire pour mettre en place le processusd'intelligence territoriale qui est un outil pour construire les villes intelligentes,dont le paradigme s'inscrit, dans le cadre d'une stratégie deterritoire et dans lacomplexité d'organisation.

La construction d'I.T, en tant que nouvel outil de gestion, passe parun plan d'action qui se base sur une suite d'actions principales :Les projets de développements, la programmation, Le management, l'organisation,

l'information et la communication, la structuration, l'évolution et l'évaluation, afin de construire un prototypeajusté à la ville intelligente de grande dimension territoriale.

Les phénomènes observés dans les villes en voie d'intelligence, font apparaître que l'enjeu est avanttout économique, social et culturel. En effet, les acteurs institutionnels doivent se familiariser avec cenouveau concept d'intelligence territoriale. L'idée est pour euxgénéralement incompréhensible et porteuse d'une représentation négative de l'intelligence d'un territoire, car l'administration ne peut pas être intelligente, de ce fait, nous distinguons des points devue différents, étant donné qu'il y en a ceux qui interprètent l'intelligence territoriale dans le sens d'une administration cognitive alors que d'autres aperçoivent que c'est un système d'atteinte aux libertés du pouvoir public.

Dans ce sens que la recherche innovantedoit produire des nouvelles idéesqui vont prendre la forme d'explication d'objectifs de ce nouveau concept d'intelligence territoriale à construire en coopération entre l'administration publique et privé avec le citoyen en faveur d'une vie intelligente pour l'ensemble des acteurs du même territoire. Pour cette raison, il doit y avoir un ou plusieurs groupes d'acteur qui vont menerla transformationdes idées en objectifs pour l'installation d'un système d'intelligence territoriale.

Pour Michel Barabel et Olivier Meier, l'organisation d'un projet d'intelligence territoriale exige un manager d'équipe hétérogène qui doit avoir les qualités d'homme-ressource pour répondre aux exigences du chef de projet intelligent ou du directeur de projet. Obligatoirement désigné avec la plus grande attention. Cemanageuranimateur doitnotamment réussir à faire émerger des nouveaux talents et la constitution d'un groupe de travailcomposé d'acteurs internes et externesappartenant auxdifférentes parties prenantes du territoire intelligent, qui nese connaissent pas, mais qui doiventavoir la confiance et latransparence répondant à la logique de l'analysesociotechnique pour les faire travailler en harmonie (Barabel M. et Meier O., 2004).

Généralement, et malgré la diversité des acteurs, le groupe cohérent,porteur d'une même vision du projet, capable de résister au stress pendant lesmoments difficiles du projet d'intelligence territoriale dans une ville, par ce que la compétence de ce projet d'intelligence est une compétencecollective.

Dans ce cadre, Gilles Garel (2003, P58), exige pourla mise en place d'unsystème d'intelligence territoriale,deux types d'acteurs doivent être intégrer ; lesacteurs internes à la ville et les acteurs externes, c'est-à-dire les partiesattachéesau territoire en projet d'intelligence, collectivement choisies pour faire partie du groupe projet. Lesacteurs internes doivent être choisis des services de la ville. Pour cetteraison, il est indispensable de contrôler à ce que les directions et les chefs des serviceslibèrent du temps aux personnes détachées au projet d'intelligence de la ville.Quant aux acteurs externes, ils doivent avoir des compétences techniques,technologiques, organisationnelle set/ou des connaissances particulières sur le territoire en voie d'intelligence.

Philippe Herbaux et Richard Chotin (2002) stipulent que :*« Les modalités d'influence d'un projet territorial à l'échelon d'une commune sont flagrantes. Le maire, responsable administratif et parfois partenaire d'un groupe de travail est bien souvent à l'initiative de l'accompagnement ou du rejet du projet* ». Le projet d'intelligence d'une ville doit faire appel à des chevronnés de différentes structures décentralisées et déconcentrées qui peuvent changer dans letemps et dans l'espace. Ainsi, les deux auteurs observent une forte différence des points de vue s'appuyantsur des logiques différentes et renforcées par l'incertitude pesant sur des déterminations détaillées au fil du tempsdu processus d'intelligencequi se construit à la ville par l'apprentissagecollectif de toutes les parties prenantes qui vont acquérir des compétences nouvelles, de capitalisation desconnaissances et des expériences(Herbaux P. et Richard C., 2002).

3. Conceptions

La territorialité est un concept qui s'emploie principalement, pour ce qui concerne les êtres humains et la société, elle s'utilise en géographie, aménagement, architecture et urbanisme, en anthropologie et sociologie

ainsi qu'en droit et en science politique, dans une moindre mesure dans les autres sciences sociales, comme l'économie ou l'histoire. L'utilisation de concepts de zone et de territoire va nous permettre d'expliquer la position conceptuelle de l'intelligence territoriale placée en rapport avec les enjeux de l'équité socio-spatiale, pour une tentative de modélisation des politiques d'aménagement du territoire.

Le concept de ville intelligente est loin de se limiter à l'application des technologies aux villes. En fait, l'utilisation de ce terme prolifère dans de nombreux secteurs sans qu'il y ait de définitions convenues. Cette situation a semé la confusion chez les décideurs politiques décideurs urbains, qui espèrent mettre en place des politiques qui rendront leurs villes "intelligentes".

Avec le concept d'intelligence territoriale, nous envisageons un saut qualitatif vers une notion identitaire qui affirme son caractère flou, mouvant, rétif à toute définition positiviste, mais qui permette en revanche de penser et de communiquer par rapport à la complexité à l'incertitude du monde socio-économique contemporain (Herbaux & Bertacchini, 2005). Par référence à l'intelligence économique comprise comme une démarche organisée au service du management stratégique de l'entreprise, l'intelligence territoriale joue sur le rapprochement entre l'intelligence comme processus cognitif et d'organisation de l'information, et le territoire comme espace de relations signifiantes (Bertacchini Y, 2004). Si l'on part de cette approche pour chercher à définir un optimum de la division administrative de notre pays, nous allons trouver plusieurs arguments pour prôner une décentralisation qui soit une régionalisation avancée, et esquisser des lignes d'enrichissement de notre pensée et de notre action. Ainsi dans une position d'intelligence territoriale appliquée à la ville de Salé, nous pouvons mettre en avant une spécificité africaine, une exception marocaine, dans une population vive et d'intérêts, avec un équilibre des pouvoirs territoriaux.

Le concept polysémique[2] de l'intelligence territoriale se situe à la croisée de regards pluridisciplinaires, mais au-delà de la richesse apportée par ces contributions de fortes disparates, il convient de savoir que l'intelligence territoriale s'explique par sa jeunesse et par une divergence au niveau des fondements (Pelissier & Isabelle Pybourdin, 2009), ces deux visions du territoire et les enjeux du développement territorial sont radicalement différentes. De ce fait, l'intelligence territoriale peut aussi se juger à travers de la mise en groupe d'acteurs multi-compétences et multi-références, dispensant des mêmes valeurs et entreprenant en toute liberté dans le temps et dans l'espace.

L'intelligence territoriale se situe entre structuration de réseau territoriale et dynamique de communication des acteurs socio-économique du territoire de la ville, la notion du territoire est ici appréhendée comme un espace à regrouper dans le contexte d'universalisation actuelle et un lieu de proximité des projets. Dans le sens que la ville est amenée à être un espace de relations et d'issue construisant son attachement propre et son lien avec les autres villes nationales et internationales (Dumas P, 2007).

Le territoire de la ville est caractérisé par l'effet de proximité cognitive, institutionnelle et organisationnelle, il se transforme en un site avantagé des valeurs sociales, il sera la base de la gouvernance intelligente de demain. Ainsi, la ville sera appréhendée aux limites accessibles où se mélangent des quartiers en mouvement et vivants communiquant entre eux avec les outils des T.I.C(Courlet, 2003).

La conception identique de la ville intelligentese retrouve,bienévidemment, dans toutes les approches efficientes, dont la décision des acteurs d'une ville ou d'un territoire doit être initiée à partir d'une politique de transformation de leur ville ou leur territoire en une entité intelligente. Cela est particulièrement évident dans les tentatives de découpage, qui se retrouvent dans les travaux de l'urbaniste autrichien Rudolf Giffinger, et qui visent essentiellement à justifier une tentative de classification des villes intelligentes européennes. C'est ainsi, sur la base

[2]La polysémie est la caractéristique d'un mot ou d'une expression qui a plusieurs sens ou significations différentes (on le qualifie de polysémique).

d’un très large éventail de critères, qu'il propose de segmenter la ville intelligente en six tranches (Rudolf GIFFINGER and al, 2007):

- Économie intelligente;
- Mobilité intelligente;
- Gouvernance intelligente;
- Personnes intelligentes;
- Environnement intelligent;
- Vie intelligente.
- …etc.

La ville intelligente est une ville qui a optimisé son fonctionnement dans toute une série de directions, en particulier en matière de production ou de distribution de services urbains adaptésaux besoins traditionnels comme aux besoins ou attentes nouveaux de la population et ceci dans la perspective du développement durable (Emmanuel Eveno, 2018).

En général, il est considéré que les villes intelligentes se sont ceux qui utilisent les technologies intelligentes (angle technologique), pour le personnel intelligent se figure dans l’angle ressources humaines intelligentes et les villes dotées de collaborations intelligentes qui se focalise dans l’angle de gouvernance territoriale. Tandis que d’autres s’appuient sur des expositions composites (Albert Meijer et Manuel Pedro Rodríguez Bolívar, 2016).

Il y a une autre conception qui est l’expression de la ville intelligente urbanistique, née dans les années 1990, c’est une notion popularisée par les firmes privées telles que I.B.M, Cisco System, Siemens AG, Nokia, Veolia…etc. elle s’inscrit dans l’émergence de nouvelles technologies au sein des espaces urbains de façon stable pour caractériser les villes de demain avec d’autres expressions comme ; Futur city, éco-city, intelligent city, compact city, innovative city et green city (Albino. V . Bernardi U. & Dangelico R. M, 2015).

La définition largement acceptée est celle adoptée par l’union internationale de télécommunication à Budabest entre le 12 et le 15 Octobre 2015, lors de la conférence internationale de télécommunication, les conférenciers se sont mis d’accord sur la définition suivante : « *Une*

ville intelligente et durable est une ville innovante qui utilise les technologies de l'information et de la communication (TIC) et d'autres moyens pour améliorer la qualité de vie, l'efficacité de l'exploitation et des services urbains et la compétitivité tout en assurant qu'elle répond aux besoins des générations présentes et futures avec respect des aspects économiques, sociaux, environnementaux et culturels. » (ITU Telecom World, 12–15, October 2015.)

Les villes doivent être des agglomérations de promotion et d'innovation. Mais, il n'existe pas la définition des villes intelligentes peut varier d'une nation à l'autre ou même de ville en ville (Ramaprasad, Sánchez-ortiz, & A.Syn, 2017). C'est pourquoi de nombreux institutions, chercheurs et experts ont proposé différentes définitions des villes intelligentes, à savoirs :

- The British Standards Institution qui adéfini la ville intelligente comme *« intégration efficace de divers systèmes (physiques, numériques et humains) dans l'environnement bâti qui offre un avenir durable, affluent et inclusif à ses citoyens* (Institution British Standards, 2014)» ;
- Bhowmick et al, ont défini la ville intelligente dans leur guide comme *« Une ville qui utilise ses ressources disponibles pour le bénéfique de ses citoyens en équilibrant ses besoins (c'est-à-dire social, commercial et environnemental)* » (Bhowmick & et al, 2012) ;
- Giffinger et al, décrivent la ville intelligente comme *« Elle est performante en matière de prospective par six caractéristiques (à savoir l'économie, les personnes, la gouvernance, la mobilité, l'environnement, et la vie), construit comme combinaison intelligente pour citoyens intelligents »* (Giffinger & al, 2007) ;
- Smart Cities Council Indiaa défini la ville intelligente comme *« Elle utilise l'information et (T.I.C) afin d'améliorer la qualité de vie du citoyen, son aptitude au travail et sa durabilité »* (India Smart Cities Council, 2016) ;

- Office de Scientific et Technical Information des États-Unis a défini une ville intelligente comme *« une ville qui surveille et intègre les conditions de toutes ses infrastructures critiques pour une meilleure optimisation de ses ressources, pour planifier ses mesures préventives et contrôler tout, en maximisant les services aux citoyens »*.

Le concept de la ville intelligente *« Smart City »* est susceptible d’apporter une réponse pertinente aux défis auxquels font face les villes. Mais, il ressort de la littérature à plusieurs endroits que la conception de la Smart City est toujours confuse. Cela est lié au manque de connaissances et d’expérience sur la manière de concevoir et de conduire réellement une initiative Smart City dans sa globalité et d’éviter les projets isolés.

La description du modèle systémique par le plan physique est construite à partir de trois caractères d'éléments-concepts dans le l’espace territorial, nous parlons ici de trois substances (Prelaz-Droux R, 1995) :

1. Caractéristiques, qui conviennent à une vérité évidente du territoire, assigner en trois usages communs (Yann Bertacchini Y, 2012) :
    - Les infrastructures en réseaux et les œuvres de génie civil ;
    - L’espace naturel (terrain, eau, air, faune, flore) et la partie anthropique ;
    - Les mouvements démographiques, sociaux, économiques et culturels.
2. Deux classes virtuelles (étude du territoire sur le web) ; directifs et paraboliques.
3. L’interaction des éléments facteurs et factuelle comme il stipule Bertachini ; *« les éléments facteurs nécessitent une interprétation et peuvent conduire à l’émergence d’éléments factuels, les éléments factuels utilisent un ou plusieurs objets constitutifs par exemple ; les unités de production pour l'innovation technologique. D'autre part, il faut faire référence à un modèle explicatif qui va fonctionner en tant que contexte d'interprétation de l’innovation technologique »* (Bertachini, 2010/1).

4. Mouvements de la ville intelligente

À partir des années 2010, la Smart City ou « ville intelligente »renvoie mieux à une imagination géographique qui parait une notion clef de la découverte sur la postérité urbaine dans un contexte national et international. Pour concevoir l'origine de la locution Smart City, nous témoignons la réflexion des experts californiens au début des années 1990, qui ont tenté de penser aux conséquences de l'évolution des T.I.Cet de la digitalisation sur la gérance des petits et grands réseaux urbains (habitat, eau potable et usée, électrification, transport, énergie…) et sur les politiques du développement durable d'une ville qui connait comment s'adapter à n'importe quelles contraintes dans l'espace et dans le temps.IBM[3] en vient ainsi à définir la Smart City comme :*« celle où l'on utilise de manière optimale toutes les informations interconnectées disponibles pour mieux comprendre et contrôler les opérations et optimiser l'utilisation de ressources limitées* ».

La recherche de l'information et son traitement permet l'efficacité optimale et efficiente qui enrichissait la qualité primordiale d'une ville intelligente et prospère, dans un environnement ou la donnée est partout et devient la matière première de la Smart City qui s'avère entourée d'ensemble de discours porteurs d'un imaginaire « vertueux » du développement urbain. Les villes prometteuses sont pensées à trouver des relais de croissance, des mutations technologiques, dans un contexte de concurrence mondiale. La mise en œuvre du numérique permettra de maîtriser de nouvelles connaissances sur les systèmes urbains et sur les attentes et les pratiques des citoyens, dans un monde où les risques, crises, bouleversements, et ambiguïtés manifestent abonder, nous retrouvons que la Smart-Ness[4]ou « intelligence » assurerait le bon pilotage des villes (Lussault, 2018/3).

---

[3]Pour les experts et les ingénieurs d'IBM, la ville est un système de services interreliés : les services pour les infrastructures urbaines, les services pour les entreprises et les acteurs institutionnels (dont les gouvernements locaux), les services aux particuliers. Chacun de ces systèmes est en lui-même un marché lucratif, où la maîtrise de la donnée (nous sommes au début de l'apparition du big data), de son traitement et de la circulation de l'information est vitale.

[4]En général, Smart-Ness ou « intelligence » signifie avoir la capacité d'avoir l'attention des autres par le biais d'attributions intellectuelles ou physiques. Justement, cela renvoie à la connaissance

Il s'agit d'installer en perspective l'intelligence de la ville comme co-construction de ressources selon une logique coopérative, deux approches de l'intelligence territoriale de la ville, la première qualifiée de « descendante », la seconde « d'ascendante ». La première est la déclinaison directe de l'intelligence économique au niveau local. La seconde pense la recomposition locale par la mise en synergie d'acteurs partageant des valeurs et une finalité commune (Pelissier M., 2008).

Les deux approches de l'intelligence territoriale de la ville sont principalement opposées, une se qualifiée descendante, avec peu de pertinence au territoire, privilégiant une stratégie à restaurer la compétitivité d'un pays par l'attractivité de ses territoires. L'autre, se qualifiée ascendante, forme comme préalable la diversité des territoires pour le développement local porté par les acteurs locaux selon une logique endogène[5]. Cette conception accède au développement territorial équilibré et durable, en associant les acteurs du territoire selon une logique de partenariat (Stiglitz J-E, 14 septembre 2009).

L'intelligence territoriale est née du champ institutionnel et des enjeux économiques des populations, issue de la transdisciplinarité (économie, géographie, information et communication), elle considère le territoire non pas comme un espace d'application de politique déconcentrée d'intelligence économique, mais comme un lieu d'émergence d'une nouvelle conception de la gouvernance territoriale dans le cadre du développement durable, elle prend ainsi pour principal objet le développement durable et équitable des collectivités territoriales. Elle participe d'une vision du territoire comme espace de valorisation de ressources construites selon la logique endogène et favorise le partage de l'information selon la logique coopérative (Dumas P, 2007).

---

commune de tout ce qui fait que quelqu'un doit être considéré comme un intelligent. Comme la question m'était assignée à titre de tâche, j'ai donc consulté Google pour savoir comment les gens définissaient le mot « intelligence ». J'aimerais maintenant présenter certaines de ces déclarations (en italique) sur l'intelligence.

[5]Yann Bertacchini (2006), assimile cette acception de l'I.T à une manifestation d'adaptation de ressources du territoire puis de transfert de compétences entre les catégories d'acteurs territoriaux de cultures différentes.

Pour être endogène, l'intelligence territoriale doit admettrai à observer les citoyens engagés dans un territoire comme des acteurs clé d'une détermination territoriale réussie. Le développement territorial doit aussi s'appuyer sur des initiatives ou projets territoriaux reposant sur des logiques de coordination interterritoriales vers l'élaboration de ressources bien fondées. La coopération entre acteurs hétérogènes devient une modalité d'interaction privilégiée dans une dynamique d'apprentissage collectif et permet une mutualisation et une valorisation de connaissances auparavant diffuses. L'intelligence territorialese définit ainsi parle mode de gouvernance participatif selon une logique ascendante[6].

Le plan d'intelligence territoriale ascendante saurait un état de confiance favorable au dialogue, à l'échange, de conserver les liens relationnels forts et de maintenir une représentation positive du territoire auprès de ses acteurs, il devra être fondé sur l'identité de l'union locale et la divergence partagée. Néanmoins, le groupement entre un ou plusieurs acteurs n'est pas si simple, si direct et si spontané et le système d'interaction est complexe, dont la communication installedes entourages dans la relation humaine en situation de l'image sur la scène de la communication et information en faveur de la proximité territoriale des villes. *« Le saut culturel est la prévoyance convenable vers la capitalisation collective autour du projet territorial »* (Bertachini Y. & Al., 2006), dans un cadre d'action que constitue la mise en réseau des acteurs de l'intelligence territoriale. Par « L'orchestre territorial » au secret d'une évolution continu de communication où se jouent des positions, des rôles et des ressemblances (Herbaux P., 2007).

De ce fait l'intelligence territoriale de la ville est un domaine intelligible qui propose d'actions, décrit des pivots de la relation partout où il pénètre suite sa vision communicationnelle et d'information entre les acteurs socioéconomiques de la ville, pour la bonne prise de décision dans le bon temps et l'espace et ce par l'approche de sa complexité dynamique. Pour

[6] Yann Bertacchini (2004, 3), définis cette conception de l'I.T comme un processus informationnel et anthropologique initié par les acteurs locaux, présents physiquement ou au moyen des TIC, qui s'approprient les ressources locales et en créent de nouvelles afin de développer des projets endogènes.

ce qui nous intéresse, nous agirons dans l'espace de la ville, nous l'adoptons au territoire empiré et accru en physique et virtuel, local et distant, en mode correspondant et synchrone, sur un territoire de la ville unique et multiple à la fois. Nous associerons dans la prochaine section les mots intelligence, territoire et la ville de salé. Nous présenterons successivement la discutable de l'intelligence territoriale, les champs d'action possibles que nous illustrerons par des propositions d'action.

La politique internationale des villes intelligentes se détermine par sa qualité descendante, qui se caractérise par l'organisation institutionnelle et la pratique de l'aménagement, les Chinois débutent leurs visions de la ville intelligente par l'agenda nationale harmonisée par le gouvernement central[7]. La capacité de gestion des villes-centre, au regard de leur périphérie, est renforcée par la promotion des T.I.C comme outil de gestion urbaine, d'écologie et le bas-carbonecommenouveau mode de développement durable et intelligent. La mise en œuvre se pose sur l'ancrage, à Pékin, d'un centre national pour l'Innovation, en faisant appel à la mobilisation de différents acteurs au niveau local, pour financer les projets par le partenariat public-privé (Caragliu.A & al, 2009).

La ville intelligente a eu des transformations longues et respiration rythmée d'avancée et de repli, avec décollement significatif dominant les relations entre agissements, espace urbain et société, elle doit synchroniser aux processus de transformation des villes sur la base de théories convergentes et divergentes et de réintégrer tous autres acteurs territoriaux aux évènements de changements d'une ville en projet d'être Smart city (Antoine Picon, 2018/1).

L'émergence du numérique dans la pratique de la planification concorde avec les mesures techniques de la création de la ville intelligente[8], une

[7]Le ministère chinois de l'Industrie et des Technologies de l'information (MIIT) promeut, à la fin de l'année 2011, des programmes quinquennaux de développement de l'industrie de la sécurité de l'information, de l'Internet et du E-commerce dans le cadre de l'accord avec la Commission européenne sur les « Green Smart City ».

[8]Nous pouvons illustrer cette perspective rationnelle par le projet ForCity qui propose une nouvelle manière de pratiquer l'aménagement au sein du programme collaboratif d'innovation « Wise City » porté auprès du Gouvernement de la région de Hong Kong par la Chambre de commerce

maquette numérique de Hong Kong était réalisée par ForCity[9]en impliquant des prototypes d'interférences entre le territoire et les métiers de l'entreprise française Veolia à savoir : valorisation des déchets, cycle de l'eau, distribution de froid dans les bâtiments. Cet investissement, du Gouvernement de Hong Kong, vise un originalagissement de la planification urbaine, sur des espacesagricoles ou naturels, des quartiers édifiés, des infrastructures de transport et d'autres équipements construits… (Nicolas Douay et Carine Henriot, 2016/3). Dans l'objectif de développement et d'équilibre du reste de Hong Kong pour un espace géographique nécessaire, déjà soumis à des contraintes environnementales du fait de sa détermination économique. Pour une vision prospective de ces territoires à travers la plateforme ForCity, en inventant une nouvelle façon de valoriser ses savoir-faire auprès de ses citoyens et de concevoir des services au plus près des besoins du territoire[10].

5. Modérations de la performance

Les démarches, les méthodes et les outils propres aux villes intelligentes ont besoin du développement économique de leurs territoires, par un ensemble de savoirs et de compétences constitutives de gouvernance intelligente qui se basent sur les nouvelles technologies d'informations et de communications dans ce sens on peut parler du«BIG DATA ET INTELLIGENCE ARTIFICIELLE», notion même d'intelligence collective, qui porterait l'avenir du territoire selon la démarche plus classique de développement local, mais en lui apportant une culture de veille et de stratégie qui lui ont trop souvent fait défaut.

La planification stratégique à moyen et long terme et les exercices prévisionnels menés par les villes et les régions doivent être recherchés dans l'intelligence territoriale qui permettra d'ajuster en continu les

française à Hong Kong avec un écosystème de grandes entreprises françaises autour du grand groupe Veolia.

[9]ForCity est un éditeur de logiciels avec un objectif : le big data simplifier, et au service de la prise de décision. Au cœur de nos logiciels, une plateforme de modélisation 3D utilise l'analyse prédictive pour permettre aux décideurs de visualiser l'impact d'une décision, et ce même à travers le temps.

éléments du plan stratégique et influencer les données prises en compte pour la formulation des exercices prospectifs des programmes de développement et des plans d'action. En combinant les aspects positifs de la méthodologie de bonne gouvernance avec ceux du capital social d'un territoire et viser à attirer le talent plutôt que l'argent. En action, l'argent suit les talents et les sources matérielles et immatérielles pour la reconversion perpétuelle du territoire, basée sur l'exploitation optimale des informations sociétales, industrielles et technologiques et leur impact sur le développement futur d'une ville. Au niveau endogène, pour certaines régions, l'intelligence territoriale débouchera sur le développement de nouvelles niches d'excellence, pour d'autres, elle conduira à l'intégration de nouveaux savoirs ou à l'utilisation de nouvelles technologies dans des industries ou savoir-faire régionaux existants. L'intelligence territoriale pourrait signifier une attention plus grande sur l'attractivité de talents, suite à l'attitude du développement exogène pour une meilleure insertion des citoyens dans leurs territoires d'origines (Jacques Godron, 2003).

L'objectif de l'intelligence territoriale de la ville est le recours au savoir du management, dont les sources de base sont d'améliorer la prise de décision, de favoriser l'innovation, d'établir des relations de la confiance, de partager l'information, et d'améliorer l'apprentissage, et de sélectionner les informations pertinentes et utiles pour promouvoir les démarches participatives. Néanmoins, la recommandation au développement durable implique pour l'intelligence territoriale l'application des principes d'approche globale, multidisciplinaire, multisectorielle, et de participation.

Ainsi, l'intelligence territoriale de la ville ne se limite pas au rayon du droit, mais inclut la promotion des méthodes participatives et des modes non hiérarchiques de gestion des partenariats multisectoriels, qui stimulent le partage et la transparence de l'information, avec la valorisation de l'usage des T.I.C ainsi que la collaboration entre les différents acteurs territoriaux dans le processus d'analyse de l'information

[10] Voir le site officiel de ForCity, (www.forcity.com).

et dans l'action. L'utilité des informations et des connaissances n'est pas évaluée en fonction de la décision, mais en fonction de l'implication de tous dans le processus décisionnel et, surtout, de l'action (Bertacchini Y., 2003).

L'intelligence territoriale doit faire référence aux instruments d'analyse multicritères et spatiale, comme vecteur essentiel du développement dans la société de la connaissance et de l'information, afin de rendre le territoire, un espace de coopération et non plus une entreprise ou un marché. Nous nous référons dans ce sens à l'intelligence collective et aux résultats tirés de la collaboration et du partage de l'information, et de la compétition entre les individus aux réseaux récents de l'information et de la communication sans exclure les autres secteurs compétitifs du territoire (Girardot J, 2010).

Pour promouvoir la gouvernance des territoires, l'intelligence territoriale de la ville doit donc viser à :

- Inspirer les outils de développement stratégiques et de décision à partir d'une approche de concertation avec les citoyens ;
- Encourager les espaces traditionnels à fort potentiel de délocalisation ;
- Supporter les activités d'intégration de nouvelles technologies dans les visions stratégiques pour le territoire de chaque ville ;
- Observer les besoins en qualifications des communes régionales ;
- Favoriser l'accroissement de la connaissance dans la valeur ajoutée de l'économie sociale du territoire ;
- Développer les infrastructures et les services de proximité en fonction des demandes des citoyens ;
- Encourager les pouvoirs publics locaux à donner une préférence à l'innovation dans l'attribution des prestations territoriale.

La ville intelligente peutconstater un mécanisme performant dans un territoire de la connaissance afin de :

- Monter une cartographie territoriale des sources d'excellence ;
- Revoir les stratégies territoriales à savoir les infrastructures de base et locaux, l'offre de formation continue régionale, les

relations collectivités territoriales/universités et écoles supérieures spécialisées (technologie, business …);

- Sensibiliser les responsables territoriaux et citoyens à la veille technologique, la prospective et l'intelligence économique de qualité;
- Réorienter les programmes d'assistance et de soutien aux provinces et préfectures et aux communes ;
- Investir dans des projets d'intégration de nouvelles technologies dans les secteurs traditionnellement stratégiques pour la ville et la région.

La ville intelligente ou (Smart City) se caractère par l'intersection de différentes approches de sciences humaines et sociales, mais aussi par des politiques et destechniques de l'aménagement urbain et en plus l'intervention des chercheurs pour l'interprétation et l'innovation de la gouvernance moderne admettant l'intelligibilité de la ville au niveau spatial, social et économique sous les diverses conséquencesinternationales et les effets de la mutation numérique (Ghorra-Gobin, 2019).

6. Pratiques des villes intelligentes

Le territoire peut se concorder avec l'un de ces espaces, en interne, d'où il s'organise en espaces que l'on désignera de zones d'affectations fonctionnelles (arrondissement spatial fonctionnel), c'est-à-dire s'exercer un pouvoir socio-spatial selon le projet et la capacité territoriale. Une telle définition ambitionne en fait une parenté avec la pensée sur l'espace de Michel Foucault (Boullant, 2003). Celui-ci *« repère des lieux ou des espaces d'affectation, d'assujettissement, de relégation, de surveillance, de punition. Mais ces éléments spatiaux ne prennent sens qu'à l'échelle d'un projet social et d'exercice du pouvoir qui se matérialise dans un espace de répartition des éléments d'un dispositif de discipline »* (MICHEL FOUCAULT & BOULLANT FRANCOIS, 2003).

L'intelligence est un attribut humain qui nous permet d'observer rationnellement l'univers et son phénomène et qui nous rend généralistes à propos de tout et nous incite à être spécialisés dans tout domaine

spécifique qui nous aidera à mener une vie meilleure. Une personne intelligente peut visualiser le passé, analyser et affronter le présent et prévoir l'avenir à partir des informations recueillies au fil du temps. La Smart-Ness (SMARTNESS, 2013) nous libère de l'ignorance, de l'arrogance et de toute forme de fanatisme en connaissant des informations précises et à jour. Une personne intelligente est une personne qui comprend très bien le mot «relativité[11]» dans tous les aspects de la vie et de son environnement !!!

La ville intelligente repose sur la vive utilisation des technologies de l'information et de la communication, mais il y a des équivoques qui se relient à la représentation de ville intelligente, tant au niveau d'infrastructures techniques et aux objectifs généraux en relation avec le développement de contenus électroniques et leur hybridation croissante avec le monde physique, hybridation souvent qualifiée de réalité augmentée, sa construction renvoie à un certain nombre d'enjeux clefs comme la possibilité de concilier qualité de vie urbaine et développement durable au moyen d'une gestion fine des ressources et des infrastructures techniques, qui permettrait d'obtenir le développement et la croissance exponentielle du marché de la ville intelligente justifie a posteriori ce choix, particulière par desréalisations comme celles de Songdo en Corée du Sud, Masdar à Abou Dhabi, ou à des projets comme PlanIT Valley au nord du Portugal.

L'association étroite entre infrastructures physiques et numériques est un nouveau soubassement de la terminologie Smart City aux villes nouvelles, l'urbaniste américain Adam Greenfield a beau jeu de contraster la complexité des villes existantes avec la pauvreté d'une approche qui

[11]La relativité restreinte est la théorie formelle élaborée par Albert Einstein en 1905 en vue de tirer toutes les conséquences physiques de la relativité galiléenne et du principe selon lequel la vitesse de la lumière dans le vide a la même valeur dans tous les référentiels galiléens (ou inertiels), ce qui était implicitement énoncé dans les équations de Maxwell (mais interprété bien différemment jusque-là, avec « l'espace absolu » de Newton et l'éther). La relativité galiléenne énonce, en langage moderne, que toute expérience faite dans un référentiel inertiel se déroule de manière parfaitement identique dans tout autre référentiel inertiel. Devenu « principe de relativité », son énoncé sera ensuite modifié par Einstein pour être étendu aux référentiels non inertiels : de « restreinte », la relativité deviendra « générale », et traitera de plus de la gravitation, ce que ne fait pas la relativité restreinte.

reprend selon lui à son compte le credo fonctionnaliste de l'urbanisme et architecture moderne (A. Greenfield, 2013).

L'ambition en tant que chercheur est de rendre la ville marocaine intelligente, la remettre même consciente aux expérimentations et réalisations actuelles à l'internationale, et au-delà de ce que prescrivent les techniques disponibles au niveau national, cette ambition n'est pas première pour la ville intelligente qu'apparaît dans une dynamique proportionnellement technologique avec ses corollaires techno-optimistes ou techno pessimiste.L'objectif est de minimiser l'apport de la technologie par rapport à l'intelligence qui à son caractère partiellement non humain, à une association inédite entre les hommes, les machines et les algorithmes.Pour une ville dont les outils numériques permettent d'optimiser le fonctionnement et la durabilité, en même temps que la qualité de vie de ses habitants et le type de relations qu'ils entretiennent les uns avec les autres, dans le sens où la ville fait preuve d'une forme d'intelligence non semblable à son passé.

La ville intelligente a des mécanismes d'apprentissage, de compréhension et de raisonnement, mais celles-ci se voient atténuées par une dynamique de développement durable qui peuvent annonce leur dépassement. Étant donné que les villes intelligentes apparient comme un processus des innovations technologiques complexe, des stratégies d'entités locales et des pratiques qui expérimentent un nouveau rapport entre l'urbain où se compliquent chaque jour davantage l'humain et le nonhumain.

Le chercheur Steve Bernardin part de l'hypothèse selon laquelle la ville intelligente est associée au perfectionnement, en tant que mode opératoire visant à répondre à toutes les difficultés par la science de sociologie des problèmes publics, il vise de focaliser son étude sur l'argumentation avantageuse des entrepreneurs en faveur de la ville intelligente. Tout en s'intéressant aux exigences politiques et sociales pour la création de la ville intelligente à partir des dialogues et d'observations qui peuvent être menéespar un travail de terrain. Dont L'objectif est de provoquer des questions purement académiques et scientifiques pratiques, afin de

trouver les nouvelles circonstances d'innovation, en vue de créer de « nouveaux modèles économiques » qui font l'adéquation entre l'offre de la ville et la demande des citoyens dans la clairvoyance de la résolution des problèmes urbains (Ghorra-Gobin, 2019).

Les villes se convertissent inévitablement, en systèmes d'information, les relations entre infrastructures physiques, offres de services et usagers se trouvent reconfigurées afin de parvenir à une meilleure réactivité et une souplesse d'application. L'objectif consiste à améliorer le stationnement, toute une série de villes teste par exemple des systèmes de parking « intelligents » où des capteurs admettent de signaler aux conducteurs l'existence de localités disponibles à proximité de l'endroit où ils se trouvent[12] . La prospection d'une préférable efficience environnementale constitue parmi d'autres le principal objectif de la ville intelligente, qu'il s'agisse de diminuer sa consommation d'énergie ou le volume d'ordures qu'elle génère (F. Eychenne, 2008).

Les perspectives est l'intégration dans les grands projets de villes nouvelles intelligentes le développement durable sur le numérique et dans l'univers d'informations urbaines comme enjeux clefs qui comporte aux différents types de mesures et d'enregistrements. Dans cette perspective, en peut utiliser l'expérience d'une « route connectée » d'où la mise en place de divers capteurs qui peuvent rassembler en temps réel des données sur les déplacements des véhicules et humaines, de l'éclairage public, de la propreté…,aussi bien tout autres caractères environnementaux et du développement durable. L'objectif est d'arriver à la réalisation d'un plateau d'informations pour l'administration, le secteur privé et les autres acteurs territoriaux afin de proposer des services innovants à l'interface des mondes physique et numérique, dans ce sens il faut implanter des plans de développement de l'intelligence urbaine en cohérence avec chaque ville, en liaison avec une stratégie numérique affichée par l'Etat pour favoriser la transition énergétique, proposer de

[12]R. Stross, « The Learning Curve of Smart Parking », The New York Times, December 22, 2012, http://www.nytimes.com/2012/12/23/technology/smart-parking-has-a-learning-curve-too.html, consulté le 5août 2018, « Nice équipe ses places de parking de capteurs intelligents », Innov'

nouvelles solutions de mobilité, lutter contre le chômage et la pauvreté, ou aider à la création d'entreprises… D'une manière semblable, l'application des technologies de l'information et de la communication à la ville dans la vision de la rendre durable réclame un investissement croissant de la part des collectivités territoriales et des villes.

En 2010, l'exposition internationale de Shanghai intitulée :*« Une meilleure ville pour une meilleure vie »* a réclamé aux groupes mondiauxde réexaminer la manière dont nous vivons pour mieux manager les changements urbains et répondre aux exigences des générations actuelles et ultérieures. À l'horizon 2030, les Nations unies évaluent que plus de deux individus sur trois demeureront dans des villes[13], qui sont à ce titre concernées par les périls du réchauffement climatique (GREEN INNOVATION, 2019). En effet, les villes ont toujours été des milieux d'attractivité où le rattachement des populations et des mouvements se constate plus sérieux. Elles participent à l'innovation d'accessibilité et d'attractivités et polarisent les flux de natures marchandises, capitales et migratoires. (GREEN INNOVATION, 2019).

La considération de l'environnement et du développement durable de l'espace de la ville engendredes socles angulaires de la cité intelligente, en plus la ville doit être mieux managée par les nouvelles technologies de l'information et de la communication. Les pouvoirs publics doivent encourager les collectivités territoriales à adopter dans leur agenda la lutte contre le changement climatique, le contrôle de l'énergie et le développement d'opérations de sensibilisation et de suivis des acteurs socioéconomiques locaux présents sur leur territoire de la ville.

L'intérêt pour la ville intelligente et sa gouvernance doit connaître une croissance rapide par des approches adoptées qui ne complique l'analyse de plusieurs publications indiquant l'importance accordée aux technologies intelligentes, au personnel intelligent ou à la collaboration

---

in the city, Janvier 16, 2012, http://www.innovcity. fr/2012/01/16/nice-equipe-places-parking-capteurs-intelligents/ consulté le 2 décembre2014.

[13] D'après GREEN INNOVATION les villes du monde consomment déjà 75 % de l'énergie produite dans le monde et émettent près de 80 % des gaz à effet de serre (G.E.S) alors qu'elles ne représentent que 2 % de la surface du globe.

intelligente en tant que caractéristiques des villes intelligentes. La vision pour la ville de Salé se configure par la transformation et la progression aux évolutions de la gouvernance urbaine, l'amélioration des résultats ou d'autres processus plus ouverts pour revendiquer la légitimité de la gouvernance de la ville intelligente. Nous sommes en faveur d'une perspective globale qui consiste à évoquer de nouvelles formes de collaboration humaine en usant aux T.I.C pour obtenir de meilleurs résultats et des processus de gouvernance plus ouverts en matière de gouvernement électronique, qui doit être étudié comme un processus complexe de changement institutionnel considérant la nature politique des visions séduisantes de la gouvernance socio-technologique (Albert Meijer et Manuel Pedro Rodríguez Bolívar, 2016).

7. Conclusions et perspectives

L'intelligence territorialede la ville a pour objectif la compétitivité-attractivité et proximité du territoire, elle s'accorde avec une vision plus large et complexe du développement incluant les principes du développement durable dans une perspective de réalisation de la bonne conduite des services publics et privés territoriaux en faveur des citoyens des villes.

Le développement intelligent qui était auparavant adapté comme une solution durable à de nombreuses questions d'urbanisme est devenu un simple progrès technologique. Cet article tente de clarifier la signification d'un concept de plus en plus populaire, celui de la ville intelligente. De plus en plus populaire, celui de la ville intelligente. Une analyse approfondie de la littérature a révélé que la signification d'une ville intelligente présente de multiples facettes. Les descriptions des villes intelligentes les descriptions des villes intelligentes incluent désormais les qualités des personnes et des communautés ainsi que les TIC. De nombreux éléments et dimensions caractérisant une ville intelligente ont émergé de l'analyse de la littérature existante. Par cette synthèse, nous voulons établir une base pour comprendre les concepts, les outils, les actions et les objectifs des systèmes, qui appartiennent à la fois aux concepts Smart. Pour le développement de la gestion de crise et de la

résilience dans les villes, des solutions, qui fusionneront les philosophies des concepts de ville intelligente et de ville durable

Une évaluation de la ville intelligente doit tenir compte du fait que les villes ont différentes visions et priorités pour atteindre leurs objectifs, mais elles doivent promouvoir un développement intégré de différents aspects, tant matériels que techniques. En même temps, les auteurs ont démontré les problèmes de nombreux systèmes de classement qui ont conduit à une perte d'informations sur la complexité de la ville. Cette étude a montré comment les villes peuvent être considérées comme "intelligentes". Nous espérons que ce document sera utile aux décideurs politiques pour apprendre à identifier les villes intelligentes, à planifier des mesures d'incitation pour leur développement et à mettre en place des programmes de formation,pour suivre les progrès "intelligents" de leurs villes.

Références

1.A. Greenfield. (2013). (Against the Smart City: . A Pamphlet, Verso, New York, 2013.).
2.Agnew D et Tapscott D. (1999). Governance in the Digital Economy. The Importance of Human Development. . Finance & Development 36(4): , 34-37.
3.Albert Meijer et Manuel Pedro Rodríguez Bolívar. (2016). LA GOUVERNANCE DES VILLES INTELLIGENTES. ANALYSE DE LA LITTÉRATURE SUR LA GOUVERNANCE URBAINE INTELLIGENTE. I.I.S.A. | « Revue Internationale des Sciences Administratives » , 2016/2 Vol. 82 | pages 417 à 435.
4.Albino. V . Bernardi U. & Dangelico R. M, A. (2015). Smart cities: Definitions, imensions, performance, and initiatives. 22(1),. Journal of Urban Technology,, 3-21.
5.Antoine Picon. (2018/1). VILLES ET SYSTÈMES D’INFORMATION : DE LA NAISSANCE DE L’URBANISME MODERNE À L’ÉMERGENCE DE LA SMART CITY. Université Paris-Est Marne la

Vallée | « Flux », N° 111-112 | pages 80 à 93: https://www.cairn.info/revue-flux-2018-1-page-80.htm.

6.Axhausen KW et al, B. M. (2012). Smart Cities of the Future. European Physical Journal 214 :, 481-518.

7.Bailly & al. (1995). Collectif, Stratégies spatiales : comprendre et maîtriser l’espace. GIP reclus, Montpellier, .

8.Bertacchini Y. (2004). Mesurer la distance, Pensez la durée, Mémoriser le virtuel, Vers l‘Intelligence territoriale -volet 2-, Collection Les E.T.I.C, Presses Technologiques, . 175.

9.Bertacchini Y. (2003). 2003, « Entre information et processus de communication : l’intelligence territoriale »,. Les cahiers du centre d’études et de recherche, Humanisme et entreprise, n° 267, La Sorbonne nouvelle Paris.

10.Bertachini Y. & Al., 2. (2006). « Entre information et processus de communication, l’intelligence territoriale », Humanisme et Entreprise, Paris, n° 267, OctobreDe l’intelligence territoriale, théorie, posture, hypothèses et définition. Ticet territoire, Colloque université de Besançon, 9-10 juin 2006. Besançon.

11.Bertachini, Y. (2010/1). « Intelligence territoriale : une lecture retro-prospective »,. Revue internationale d'intelligence économique, (Vol 2), Ed : Lavoisier, Paris., pp 65-97,.

12.Bhowmick, A. F., & et al. (2012). IBM Intelligent Operations Center for Smarter Cities All You Need to Know to Administer.

13.Boutaud J-J. (2004). « Sémiotique et communication». Hermès, n° 38, Paris, CNRS Éditions,, p. 96-102.

14.Caragliu.A, & al. (2009). Del BoY C. et Nijkamp P. (2009), Smart cities in Europe, University Amsterdam, Faculty of Economics, Business Administration and Econometrics. Series Research Memoranda 0048. VU,.

15.Dumas P. (2007). “Is region the most appropriate space to think sustainable development? A framework for research and implementation”, in International. Retrieved from www.territorial-intelligence.eu: URL:http://www.territorial-intelligence.eu/index.php/alba06/Dumas.

16.Emmanuel Eveno. (2018). La Ville intelligente: objet au coeur de nombreuses contreverses. Les éditions de la Maison des sciences de l’Homme, openedition., 37.
17.Eveno Emmanuel, E. (2018). La Ville intelligente : objet au coeur de nombreuses controverses. Quaderni: Communication, technologies, pouvoir, ISSN : 2105-2956, 29-41.
18.F. Eychenne. (2008). La Ville 2.0, complexe… et familière,Limoges,. FYP Éditions, .
19.Ghorra-Gobin, C. (2019). Smart City :"fiction" et innovation stratégique. Quaderni [En ligne], mis en ligne le 15 mai 2018, consulté le 31 mai 2018. URL : http://journals.openedition.org/quaderni/1169 , 5-15.
20.Giffinger, R. F., & al, e. (2007). Smart Cities Ranking of European Medium-Sized Cities.
21.Girardot J. (2010). “Principes, Méthodes et Outils d'Intelligence Territoriale. Évaluation participative et Observation coopérative”. In Conhecer melhor para agir melhor,. Actes du séminaire européen de la Direction Générale de l'Action Sociale du Portugal EVORA (Portugal), 3-5 mai 2000, DGAS, LISBONNE, décembre 2000, 7-17. LISBONNE.
22.GREEN INNOVATION. (2019, 02 08). La ville intelligente, un impératif en devenir. GREEN INNOVATION, pp. https://www.green-innovation.fr/2014/04/28/la-ville-intelligente-un-imperatif-en-devenir/.
23.Herbaux & Bertacchini. (2005). « La rupture, un des corollaires de la vitesse. L‘intelligence territoriale, une posture d‘anticipation. », Actes du Colloque sur les Systèmes d‘Information élaborée/Tic & Territoire : quels développements ?‘, . Revue ISDM, n°22, [http://isdm.univ-tln.fr.
24.Herbaux P., B. Y. (2007). « Part du construit sémiologique en intelligence territoriale », Tic et territoires, quels développements,14-15 juin. Colloque université Jean Moulin,. Lyon 3, .
25.HERBAUX Philippe. (2002). " L'intelligence économique, outil du pacte territorial ". 21-23 aout 2002. Colloque ASRDLF Québec. Québec.
India Smart Cities Council. (2016). Smart Cities India Readiness Guide.
26.Institution British Standards. (2014). Smart City Service Framework—Guide Customer to Establishing Strategies for Smart Cities and Communities.

27.ITU Telecom World, I. (12–15, October 2015.). Smart solutions from experts. Telecom World conference.Budapest,.
28.Jacques Godron. (2003). Le territoire stratégique, L'Harmattan,. p. 371.
29.Lussault, M. (2018/3). L'ALLÉGORIE DE LA SMART CITY. Presses Universitaires de France | « Tous urbains » N° 23 , ISSN 2265-9811, ISBN 9782130802976, https://www.cairn.info/revue-tous-urbains-2018-3-page-14.htm, pages 14 à 16.
30.Major W. (1999). «Approche systémique du territoire», . Colloque de la Systémique, . Université de Zurich,.
31.MICHEL FOUCAULT & BOULLANT FRANCOIS. (2003). PENSEUR DE L'ESPACE. PUF.
32.Morin E. (1996). Introduction à la pensée complexe, Paris,. Esf, 6e édition., 150.
33.Nicolas Douay et Carine Henriot. (2016/3). LA CHINE À L'HEURE DES VILLES INTELLIGENTES. Armand Colin, « L'Information géographique », Vol. 80 , pages 89 à 102.
34.Nijkamp P et al, N. (2012). Smart cities in perspective – a comparative European study by means of self-organizing maps. Innovation:. The European Journal of Social Science Research 25(2):, 229-246.
35.Pelissier M. (2008). 2008, « Etude sur l'origine et les fondements de l'intelligence territoriale : l'intelligence territoriale comme une simple déclinaison de l'intelligence économique à l'échelle du territoire ? ». Intelligence territoriale, François, .
36.Pelissier, M., & Isabelle Pybourdin. (2009). « L'intelligence territoriale. Entre structuration de réseau et dynamique de communication »,. Les Cahiers du numérique 2009/4 (Vol. 5), , p. 93-109.
37.Prelaz-Droux R. (1995). Conception d'un système d'information à référence spatiale pour l'aménagement et la gestion du territoire, Approche systémique et procédure de réalisation, . EPFL, Lausanne, Suisse,
38.Pybourdin I. (2009). « Politiques publiques : construction de la fracture par les usages dans l'enseignement ». Les cahiers du numérique volume 5, n° 1/2009,, p. 196-222.

39.Ramaprasad, A., Sánchez-ortiz, & A.Syn, T. (2017). A unified definition of a smart city. Int. Fed. Inf.Process., 13–24. doi:https://doi.org/10.1007/978-3-319-64677-0

40.Rudolf GIFFINGER and al, R. (2007). Smart cities – Ranking of European medium sized cities, Center of Regional Science, Vienna UT,.

41.Schwarz, E. (1997). « Toward a Holistic Cybernetics. From Science Through Epistemology to Being »,. Cybernetics and Human Knowing, Vol. 4 n° 1, Alborg,.

42.SMARTNESS, W. I. (2013, 04 08). https://perfectstrang3r.wordpress.com. Retrieved from perfectstrang3r: https://perfectstrang3r.wordpress.com/2013/04/08/what-is-smartness-2/

43.Stiglitz J-E, S. A.-P. (14 septembre 2009). Rapport de la commission sur la mesure des performances économiques et du progrès social.

44.TACTIS. (2006). TACTIS, Appropriation et déploiement de la Smart City dans les villes, agglomérations, et territoires français,.Observatoire Smart City.

45.Winters JV. (2011). Why are smart cities growing ? Who moves and who stays. Journal of Regional Science 51(2)., 253-270.

46.Yann Bertacchini. (2010). « Intelligence territoriale : une lecture retro-prospective ». Revue internationale d'intelligence économique 2010/1 (Vol 2),, p. 65-97.

47.Yann Bertacchini Y. (2012). Intelligence territoriale Le Territoire dans tous ses états. Toulon: Collection Les ETIC, Presses Technologiques, Université du sud de Toulon. ISBN : 2-9519320-1-4 EAN : 9782951932012.